المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك سعود
التربية
قسم الدراسات الإسلامية
(شعبة العقيدة)

مسائل العقيدة في كتاب بدء الخلق من الجامع الصحيح للبخاري

« عرض ودراسة »

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الطالب
محمد بن إبراهيم القريش

إشراف فضيلة الدكتور
الشفيع الماحي أحمد
حفظه الله

١٤١١هـ — ١٤٢٠هـ

المملكـة العربيـة السـعودية
وزارة التعليـم العـالي
جامعة الملك سعود
كلية التربية
قسم الدراسات الإسلامية
(شـعبة العقيـدة)

مسائل العقيدة في كتاب بدء الخلق

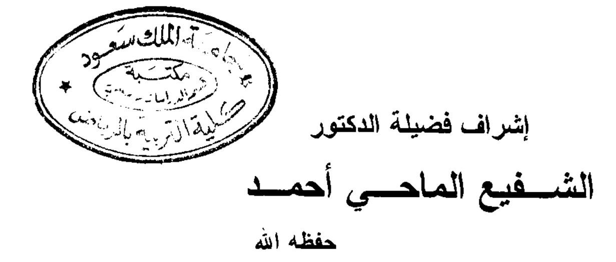
من الجامع الصحيح للبخاري

((عرض ودراسة))

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الطالب

محمد بن إبراهيم القريش



إشراف فضيلة الدكتور

الشـفيع الماحـي أحمـد

حفظه الله

١٤١٩/١٤٢٠هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــــة

﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ماكثين فيه أبداً﴾ (١) .

الحمد لله الذي أنزل إلينا كتاباً فيه نبأ ما قبلنا ، وخبر ما بعدنا ، وحكم ما بيننا ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يشبع منه العلماء ، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم .

وأصلي وأسلم على عبده ورسوله محمد (الذي أرسله الله بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيرا ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا ، فختم به الرسالة ، وهدى به من الضلالة ، وعلم به من الجهالة ، وفتح برسالته أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا ، فأشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها ، وتألفت به القلوب بعد شتاتها ، فأقام به الملة العوجاء ، وأوضح به المحجة البيضاء ، وشرح له صدره ، ووضع عنه وزره ، ورفع ذكره ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره ، أرسله ﷺ على حين فترة من الرسل ، ودروس من الكتب ، حين حرف الكلم ، وبدلت الشرائع ، وأستند كل قوم إلى ظلم آرائهم ، وحكموا على الله وبين عباده بمقالاتهم الفاسدة وأهوائهم ، فهدى الله به الخلائق ، وأوضح به الطرائق ، وأخرج به الناس من الظلمات إلى النور ، وأبصر به من العمى ، وأرشد به من

---

(١) سورة الكهف الآيتان ١ ــ ٢ .

الفي ، وفرق به ما بين الأبرار والفجار ، وجعل الـــهدى والفــلاح فـــي اتباعـــه ، وموافقته ، والضلال والشقاء في معصيته ومخالفته ، وامتحن به الخلائق في قبورهم ، فهم في القبور عنه مسؤولون ، وبه ممتحنون) [١] وأصلي على آلـــه الأطـــهار ، وصحبه الأخيار ، أبر هذه الأمة قلوبا ، وأفضلها علما ، وأقلها تكلفا ، وعلـــى مـــن سلك سبيلهم، واستنار بنور الإسلام ، واستمسك بهدي القـــرآن ، وتـــابع الرســـول الخاتـــم.

أما بعـــــد ،،،

فأحمد الله عزوجل أن وفقنـــي للدراسة في هذه الجامعة العريقـــة وتشـــرفت بالتتلمذ على مشائخ فضلاء وأباء كرماء فعلمونا بعض ما جـــهلنا وأرشـــدونا إلـــى أصول العلم وكباره وإلى كيفية البحث والمطالعة ويسروا لنـــا الطريـــق الصعـــب، وشجعونا على السير في هذا المضمار وشملونا بكريم الأدب وواسع الكرم وعظيـــم الاخلاق فجزاهم الله عنا كل خير انه سميع قريب .

ثم أما بعد ،،،

فان الاهتمام بالعقيدة والدفاع عن حماها هو أهم فروض الإســـلام وأركانـــه العظام وان بناء العقيدة الإسلامية على منهج صحيح هو من أهم الواجبات وأعظـــم الفرائض ولا يكون ذلك إلا بالاعتماد على مصدر صحيح عن الله ورسوله .

ولما كان الرسول هو المبلغ عن الله عزوجل قد حث المسلمين على الاقتـــداء برسول الله ﷺ في جميع الأمور ، ومن ذلك مسائل العقيدة الّتـــي بناهـــا ﷺ علـــى منهج واضح وهو الذي جعله الله قدوة لنا نأخذ ما يأمرنا به ونترك ما ينهانا عنـــه ، قال تعالى : ﴿قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [٢] ومن كبـــار علمـــاء أهل الســـنة وأئمة الهدى الجامعين لميراث خير الورى أمير المؤمنين في الحديـــث (أبو عبدالله محمد بن إسماعي البخاري المتوفي سنة ٢٦٥) .

---

(١) انظر : لوامع الأنوار البهية ٢/٢٦٢ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٣١ .

ولما كان كتاب البخاري الجامع لاحاديث النبي ﷺ وسيرته هو أهم كتاب بعد كتاب الله عزوجل وقد تلقته الأمة منه بالقبول ووافقته على كل ما فيه وأقبلت على هذا الصحيح تحفظه وتشرحه وتنظر فيه وتحاول أن تستفيد منه بقدر طاقتها ، ولقد أجتهد الإمام البخاري في تبويب صحيحه وعرض مسائل العقيدة فيه وافرد لمسائل العقيدة كتباً مستقلة منها كتاب (بدء الخلق) الذي أشتمل على قرابة المئتين حديث (٢٠٠) من أحاديث النبي ﷺ وكلها تقريباً في العقيدة ومسائلها وما يتصل بها .

وقد كثرت الشروح لهذا السفر العظيم وزاد الاهتمام به من قرن إلى قرن حتى وصل العهد إلينا والله المستعان .

ولما كان كتاب بدء الخلق لم يفرد بدراسة مستقلة عقدية تجلي ما فيه من مسائل فقد حاولت في هذا البحث جمع مسائله ودراستها وعرضها بشيء من الترتيب والتنظيم فتقدمت إلى قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية وقدمت مشروع دراستي وعرضت خطتي على المجلس الموقر فاقرها بعد التمحيص والتهذيب .

واستعنت بالله بعد الموافقة على القراءة والكتابة والجد والاجتهاد والمواصلة في حفظ الوقت واستدراك العمر .

فقسم البحث بهذه الصورة المتواضعة مع الاعتذار عن كل خطأ ونقصان وعذري أنني اجتهدت كل طاقتي وبذلت ما في وسعي والله شهيد على ذلك ﴿ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ [(١)] .

ثم أنني أتشرف بكل ملاحظة ممن يطلع على البحث ، وأخص المناقشين الكريمين وأتشرف بتسديدهم وتهذيبهم جزاهم الله عنا خير الجزاء .

أهمية الموضوع :

كان لاختيار الموضوع أسباب من ضمنها ما يلي :

١ ـ ان السنة النبوية هي المصدر الثاني من التشريع الإسلامي ولذا يحسن بالأمة العناية بالمصادر التشريعية من جميع جوانبها العقيدية والفقهية والاصولية

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٦ .

والدعوية وغيرها ولهذا كانت الحاجة ماسة للتعرف على كنوز هذا المصدر وتوجيه وأرشاده وخاصة في ما صح منه ومن الكتب المعتمدة في هذا المجال صحيح الامام البخاري رحمه الله .

٢ ـ الشمول والتكامل في هذا الجامع الصحيح حيث اشتمل على ست وتسعين كتابا ابتداء بكتاب بدء الوحي وإنتهاء بكتاب التوحيد وكان بين هذه الكتب كتب كثيرة عنت بالعقيدة ومسائلها .

٣ ـ أهمية هذا الجزء المخصص للدراسة حيث اعتنى بمسائل مهمة مما يجب الإيمان بها وتلقيها بالقبول وتفسير كامل لكل ما يواجه الإنسان من أسئلة عقيدية في مسائل كثيرة وتفسير لما قد يغيب عن اكثر أهل الأرض .

أهمية وأسباب اختيار الموضوع :

١ ـ الرغبة في خدمة السنة النبوية واستنباط المسائل العقدية من هذه الأحاديث والاستدال بها على المسائل المرادة والاهتداء بهديها .

٢ ـ خدمة هذا الكتاب (صحيح البخاري) ومحاولة الاستفادة منه قدر الطاقة وما عناية العلماء به منذ القدم الا لأهميته ، ولذلك يرجع إليه العلماء والعامة ويحاولون الاستفادة منه لما وضع الله له من قبول بين الناس .

٣ ـ الرد على من قال بقدم العالم من الفلاسفة ومن تبعهم من أهل الأهواء والفتن .

٤ ـ التعرف على كيفية السحر وتأثيره وبيان القول الراجح في تأثيره .

٥ ـ التعرف على كيفية حدوث الشر في هذا الكون وهل يخلق الله عزوجل الشر ؟

أهداف البحث :

١ ـ استخراج مسائل العقيدة من كتاب بدء الخلق في صحيح البخاري وحصرها وتبويبها ثم الكلام عنها .

٢ ـ التعرف على العقيدة الصحيحة في هذه المسائل من خلال الاستعراض والإستنباط من هذه الأحاديث والإستفادة من عرض البخاري لها لكونه علماً من أعلام السلف الذين يقتدي بهم .

٣ ـ تأصيل مبدأ الرجوع إلى النصوص الشرعية في الكتاب والسنة الصحيحة عند كل قضية تهم الانسان وأكدها مسائل العقيدة .

٤ ـ دراسة هذه المسائل الموجودة في هذا الكتاب وبيان وجه الحق فيها والرد على المخالفين في ضوء عقيدة السلف الصالح .

٥ ـ دراسة هذا الكتاب دراسة عقدية واسعة قد تكون بداية لدراسة متكاملة وشاملة لهذا الجامع العظيم ومساهمة في خدمته على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة .

wrong — الصواب

تساؤلات البحث :

هناك من يعتقد أن المنهج الكلامي هو الأصل في عرض بعض المسائل العقدية ونحتاج من خلال هذا البحث إلى التطرق إلى بعض المسائل الموجودة فيه كي نبين أن للسلف طريقة في عرض هذه المسائل والتدليل عليها والاستدلال لها والاجابة على بعض الأسئلة الموجودة في هذه الدراسة مثل :

١ ـ مسألة قدم العالم والرد على القائلين بها .

٢ ـ ومسألة هل يخلق الله عزوجل الشر ؟

٣ ـ ومسألة هل رأى النبي ﷺ ربه ؟

٤ ـ ومسألة حقيقة السحر وتأثيره .

٥ ـ ومسألة الجنة والنار مخلوقتان الآن أم لا ؟

وغيرها كثير وهي مسائل سوف نجيب عليها وعلى غيرها من المسائل المهمة من خلال مناقشتها في البحث بإذن الله تعالى .

الضوابط التي سرت عليها في هذه الدراسة :

١ ـ عزوت جميع الآيات القرآنية الى سورها وكتبت رقم الآية .

٢ ـ خرجت جميع الأحاديث الواردة في هذه الدراسة فما كان في البخاري في كتاب بدء الخلق حاولت تخريجه من صحيح مسلم لقول الحافظ أن اكثر هذه الأحاديث في مسلم ، وما كان في غير الصحيحين ذكرت من خرجه ثم ذكوت حكم أهل العلم فيه .

٣ ـ حاولت الرجوع في جميع المسائل إلى الكتب السلفية والمصادر الأصلية الا ما ندر أو تعذر على وجود من تطرق إلى مثل ذلك فرجعت إلى المصادر الحديثة مثل الكلام عن الرياح .

٤ ـ عند ذكر اسم المرجع في أول مرة أذكر اسم الكتاب بالكامل ومؤلفه فإذا تكور الرجوع إليه ذكرت اسم الشهرة أو اسمه المشهور به فقط .

٥ ـ اكتفيت في تخريج الأحاديث بذكر رقم الحديث للاختصار والاختلاف النسخ مع توحيد الرقم في الغالب ولحصول المقصود به .

٦ ـ إذا كان الحديث في كتاب بدء الخلق أشرت إلى ذلك غالباً .

٧ ـ جعلت فهرساً لجميع الآيات الواردة في الرسالة ، وكذلك الأحاديث ، والمصادر والمراجع ، والموضوعات .

أقسام الدراسة :

تتكون مما يأتي :

المقدمة : ويتم فيها عرض أهمية البحث وطريقته ومنهجي فيه والخطة .

التمهيد : ويشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول : حياة البخاري رحمة الله .

المبحث الثاني : التعريف بالجامع الصحيح للبخاري .

المبحث الثالث : التعريف بكتاب بدء الخلق ومكانته في صحيحه .

المبحث الرابع : منهج البخاري في عرض العقيدة .

الباب الأول : الإلهيـــــات ، ويتكون من فصلين :

الفصل الأول : التوحيد ، ويشتمل على مقدمة وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : توحيد الألوهية ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : قدم الله عزوجل .

المطلب الثاني : مسألة قدم العالم .

المطلب الثالث : تنزيه التوحيد عن : الشرك (التصوير) ، والكهانـة، والسحر.

المبحث الثاني : توحيد الربوبية ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : خلق العرش والماء والسموات والأرض والقلم .

المطلب الثاني : خلق الريح وأوامر الله لها .

المطلب الثالث : خلق الإنسان ونفخ الروح فيه .

المبحث الثالث : توحيد الأسماء والصفات ، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : كلام الله عزوجل .

المطلب الثاني : رؤية الله عزوجل .

المطلب الثالث : حب الله عزوجل .

المطلب الرابع : علو الله عزوجل .

الفصل الثاني : القدر ، وفيه تمهيد وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : كتابة مقادير الخلائق .

المبحث الثاني : ما كتبه الله على نفسه .

المبحث الثالث : قدرة الله وهل ينسب الشر إلى فعل الله عزوجل ؟

الباب الثاني : النبوات ، وفيه ثلاثة فصـــــول :

الفصل الأول : الوحي ، وفيه مقدمة وأربعة مباحث :

المبحث الأول : أنواع الوحي .

المبحث الثالث : قدراتهم وأعمالهم .

المبحث الرابع : الوقاية والتحرز منهم .

الفصل الثالث : اليوم الآخر ، وفيه تمهيد وأربعة مباحث :

المبحث الأول : مقدمات القيامة .

المبحث الثاني : عذاب القبر .

المبحث الثالث : خلق الجنة ودخول الموحدين لها .

المبحث الرابع : خلق النار وأعمال أهلها .

الخاتمـــــة : وفيها يتم عرض أهم نتائج البحث والتوصيات .

الفهارس : سوف أقم بمشيئة الله تعالى بعمل فهارس لهذه الرسالة لكل مما يأتي :

١ ـ الآيات ويتم ترقيمها وبيان صفحاتها ومواضعها .

٢ ـ الأحاديث .

٣ ـ المصادر والمراجع .

٤ ـ الموضوعات .

والحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات .



أخص بالشكر ربي المنعم المتفضل والذي هو أهل للشكر والحمد ، فأشكر الله عظيم الشكر على تيسيره وتسهيله ما صعب في كتابة هذا البحث ، ودراسة مسائله ، فهو الميسر والمعين ، وله كل الفضل ، وعظيم المنة والفضل ، وعسى الله أن يتقبل بجوده وكرمه .

ثم أتقدم بالشكر والعرفان وعظيم الامتنان إلى والداي الكريمين ، وأشقائي الأعزاء ، وأسرتي المعينة على تفانيهم في خدمتي وتقديم كل ما استطاعوا من أجلي ، مع الاعتذار عن كل تقصير في حقهم ، وأسأل الله أن يعفو ويسامح أنه جواد كريم .

ثم اشكر جامعة الملك سعود ممثلة في كلية التربية قسم الثقافة الإسلامية ، على اتاحتهم هذه الفرصة لمواصلة العلم والتشرف بالتتلمذ على هؤلاء المشايخ .

كما أتقدم بوافر الشكر وخالص المحبة والدعاء إلى فضيلة الدكتور/ الشفيع الماحي أحمد ، الذي غمرني بكريم خلقه ، وشملني بواسع حلمه ، ومساعدتي في كل طريق اعترضني في هذه الدراسة ، وقراءة جميع فصول هذه الرسالة وجميع مباحثها ، ووجه ونصح وارشد وعلم ، ولئن كنت استفدت منه في طريقة البحث والمعلومة والتوجيهات الخاصة بالرسالة ، فان استفادتي منه في مجال الأخلاق والتربية والتوجيه أكبر واعظم ، ولقد كان نعم القدوة وخير مثال لها .

كما أتقدم إلى فضيلة الدكتور الأستاذ الأب العزيز/ محمد أبو الغيط الفرت، والذي كنت اعتبره بمقام الأب وهو كذلك بالنسبة لي ، فقد شملني بعطفه ورحابة صدره وكريم خلقه وسعة علمه ، ولقد كان مع هذا البحث فكرة ثم خطة ، ولقد كان خير المدافعين عن هذا البحث والمتبني له ، وقد استفدت منه في مناقشة أكثر هذه المسائل المعروضة في هذه الدراسة .

كما أخص بالشكر الجزيل أستاذي الكريم العزيز الدكتور/ رزق بن يوسف الشامي ، الذي كان دائماً يسأل ويهتم ، ولقد كان لتوجيهاته أثناء إعداد الخطة وتمحيصها ، اثر كبير في إخراج هذا البحث بهذه الصورة ، فجزاه الله عنا خير الجزاء ، وكتب له الأجر والمثوبة .

ثم أشكر كذلك من سوف يتولى مناقشة هذا البحث ، واعتذر له عن كل تقصير وخطأ ، مع العلم أني بذلت كل طاقتي واستفرغت كل جهدي ، وهذا جهد مقل وقليل من قليل ، وفي ما بين ذلك سقط الرأي وزلل القول ، والله تعالى هو المنفرد بالكمال ، ولم يبرأ أحد من النقصان .

ثم كذلك اشكر كل من درس لي في هذا القسم ، وعلى رأسهم الأستاذ الكبير الدكتور/ سيف النصر عبدالعزيز ، والأستاذ الدكتور/ صابر طعيمة ، والدكتور/ محمد رواس ، والأستاذ الدكتور/ مهدي رزق الله ، والدكتور/ محمد الوهيبي ، والدكتور/ محمد عبدالحافظ ، فلهم مني جميعاً خالص الشكر وكامل العرفان، وجزاهم الله عنا خير الجزاء .

ثم اشكر كل من قدم لي معونة ، سواء في استعارة كتاب أو توجيه وإرشاد، أو شملني بسؤال عن سير البحث أو هاتفني يسأل ويطمئن أو دعا لي بالتوفيق .

وكذلك اشكر الأستاذ الفاضل/ إبراهيم عبدالموجود سالم ، طابع هذا البحث، فله مني خالص الدعاء والاحترام ، فقد بذل جهداً كبيراً وتعب تعباً شديداً وكان واسع الصدر رحب الأخلاق .

ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله .

ونسأل الله أن يغفر الخطأ ، ويتجاوز عن الزلل ، وان يعيذنا من شر أنفسنا وشر الشيطان وشركه ، ولا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، انه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا ــ آمين

الطالب

التمهيـــــد

المبحث الأول
التعريف بالبخاري

نورد هنا ترجمة مختصرة للأمام البخـــاري ، وذلـك لوجــود مؤلفـــات خاصـــة ، تناولت حياته بالتفصيل ، كما تناولت بالتحليل كتابه الصحيح ، وصنفوا فيه مصنفـــات كثيــرة ، وقاموا بشرحه وبيان ما اشكل فيه وايضاحه ، ومن أعظـم هؤلاء العلماء ابن حجر في هدي الساري .

المطلب الأول نسبه ومولده ونشأته :

نســبه :

هــو أبو عبدالله محمــد بن إســماعيل بن إبراهيـــم بــن المغيـــرة بــن بَرْدِزْبَه الجعلي ، وقيل بَرْدُزْبَه ، وهي لفظـــة بخاريـــة ، معنـــاه الزارع كما قـــال ابن حجــر وغيـــره [١] .

والده أبو الحسن إسماعيل بن إبراهيم ، كان من العلماء الورعين ذكره ابنـــه الإمام البخاري في تاريخه [٢] .

مولـــده ونشـــأته :

ولد البخاري يوم الجمعة بعد الصلاة ، لثلاث عشرة ليّلة خلت من شوال سـنة ١٩٤هـ ، ببخارى ، مات أبوه وهو صغير ، فنشأ في حجر أمه ، ثم حج مع أمـــه وأخيه أحمد وكان أسن منه [٣] .

---

(١) انظــر ســير أعلام النبــلاء للذهبـــي ٣٩١/١٢ ، وهـــدى الســـاري لابــن حجـــر ، مقدمـــة فتـح الباري ص ٥٠١ .

(٢) التاريخ الكبير للبخاري ٣٤٢/٢ ، وأنظر هدي الساري ص ٥٠١.

(٣) انظر هدي الساري لابن حجر ص ٦٦٢ .

المطلب الثاني : نشأته وسيرته العلمية وحفظه وذكاؤه :

نشأ الإمام البخاري ــ رحمه الله ــ يتيماً في حجر أمه ، هو وأخوه أحمد ، وقد ابتلي ــ رحمه الله ــ بفقد البصر صغيراً ، ثم رد الله بصره ، فقد رأت أمه في المنام إبراهيم عليه السلام ، فقال لها : يا هذه قد ردّ الله على ابنك بصره لكثرة بكائك ، أو لكثرة دعائك ، فأصبح وقد رد بصره [(١)] .

وقد سأله وراقه محمد بن أبي حاتم عن نشأته في طلب العلم ، فأجاب عن نفسه فقال : ألهمت حفظ الحديث ، وأنا في الكتاب ، قال : كم كان سنك ؟ فقال : عشر سنين أو أقل ، ثم خرجت من الكتاب بعد العشر .

قال : وكنت أختلف إلى الفقهاء بمرو وأنا صبي ، فإذا جئت استحي أن أسلم عليهم ، فقال لي مؤدب من أهلها : كم كتبت اليوم ؟ فقلت : اثنين واردت بذلك حديثين ، فضحك من حضر المجلس ، فقال شيخ منهم : لا تضحكوا ، فلعله يضحك منكم يوماً .

قال : وكنت أختلف إلى الداخلي وغيره ، فقال يوماً فيما يقرأ للناس : سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم ، فقلت له : إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم فانتهرني ، فقلت له ارجع إلى الأصل ، فدخل فنظر فيه ثم خرج فقال لي : كيف هو يا غلام ؟ قلت هو الزبير بن عدي بن إبراهيم ، فأخذ القلم مني وأحكم كتابه وقال : صدقت وقد سئل البخاري ابن كم كنت حين رددت عليه ؟ قال : ابن إحدى عشرة سنة .

قال : فلمّا طعنت في ست عشرة سنة ، كنت قد حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرفت كلام هؤلاء (قال الحافظ يعني أصحاب الرأيّ) .

قال : أبو بكر بن الأعين : كتبنا عن البخاري على باب محمد بن يوسف الفريابي وما في وجهه شعرة فقلنا ابن كم أنت ؟ قال ابن سبع عشرة سنة ، ثم خرج ــ رحمه الله ــ إلى الحج ورجع أخوه بأمه ، وبقى بمكة يكتب عن علمائها ، وكان ذلك سنة (٢١٠هـ) [(٢)] .

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٠/٢ .

(٢) انظر هدي الساري ص ٥٠٢ .

وقال البخاري : دخلت على الحميدي ، وأنا ابن ثمان عشرة سنة وبينه وبين آخر اختلاف في حديث ، فلما بصر بي الحميدي قال : قد جاء من يفصل بيننا فعرضا عليَّ فقضيت للحميدي على من يخالفه .

وجعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم ، وذلك أيام عبدالله بن موسى ، ثم سافرت إلى المدينة ، وصنفت فيها كتاب التاريخ الكبير .

وصنفت كتاب التاريخ اذ ذاك عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم في الليالي المقمرة ، وقلَّ اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة ، إلا أني كرهت تطويل الكتاب [١] .

ثم واصل ــ رحمه الله ــ الترحال في طلب الحديث ولقاء العلماء ، وكانت البصرة أول مستقر له حيث مكث فيها خمس سنين ، يصنف ويحصل ويحج في كل سنة ثم يرجع إلى البصرة .

قال رحمه الله : دخلت الشام ومصر والجزيرة مرتين والبصرة أربع مرات ، وأقمت بالحجاز ستة أعوام ، ولا أحصي كم دخلت الكوفة وبغداد مع المحدثين [٢] .

قال الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله : (قد ذكروا أنه كان ينظر في الكتاب مرة واحدة ، فيحفظه من نظرة واحدة ، والأخبار عنه في ذلك كثيرة) [٢] .

وذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله ، أنه دخل مرة إلى سمرقند ، فاجتمع بأربعمائة من علماء الحديث بها ، فركبوا أسانيد وأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق ، وخلطوا الرجال في الأسانيد وجعلوا متون الأحاديث على غير أسانيدها،

---

(١) انظر هدي الساري ص ٥١٠ ــ ٥١١ .

(٢) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١٢/٣٩١ ــ ٣٩٣ ، وانظر هدي الساري ص ٥١٠ ــ ٥١٢ .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ١١/٢٨ ، وانظر هدي الساري ص ٥١١ .

ثم قرأوها على البخاري رحمه الله ، فرد كل حديث إلى إسناده ، وقوم تلك الأحاديث كلها ، وما تعنتوا عليه فيها ، ولم يقدروا أن يمسكوا عليه سقطة في إسناد ولا متن ، وكذلك صنع في بغداد [١] .

ويقول عن نفسه كذلك : كتبت عن ألف شيخ وأكثر عن كل واحد منهم عشرة آلاف وأكثر ، ما عندي حديث إلا أذكر إسناده [٢] .

رحلته وطلبه للعلم :

يقول رحمه الله حججت ، ورجع أخي بأمي ، وتخلفت في طلب الحديث ، فلما طعنت في ثمان عشرة ، جعلت أصنف قضايا الصحابة رضوان الله عليهم، والتابعين وأقاويلهم ، ويقول : كنت أختلف إلى الفقهاء بمرو وأنا صبي ، فإذا جئت أستحيي أن أسلم عليهم ، فقال لي مؤدب من أهلها : كم كتبت اليوم ؟ فقلت : اثنين ، وأردت بذلك حديثين ، فضحك من حضر المجلس ، فقال شيخ منهم : لا تضحكوا فلعله يضحك منكم يوماً [٣] .

ويقول رحمه الله : دخلت بغداد آخر ثمان مرات ، في كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل ، فقال لي في آخر ما ودعته : يا أبا عبدالله ، تدع العلم والناس ، وتصير إلى خراسان ؟ .

ومازال على هذه السيرة يجمع ويصنف ، فمن المغرب حيث أخذ عن علماء مصر إلى المشرق ، حيث (مرو) وبلخ وهراة ونيسابور والري وجبال خراسان مروراً بالحرمين ، والجزيرة والشام والكوفة والبصرة وبغداد ، أما بخارى وسمرقند وطشقند فهي موطنه .

---

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٢٨/١١ ، وانظر كذلك هدي الساري ص ٥١٠ .
(٢) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٠٧/١٢ .
(٣) انظر هدي الساري ص ٥٠٢ .

قال الحاكم : فقد رحل البخاري إلى هذه البلاد المذكورة في طلب العلم وأقام في كل مدينة على مشايخها قال : وإنما سميت من كل ناحية جماعة من المتقدمين ليستدل به على عالي إسناده حتى حق له ، أن يقول : كتبت عن ألف شيخ من العلماء وزيادة ، وليس عندي حديث إلاّ أذكر إسناده [1] .

المطلب الثالث : شيوخه وتلاميذه :

شيوخه :

قدمنا كلامه ــ رحمه الله ــ في تعداد كثرة شيوخه ، يقول ابن حجر (قال البخاري ، كتبت عن الف وثمانين نفساً ليس فيهم الا صاحب حديث ، ولم اكتب الا عمن قال الايمان قول وعمل) [2] ، ويمكن تعدادهم ونسبتهم ، باعتبار الأقاليم والأمصار التي رحل إليها وجمع من علمائها ، فأول سماعه ببخارى من عبدالله بن محمد الجعفي ، ومحمد بن سلام وجماعة وعمرو بن عبدان بن عثمان ، وعلي بن شفيق وهكذا من بالكوفة وبغداد ، ونذكر منهم على سبيل المثال : من أهل بخارى سمع من عبدالله بن محمد بن عبدالله بن جعفر بن اليمان الجعفي المسندي ، ومحمد بن سلام البيكندي ، وجماعة ليسوا من كبار شيوخه ، وسمع ببلخ من مكي بن إبراهيم ، وهو من عوالي شيوخه ، وسمع بمرو من عبدان بن عثمان ، وعلي بن الحسن بن شقيق ، وصدقة بن الفضل ، وحماعة . وبنيسابور من يحيى بن يحيى ، وجماعة . وبالري إبراهيم بن موسى . وببغداد من محمد بن عيسى ابن الطباع ، وسريج بن النعمان ، ومحمد بن سابق ، وعفان . وبالبصرة من أبي عاصم النبيل ، والأنصاري ، وعبدالرحمن بن حماد الشعيثي صاحب ابن عون . وغيرهم كثير [3] .

---

(١) أنظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١٢/٤٠٦ ــ ٤٠٧ .

(٢) هدي الساري ص ٥٠٣ .

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٢/٣٩٤ ــ ٣٩٥ .

تلاميـــذه :

يصعب الإحاطة بتلاميذ البخاري ، ومن أخذ عنه ، فقد تصدر للحديث وهـو صغير ، فكثر الآخذون عنه ، فأهل البصرة أول ما قدم عليهم ، كانوا يَغْـدون فـي الطرقات خلفه في طلب الحديث ، حتى يغلبوه على نفسه ، ويجلسوه فـي بعض الطريق ، فيجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه ، وهو إذ ذاك شاب لم يخـرج وجهه [١] يعني شعر وجهه .

ومرة أخرى يقدم البصرة فينادي المنادي يا أهل العلم ، قد قدم محمـد بـن إسماعيل ، فيقومون فيرون شاباً لم يكن في لحيته شيء من البياض ، يصلي خلـف الأسطوانة في جامع البصرة ، ويسألونه الإملاء ، فيجلس لهم بالغداة ، وقد حضـر الفقهاء والمحدثون والحفاظ والنظار ، حتى اجتمع قريب من كذا وكذا ألف [٢] .

وفي بغداد يذكر : صالح بن محمد البغدادي ، فيقول : كنـت استملي لـه ويجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألف ، ويذكر نحو هذا محمد بن يوسـف بـن عاصم ، فيقول : رأيت لمحمد بن إسماعيل ثلاثة مستملين ببغداد ، وكان قد اجتمـع في مجلسه زيادة على عشرين ألف رجل [٣] .

قال محمد بن يوسف الفريري : سمع الصحيح من البخاري ، تسعون ألـف رجل فما بقي أحد يروي عنه غيري .

وسنقتصر على من روى عنه من الأعلام ، رحمهم الله جميعاً .

فمنهم : الإمام مسلم بن الحجاج ، صاحب الصحيح .

والإمام أبو عيسى الترمذي محمد بن عيسى صاحب السنن .

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٥/٢ .

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٥/٢ ، وانظر هدي الساري ص ٥١١ .

(٣) تاريخ بغداد ٤٠/٢ .

وأبو عبدالرحمن النسائي أحمد بن شعيب ، وأبو حاتم وأبو زرعة الرازيان .

والإمام أبو إسحاق إبراهيم الحربي صاحب الإمام أحمد .

وصالح بن محمد ، وإمام الأئمة أبو بكر بن خزيمة .

والإمام يحيى بن محمد بن صاعد ، وغيرهم من الأئمة كثير (١) .

ثناء العلماء عليه :

أثنى عليه علماء زمانه من شيوخه ، وأقرانه .

فقال الإمام أحمد : ما أخرجت خراسان مثله .

وقال علي بن المديني : لم ير البخاري رحمه الله مثل نفسه .

وقال إسحاق بن راهوية : لو كان في زمن الحسن ، لاحتاج الناس إليه في الحديث ومعرفته وفقهه .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة ، ومحمد بن عبدالله بن نمير : ما رأينا مثله .

وقال علي بن حجر : لا أعلم مثله .

وقال محمود بن النظر بن سهل الشافعي : دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة ، ورأيت علماءها كلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل البخاري ، رحمه الله فضلوه على أنفسهم .

وقال الفلاس : كل حديث لا يعرفه البخاري رحمه الله ليس بحديث .

وقال الدارمي : محمد بن إسماعيل البخاري أفقهنا وأعلمنا ، وأغوصنا وأكثرنا طلباً .

وقال أبو حاتم الرازي : محمد بن إسماعيل ، أعلم من دخل العراق .

وقال الترمذي : لم أر بالعراق ولا في خراسان في معنى العلل ، والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من البخاري .

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء ٣٩٧/١٢ .

وقال ابن خزيمة : ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أحفظ له من محمد بن إسماعيل البخاري ، وهذه النقول ذكرها اكثر من ترجمة له ، ووصف علمه وثناء الناس عليه (١) .

تصانيفه :

للبخاري مصنفات كثيرة ، صنفها أثناء حياته العلمية ، ومن أهم المصنفات التي صنفها ، ما يلي : الأدب المفرد ، ورفع اليدين في الصلاة ، والقراءة خلف الإمام، وبر الوالدين ، والتاريخ الكبير ، والتاريخ الأوسط ، والتاريخ الصغير ، وخلق أفعال العباد ، وكتاب الضعفاء ، والجامع الصحيح ، وهذه التصانيف موجودة مروية بالسماع أو بالإجازة (٢) .

ومن تصانيفه أيضاً : الجامع الكبير ، والمستند الكبير ، والتفسير الكبير ، وكتاب الأشربة ، والأسماء ، والسكنى ، وبر الوالدين ، وأسامي الصحابة ، وكتاب المبسوط ، وغيرها كثير (٣) ، قال ابن حجر : قال البخاري (صنفه جميع كتبه ثلاث مرات ... وأقمت بالمدينة بعد أن حججت سنة وأكتب الحديث ، قال وأقمت بالبصرة خمس سنين معي كتبي أصنف وأحج ، وأرجع من مكة إلى البصرة قال وأنا أرجو أن يبارك الله تعالى ، للمسلمين في هذه المصنفات) (٤) .

المطلب الرابع : شمائله وعبادته :

البخاري – رحمه الله – تربى في بيئة صالحة ، فقد قال أحمد بن حفص : دخلت على إسماعيل والد أبي عبدالله عند موته ، فقال : لا أعلم في مالي درهماً حراماً ، ولا درهماً من شبهة (٥) .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٢٨/١١ – ٢٩ ، وهدي الساري ص ٥٠٦ – ٥٠٧ ، وسير أعلام النبلاء ٤٠٧/١٢ – ٤١٥ .

(٢) انظر هدي الساري ٥١٦ – ٥١٧ .

(٣) انظر سير أعلام النبلاء ٤٠٠/١٢ – ٤٠٣ .

(٤) هدي الساري ص ٥٠٢ .

(٥) هدي الساري ص ٥٠٣ .

فلا عجب ـ بعد توفيق الله ـ أن ينشأ البخاري صالحاً ، في هذه البيئة الصالحة .

وكان من زهده ـ رحمه الله ـ أن قال : (ما توليت شراء شيء قط ، ولا بيعه كنت آمر إنساناً ، فيشتري لي فقيل لي : ولم ؟ قال : لما فيه من الزيادة والنقصان والتخليط) [١] .

وقال ابن حجر في وصف عبادته وحرصه على فضائل العبادة ، والتقوى قال (محمد بن أبي حاتم : رأيته استلقى في تصنيف كتاب التفسير ، وكان اتعب نفسه في ذلك اليوم في التخريج ، فقلت له : أني أراك تقول : ما أثبت شيئاً بغير علم فما الفائدة في الاستلقاء .

فقال : اتعبت نفسي اليوم ، وهذا ثغر خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو فأحببت ، أن استريح وآخذ أهبة ، فإذا غافصنا العدو كان بنا حراك) [٢] .

وكان رحمه الله ذا زهد وورع ، (قال مرة لأبي معشر الضرير ، اجعلني في حل يا أبا معشر فقال : من أي شيء يا أبا عبدالله ، قال : رويت حديثاً يوماً ، فنظرت إليك وقد أعجبت به وأنت تحرك رأسك ، ويديك فتبسمت من ذلك ، فقال : أنت في حل يرحمك الله يا أبا عبدالله) [٣] ، فخاف ان يكون هذا ذنب عظيم ، لقلة ذنوبه رحمه الله .

وكان يراقب الله فيما يؤلف ، ويحدث حتى قال مرة : (الحامد والذام عندي سواء أو قال واحد ، وكان يختم القرآن في كل يوم بختمه ، ويصلي التراويح كل ثلاث ليالي بختمه .

---

(١) هدي الاري ص ٥٠٣ ـ ٥٠٤ .

(٢) هدي الساري ص ٥٠٤ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٢/٤٤٤ .

وقال : إني أرجو أن ألقى الله ، ولا يحاسبني إني اغتبت أحدا [1] .

وهو بين لمن نظر في كتبه في الرجال ، فإنه أبلغ ما يقول في الرجل الساقط أو المتروك (فيه نظر أو سكتوا عنه ، وإن بالغ قال منكر الحديث ، وقد قال : كل من قلت فيه منكر الحديث ، فلا تحل الرواية عنه) [2] .

(قال الحسن السرقندي : كان محمد بن إسماعيل مخصوصا ، بثلاث خصال : كان قليل الكلام وكان لا يطمع عند الناس ، وكان لا يشتغل بإمور الناس كل شغله كان في العلم) [3] .

وشمائله ـ رحمه الله ـ كثيرة ، زهدا وعبادة وكرما ، وإحسانا إلى طلبة العلم رحمه الله رحمة واسعة [4] .

المطلب الخامس : وفاته :

كانت اخر واقعة حصلت للبخاري مع امير بخارى خالد الذهلي الذي اتهمه بالقول بخلق القرآن أن طلب منه أن يقرءه الجامع الصحيح ، فامتنع تكريما للعلم ، وقال : لرسوله : إني لا أذل العلم ، ولا أحمله إلى أبواب السلاطين فإن كانت له حاجة إلى شيء منه فليحضرني في مسجدي أو في داري فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعني من المجلس ليكون لي عذر من الله يوم القيامة أني لا أكتم العلم [5] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/٤٤١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢/٤٣٩ .

(٣) سير أعلام النبلاء ص ٤٤٨ ـ ٤٤٩ .

(٤) انظر زيادة في هذه الناحية في سير أعلام النبلاء ١٢/٤٣٨ ـ ٤٤٩ .

(٥) انظر هذه الحادثة في سير أعلام النبلاء ١٢/٤٥٣ ـ ٤٥٤ ، وانظر هدي الساري ٥١٤ ـ ٥١٥ .

فكانت هذه الحادثة سبباً للوحشة بينهما ، فنفاه الأمير من مسقط رأسه ، ومربع صباه وملتقى أهله ، وما أشدها أن يكون الظلم من ذوي القربى ، والطرد من موطن الأهل ، ولكن (اشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الصالحون) فذهب إلى خرتنك) [1] من قرى سمرقند ، وهي على فرسخين منها ، وكان له بها أقرباء فنزل عندهم) [2] .

وقد سمعه بعضهم في ليلة ، يدعو بعد صلاة الليل : اللهم قد ضاقت عليّ الأرض بما رحبت ، فاقبضني إليك ، قال : فما تم الشهر حتى قبضه الله [3] .

(وقال محمد بن حاتم : سمعت غالب بن جبريل ــ وهو الذي نزل عليه البخاري ــ يقول : أقام عندنا أياماً ، فمرض واشتد به المرض حتى جاء رسول من أهل سمرقند يلتمسون منه الخروج إليهم ، فأجاب ثم تهيأ للركوب ، فلبس خفيه وتعمم فلما مشى قدر عشرين خطوة ، أو نحوها وأنا آخذ بعضده ورجل آخر معي يقود الدابة ليركبها ، فقال ــ رحمه الله ــ أرسلوني قد ضعفت ، فدعا بدعوات ثم اضطجع فقضى رحمه الله ، فسال منه العرق شيء لا يوصف ، فما سكن منه العرق إلى أن أدرجناه في ثيابه ، وكان فيما أوصانا أن كفنوني بثلاث أثواب بيض ليس بها قميص ولا عمامه . ففعلنا ذلك ، وكان ذلك ليلة عيد الفطر بعد أن أكمل صيام رمضان ، ودفن يوم الجوائز يوم عيد المسلمين العظيم بعد صلاة الظهر، يوم السبت غرة شوال عام ست وخمسين ومائتين) [4] فصارت مدة حياته اثنين وستين سنة ، إلا ثلاثة عشر يوماً .

---

(١) هذه قرية من قرى سمرقند بينها وبين سمرقند ثلاثة أميال ذكر ذلك الذهبي ، أنظر سير أعلام النبلاء ٤٦٩/١٢ .

(٢) هدي الساري ص ٥١٧ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٤٦٦/١٢ ــ ٤٦٧ ، وتاريخ بغداد ٣٣/٢ .

(٤) انظر هدي الساري ٥/٨ ، وسير أعلام النبلاء ٤٦٦/١٢ ــ ٤٦٨ ، ووفيات الاعيان لابن خلكان ١٩٠/٤ التاريخ الكبير للبخاري ٣٤٢/٢ .

رحمه الله رحمة واسعة ، ولم تذكر لنا المصادر شيئاً عن نسله ، بل غاية مـا فيها أنه تسرى بجارية ، ثم بعد مدة اعتقها ، ولكن بقي له (علم ينتفع به) نســأل الله أن يجمعنا ، وإياه ووالدينا في جنات النعيم .

هذه بعض الجوانب عن حياة البخاري مع العلم ، أن العلماء قد صنفوا وكتبوا الكثير عن حياة البخاري مما يطول ذكره هنا ، واكتفينا بما ذكرنـا اختصـاراً والا فحقه اكبر من ذلك ، بكثير رحمه الله تعالى .

المبحث الثاني
التعريف بالجامع الصحيح

المطلب الأول : اسمه وموضوعه :

اشتهر اسم كتاب البخاري ب (صحيح البخاري) ، وذهبت التسمية وصارت علماً عليه ، فهل أراد له مؤلفه هذه التسمية ؟ يذكر الإمام النووي ، يشير إلى أن أسم صحيح البخاري ، هو (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسننه وأيامه) [1] .

ويروي ابن حجر تسمية أخرى له ، وهي (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسننه وأيامه) [2] .

وقد روى عنه الجامع الصحيح خلق كثير ، بل تواترت الرواية عنه حتى قال راويته محمد بن يوسف الفربري : سمع كتاب الصحيح لمحمد بن إسماعيل تسعون ألف رجل ، فما بقي أحد يروي عنه غيري [3] .

وأما موضوعه ، فيعلم من عنوانه الذي سماه به الإمام ــ رحمه الله ــ فهو جامع مقتصر على الحديث الصحيح ، لم يخصه بصنف دون صنف ، ولذا أورد فيه العقائد والأحكام والفضائل والأخبار ، والمغازي والآداب والرقائق وغيرها ، من أمور الرسول ﷺ وأحكامه وأيامه وتفسير القرآن ، وغيرها كثير يطول ذكرها .

---

(١) شرح مسلم للنووي ١/٧ .

(٢) انظر هدي الساري ص ١٠ .

(٣) انظر هدي الساري لابن حجر ١٠/٥١٣ ــ ٥١٤ وهي الرواية التي يروي بها ابن حجر الصحيح .

المطلب الثاني : سبب ومدة ومكان تأليفه :

كان الباعث لتأليف الصحيح ما سمعه البخاري ، وهو شاب أيام الطلب في مجلس الإمام إسحاق بن راهوية ، فقال لهم : لو جمعتم كتاباً مختصراً لسنن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال البخاري : فوقع ذلك في قلبي ، فأخذت في جمع هذا الكتاب ، وهذا ربما ساعده فيه الرؤيا التي شاهدها في نومه ، قال : رأيت كأني واقف بين يدي رسول الله ﷺ وبيدي مروحة أذب عنه فسألت بعض المعبرين فقال : إنك تذب عنه الكذب ، قال : فهو الذي حملني على إخراج الصحيح [1] .

وقد ألفه في مدة ستة عشر سنة ، وكان غالب تصنيفه له في المسجد الحرام، بل أنه لم يدخل فيه حديثاً إلا بعد ما استخار الله ، وصلى ركعتين وتيقن من صحته، وقيل في بخارى أو البصرة ، وأما التراجم فكانت بين قبر النبي ﷺ ومنبره ، وقد خرجه من ستمائة ألف حديث ، كما ذكر ـ رحمه الله ـ وقد جمع الإمام النووي بين هذا الاختلاف في مكان التصنيف (أن هذا كله ممكن ، فإنه طوال الستة عشر عاماً كان متنقلاً بين مكة والبصرة وبخارى) [2] وقال ابن حجر في الجمع (أن ذلك الفرق كان بين تسويده ، وتبيضه وترتيبه) [3] .

وقد عرض البخاري مؤلفه هذا على أئمة الحديث ، في وقته وأقروه على ذلك ، فقد عرضه على علي ابن المديني ، وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين فأقروه عليه ، وقال عن نفسه : كنت إذا كتبت عن رجل ، سألته عن اسمه وكنيته ونسبته ، وحمله الحديث إذا كان الرجل فهماً ، فإن لم يكن سألته أن يخرج إلي أصوله ونسخته ، فأما الآخرون لا يبالون ، ما يكتبون وكيف يكتبون [4].

---

(١) انظر تاريخ بغداد ٨/٢ ، وشرح مسلم للنووي ٧/١ .

(٢) انظر شرح النووي ٨/١ .

(٣) انظر هدي الساري ٥١٣/١ .

(٤) انظر شرح النووي ٨/١ ، وهدي الساري ٥١٣/١ ـ ٥١٤ .

المطلب الثالث : منهجه في تصنيف صحيحه ومكانته :

اشترط البخاري على نفسه الطهارة ، والصلاة عند عمله في صحيحه ، بل قال : وجعلته حجة فيما بيني وبين الله .

وقال : ما أدخلت فيه حديثا إلا بعد ما استخرت الله تعالى ، وصليت ركعتين وتيقنت صحته [١] .

وكتابه مقتصر على الصحيح العالي ، إذ أن شرط البخاري في روايته للحديث أن يروي عن من لقيه ، ولو مرة فلا يكتفي بالمعاصرة فقط ، بل والتصريح بالسماع كما نبه على ذلك الحافظ بالاستقراء ، والبخاري يبوب بآية أو حديث ، أو بعنوان من عنده ، وهذا هو أحد مزايا البخاري في جامعه ، إذ أودع في هذه التراجم الفوائد الفقهية ، والنكت الحكمية ، فاستخرج بفهمه من المتون معاني كثيرة فرقها على أبواب الكتاب ، بحسب تناسبها واعتنى فيها بآيات الأحكام فانتزع منها الدلالات البديعة وسلك في الإشارة إلي تفسيرها السبل الوسيعة [٢] .

وقال الإمام النووي ، رحمه الله تعالى : (اتفق العلماء رحمهم الله تعالى ، على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان : البخاري ومسلم رحمهما الله ، وتلقتهما الأمة بالقبول ، وكتاب البخاري رحمه الله أصحهما ، وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة ، وقد صح أن مسلما كان ممن يستفيد من البخاري ، ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث ، وهذا الذي ذكرناه من ترجيح كتاب البخاري رحمه الله ، هو المذهب المختار الذي قاله الجماهير ، وأهل الإتقان ، والحذق ، والغوص على أسرار الحديث [٣] وقال الإمام النسائي رحمه الله : (ما في هذه الكتب كلها ، أجود من كتاب البخاري) [٤] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤٠٦/١٢ و٤١٢

(٢) هدي الساري ص ١١ .

(٣) شرح مسلم للنووي ١٢٨/١ .

(٤) شرح مسلم للنووي ١٢٩/١ ، وانظر نفس العبارة في هدي الساري ص ٥١٤ .

شروح الجامع الصحيح للبخاري :

وأما شرح الصحيح ومختصراته ، فإنها أوسع من أن يحاط بها ، فقد ذكر الدكتور عبدالغني عبدالخالق ــ رحمه الله تعالى ــ في كتابه (الإمام البخاري وصحيحه) ، من شروح وتعليقات ومختصرات الجامع ، (١١٥ كتاباً) ، (٥٩) منها مخطوط ومنها (١٢) شرحاً مطبوعاً ، ومنها (٢٨) تعليقاً ، ما بين مخطوط ومطبوع، ومنها (١٦) مختصراً ما بين مطبوع ومخطوط) [١] .

ومن أهم الشروح على الإطلاق فتح الباري في شرح صحيح البخاري للعلامة الحافظ أحمد بن حجر .

ويسميه أهل العلم قاموس السنة ، لما احتوى عليه من الكم الهائل ، من الأحاديث والعلوم النبوية النافعة ، وكان ابن خلدون يقول : شرح كتاب البخاري دين على الأمة حتى قيض الله له هذا الإمام الحافظ ، ولما طلب بعض طلبة العلم في اليمن من العلامة المجتهد محمد بن علي الشوكاني ، أن يشرح لهم صحيح البخاري، قال : لا هجرة بعد الفتح ، يقصد إلى كفاية فتح الباري في هذا الباب [٢] .

وأما عدد أحاديث الصحيح ، فهو مختلف فيها يسيراً تبعاً لاختلاف رواتها ، واصح طبعات البخاري تحتوي على (٧٥٦٣) حديثاً بالمكرر ، كما رقمها محمد فؤاد عبدالباقي في الطبعة الجديدة [٣] .

عدد أحاديثه :

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله ، في مقدمة كتابه فتح الباري : (قال الشيخ تقي الدين بن الصلاح فيما رويناه عنه في علوم الحديث : عدد أحاديث صحيح البخاري رحمه الله (٧٢٧٥) سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون ، بالأحاديث المكررة ، قال : وقيل : إنها بإسقاط المكرر (٤٠٠٠) أربعة آلاف ، هكذا أطلق ابن الصلاح ، وتبعه الشيخ محيي الدين النووي) [٤] .

---

(١) الامام البخاري وصحيحه من ص ٢٠٣ ــ ٢٤٥ .

(٢) انظر هدي الساري ٤٨٩ .

(٣) طبعة دار السلام عام ١٤١٧هـ .

(٤) هدي الساري ص ٤٨٩ ــ ٤٩٠ .

المعلقات في البخـــاري :

وقد أورد البخاري في صحيحه ، مجموعة من الأحاديث المعلقة .

والتعليق (حذف راو أو أكثر من أول السند ، ولو إلى آخر الإسناد) [1] .

وتـــارة يجزم البخاري بها كقوله (قال) أو يأتي بـــها بصيغـــة التمريـــض ، (يذكر) ، وهي على نوعين مرفوع إلى النبي ﷺ أو يوقف على غيره ، فأما المطلق المرفوع ، فقد يكون موصولاً في موضع آخر من كتابه ، فلا إشكال فيه وإنما علقــه هنا للاختصار ، وأما غيره فقد تولى الإمام ابن حجر وصله في كتابه الحافل (تغليـق التعليق) في خمسة مجلدات ، وقد طبع أخيراً ولله الحمد والمنة[2] .

وقد أجاد الحافظ واستقصى بقية أسانيد البخاري ، ولكن لأنها ليســـت علـــى شرط البخاري لم يجزم بها ومعلوم اجتماع الأمة على تلقي الصحيح بالقبول .

قال النسائي في معرض الكلام على كتب الحديث خاصة البخاري ، ومسـلم : (أجود هذه الكتب كتاب البخاري ، واجتمعت الأمة علـــى صحـــة هذيـــن الكتـــابين ووجوب العمل بأحاديثهما ، كما أيده الإمام النووي على ذلك ــ رحمهما الله ــ [3].

هذا ما تيسر من الكلام على هذا الجامع الصحيح ، والذي هو أصح كتاب بعد كتاب الله عزوجل وقد اختصرنا الحديث عنه ، لوجود مؤلفات خاصة به [4] .

---

(١) شرح مسلم للنووي ١/١٤ .

(٢) طبـــع بتحقيق ســـعيد بن موســـى الغزقي وحققـــه لنيـــل درجة الدكتوراه ســـنة ١٤٠٥هـــــ ــ طبعـــة المكتب الإسلامي .

(٣) انظر شرح مسلم للنووي ١/٣ .

(٤) منها هدي الساري لابن حجر .

المبحث الثالث
التعريف بكتاب بدء الخلق في الجامع الصحيح

رقم الكتاب في الجمع الصحيح هو التاسع والخمسون ويشتمل على سبعة عشر باباً كلها مباحث عقدية تقريباً ويحتوي على حوالي مائة وستين حديثاً والخالص فيه الذي لم يكرر في غيره من الكتب اكثر من الستين ، يقول ابن حجر : (اشتمل كتاب بدء الخلق من الأحاديث المرفوعة على مائة وستين حديثاً ، المعلق منها اثنان وعشرون طريقاً والبقية موصولة ، المكرر منها فيه ثلاثة وتسعون حديثاً والخالص سبعة وستون حديثاً ، وافقه مسلم على تخريجها سوى حديث عمران بن حصين في بدء الخلق ، وحديث عمر فيه ، وحديث أبي هريرة ((تكور الشمس والقمر)) وحديث ابن عباس في زيارة جبريل ، وحديث ابن عمر في الكلب ، وحديث يعلى بن أمية ((ونادوا يامالك)) وحديث ابن مسعود في رؤية جبريل ، وحديث عائشة، وحديث عمران ((اطلعت في الجنة)) وحديث سهل في درجات الجنة ، وحديث أنس ((في الجنة شجرة)) وحديث أبي هريرة فيه ، وحديث ابن عباس في الحمى ، وحديث عائشة في قتل والد حذيفة ، وحديث أبي هريرة ((إذا وقع الذباب في الإناء)) .

وهذا الكتاب كتاب عظيم فانه اشتمل على كثير من الأحاديث التي لم توجد في غيره مثل بعض أحاديث الملائكة وأحاديث الجن وثوابهم وأحاديث بدء الخلق وأحاديث صفة الشمس والقمر وأحاديث خلق الجنة وخلق النار كذلك ، وهذا الكتاب مكمل لأبواب اخرى في هذا الصحيح في مجال العقيدة مثل كتاب القدر وكتاب التوحيد وكتاب بدء الوحي وغيرها من الكتب .

يقول محمد انور الكشميري : (كتاب بدء الخلق كتاب عظيم يذكر فيه مؤلفه الأحوال من بدء الخلق إلى الحشر وهذا الكتاب في الأحاديث اقرب إلى (سفر التكوين في التوراة) [1] .

---

(١) انظر فيض الباري على صحيح البخاري/لمحمد انور الكشميري

وقد أتبعه البخاري بكتاب أحاديث الأنبياء مما يعني أن البخـاري رحمـه الله كان يرمى من خلاله إلى بيان مسائل كثيرة تهتم بالخلق ويكيف كـان هـذا الخلـق وكيف بدأت الحياة على هذه الأرض وكيف تطورت إلى أن وصل الزمان إلى أمـة الإسلام وكيف كان بناء البيت العتيق ثم ذكر أخبار الأمم والشعوب وركز على أهـل الكتاب إلى أن وصل إلى قريش فعقد كتاباً في الفضائل فذكر فضائلهم وكيفية ظـهور زمزم وما حصل في مكة من الفضائل إلى أن بعث النبي ﷺ ، فصار هذا الكتاب ــ بدء الخلق ــ وما بعده من كتاب الأنبياء وكتاب الفضائل كأنه كتاب تاريخي مسلسـل الأحاديث والوقائع وفيه تفسير لكثير من المسائل المصيرية المهمة الغامضة وبيـان قدرة الله وتنبهيه إلى مصير الإنسان بعد ذلك وهو الموت والحشر ثم دخول الجنة ان شاء الله أو دخول النار والعياذ بالله .

وقد استعرضت جميع الأحاديث الموجودة في هذا الكتاب ومباحثها وبعـض شروحها وحاولت استخراج المباحث العقدية التي شملتها وحذفت المكرر وضممـت الخاص إلى العام .

وخرجت بهذا الخطة الموجودة بين يدي القارئ مع العلم أني جعلتـها بـهذا التقسيم حتى تشمل جميع الأحاديث التي ذكرها البخـاري فـي هـذا الكتـاب والله المستعان .

المبحث الرابع
منهج البخاري في عرض العقيدة في كتاب بدء الخلق

تميز البخاري رحمه الله بمنهج يمكن إستنباطه من خلال هذه الدراسة في عرض العقيدة والإستدلال عليها ، وأهم نقاط هذا المنهج هي :

١ ـ إتباع أقوال السلف الموافقة للأدلة والاختصار على ذلك من غير خوض في مسائل كلامية قد تضيع هذا المنهج وأمثلة ذلك كثيرة منها القول بقدم العالم فقد أعرض عن مناهج المتكلمين المعروفة بل سلك منهج واضح متبع للأدلة ومعرض عن ما خالف ذلك ، وكذلك القول بخلق الجنة والنار والاستدلال عليه، القول بتأثير السحر والاستدلال على ذلك .

٢ ـ اعتماد البخاري رحمه الله على الآثار في كل ما يستدل عليه ولذلك يبوب كثير من الأبواب بقول الله تعالى أو قول رسوله ﷺ وهذا هو الغالب في جميع الصحيح الا ما ندر وهذا دال على سعة فقهه وقوة ذكائه وسعة علمه واستنباطه .

٣ ـ يعتمد البخاري على تفسير الصحابة وأقوالهم في المسائل المتشابهة وفي تفسير بعض النصوص وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة ، انظر مثالا لذلك باب النجوم في بدء الخلق وباب صفة الشمس والقمر وباب الرياح ، وانظر هذا المنهج واضح في كتاب التفسير من صحيحه .

٤ ـ اعتماد البخاري على اللغة العربية في تفسير وشرح اكثر الالفاظ الغريبة ولا يخلو تقريبا باب من أبواب الصحيح إلا وينقل فيه شرحا للفظ مبهم أو كلمة غريبة ويحاول أن يكون النقل عن أئمة اللغة المعروفين في هذا الشأن وعلى رأسهم القاسم بن سلام والفراء وابن الأعرابي .

٥ ـ التمسك بالألفاظ الشرعية وإذا ذكر لفظ غير شرعي فانه يحاول معرفة مراد المتكلم ، فالبخاري مثل السلف لا يقولون بشيء لم يرد ، وإذا تكلم متكلم يستوضحون منه مراده ، فقد بوب رحمه الله لمسألة من يقول إن القرآن غير الله ، وهي مسألة حادثة ، فقال : باب قوله تعالى ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ وقال رحمه الله وأما قوله فهل يرجع إلى الله إلا باللفظ الذي تلفظ به ، فإن كان الذي تلفظ به قرآناً فهو كلام الله ، قيل له : ما قولك تلفظ به ؟ فإن اللفظ غير الذي تلفظ به ، لأنك تلفظت بالله وليس الله هو لفظك ، وأمثه هذا كثيرة جداً .

٦ ـ لا يصرح البخاري في أكثر تراجمه بما يريد وأنما هو يشير أشارات فقط ولهذا فقد كثرت عناية العلماء بهذه التراجم ومحاولة استنباط الفقه منها ومعرفة المقصود بالترجمة لانها غالباً ليست صريحه ، وقد ألف (ابن المنيّر) الاسكندراني في المتوفي سنة ٦٨٣هـ كتاب سماه (المتواري على تراجم أبواب البخاري) حاول في هذا الكتاب معرفة مغزى البخاري وفقه بهذه الترجمة ، ومن أمثلة ذلك أيراد البخاري لحديث سحر النبي ﷺ في باب صفة إبليس وجنوده . قال ابن حجر : (استشكل على بعض الشراح ايراد البخاري لهذا الحديث في هذا الباب ووجه ايراده هنا والله أعلم لأن السحر انما يتم باستعانة الشياطين ومساعدتهم للساحر) [1] والأمثلة على مثل هذا كثيرة يطول ذكرها هنا .

٧ ـ فهم البخاري للعقيدة فهم متكامل وشامل فانه حين يذكر مسألة من المسائل العقدية فغالباً ما يستوفي هذه المسألة من جميع الجوانب ، خاصة إذا ساق الباب من أجلها ، ويستدل لكل جزئية من جزيئات المسألة بأحاديث يتبين فقه وسعة علمه واطلاعه ورحابة فكره وشموله ومثال ذلك عند الحديث عن الملائكة أو عند الحديث عن بدء الخلق فذكر كل ما يتعلق ببدء الخلق وما يشمل ذلك ، وأيضاً عند النظر إلى كتاب الصحيح له نجد الكتاب شامل لجميع مباحث العقيدة ولقد أفرد لكبار المسائل كتباً مستقلة مثل كتاب القدر وكتاب الإيمان وكتاب التوحيد .

---

(١) انظر فتح الباري ٣٩٢/٦ .

٨ ــ العدل والإنصاف عند البخاري فانه عندما يرى رأي في المسألة الاجتهادية فغالباً ما يذكر رأي المخالف ودليله ثم يرجع بعد ذلك بذكر الدليل أو التعقيب وهذا واضح من مسألة رؤية النبي ﷺ لربه فانه ذكر الرأي المخالف وذكر أدلة ذلك ثم أعقب ذلك بذكر الرأي الراجح وهو عدم الرؤية وذلك عند تفسير قوله تعالى ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ (١) (٢) .

٩ ــ يتبع البخاري في بعض تراجمه أقوال أئمة التفسير من الصحابة والتابعين في بعض الأحيان وخاصة في بعض المسائل الخلافية ، ويفسر غالباً الآيات التي يوردها في الباب بأحاديث واردة عن النبي ﷺ أو يذكر أقوال كبار المفسرين من أمثال ابن عباس ومجاهد وقتادة وهذا ظاهر في غالب كتبة انظر مثال ذلك باب ذكر الجن وثوابهم وعقابهم وباب ﴿وإذ صرفنا إليك نفر من الجن﴾ (٣) وغيرها من الكتب .

هذه أهم ما تميز به منهج البخاري في هذا الكتاب (كتاب بدء الخلق) في عرض العقيدة ، وذكرت هذا المنهج بالاستنباط ومن خلال الدراسة التي قمت بها لهذا الكتاب فما كان صواباً فمن الله وما كان خطأ فمن نفسي والشيطان وهي مسائل اجتهادية واستنباطية مع العلم أنني رجعت إلى بعض الكتب التي عنيت بتراجم البخاري فلم أرى فيها ذكراً لكتاب بدء الخلق وبيان تراجمه واتصلت بالشيخ عبدالله الغنيمان والذي يعد في العصر الحديث من أبرز من يهتم بالبخاري والدراسة لصحيحه وهو استاذ دكتور متقاعد من الجامعة الإسلامية قسم السنة وطلبت منه هل يوجد للبخاري منهج واضح متميز في هذا الشأن فأجاب بالنفي ، وأنه منهج السلف المعروف ، ولقد حاولت الاقتصار على كتاب بدء الخلق حيث الدراسة كانت عليه ، واستغفر الله من كل خطأ . أما الآن فإلى مباحث هذه الدراسة وهي مسائل طويلة نسأل الله التسهيل والتوفيق أنه سميع قريب ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبيا محمد .

---

(١) سورة النجم الآية ١٣ .

(٢) انظر كتاب التفسير من الصحيح .

(٣) سورة الأحقاف الآية ٢٩ .

الباب الأول

الإلهيات

ويتكون من فصلين :

الفصل الأول : التوحيد ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : توحيد الألوهية .

المبحث الثاني : توحيد الربوبيه .

المبحث الثالث : توحيد الأسماء والصفات .

الفصل الثاني : القدر ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : كتابة مقادير الخلائق .

المبحث الثاني : ما كتبه الله على نفسه .

المبحث الثالث : قدرة الله وهل ينسب الشر إلى فعل الله عزوجل .



الفصل الأول

التوحيـــــــــــــــد

وفيـــــه ثــلاثة مباحث :

المبحث الأول : توحيـــد الألوهيـــة ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطـلب الأول : قـــدم الله عزوجل .

المطلب الثانـي : مســـألة قدم العالم .

المطلب الثالث : تنـــزيه التوحيد عن : الشرك (التصوير) ، الكهانة، الســـــحر .

المبحث الثاني : توحيد الربوبيـــــة ، وفيـــه ثلاثة مطالب :

المطـــلب الأول : خلق العرش والماء والسموات والأرض والقلم .

المطلب الثانـي : خلـــق الريـــح وأوامر الله لها .

المطلب الثالث : خلق الإنسان ونفخ الروح فيه .

المبحث الثالث : توحيد الأسماء والصفات ، وفيه أربعة مطالب :

المطلــب الأول : (كلام الله) عزوجل .

المطلب الثاني : رؤيـــة الله عزوجل .

المطلب الثالث : حـــب الله عزوجل .

المطلب الرابـع : علـــو الله عزوجل .

المبحث الأول
توحيـــــد الألوهيـــــة

المقدمـــــــة :

قبل الحديث عن توحيد الألوهية ، وما يتفرع عنها من مسائل لابد لنا مـــن تحديد معنى التوحيد في اللغة ومعنى الألوهية كذلك كمدخل لا غنـــى عنــه لفــهم المراد من (توحيد الألوهية) .

التوحيد في اللغـــة :

التوحيد مصدر وحّد ويوحّد أي جعل الشيء واحداً .

والتوحيد : الإيمان بالله وحده لا شريك له ، والله الواحد الأحد (والمتوحـد : ذو الوحدانية والتوّحد .

ونقول أحّدث الله وحّدته وهو الواحد الأحد [١] .

وقال ابن فارس : (الواو والحاء والدال : أصل واحد يدل على الأنفــــراد ، ومن ذلك الوحدة) [٢] .

ومن خلال استعراض كتب اللغة رأيت أن هذا المصيدر يأتي بعدة معــــاني ولا بأس من استعراض بعضها بإيجاز وهي :

١ ــ يأتي بمعنى الواحد وهو (الأحد) همزته أيضاً بدل من الواو ، روى الأزهري عن أبي العبـــاس أنه ســئل عن الآحاد أهي جمع الأحد فقال معاذ الله ليس للأحد

---

(١) انظر معجــم كتاب العيــن لخليل بن أحمد ٢٨١/٣ ، وانظر تــاج العــروس للزبيــدي مـــادة وحــد ٢٦٨/٩ ، ومعجم الفاظ العقيدة ص ١٠٣.

(٢) معجم مقاييس اللغة لأبن فارس مادة وحد ٩٠/٦ ، وانظر والتعريفات للجرجاني ص ٩٦ .

جمع، وأنكر الأزهري قولهم رجل أحد ولا درهم أحد كما يقال رجل واحد أي فرد لأن أحد من صفات الله عزوجل التي استخلصها لنفسه ولا يشركه فيها شيء وليس كقولك الله واحد وهذا شيء واحد ولا يقال شيء أحد ، وقال ابو منصور : الواحد منفرد بالذات في عدم المثل والنظير والاحد منفرد بالمعنى وقيل الواحد الذي لا يتجزأ ولا يثنى ولا يقبل الانقسام ولا نظير له ولا مثل ولا يجمع هذين الوصفين الا الله عزوجل .

وقال ابن الأثير في أسماء الله تعالى الواحد قال هو الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر ، وقال الأزهري الواحد من صفات الله تعالى معناه لا ثاني له [1] .

٢ ـ يأتي بمعنى من لا نظير له أو المتقدم في علم أو بأس ، قال ابن منظور : (فلان واحد دهره أي لا نظير له ، وأوحده الله : جعله واحد زمانه ، وفلان أوحد أهل زمانه .

وقال ابن سيده : وفلان لا واحد له أي لا نظير له وأنشد :

حتى استثاروا بي إحدى الاحد   ليثا هذيرا ذا سلاح معتدي

قال وفسره ابن الأعرابي بانه واحد لا مثل له [2] .

وفارس : وهو واحد قبيلته إذا لم يكن فيهم مثله قال :

يا واحد العرب الذي   ما في الانام له نظير [3]

---

(١) انظر تاج العروس مادة وحد ٩/٢٦٣ ، ولسان الع(٤) انظر لسان العرب ٣/٤٥٠ ، وكتاب جمهرة اللغة مادة وحد ١/٥٠٧ .
رب كذلك مادة وحد ٣/٤٤٧ .

(٢) انظر معجم كتاب العين لخليل بن احمد ٣/٢٨٠ ، ولسان العرب ٣/٤٥٢ .

(٣) معجم مقاييس اللغة مادة وحد ٦/٩٠ .

٣ ــ يأتي بمعنى الانفراد وهو قريب من الذي قبله قال ابن منظور : قال الجوهري (الوحدة الانفراد يقال رأيته وحده وجلس وحده أي منفردا) [١] .

وقال الزبيدي : وعلى حده أي توحده ، وفي حديث جابر ودفن أبنه فجعله في قبر على حدة أي منفرداً .

وقال سيبويه الوحدة في معنى التوحد ، ووحّد الشيء فهو يحده بحدةً وتوحد برأيه منفرد به [٢] ، وقال الخليل بن احمد وكل شيء على حدة بائن من آخر فهو منفرد [٣] .

قال ابن منظور : قال ابن سيده : ورجل أحد ووَحَدٌ ووَحِدٌ ووَحْدٌ ووحِدٌ ومُتَوحّد أي منفرد ، والأنثى وَحِدةٌ وانشد :

كالبيدانةِ الوَحِده [٤] .

ونكتفي بذكر هذه المعاني من هذا المصدر ونعرج بعد ذلك على ذكر معنى التوحيد اصطلاحاً .

تعريف التوحيد اصطلاحاً .

اختلفت الفرق الإسلامية في تعريفها للتوحيد فيرى المعتزلة أن التَوحيد هو نفي الصفات عن الله ، يقول ابن حجر : (وقد سمي المعتزلة

---

(١) انظر لسان العرب ٣/٤٥٠ ، وكتاب جمهرة اللغة مادة وحد ١/٥٠٧ .

(٢) تاج العروس ٩/٢٧٤ .

(٣) كتاب العين لخليل بن أحمد ٣/٢٨١ .

(٤) لسان العرب ٣/٤٤٩ .

أنفسـهم (أهل العدل والتوحيد) وعنوا بالتوحيد ما أعتقدوه من نفي الصفات الإلهية، لاعتقادهم أن اثباتهـا يستلزم التشـبيه ومن شبه الله بخلقه أشرك وهم في النفـي موافقون للجهمية) [1] .

وتميل الاشاعرة في تعريف التوحيد إلى توحيد الربوبية ، يقول ابن العربـي : (هو معرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله) [2] .

وقريبـاً من هذا التعريف عرفه ابن حجر رحمه الله كذلـك فـي شـرحه لكتـاب التوحيد في صحيح البخـاري [3] ، وعرفـه كذلـك الآيجـي بنفـس هـذا التعريـف [4] .

ويميـل بعض العلماء إلى تعريف التوحيد بأحد أقسامه فمثلاً الأمـام ابـن تيميـة يقـول في (الواسـطة بين الحـق والخـلق) عـنـد كلامـه عـن توحيد الألوهيـة (وكان النبي ﷺ يحقق هذا التوحيد لأمته ويحسـم عنـهم مـواد الشـرك إذ هـذا تحقيق قولنـا لا إله إلا الله فأن لا اله هو الذي تألـه القلـوب بكمال المحبة والتعظيم والاجلال والأكرام والخـوف) [5] ، وإلـى هـذا يميـل الطحاوي كذلك [6] .

وكذلـك فسـرها شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب إذ قال التوحيـد هـو العبادة) [7] .

---

(١) فتح الباري ٣٥٧/١٣ ، وانظر كذلك التدمرية ص ١٨٨ .
(٢) انظر قانون التأويل ص ٥٤١ .
(٣) انظر فتح الباري ٣٥٧/١٣ ،
(٤) انظر المواقف للايجي ص ٢٧٨ .
(٥) الواسطية لابن تيمية ص ٤٢ ، وانظر الفتاوى ٢٠/١ ــ ٢٢ .
(٦) شرح الطحاوية ٢٨/١ .
(٧) كتاب التوحيد لأبن عبدالوهاب ص ٣ .

ومن هذا المنطلق فقد اختلفت تعريفات العلماء له وذلك أما لتعريـــف احــد معانية أو لمناسبة شرح آية أو حديث أو حسب إتجاه كل مذهب وما يتغلب عليـــه، ومن هذه التعريفات ما يلي :

قال الجرجاني في تعريفه هو : (تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام ويتخيل في الأوها والأذهان .

قال وهو ثلاثة أشياء : معرفة الله تعالى بالربوبية والإقرار بالوحدانية ونفي الأنداد عنه جملة) [1] .

ويقــول البغــلي في تعريفــه : (هــو أعتقـــاد الوحدانيـــة لله ذاتـــاً وصفـــه وفعلاً) [2].

ويقول ابن باز في تعريف التوحيد : (هو أفراد الله تعـــالى بالعبـــادة) [3] ، ولعله أخذه من ابن تيمية .

ويعرفـــه الزنداني بقولـــه : (هو علـــم يبحث في إثبـــات العقـــائد الدينيـــة بالادلـــة اليقينيـــة العقليـــة والنقليـــة التي تزيل كل شـــك ، وهـــو العلـــم الـــذي يكشـــف باطل الكافرين وشـــبهاتهم وأكاذيبهـــم وبـــه تســـتقر النفوس وتطمئـــن القلوب بالايمان) .

وهو علم التوحيد لانه أهم بحوثه هو توحيد الله [4] ، ولعل هـــذا التعريـــف ينطبق على علـــم التوحيد والمقصود بـــه ، فنعرفـــه بقولنـــا هـــو علـــم يحـــدث إلـــى أخـــره.

ولعـــل التعريف الذي يجمع هذه التعريفات ويشمل جميع أنواع التوحيد هو

---

(١) التعريفات للجرجاني ص ٩٦ .

(٢) العقائد السلفية بأدلتها النقلية ١٧/١ .

(٣) التعليق المفيد على كتاب التوحيد ص ٢٧ .

(٤) انظر الفتاوى ٤٤٩/١٧ .

(افراد الله بما يختص به) [١] ، سـواء فـي الربوبيـة أو الألوهيـة أو الاسـماء والصفات .

ولعل هذا التعريف هو المختار إلا إذا أريد تعريف نوع خاص من أنـواع التوحيد بعينه .

الألوهيـة في اللغـة :

وفي هذا يقول إبن فارس : (« أله » الهمزه واللام والهاء أصل واحد وهـو التعبد فالإله الله تعالى وسمي بذلك لأنه معبود ويقال تأله الرجل إذا تعبد) [٢].

ويقول : لأزهري في تهذيب اللغة : (أخبرني المنذري عن أبي الهيثم ، أنـه سأله عن اشتقاق اسم الله في اللغة ، فقال : كان حقه إله ، أدخلت الألـف والـلام عليه للتعريف فقيل : الإله ، ثم حذفت العرب الهمزة استثقالاً لهما ، فلمـا تركـوا الهمزة حولوا كسرتها في اللام التي هي لام التعريف ، وذهبت الهمزة أصلاً فقيل: الإله ، ثم حذفت العرب الهمزة استثقالاً لها ، فلما تركوا الهمزة حولوا كسرتها فـي اللام التي هي لام التعريف ؛ وذهبت الهمزة أصلاً فقيـل : ألـلاه ، فحركـوا لام التعريف التي لاتكون إلا ساكنة ، ثم ا لتقى لامان متحركتان ، فأدغموا الأولى فـي الثانيـة ، فقالوا : الله ، كما قـال الله عز وجل : ﴿ لكنا هو الله ربي ﴾ [٣] معناه لكن أنا) [٤] .

ويؤكد ابن منظور على هذا المعنى ، حيث يقول : (الإله هو الـذي تألهـه القلوب بالمحبة والخضوع [٥] ، وذلك لأن (الخلق إليه يولـيهون فـي حوائجـهم، ويفزعون إليه فيما يصيبهم ، ويتقرعون إليه في كل ما ينوبهم ، كما يوله كل طفـل إلى أمه) [٦] .

---

(١) انظر معجم الفاظ العقيدة ص ١٠٣

(٢) معجم مقاييس اللغة ١٢٧/١.

(٣) سورة الكهف / ٨٣ .

(٤) تهذيب اللغة مادة المؤلف الله والإله .

(٥) لسان العرب مادة أله ص

(٦) تهذيب اللغة مادة الله والإله ص

وقـــال الجوهري : (أله بالفتح آلهة أي عبد عبادة قـــال ومنـــه قولنـــا الله، وأصله إلاه على فعـــال بمعنى معقول لأنه مؤتم به • والتاليـــة التعبـــير والتاليـــة التنسك والتعبد) [١] .

وقال صاحب القاموس المحيط : (أله آلهة ، وألوهية عبد عبادة ، ومنه لفـظ الجلالة ، واختلف فيه على عشرين قولاً. قال : وأصله ألاه بمعنى مألوه وكلـــهما أتخـــذ معبـــوداً أله عند متخذه ، فهو اله ومن هذا المعنـــى أخـــذ معنـــى توحيـــد الألوهية [٢] .

قال الزبيدي : (وقد سمت العرب الشمس لما عبدوها إلاهة .

وقال عتبه بن الحارث البربوعي :

تروحنا من اللعباء عصراً فاعجلنا الإلهه أن تؤدبا [٣]

قال من القائل : (وكانت العرب في جاهليتها ، يدعـــون معبوداتـــهم مـــن الأصنام ، والأوثان آله وهي جمع إلاهه) [٤] .

ويقول الشيخ عبدالله بن ابابطين في هذا المعنى : (وجميـــع العلمـــاء مـــن المفسرين ، وشراح الحديث ، والفقه وغيرهم يفسرون الإله بأنه المعبود ، وإنمـــا غلط في ذلك بعض أئمة المتكلمين ، فظن أن الإله هو القادر على الاختراع) [٥]. وقال في موضع آخر : (وأما الإله فهو الذي تألهه القلوب بالمحبـــة ، والخضـــوع والخوف والرجاء ، وتوابع ذلك من الرغبة والرهبة والتوكل والاستغاثة والدعـــاء والذبح والنذر ، والسجود وجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة ، فهو إله بمعنـــى مألوه أي معبود ، وأجمع اهل اللغة أن هذا معنى الإله) [٦] .

ومن خلال استعراضنا ، للمعاني اللغويـــة لكلمـــة الالوهيـــة يتبيـــن ، أن المقصود بالإله الشيء المعبود ، والمألوه بالحب والخوف ، وأوامر العبادة بجميـــع أنواعها له .

---

(١) الصحاح مادة ألة .
(٢) القاموس المحيط مادة أله .
(٣) تاج العروس مادة وحده .
(٤) تهذيب اللغة مادة الله والإله .
(٥) كتاب مجموعة التوحيد ص ١٤٥ .
(٦) انظر كتاب مجموعة التوحيد ص ١٤٤ وفتاوي ابن تيمية ١٣٦/١ نفس المعنى .

تعريف توحيد الألوهية اصطلاحاً :

أما تعريف توحيد الالوهية في الاصطلاح ، فنراه مطابقا للمعنى اللغوي حيث يراد به توحيد الله ، وأفراده بالعبادة . يقول ابن تيمية في تعريفه : (فالتوحيد ضد الشرك ، فإذا قام العبد بالتوحيد ، الذي هو حق الله فعبده لايشرك به شيئاً ، كان موحداً) (١) .

ويعرفه شارح الطحاوية بقوله : (توحيد الالوهية ، هو استحقاقه سبحانه وتعالى ، أن يعبد وحدة لاشريك له) (٢) .

ثم زاد في شرحه في موضع آخر حيث ، قال في موضوع آخر : (بل هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل ، ونزلت به الكتب هو توحيد الإلهية المتضمن توحيد الربوبية ، وهو عبادة الله وحدة لاشريك له) (٣) .

وهذا المعنى هو الذي ذكره الإمام الالكائي في كتابه ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة حيث قال : قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لاإله إلا أنا فأعبدون ﴾ (٤) . فأخبر الله نبيه ﷺ في هذه الآية ، أنه بالسمع والوحي عرف الأنبياء قبله بالتوحيد (٥) .

وصاحب تاج العروس ، لما انتهى من ذكر المعنى اللغوي للتوحيد ، ذكر المعنى الاصطلاحي لكل قسم من أقسام التوحيد ، حيث قال : (وأما توحيد الإلهية، فهو أن يجمع همته . وقلبه وعزمه وإرادته وحركاته ، على أداء حقه والقيام بعبوديته ، فجمع هنا بين العبادة والإخلاص (٦) .

ويعرفه ابن القيم في قصدية المعروفة بالكافية الشافية ، بقوله :

هذا وثاني نوعي التوحيد ... توحيد العبادة منك للرحمن

إن لاتكون لغيره عبداً ولا ... تعبده بغير شريعة الإيمان (٧)

---

(١) مجموعة الفتاوى ٥٢/١ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ١٣٥/١ ـ ١٣٦ .

(٣) شرح العقيد الطحاوية ٢٤/١ .

(٤) سورة الأنبياء / ٢٥ .

(٥) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة والاجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ١٩٤/٢ ـ ١٩٥ .

(٦) تاج العروس آخر مادة وحد .

(٧) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ٢٥٧/٢ .

ويعلق الشارح للقصيدة الشيخ أحمد بن عسيى بقوله : (شرع الناظم في ذكر النوع الثاني ، من توحيد الأنبياء والمرسلين ، وهو توحيد العبادة ثم قال : (وهو توحيد الطلب والقصد ، وهو توحيد الإلهية والعبادة) [1] .

والعلماء تقريبا متفقون على هذا التعريف له ، غير أن بعضهم يفصل وبعضهم يختصر هذا المعنى .

فنرى الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، في تعريفه له يقول : (النوع الثاني توحيد الألوهية ، فهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر ، وحديثه وهو توحيد الله بأفعال العبادة ، كالدعاء والنذر والنحر والرجاء والخوف والتوكل والرغبة والرهبة والإنابة) [2] .

وقوله توحيد الله بأفعال العباد ، أي أن تكون لله وحده ولايشرك معه أحد غيره ، فإن هذا هو توحيد الألوهية ، الذي وقع فيه النزاع والخلاف ، بين الأمم وأنبيائها .

ويبين صاحب كتاب فتح المجيد ، أهمية هذا النوع من أنواع التوحيد ، حيث يقول بعد سياق الكلام على توحيد الربوبية : (لم يكن موحد حتى يقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعباده ، ويلتزم بعبادة الله وحده لاشريك له) [3] .

وعرفه قريبا من هذا التعريف الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ، حين قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام ، ذكر القسم الثاني منها توحيد الألوهية [4] .

وقد عرفه الشيخ ابن باز حفظه الله ، تعريفا مختصرا حيث قال : (هو افراد الله بالعبادة ، وترك عبادة ماسواه) [5] .

وقال في موضع آخر ، من مجموع فتاوي ومقالات متنوعة :

---

(١) نفس المصدر ٢/٢٥٨ ــ ٢٥٩ .
(٢) كتاب مجموعة التوحيد ص ٨ ص ٦٠ .
(٣) شرح كتاب التوحيد ص ١٣ .
(٤) فتاوي العقيدة للشيخ محمد بن عثيمين .
(٥) التعليق المفيد على كتاب التوحيد ص ٢٧ ومجموعة فتاوي ومقالات متنوعة ٤/٥ .

(النوع الثالث توحيد الله بالعبادة ، وهو معنى لا إله إلا الله فإن معناهـــا لامعبـــود بحق إلا الله ، فهي تنفي العبادة بجميع أنواعها عن غير الله ، وتثبتــــها لله وحـــده سبحانه وتعالى) [١] .

ثم ان كل من ذكر هذه الأقسام للتوحيد فإنه يعرف هذا النوع من التوحيـــد، بهذا التعريف المتفق عليه في المعنى ، وإن كانت العبـــارات فيـــها شـــيء مـــن الاختلاف ، الذي لا يؤثر في المعنى المقصود ٠

---

(١) مجموعة فتاوى ومقالات متنوعة ٣٨/١ .

المطلب الأول : مسألة قدم الله عز وجل :

في بداية هذا المبحث ، وقبل الخوض في تفاصيل مسألة قدم الله لابد من ايراد معنى القدم ، حتى يسهل تصور المراد بقولنا قدم الله ، أو قدم العالم والمسائل المتفرعة عنها .

أولا : المعنى اللغوي للقديم :

قال ابن فارس : (القاف والدال والميم أصل صحيح ، يدل على سبق ورعف ثم يفرع منه مايقاربه . يقولون القدم خلاف الحدوث ، ويقال شيى قديم إذا كان زمانه سالفا) [١] .

فذكر ابن فارس هنا ، أن معنى القديم خلاف الحديث ، ويأتي في اللغة له معنى آخر وهو : (الذي يتقدم الناس بالشرف) [٢] .

وفي التعاريف اللغوية ، مصدر القديم : (القدم وهو العتق أو العتيق) [٣] .

ثانيا : التعريف الإصطلاحي :

ولعل التعريف اللغوي للقدم ، مطابق للتعريف الاصطلاحي ، غير أن الجرجاني فصل في التعريف الاصطلاحي ، وقسمه فنراه يقول :

(القديم يطلق على الموجود الذي يكون وجوده من غيره ، وهو القديم بالذات، ويطلق القديم على الموجود الذي ليس وجوده مسبوقا بالعدم ، وهو القديم بالزمان ، والقديم بالذات ، يقابله المحدث بالذات ، وهو الذي يكون وجوده من غيره ، كما أن القديم بالزمان ، يقابله المحدث بالزمان . وهو الذي سبق عدمه وجوده سبقا مكانيا) [٤] .

ثم اختصر ، هذا التعريف فقال : (القدم الذاتي ، هو كون الشيء غير محتاج إلى الغير ، والقدم الزماني ، هو كون الشيء غير مسبوق بالعدم) [٥] .

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٦٢/١ مادة قدم .
(٢) تهذيب اللغة مادة قدم .
(٣) جمهرة اللغة مادة قدم والصحاح مادة قدم .
(٤) التعريفات للجرجاني ص ٢٢١ .
(٥) التعريفات للجرجاني ص ٢٢٢ .

ثم إنه بعد ذلك ذكر تعريفا آخر للقديم ، حيث قال : (وقيل القديم مالا ابتداء لوجــوده ، والحادث والمحدث مالم يكن كذلك ، وقيل القديم هو الـــذي لا أول ولا آخر له) [١] .

ويعــرف الرازي القديــم ، فيقــول : (هــو الــذي لا أول لوجـــــوده ، وهو الله عز وجل) [٢] .

ويفصل هذا التعريف الرازي ، في المباحث المشرقية بقوله : (وأما القــدم فيقال على وجهين : أحدهما بالقياس : وهو الشيء الذي يكون مـــا مضـــى مــن زمان، وجوده أكثر مما مضى من زمان وجوده شيء آخـــر ، وآخرهمـــا القــدم المطلق وهو أيضا على وجهين : أحدهما بحسب الزمان ، وهو الشـــيء الــذي لا أول لزمان وجوده، والزمان ، بهذا المعنى ليس بقديم ، لأن الزمان ليس له زمان . وآخرهما بحسب الذات وهو الشيء الذي ليس لوجود ذاته مبدأ به وجب ، والقديــم بهذا المعنى مرادف للواجب) [٣] .

ويرى الغزالي تعريف أضبط لهذه المسألة ، فيقول : (أنه لانعني بقولنـــــا قديم إلا أن وجــوده غير مســبوق بعدم) [٤] .

وبعض العلماء يعرفه تعريفا جزئيا فيقول : (القديم الذي ليس لـــــه وجــود زماني) [٥] .

إن مسألة قدم الله عز وجل ، ودلالتها على معنى القدم لله مسألة لاخـــلاف فيها عند أهل الإسلام، بل عند الناس أجمعين كفارهم ، فضلا عن مسلميهم [٦] .

وهي مسألة قد ذكرها القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ هـــو الأول والآخــر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾ [٧] .

---

(١) التعريفات ص ٢٢٣ .

(٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ١٧ .

(٣) لاقتصاد في الاعتقاد ــ وقد فصل هذا القول في مقاصد الفلاسفة ص ٢٠٥ ــ ٢٠٦ .

(٤) المباحث المشرقية ص ٢٨٨ .

(٥) الملل والنحل ٣/٦٥٠ .

(٦) انظر الفرقان بين الحق والباطل لابن تيمية ص ١٧٥ وفيض الباري على صحيح البخاري ١/٢ .

(٧) سورة الحديد / ٣ .

وقد فسر ابن جرير الطبري القدم ، بقوله : (﴿هو الأول﴾ قبل كل شيء ، بغير حد ﴿ والآخر ﴾ يقول : والآخر بعد كل شيء ، بغير نهاية وإنما قيل ذلك كذلك ، لأنه كان ولاشيء موجود سواه ، وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها) [١] .

وكذلك فسر ابن كثير القديم ، بنفس هذا المعنى تقريبا [٢] وذكر الأحاديث الدالة على هذه الصفة ، ونكتفي بإيراد حديث مسلم الذي ذكره ابن كثير ، قال مسلم : ((حدثني زهير بن حرب ، حدثنا حرب حدثنا جرير، عن سهيل قال كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا ، أن ينام أن يضطجع على شقة الأيمن ، ثم يقول اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء خالق الحب والنوى ، ومنزل التوراة والانجيل والفرقان ، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته ، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر ، وكان يروي ذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ)) [٣] .

وقال صاحب معارج القبول : (الأول الذي ليس قبله شيء ، بلا إبتداء الاولية والآخر فليس بعده شيء ، بلا انتهاء لاخريته وكل ما سواه فانه فان) [٤] .

ولم يذكر الامام النووي تفسيرا لمعنى الأول ، ولكن ذكر تفسير الآخر حيث قال : (وأما الآخر فقال الإمام ابو بكر ابن الباقلاني ، في معناه الباقي بصفاته من العلم والقدره وغيرهما ، التي كان في الأزل ، ويكون كذلك بعد موت الخلائق، وذهاب علومهم وقدراتهم وحواسهم ، وتفرق أجسامهم) [٥] .

---

(١) تفسير الطبري ٢١٨/٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢١٨/٤ .

(٣) اخرجه مسلم باب الذكر والدعاء باب ما يقول عند النوم ، انظر شرح النووي ٣٦/١٧ ح (٢٧١٣) .

(٤) معارج القبول ٧٨/١ .

(٥) شرح النووي ٣٦/١٧ .

وقال السيوطي في تفسير هذه الآية ، مثل ماقال ابن كثير تقريبا ، غير أنه أورد حديث عن ابن عمر يرويه عن البيهقي ، فقال : (كان من دعاء رسول الله ﷺ الذي يقول : ((يا كائن قبل أن يكون شيء ، والمكون لكل شيء ، والكائن بعدما لا يكون شيء ، أسألك بلحظة من لحظاتك الحافظات الوافرات الراجيات المنجيات)) [1] .

وقال شارح الطحاوية : (يقول الشيخ رحمه الله : القديم بلا ابتداء دائم ، بلا انتهاء هو الأول والآخر) [2] .

فنلاحظ من هذه النقول أنه ليس أحد من السلف، ينقل عنه إطلاق هذا الاسم وهو (القديم) على الله عز وجل ، وان كان معاني التفسير التي ذكروها دالة على هذا المعنى • غير أنه لما جاء علم الكلام ، وبدأ الناس في الخصومات والمجادلات في الدين ، دخل هذا الاسم على المتكلمين، فاطلق على الله عز وجل بل صار من أخص الأسماء ، عند أهل الكلام [3] .

يقول الرازي عند تفسيره هذه الأية : ﴿ هو الأول والأخر والظاهر ، والباطن وهو بكل شيء عليم﴾) [4] [5] .

(.. واعلم أن هذا المقام ، مقام مهيب غامض عميق ، والبحث فيه من وجوه : الأول أن تقدم الشيء على الشيء ، يعقل على وجوه :

أحدها : التقدم بالتأثير ، فإنا نعقل أن لحركة الأصبع تقدما على حركة الخاتم ، والمراد من هذا التقدم كون المتقدم مؤثرا في المتأخر •

وثانيهما : التقدم بالحاجة لابالتأثير ، لأنا نعقل احتياج الاثنين إلى الواحد .

وثالثها : التقدم بالشرف كتقدم أبي بكر علي عمر .

---

(١) الدر المنثور ٣٦/١٧ .

(٢) العقيدة الطحاوية ٧٥/١ .

(٣) انظر التدميرية ص ١١٧ .

(٤) سورة الحديد الآية ٣ .

(٥) انظر فيض الباري على صحيح البخاري ١/٤ .

ورابعهما : التقدم بالرتبة .

وخامسهما : التقدم بالزمان ، وهو أن الموجود في الزمان المتقدم ، متقدم على الموجود في الزمان المتأخر) [1] ثم قال : (وعندي أن هنا قسما سادسا ، وهو مثل تقدم بعض أجزاء الزمان على البعض ، فإن ذلك التقدم ليس تقدما بالزمان ، وإلا وجب أن يكون الزمان محيطا بزمان آخر) [2] .

ثم قال : (وإذا عرفت هذا فنقول أن القرآن دل على أنه تعالى أول لكل ماعداه ، والبرهان دل أيضا على هذا المعنى ، لأنا نقول كل ماعدا الواجب ممكن ، وكل ممكن محدث ، فكل ماعدا الواجب فهو محدث ، وذلك الواجب أول لكل ماعداه) [3] .

فهذا شاهد من كلام الرازي ، يبين هذه المسألة وابعادها بالكامل ، ومن جميع الجوانب تقريبا ونلخص هنا إلى أنه لم يقل معنى الأول هو القديم ، بل ترك ذلك لسبب سوف نورده بعد قليل • (وقد فصل القاضي عبدالجبار في ذلك في كتابة المغني ، حيث ذكر فصل كامل في الدلالة ، على أنه لايجوز أن يكون مع الله قديم ثاني [4].

وهو كلام طويل يتعذر نقله• ولعلنا نأخذ نصا آخر من كلام المتكلمين ، يبين كيف كانت هذه المباحث ، من أصول علم الكلام ، سائدة ومنتشرة وهي راجعة إلى مسألة الامكان والحدوث والواجب والممكن ، وقد أكثر أهل الكلام في طرقها ، يقول الباقلاني في ذلك : (الموجودات كلها على ضربين : قديم لم يزل ومحدث لوجوده أول • فالقديم هو المتقدم في الوجود على غيره ، وقد يكون لم يزل وقد يكون مستفتح الوجود دليل ذلك قولهم : بناء قديم يعنون أنه الموجود قبل الحادث بعده ، وقد يكون المتقدم بوجوده على ماحدث بعده متقدما

---

(١) انظر التفسير الكبير ١٨٢/٩٢ .

(٢) نفس المرجع ١٨٣/٢٩ .

(٣) نفس المرجع ١٨٣/٢٩ .

(٤) المغني في أبواب العدل والتوحيد ٢٤١/٤ ـ ٢٤٧ و ١٧٩/٥ ـ ٢٣٢ .

إلى غاية وهو المحدث المؤقت الموجود ، وقد يكون متقدما إلى غير غاية ، وهو القديم جل ذكره وصفات ذاته ؛ لأنه لو كان متقدما إلى غاية يؤقت بها ، فقال إنه قبل العالم بعام أو مائة ألف عام ، لأفاد توقيت وجوده أنه معدوم قبل ذلك الوقت، والله يتعالى عن ذلك) (١) .

وعند النظر في هذا الكلام ، نلاحظ مدى ما وصلت إليه هذه المسألة، ومسائل علم الكلام عامة ، من بحث وتفصيل وشرح وفلسفة . ومع عدم اختصاص الله بهذا الاسم ، إلا أنا نرى أنهم يتساهلون في اطلاقه على الله عز وجل .

ولعلنا في نهاية كلامنا على هذه المسألة ، نختم بكلام الأشعري الذي جمع هذه الأقوال ، في القديم ومعناه وماتدل عليه فقال :

اختلف المتكلمون بمعنى القول ، إن الله قديم .

١ ـ فقال بعضهم : معنى أن الله قديم أنه لم يزل كائنا لا إلى أول ، وإنه المتقدم لجميع المحدثات لا إلى غاية ، وهذا قول (الجبائي) .

٢ ـ وقال (عباد) : معنى قديم أنه لم يزل ، ومعنى لم يزل أنه قديم .

٣ ـ وقال بعضهم : معنى قديم بمعنى إله .

٤ ـ وقليل من ثبت القديم قديما بقدم : معنى أن الله قديم إثبات قدم لله كان به قديما، وكذلك معنى عالم عندهم إثبات علم ، وكذلك القول في سائر الصفات .

٥ ـ وحكى عن (معمر) أنه كان لا يقول إن البارئ قديم إلا إذا أوجد المحدثات (٢) .

---

(١) تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل ص ٣٦ ، وانظر المواقف في علم الكلام فقد فصل في ذلك ص ٧٤ ــ ٨٥ ، وانظر المغني في أبواب التوحيد والعدل ٢٥٠ ــ ٢٥١ .

(٢) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ٢٠١/٢ ، وانظر كذلك المواقف في علم الكلام ص ٧٤ ومابعدها.

ومـن خلال هذا النص ، يتضح أن أهل الكلام اشبعوا هـذه المباحث ، كلامـا غيـر أن أهـل السـنة رحمهـم الله ، لهـم تحفـظ في اطـلاق هـذا الاسـم ، كأسـم من أسماء الله تعالى على الله تعالى ، ومن أبـرز المعـارضين لذلك شـيخ الاسـلام ابن تيميـة ، وقد بين خطر ذلك على العقيدة الإسـلامية ، فعنـد تأليـفه العقيـدة الواسـطية ، لـم يذكـر هذا الاسـم ، بـل قـال (الأول والآخر) [١] .

وقال عند حديثه عن المعتزلة ، والجهمية وأثباتهم لبعض الاسـماء ، قـال (والجهمية والمعتزلة ونحوهم ، يقولون أنهم أثبتوا القديم المحدث للحوادث ، وهـم لم يثبتوه ، بل كلامهم يقتضي أنه ما تم قديم أصلا) [٢] ، ثم قال : (وهذه الاسـماء الثلاثة هـي التي يظهرهـا هؤلاء ـ واجـب الوجـود والقديـم ـ والصانـع والخـالق ونحو ذلك) [٣] .

وكذلك اعترض على هذا الاسم تلميذه ابن ابي العز الحنفي ، فـي شـرح الطحاوية ، حيث قال : وقد أدخل المتكلمون في أسماء الله تعالى (القديم) ، وليـس هو من الأسماء الحسنى ، فإن « القديم » في لغة العرب التي نزل بها القرآن : هـو المتقدم على غيره ، فيقال : هذا قديم للعتيق ، وهذا حديث للجديد ، ولم يسـتعملوا هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره ، لافيما لم يسبقه عدم ، كمـا قـال تعـالى : ﴿ حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ [٤] .

---

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية ص ٨٨ ، وانظر درء تعارض العقل والنقل ١/٢٢٢ .

(٢) الفتاوى ١٦/٤٤٤ .

(٣) انظر مجموعة الرسائل والمسائل ١/٣٥٣ ، والتدميرية ص ١١٧ ، ومنهاج السنة النبوية ١/١٣١ .

(٤) سورة يس / ٣٩ .

والعرجون القديم : الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الثاني ، فإذا وجد الجديد ، قيل للأول : قديم ، وقال تعالى : ﴿ وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم ﴾ [1] ، أي : متقدم في الزمان ، وقال تعالى : ﴿ أفرءيتم ماكنتم تعبدون * أنتم وءاباكم الأقدمون ﴾ [2]. فالأقدم مبالغة في القديم ، ومنه : القول القديم والجديد للشافعي رحمه الله، وقال تعالى: ﴿ يقدم قومه يوم القيمة فأوردهم النار ﴾ [3] ، أي : يتقدمهم ، ويستعمل منه الفعل لازما ومتعديا ، كما يقال : أخذني ماقدم وماحدث ، ويقال : هذا قدم هذا وهو يقدمه ، ومنه سميت القدم قدما ، لأنها تقدم بقية بدن الإنسان ، وأما إدخال القديم في أسماء الله تعالى ، فهو مشهور عند أ كثر أهل الكلام ، وقد أنكر ذلك كثير من السلف والخلف ؛ منهم ابن حزم) [4] .

ولا بأس هنا من ذكر شيء من كلام ابن حزم مختصرا ، يقول : (لا يجوز أن يسمى عزوجل بما لم يسم به نفسه ، لأنه لم يصح به نص ألبتة ، وقد قال تعالى: ﴿ والقمر قدرناه منازل ، حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ [5]. فصح أن القديم من صفات المخلوقين ، فلا يجوز أن يسمى الله تعالى بذلك ، وإنما يعرف القديم في اللغة من القدمية الأزلية ، أي أن هذا الشيء أقدم من هذا بمدة محصورة ، وهذا منفي عن الله عزوجل ، وقد أعني الله عزوجل عن هذه التسمية بلفظه « أول » فهذا هو الاسم الذي لا يشاركه تعالى فيه غيره ، وهو معنى أنه لم يزل) [6] .

ثم قال : (فإن قيل : ليس في العالم قدماء . أكذبه القرآن بما ذكرنا ، وأكذبته اللغة التي بها نزل القرآن ، إذ يقول كل قائل في اللغة : هذا الشيء أقدم من هذا ، وهذا أمر قديم وزمان قديم ، وشيخ قديم ، وبناء قديم . وهكذا في كل شيء) [7] .

---

(١) سورة الاحقاف / ١١ .

(٢) سورة الشعراء / ٧٥ ، ٧٦ .

(٣) سورة هود / ٩٨ .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ١/٧٧ ــ ٧٨ .

(٥) سورة يس / ٣٩ .

(٦) الفصل في الملل والاهواء والنحل ١/٤١٠ .

(٧) الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/٤١٠ .

وممن من أنكر هذا اللفظ كذلك الشيخ عبدالله بن بـــابطين المتوفـــي ســنة ١٢٨٢هـــ حيث يبين أن هذا الاسم لم ينقل عن أحد من السلف ، ولأنه ليس مـــن الأسماء الحسنى لله عز وجل ، يقول في إنكار ذلك : (أن القديم اسم مــن أســمائة تعالى ، فيه نظر من وجهين : الأول أن أسماء الله تعالى عند أهل السنة توقيفيـــة، والتوقيفي هو الذي لايثبت إلا بنص ، وهذا كتاب الله وسنة رســوله ﷺ وكـــلام السلف من الصحابة والتابعين ، لهم باحسان ليس في شيء منها تسمية الله بالقديم ، وانما سمى الله نفسه بالأول والآخر ، وهذا يغني عن القديم ، وهو أبلغ منــه فـــي المعنى لدلالته على القدم ، وأنه لم يسبقه شيء بل ولم يماثله ، فإن الأول يدل على سبق الله تعالى لكل شيء ، كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم بقوله أنــت الأول فليس قبلك شيء • وأما الوجه الثاني فلأن أسماء الله كلها حسنى، أي بالغـــة فـــي الحسن منتهاه فهي مشتملة من كل معنى كمال على أحسنه وأتمه وأعمه فلا نقــص فيها بوجه من الوجوه ، فلم يكن من أسمائه المريـــد ولا المتكلــم ولا الصـــانع ، لانقسام مثل هذه الأسماء إلى صفتي مدح وذم ، باعتبارين وأما الاخبار عنه بأنـــه متكلم ومريد وصانع ، فهذا جائز ، لأن باب الاخبار عنه أوسع من باب الإنشـــاء ، وحيث تقرر ذلك فإن القديم ليس من الأسماء الحسنى ، فإن القدم معنى اعتبـــاري لايدل على الأولية ، فان معناه المتقدم على غيره ، وان كان حادثا ومتأخرا بالنسبة إلى شـــيء آخــر ، ومما يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ حتى عـــاد كـــالعرجون القديم ﴾ [١].وبذلك لايصح اطلاق القديم على الله ، باعتبار أنه من أســمائه ، وأن كان يصح الاخبـــار بـــه عنـــه كمـــا قلنـــا : أن باب الأخبار أوسع مـــن بـــاب الإنشاء والله أعلم) [٢] .

---

(١) سورة يس / ٣٩ .

(٢) انظـــر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية في شرح الدرة المضيـــة فـــي عقيـــدة الفرقـــة المرضية ١/٣٨ .

ولعل الرازي من خلال كلامه ، عن معنى هذا الأسم يبين ، لماذا يتوقف العلماء في اطلاق هذا الاسم على الله ، مع أنه من أهل الكلام ٠حيث ذكر صعوبة اطلاق هذا الاسم على الله عز وجل ، حيث قال : (فثبت أن تقدم الصانع على كل ماعداه ، ليس بالزمان البتة ، فإذن الذي عند العقل أنه متقدم على كل ماعداه ، أنه ليس ذلك التقدم على أحد ، هذه الوجوه الخمسة ، فبقي أنه نوع آخر من التقدم يغاير هذه الأقسام الخمسة ، **فأما كيفية ذلك** التقدم فليس عند العقل منها خبر ، لأن كل ما يخطر ببال العقل فإنه لابد وأن يقترن به حال من الزمان ، وقد دل الدليل على أن كل ذلك محال ، فإذن كونه تعالى أولا معلوم على سبيل الإجمال ، فأما على سبيل التفصيل والإحاطة بحقيقة تلك الأولية ، فليس عند عقول الخلق منه أثر) [1].

ثم انه بعد هذا العرض البسيط للقديم ، نذكر الحديث الذي دل على هذه الصفة لله عز وجل ، حيث نقل البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق ، حديث عمران بن الحصين ، والذي يقول فيه : (حدثنا عمر بن حفص بن غياث ، حدثنا أبي حدثنا الأعمش ، حدثنا جامع بن شداد عن صفوان بن محرز أنه ، حدثه عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: ((دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب ٠ فأتاه ناس من بني تميم ، فقال : اقبلوا البشرى يابني تميم ٠ قالوا : قد بشرتنا فأعطنا (مرتين) ٠ ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن، فقال : اقبلوا البشرى يا أهل اليمن ، إن لم يقبلها بنو تميم ٠ قالوا : قد قبلنا يارسول الله ٠ قالوا : جئنا نسألك عن هذا الامر ٠ قال : كان الله ولم يكن شيء غيره ٠ وكان عرشه على الماء ٠ وكتب في الذكر كل شيء ٠ وخلق السماوات والأرض ٠ فنادى مناد : ذهبت ناقتك يا ابن الحصين ٠ فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السراب ٠ فوالله لوددت أنى كنت تركتها)) [2] .

---

(١) التفسير الكبير ٢٩/ ١٨٤ .

(٢) أخرجه البخاري بكتاب بدء الخلق الباب الأول ح (٣١٩١) وأخرجه خ ٣١٨٠ ـ ٤٣٦٥ ـ ٤٣٨٦ ح ٧٤١٨ ، وأحمد ٤/٤٣١ .

وفي رواية كتاب التوحيد للبخاري ، قال : (ولم يكن شيء قبلــه) [١] وقــد رجح ابن تيمية رواية قبله ، على ماعداها من الروايات [٢] . وقد ذكـــر العلمـــاء معاني لهذه الروايات ، وعلقوا على هذا الحديث ، ونحن هنا نذكر شـــرح موجــز لهذا الحديث ، لاهميته ، حيث يقول ابن حجر في شرح هذا الحديث قوله : (فـــأخذ النبي ﷺ ، يحدث بدء الخلق والعرش) ، أي عن بدء الخلق وعن حال العـــرش ، وكأنـــه ضمن (يحدث) معنى يذكـــر ، وكأنهـــم سألوا عن أحوال هـــذا العـــالم وهو الظهر) [٣] . ثم قال قوله : (عن هذا الأمر) أي الحاضر الموجود ، والأمــر يطلق ويراد به المأمور، ويراد به الشأن والحكم، والحث على الفعل غير ذلك [٤].

ويعلق ابن تيمية على ذلك ، فيقول قولهم (هذا الأمر) إشارة إلى الحـــاضر الموجود ، والأمر يراد به المصدر ويراد به المفعول به ، وهو المأمور الذي كونه الله بأمره ، وهـــذا مرادهم فإن الذي هو قوله للشيء كن فيكون ، ليـــس مشـــهودا مشارا إليه ، بل المشهود المشار إليه هو المأمور به ، قال تعالى : ﴿ وكان أمـــر الله قدرا مقدورا ﴾ [٥] وقال تعالى : ﴿ أتى أمر الله ﴾ [٦] ونظائره متعددة ٠ ولـــو سألوه عن أول الخلق مطلقا ، لم يشيروا إليه بهذا ، فـــإن ذاك لـــم يشـــهدوه فـــلا يشيرون إليه بهذا ، بل لم يعلموه أيضا فإن ذلك لايعلم إلا بخبر الانبياء ، والرسول ﷺ لم يخبرهم بذلك ، ولو كان قد أخبرهم به لما سألوه عنه ، فعلم أن سؤالهم كان عن أول هذا العالم المشهود) [٧] ٠

---

(١) صحيح البخاري – كتاب التوحيد ح رقم ٧٤١٨ ٠

(٢) انظر مجموعة الرسائل والمسائل ٢ / ٣٥٣ ٠

(٣) فتح الباري ٦ / ٣٣٣

(٤) نفس المرجع والصفحة ٠

(٥) سورة الأحزاب (٣٨) ٠

(٦) سورة النمل (١) ٠

(٧) مجموعة الرسائل والمسائل ٢ / ١٥٢ ـ ١٥٣ ٠

ويرى الإمام العيني رأي ابن حجر ، حيث يقول في تعليقه على الحديث (نسألك عن هذا الأمر ، أي الحاضر الموجود ، والحال كأنهم سألوه عن أحوال هذا العالم) [1] . ولم يفصل هذه المسألة بل توقف عند هذا الحد ، فعلم من هذه الأقوال للعلماء أنهم سألوه عن أحوال هذه العالم ، وهو هذا العالم المشهود وبدايته وكيف بدأ الخلق ، فأخبرهم الرسول ﷺ عن ذلك . وأما قوله ﷺ (ولم يكن شيء غيره) فقد قال ابن تيمية معلقا على ذلك : (والناس في هذا الحديث على قولين : منهم من قال : إن مقصود الحديث إخباره ، بأن الله كان موجودا وحده ، ثم انه ابتدأ إحداث جميع الحوادث وإخباره بأن الحوادث لها ابتداء بجنسها وأعيانها مسبوقة بالعدم ، وإن جنس الزمان حادث لا في زمان ، وجنس الحركات والمتحركات حادث ، وإن الله صار فاعلا بعد أن لم يكن يفعل شيئا من الأزل إلى حين ابتدأ الفعل ، ولا كان الفعل ممكنا [2] .

وقد ذكر ابن حجر معنى قريبا لما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية ، حيث قال: (كان الله ولم يكن شيء غيره) في الرواية الآتية في التوحيد (ولم يكن شي قبله) ، وفي رواية غير البخاري (ولم يكن شيء معه) ، والقصة متحدة فاقتضى ذلك أن الرواية وقعت بالمعنى ، ولعل راويها أخذها من قوله ﷺ في دعائه في صلاة الليل - كما تقدم من حديث ابن عباس - (أنت الأول فليس قبلك شيء). ولكن رواية الباب أصرح في العدم ، وفيه دلالة على أنه لم يكن شيء غيره لا الماء ولا العرش ولاغيرهما ، لأن كل ذلك غير الله تعالى).[3] .

وقال ابن حجر في تعليقة على (وكان عرشه على الماء) قال الطيبي (هو فصل مستقل لأن القديم من لم يسبقه شيء ، ولم يعارضه في الأولية) [4] .

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١٠٩/١٥ ، وانظر ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري .

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل ٣٥٠/٢ .

(٣) فتح الباري ٣٣٤/٦ ، وانظر كذلك عمدة القاري ١٠٩/١٥ .

(٤) فتح الباري ٣٣٤/٦ .

وقال شارح الطحاوية : (والناس في هذا الحديث على قولين ، منهم من قال: إن المقصود إخباره بأن الله كان موجودا وحده ، ولم يزل كذلك دائما ، ثم ابتدأ إحداث جميع الحوادث ، فجنسها وأعيانها مسبوقة بالعدم ، وأن جنس الزمان حادث لا في زمان ، وأن الله صار فاعلا بعد أن لم يكن يفعل شيئا من الأزل إلى حين ابتداء الفعل ، ولا كان الفعل ممكنا .

والقول الثاني : المراد إخباره عن مبدأ خلق هذا العالم المشهود الذي خلقه الله في ستة أيام ، ثم استوى على العرش ، كما أخبر القرآن بذلك في غير موضع، وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : {قدر الله تعالى مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسة آلاف سنة ، وكان عرشه على الماء) [١] فاخبر ﷺ أن تقدير هذا العالم المخلوق في ستة أيام ، كان قبل خلقه بخمسين ألف سنة ، وأن عرض الرب تعالى ، كان حينئذ على الماء} [٢] .

قال القسطلاني في تعليقة على هذا الحديث ، حيث ذكر معنى زائدا على ماجاء به ابن حجر والعيني ، حيث قال ((كان الله) أي في الأزل منفردا متوحدا « ولم يكن شيء غيره » وهذا مذهب الأخفش ، فانه جوز دخول الواو في خبر كان وأخواتها ، نحو كان زيد وأبوه قائم على جعل الجملة خبرا مع الواو ، أو لم يكن شيء غيره حال أي كان الله حال كونه لم يكن شيء غيره ٠ وأما ما وقع في بعض الكتب في هذا الحديث ، كان الله ولاشيء معه وهو الآن على ما عليه كان، فقال ابن تيمية هذه زيادة ليست في شيء من كتب الحديث) [٣] .

---

(١) اخرجه مسلم في صحيحه (٢٦٥٣) بلفظ (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال : وعرشه على الماء) وأخرجه البيهقي في (الاسماء والصفات) ص ٣٧٤ بلفظ : (قدر الله المقادير) ، وأخرجه أيضا بلفظ : (فرغ الله عزوجل من المقادير وأمور الدنيا قبل أن يخلق السموات والأرض ــ وعرشه على الماء ــ بخمسين ألف سنة) ورواه دون قوله : وعرشه على الماء) ورواه الإمام أحمد في المسند ١٦٩/٢ ، والترمذي ح (٢١٥٦) .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ١١٢ .

(٣) انظر ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٢٤٩/٥ .

ويتضح من هذا الكلام انفراد الله في الأزل بالكون والوحدانيــــة والوجــود وهذا من أكبر الأدلة على بطلان قدم العالم الذي يدعيه الفلاسفة ، والــذي ســوف نتكلم عليه بعد هذا المطلب إن شاء الله تعالى ٠ ولأبن تيمية تعليق جميل في هــذا الموضع ، يقول : (يقول الشيخ محمد أنور الكشميري في هذا المعنى قوله : كــان الله، ولم يكن شيء غيره) ومن لفظه : ولم يكن شيء قبله ، ولا أذكر فيه لفــظ : معه، والأولى اللفظ الأول ، فإنه يدل على أن سائر العالم بنقيره وقطميره حـادث ، بخلاف قوله : ولم يكن شيء قبله ، فإنه وإن كان صحيحا في نفسه ، لكنه لاتستفاد منه المسألة المذكورة ، ثم إن هذه عقيدة الأديان السماوية كلها ، ومامن دين حــق إلا ويعتقد بحدوث الأكوان ، إلا الله) [1] .

وبعد هذا العرض على هذا الحديث في البخاري ، والذي هو عمــدة هــذا الباب تقريبا ، نحب أن نذكر أن بعض العلماء من أهل الســـنة والجماعــة ، قــد أخبروا عن الله بهذا اللفظ من باب الأخبار عنه ، ووصفه بذلك لا من باب أنه اسم من أسماء الله عزوجل ، فقد ذكر البيهقي الله عز وجل بهذا الاسم حين أراد ذكــر معنى لفظ الله قال : (قال الحلمي في معنى الله «إنه الإله وهــذا أكــبر الأســماء، وأجمعها للمعاني» والأشبه أنه كأسماء الأعلام موضع غير مشتق ، ومعناه القديــم التام القدرة فإنه إذا كان سابقا لعامة الموجودات كان وجودها به ، وإن كــان تــام القدرة أوجد المعدوم) [2] .

فنرى هنا تساهلهم في اطلاق هذا اللفظ على الله عزوجل ، ومرادهم رحمــــهم الله الأولية غيــر أن الإمام السفاريني عد هذا اللفظ من أسماء الله تعالى ، قال في ذلك (فكــان أولى (القديم) نعــت لله تعالى وهو اسم من أسمائه ، وتقدم في الرحمن

---

(١) فيض الباري على صحيح البخاري ٤/١ .

(٢) كتاب الأسماء والصفات للبيهقي ص ٣٤ ، وانظر كتاب الاعتقاد ص ٦٣ .

أنه ونحوه من أسماء الله تعالى ، وأنه جرى مجرى الاعلام ، فهو وصف يراد به الثناء ، فأسماؤه تعالى أسماء ونعوت ، والقديم هو الذي لم يسبق وجوده عدم ، فإنه سبحانه وتعالى متصف بالقدم ، وهي صفة سلبية في اصطلاحهم ، والصفات السلبية مدلولها عدم أمر لايليق به تعالى ، فتقدمه تعالى ذاتي واجب له تعالى غير مسبوق بعدم ، إذ هو تعالى لا ابتداء لوجوده ۰ واعلم أن القدم اما ذاتي كقدم الواجب ، وإما زماني كقدم زمان الهجرة بالنسبة لليوم ، ومنه ﴿ حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ [1] ۰ ومنه القدم الإضافي كقدم الاب بالنسبة للابن ، والقديم أخص من الأزلي ، لأن القديم موجود لا ابتداء لوجوده ، والأزلي ما لا ابتداء له وجوديا كان ، أو عدميا فكل قديم أزلي ولا عكس وفرق آخر أيضا ، وهو أن القديم يستحيل أن يلحقه تغير، أو زوال بخلاف الأزلي الذي ليس بقديم [2] ۰

وقد مر بنا من خلال عرضنا لهذه المسألة ، إطلاق هذا الاسم على الله من أهل الكلام ، وتساهلهم في ذلك مما يغنى هنا عن إعادته ۰ غير أني انبه أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، قد يذكر الله بهذا الوصف كثيرا بقوله (وأن القديم الأزلي هو الله تعالى بما هو متصف به من صفات الكمال [3] ، وهو من باب الأخبار عنه ومجاراة لأهل الكلام في ذلك للرد عليهم ومجادلتهم والنزول إلى الفاظهم [4] ، وتبعه على ذلك كثير من طلابه ومن جاء بعدهم ۰

---

(١) سورة يس ، الآية ٣٩ .

(٢) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية بشرح الدرة المضيئة في عقيدة الفرقة المرضية ص ١ ـ ٣٨ .

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل ٣٧٥/١ .

(٤) انظر الفتاوي ٣٩/١ ـ ١٢١/١٢ ـ ٤٤٥/١٦ ـ وانظر كذلك مجموعة الرسائل والمسائل ٣٧٤/١ و٣٧٥/٢ وموافقة صحيح المعقول لصريح المعقول ٥٤/٢ ومنهاج السنة النبوية ١٦٥/١ ـ ١٧٢ والفرقان بين الحق والباطل ١٧٢ ، وغيرها من كتبه .

ومن هذا يتبين أن هذا لفظ (القديم) ليس من الأسماء الحسنى لله عز وجل إذ لم يذكر لا في القرآن ولا في السنة ، ولم يؤثر عن احد من الصحابة رضي الله عنهم وأسماء الله كما هو معلوم توقيفية ، وان كان يطلق على الله من باب الأخبار عنه بهذا الوصف ، وباب الأخبار واسع كما مر بنا ، وقد تساهل كثير من أهل العلم في هذا الإطلاق ، وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيميه وتلاميذه كما مر معنا ٠

المطلب الثاني : مسألة قدم العالم :

إن مسألة قدم العالم من المسائل التي كثر الجدال فيها ، بين المتكلمين والفلاسفة وهي مسألة تذكر عادة بجانب مسألة قدم الله عزوجل ، وقد سبق الكلام على مسألة قدم الله ونحن هنا نحب أن نذكر هذه المسألة ، اقتداء بالبخاري وذلك لأنه لما ذكر مسألة قدم الله عزوجل والأحاديث فيها ، اتبعها بمسألة الخَلق وذكر الأحاديث فيها ، وهو رد قوي على من يدعي قدم العالم ، ونحن هنا نحب أن نعرف هذه المسألة بشيء من الاختصار ، ثم نذكر قول الفلاسفة وأدلتهم الرئيسية ثم نذكر قول المتكلمين وأهل السنة وأدلتهم والرد على الفلاسفة القائلين بالقدم وتفسير أدلتهم.

وبما أنه سبق الكلام على معنى القدم ، نحب هنا أن نذكر معنى الحدوث ومعنى العالم عند الفلاسفة والمتكلمين ، ثم نتحدث عن هذه المسألة .

يقول ابن سينا والذي يعتبر من فلاسفة المسلمين ، في تعريف الحدوث : (المحدث يكون على وجهين : أحدهما هو الذي لذاته مبدأ هي به موجودة والآخر هو الذي لزمانه ابتداء ، وقد كانت وقت لم يكن ، وكانت قبلية هو فيها معدوم وقد بطلت تلك القبلية) [١] .

وعرفه الرازي بقوله : (أعلم ان العبارات وان كثرت في تفسير المحدث ألا أن حاصلها يرجع إلى نوعين ، **أحدهما** : أن المحدث هو الذي يكون مسبوقاً بالعدم ، **والثاني** : أن المحدث هو الذي يكون مسبوقاً بالغير) [٢] .

غير أن الرازي في كتاب آخر له يعرفه بأنه ضد القديم ، فيقول : (أما المحدث فهو ما لوجوده أول وهو ما عدا القديم) [٣] . وهذا يشمل تقريباً جميع أنواع القديم .

---

(١) كتاب النجاة لابن سينا ص ٣٥٥ .

(٢) كتاب الأربعين في أصول الدين للرازي ص ٢٣ .

(٣) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص ١١٧ .

وكأنه هنا يميل إلى تعريف الفلاسفة القائلين بقدم العالم غير أن الباقلاني يميل إلى تعريف هو الذي يميل إليه أهل السنة ، وهو الأقرب إلى نصوص القرآن والحديث حيث قال : (المحدث هو الموجود من عدم ، يدل على ذلك قولهم حدث فلان حادث من مرض أو صداع إذا وجد به بعد أن لم يكن ، وحدث به حدث الموت وأحدث فلان في هذه العرصة بناء أي فعل ما لم يكن قبل) [1] ، ثم شرع في تقسيم المحدث ، فقال : (والمحدثات كلها تنقسم إلى ثلاثة أقسام : فقسم مؤلف وجوهر منفرد وعرض موجود بالأجسام والجواهر) [2] .

ويعرفه الجرجاني بقوله : (الحادث ما يكون مسبوقاً بالعدم ، ويسمى حدوثاً زمانياً وقد يعبر عن الحدوث بالحاجة إلى الغير ، ويسمى حدوثاً ذاتياً) [3] ، وكذلك عرفه الرازي بهذا التفصيل في كتابه المباحث المشرقية [4] ، ونقل محقق الكتاب محمد المعتصم بالله نصاً مفصلاً جامعاً لهذه التعاريف ، عن أمام الحرمين الجويني يقول فيه : (وأما الحادث فقد اختلفت عبارات الأئمة في ذكر حقيقته ، فصار صائرون إلى أنه الذي كان بعد أن لم يكن ، وذهب آخرون إلى أن الحادث ما لم يكن ثم كان ، وقال آخرون هو الموجود الذي له أول ، وقال آخرون هو المفتتح وجوده .

والذي ارتضاه شيخنا ــ يعني شيخه الاشعري ــ من هذه العبارات التي قدمناها أن قال الحادث هو المتأخر ، وربما انبسط القول هو المتأخر بوجوده عن الأزلي) [5] . فنرى هنا أنه قد ذكر جميع التعاريف ، ثم أختار التعريف الذي يعرفه به الفلاسفة .

---

(١) كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للبقلاني ص ٣٧ .
(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة.
(٣) التعريفات ص ١١٠ ، ١١٣
(٤) المباحث المشرقية للرازي ص ٢٢٧ ــ ٢٢٨ .
(٥) انظر هامش المباحث المشرقية ص ٢٢٧ .

وهذا الاختلاف في هذه التعريفات قد أشار إليه عضد الدين الايجي ، وبين سبب هذا الخلاف ، حيث قال : (الحدوث لا يعقل ألا بسبق أمر عليه ، فهو إما عدمه أو أمر آخر وانما اختلف تفسيره نظراً إليه) [1] .

ثم أختار في تعريفه له قوله (أنه المسبوق بالعدم أي يكون عدمه قبل وجوده فيكون له أول هو معدوم قبله ، وقيل هو المسبوق بالغير فيكون أعم) [2] .

ويعرفه البغدادي (بالخلق والصنع) وهو موافق لرأي أهل السنة والنصوص القرآنية والحديثية .

أما تعريف العالم فقال البغدادي : (فقد اجمع الفلاسفة والمتكلمون على أن العالم كل شيء هو غير الله عزوجل ، وعلى أن كل ما هو غير الله تعالى وصفاته الأزلية ، مخلوق مصنوع) [3] .

وعرف **العالم** في التعريفات للجرجاني ، وكذلك شارح كتاب التمهيد لقواعد التوحيد للإمام النسفي ، حيث قال :(هو كل ما سوى الله من الموجودات) [4] [5] .

ولا حاجة للإطالة بعد ذكر للإجماع الذي نقله البغدادي في ذلك .

ونختم هنا بالتعريف الذي ذكره صاحب معجم ألفاظ العقيدة الذي ذكر رأي أهل الإسلام في حدوث العالم وجعله هو التعريف له ، حيث قال : (العالم عند معظم مفكري الإسلام محدث لا قديم ، وخاصة متكلميهم محدث لا قديم ، وذلك لانه إذا كان قديماً فقد انتفت القدرة الإلهية في خلقه وإيجاده ...) [6] .

---

(١) المواقف في علم الكلام (للباقلاني) ص ٧٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٧٦ ، وأنظر كذلك كتاب التمهيد لقواعد التوحيد ص ١٢٧ .

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٥٢ .

(٤) التعريفات ص ١٨٨ .

(٥) وكتاب التمهيد لقواعد التوحيد ص ١٢٣ ، وأنظر كذلك كتاب موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين للشيخ مصطفى صبري /٣١٦ ، ٣١٨ .

(٦) معجم ألفاظ العقيدة ص ١٣٧ .

وبعد أن وضح لنا المراد بحدوث العالم ، وقدمه نتحدث عن مسألة قدم العالم وأهم القائلين بها ثم من عارضهم والأدلة في ذلك ، ثم بعد ذلك نذكر هدف البخاري في ذكر أدلة الخلق وكلام العلماء عليها ، ونختم بها حتى تكون خير دليل وأقواه على حدوث العالم عند كل من يؤمن بالكتاب والسنة .

أقوال الناس في مسألة قدم العالم وحدوثه :

أود هنا استعراض بعض أقوال الفلاسفة والمتكلمين في هذه المسألة ، وهي مسألة قدم العالم وحدوثه ، ثم نذكر بعدها أدلة كل قول والردود عليها ، ثم ترجح إحداهما .

القول الأول : وهو قول الفلاسفة القدماء من اليونان [(١)] ، ومن تبعهم من فلاسفة المسلمين ومن أبرزهم ابن سينا [(٢)] ، والحفيد ابن رشد [(٣)] ، والرازي [(٤)] ، ولكل واحد مذهب في هذا القدم منهم من جعله فيض وحدود ومنهم من جعل هذا العالم أو الكواكب قديمة وأن مع الله تصرف في هذا العالم وتتدخل فيه ، وقد أطالوا في هذا الكلام وفصلوا فيه الأقوال والأدلة .

يقول الشهرستاني ، في عرضه هذا المذهب ذلك :(ومذهب ارسطاطاليس ومن شايعه مثل برقلس والاسكندر الافروديسي ونامسطيوس ، ومن نصر مذهبه من المتأخرين مثل أبي نصر الفارابي وابن علي الحسين بن عبدالله بن سينا وغيرهما من فلاسفة الإسلام ، أن للعالم صانعا مبدعا وهو واجب الوجود بذاته، والعالم ممكن الوجود بذاته واجب الوجود بالواجب بذاته غيرّ محدث حدوثا يسبقه عدم ، بل معنى حدوثه وجوبه به وصدوره عنه واحتياجه إليه ، فهو دائم الوجود لم يزل ولا يزال فالباري تعالى أوجب بذاته عقلا ، وهو جوهر مجرد قائم بذاته

---

(١) الملل والنحل ص ٤٨٢ ومجموعة الرسائل والمسائل ص ٥٦٠.
(٢) انظر كتابه النجاه ص ٣٥٦ وكتاب الاشارات والتنبيهات لابن سينا ٧١/٣ ــ ٧٥ .
(٣) انظر كتاب تهافت التهافت ١٣٤/١ ــ ١٣٦ .
(٤) انظر كتاب المباحث المشرقية ٢٢٨/١ ، ٦٠٥ وما بعدها ، وانظر مجموعة الرسائل والمسائل ٣٥٩/٢.

مجرد عن المــادة وبتوسط ذلك أوجب عقلاً آخـــر ، ونفســاً وجرمــاً سـماوياً وبتوسطهما وجدت العناصر والمركبات ، وليس يجوز أن يصدر عن الواحـــد إلا واحد ، ومعنى الصدور عنه وجوبه به ولا يتصور موجب ، بغير موجب فالعـــالم سرمدي وحركات الأفلاك سرمدية لا أول لها تنتهي إليه) [١] .

القول الثاني : وهو قول أهل الإسلام الذين يؤكدون على حدوث العـــالم ، أو أنـــه حادث بعد أن لم يكن يقول الشهرستاني في ذلك ، (مذهب أهل الحق من أهل الملل كلها أن العـــالم محدث ومخلوق أحدثه الباري تعالى ، وأبدعه وكان الله تعالى ولـم يكن معـــه شيء واوافقهم على ذلك جماعـــة مـــن اساطين الحكمـــــة ، وقدمـــاء الفلاسفة) [٢] .

واترك المجال للدكتور عرفان عبدالحميد ، ليذكر ويعرض وبشـــــيء مـــن الإيجاز معظم اقوالهم ، حيث يقول :

الاتجاه الأول (القائلون بالاتجاه المادي الصرف الذي يرى إتباعه أو أشـــياعه ، أن العالم المادي أزلي أبدي بجواهره وأعراضه ، تسيره قوانين ذاتية آلية ، ويضيـــف هؤلاء إلى هذا الاعتقاد بأن العالم غير مخلوق لله ، بل لا وجود للخالق أصـــــلاً ، فلا شيء يكون من العدم ، كما أفصح لوقريطس صاحب الفكـــر المــــادي فـــي التاريخ بذلـــك فـــي كتابـــه المشهور " طبيعة الأشياء " .

ويطلق الإسلاميون على أنصار هذه الفكرة اسم "الدهريـــة" و "الزنادقـــة" ، يقول الغزالي عن مذهبهم : "الصنف الأول من أصناف الفلاسفة الدهريين ، وهـــم طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر العالم القادر ، وزعموا أن العالم لم يـــزل موجوداً ، كذلك بنفسه ، وبلا صانع ، ولم يزل الحيوان من النطفة والنطقـــة مـــن الحيوان وكذلك يكون أبداً ، وهؤلاء هم "الزنادقة") [٣] .

---

(١) نهاية الاقدام في عالم الكلام للشهرستاني ص ٥ .

(٢) نهاية الاقدام في علم الكلام ص ٥ .

(٣) الفلسفة الإسلامية دراسة ونقد ص ٧٧ ــ ٧٨ .

ثم ذكر الاتجاه **الثاني** ، **وهم القائلون بالقدم الزماني والحدوث الذاتي** ، حيث قال (الاتجاه الثاني الذي يرى أنصاره ، أن العالم **قديم بالزمان دون الذات** ، وأن المادة الأولى التي نشأ منها الكون ، لم تكن من شيء ولا تقدمه زمان ، وإنما وجدت هكذا من تلقاء نفسها ، وهم مع ذلك لا يرون في القول بقدم مادة العالم إنكاراً للخلق ولا تعريضاً لوجود الله للجحود والإنكار ، بل يرون فيما يتصل بالعدم أنه يكفي أن يتصور عقلاً أن العالم ما كان يمكن أن يوجد من نفسه ، لو لم يوجده الله ، فهذا الوجود من غيره معناه عدمه ، وأشياع هذا الاتجاه يعرفون عادة بـ "القائلون بالقدم الزماني" أو "الخلق المتصل" ، أو "الحدوث الذاتي" ، ينسبه الغزالي إلى جمهور الفلاسفة) [1] .

ثم ذكر الاتجاه **الثالث** وقولهم بالحدوث **الذاتي والزماني** قال : (ويمثله علماء الكلام في الأديان السماوية الثلاث الكبرى الذي يرون ويعتقدون : أن الله تعالى خلق العالم من العدم ، فالصلة بين الباري تعالى والعالم ، صلة بين السبب والنتيجة ، فالله سابق للكون وهو خالقه ، وهو الذي أوجده بعد أن لم يكن شيئاً مذكورا ، وهذا مذهب أهل الإبداع والاختراع القائلين بالإيجاد المنفصل وبالخلق من العدم) ، ويؤيد هذا القول الحديث الذي رواه البخاري في كتاب بدء الخلق ونصه ما يلي :

عن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ((إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات والأرض ، السنة إثنا عشر شهراً ، فها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات ــ ذوالقعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب ــ مضر الذي بين جمادى وشعبان)) [2] ، قال ابن رجب وهذا دال على أن الزمان وغيره حادث) [3] .

---

(٢) المرجع السابق ص ٧٨ .
(٢) اخرجه البخاري ح (٣١٩٧) (٤٩٧٤) (٤٩٧٥) .
(٣) فتح الباري ٦/٣٤٠ .

الاتجاه **الرابع** وهم القائلون بأن **العدم شيء ثابت** ، وهو رأي (جمهور المعتزلة الذين قالوا "إن الله خلق الكون ، خلقه من العدم ، لكنهم عجزوا في الحقيقة عن التحرر تماماً من فكرة فلاسفة الإغريق وخاصة أرسطو ، فظنوا أن العدم الذي خلق منه العالم ذات حقيقة ، وأنه يحتوي على ما يسمونه : جواهر الأشياء وأعراضها ، قبل أن توجد بالفعل) .

ثم قال في الاتجاه الخامس والأخير ، (ويرى أتباعه أن **الخلق والإبداع عبارة عن اختراع الصور ، وإبداعها "دون المواد"** وإثباتها في الهيولى من قبل واهب الصور ، أو العقل الفعال ، فالموجودات الجزئية في نظر هؤلاء تصدر عن الأول "الله" ضرورة ، وذلك بتوسط سلسلة من المبادئ المفارقة للمادة ، تعرف بالعقول المفارقة) (١) .

وهي فكرة القيض والصدور وهؤلاء القائلون ، بالقيض والصدور مثل ابن سينا والفارابي قد رد عليهم الغزالي هذه الفكرة وأبان تهافتهم فيها وبطلانها) (٢).

هذه هي الأقوال في مسألة قدم العالم وحدوثه ، والتي كثر فيها الجدل بين الدين والفلسفة وأردت ذكرها هنا لاهميتها القصوى ، وحتى تفهم هذه المسألة حق الفهم .

أدلة القائلين بقدم العالم :

للقائلين بقدم العالم أدلة كثيرة ، نكتفي بثلاثة منها هي أهمها ، عندهم وهي أدلة عقلية قدمها هؤلاء الفلاسفة ، لاثبات هذا القدم للعالم وهي كما يلي :

الأول منها ورد في كتاب تهافت الفلاسفة ونصه : (قولهم يستحيل صدور حادث من قديم مطلقاً ، لأنا إذا فرضنا القديم ولم يصدر منه العالم مثلا ، فإنما لم يصدر لأنه لم يكن للوجود مرجح ، بل كان وجود العالم ممكناً إمكاناً صرفاً ، فإذا حدث بعد ذلك لم يخل ، إما أن يتجدد مرجح ، أو لم يتجدد ، فإن لم يتجدد مرجح،

---

(١) المرجع السابق ص ٧٩ .
(٢) تهافت الفلاسفة ص ٧٩ .

بقى العالم على الإمكان الصرف ، كما كان قبل ذلك ، وإن تجدد مرجح فمن محدث ذلك المرجح ؟ ، ولم حدث الآن ولم يحدث من قبل ؟ والسؤال في حدوث المرجح قائم .

وبالجملة فأحوال القديم إذا كانت متشابهة ، فإما أن لا يوجد عنه شيء قط ، وإما أن يوجد على الدوام ، فأما أن يتميز حال الترك عن حال الشروع فهو محال) (١) .

أما **الدليل الثاني** لهم فحقيقته انه رد على من قال بحدوث العالم يقول الغزالي في عرضه (زعموا بأن القائل : بأن العالم متأخر عن الله ، والله متقدم عليه ، ليس يخلو إما أن يريد به أنه متقدم بالذات لا بالزمان ، كتقدم الواحد على الأثنين ، فإنه بالطبع مع أنه يجوز أن يكون معه في الوجود الزماني ، وكتقدم العلة على المعلول ، مثل تقدم حركة الشخص ، على حركة الظل التابع له ، وكحركة اليد مع حركة الخاتم ، وحركة اليد في الماء مع حركة الماء فإنها متساوية في الزمان ، وبعضها علة وبعضها معلول ، إذ يقال : تحرك الظل لحركة الشخص ، وتحرك الماء لحركة اليد في الماء ، ولا يقال تحرك الشخص لحركة الظل ، وتحركت اليد لحركة الماء ، وإن كانت متساوية .

فإن أريد بتقدم البارئ على العالم هذا ، لزم أن يكونا حادثين أو قديمين ، واستحال أن يكون أحدهما قديماً والآخر حادثاً ، وإن أريد به أن البارئ متقدم على العالم والزمان لا بالذات بل بالزمان ، فإذن قبل وجود العالم والزمان زمان كان العالم فيه معدوماً ، إذ كان العدم سابقاً على الوجود ، وكان الله سابقاً بمدة مديدة لها طرف من جهة الآخر ، ولا طرف لها من جهة الأول ، فإذن قبل الزمان زمان لا نهاية له وهو متناقض ، ولأجله يستحيل القول بحدوث الزمان ، وإذا وجب قدم الزمان ، وهو عبارة عن قدر الحركة ، وجب قدم الحركة ، ووجب قدم المتحرك الذي يدوم الزمان بدوام حركته) (٢) .

---

(١) المرجع السابق ص ٩٠ .
(٢) المرجع السابق ص ٩٠ .

وأما **الدليل الثالث** فهو : (قالوا : وجود العالم ممكن قبل وجوده ، إذ يستحيل أن يكون ممتنعا ثم يصير ممكنا ، وهذا الإمكان لا أول له ، أي لم يزل ثابتا ، ولم يزل العالم ممكنا وجوده ، إذ لا حال من الأحوال يمكن أن يوصف العالم فيه بأنه ممتنع الوجود ، فإذا كان الإمكان لم يزل ، فالممكن على وفق الإمكان أيضا لم يزل ، فإن معنى قولنا إنه ممكن وجوده ، أنه ليس محالا وجوده ، فإذا كان ممكنا وجوده أبدا ، لم يكن محالا وجوده أبدا ، وإلا فإن كان محالا وجوده أبدا ، بطل قولنا إنه ممكن وجوده أبدا ، وإن بطل قولنا إنه ممكن وجوده أبدا ، بطل قولنا إن الإمكان لم يزل ، وإن بطل قولنا إن الإمكان لم يزل ، صح قولنا إن الإمكان له أول ، فإذا صح أن له أولا ، كان قبل ذلك غير ممكن ، فيؤدي إلى إثبات حال لم يكن العالم ممكنا ، ولا كان الله عليه قادرا) (١) .

وأيا ما كان امر تلك الأدلة ، فأن ابن تيمية يرى أن الفلاسفة ليس لهم أدلة قوية في هذه المسألة ، وذلك أنه عندما ساق اكثر أدلتهم وبين تهافتها ورد العلماء عليها مثل الغزالي قال : (وحقيقة الأمر أن هؤلاء الفلاسفة ، بنوا عمدتهم في قدم العالم على مقدمتين هما :

احدهما : أن الترجيح لابد له من مرجح تام يجب به .

والثاني : انه لو حدث الترجيح للزم التسلسل ، وهو باطل وهم متناقضون قائلون بنقيض هاتين المقدمتين) (٢) .

---

(١) تهافت التهافت ص ١١٨ . .

(٢) موافقة صح المنقول لصريح المعقول ١/٢٧٥ ــ ٢٧٦ .

ثم ذكر في كتاب مجموعة الرسائل والمسائل قولاً مـــهماً ، يبيـــن أصـــل الضلال الذي وقع فيه فلاسفة المسلمين في قولهم بقدم العالم ، وهو عـــدم فهمـــهم بحقيقة دين الرسول ، يقول ابن تيمية : (فمن ظن أنه ليس للناس إلا هذان القـــولان ــ ويقصد القول بالقدم وقول الجهمية وبعض المتكلمين الذين يقولون بتعطيـــل الله عن صفات الكمال والمشيئة والإرادة والقدرة ــ وكان مؤمناً بأن الرسل لا يقولـــون الا حقاً يظن أن هذا قول الرسل ومن أتبعهم ، ثم إذا طولب بنقل هذا القـــول عـــن الرسل لم يمكنه ذلك ، ولم يمكن لأحد أن يأتي بآية ولا حديث يدل على ذلـــك ، لا نصاً ولا ظاهراً ، بـــل ولا يمكنه أن ينقل ذلك عن أحد من أصحـــــاب النبـــي ﷺ والتابعيـــن لهم بإحسان .

وقد جعلوا ذلك معنى حدوث العالم ، الذي هو أول مسائل أصـــــول الديـــن عندهم ، فيبقى أصل الدين الذي هو دين الرسل عندهم ليس عندهم ما يعلمون بـــه أن الرسول قاله ، ولا في العقل ما يدل عليه ، بل العقل والسمع يدل على خلافـه ، ومن كان أصل دينه الذي هو عنده دين الله ورسوله لا يعلم أن الرسول جـــاء بـــه كان من أضل الناس في دينه) (١) .

وقال في موضع آخر: (أنهم لما اعتقدوا أن هذا هو دين الإسلام ، أخـــــذوا يحتجون عليه بالحجج العقلية المعروفة لهم ، وعمدتهم التي هي أعظـــم الحجـــج ، مبناها على امتناع حوادث لا أول لها ، وبهـــا أثبتـــوا حدوث كـــــل موصـــوف بصفة وســـموا ذلـــك إثباتـــاً لحدوث الأجســـام ، فلزمهم على ذلك نفي صفـــــات الرب عزوجل) (٢) .

كما بين رحمه ما جره قول من لم يعرف هدي الرسول وشـــرعه وحكمـــه الإسلام مصائب من ضمنها مصيبة القول بقدم العالم ، ومناصرتها من قبل فلاسفة الاسلام يقول رحمه الله تعالى :

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ٢/٣٥٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٥٨ ــ ٣٥٩ .

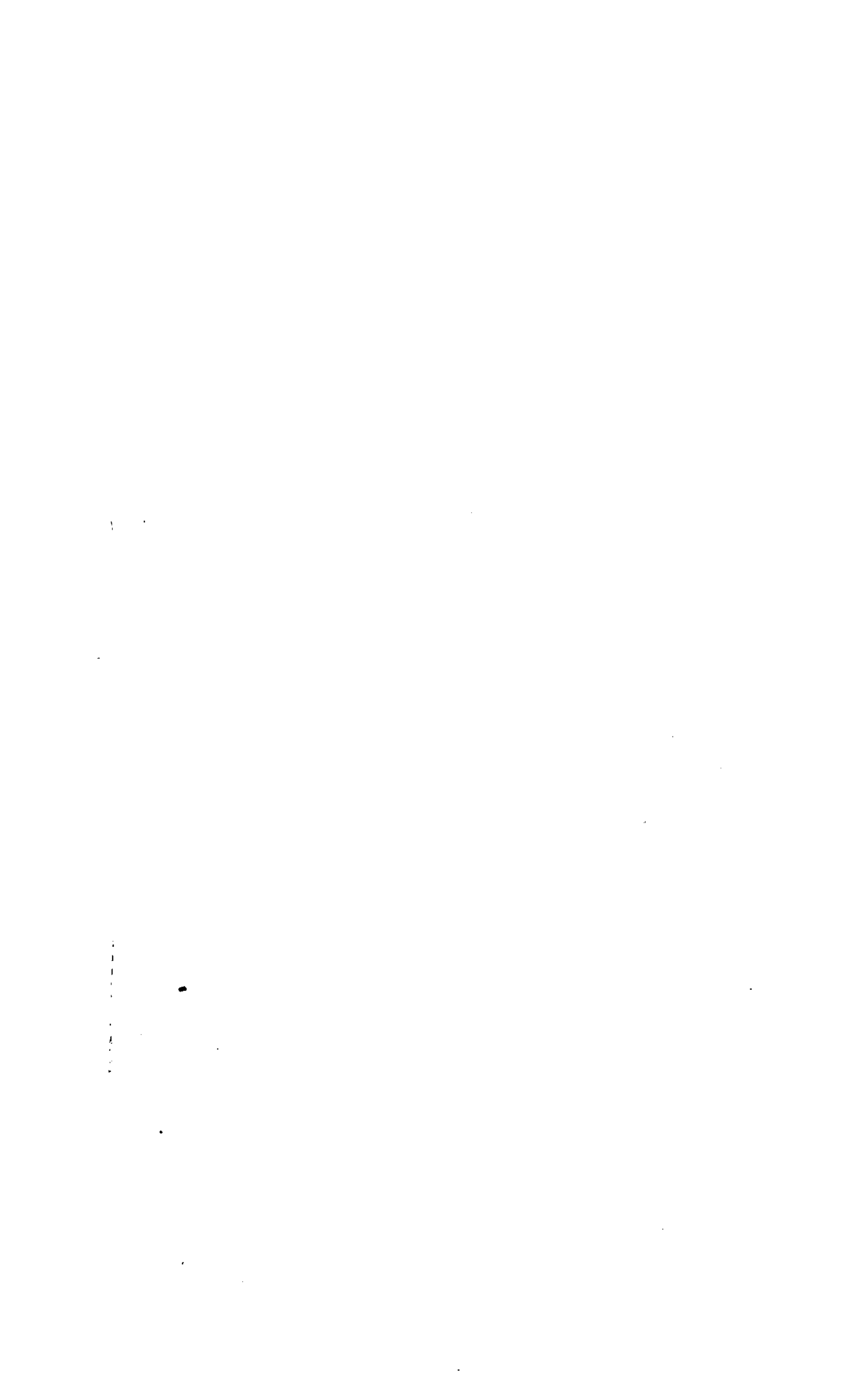
(وكان ذلك مما سلط الدهرية القائلين بقدم العالم ، لما علموا حقيقة قولهم وأدلتهم نسوا فساده ، ثم لما ظنوا أن هذا قول الرسولﷺ واعتقدوا أنه باطل ، قالوا أن الرسول لم يبين الحقائق سواء علمها أو لم يعلمها ، وإنما خاطب الجمهور بما يخيل لهم ما ينتفعون به ، فصار أولئك المتكلمون النفاة مخطئين في السمعيات والعقليات ، وصار خطؤهم من أكبر أسباب تسلط الفلاسفة ، لما ظن أولئك الفلاسفة الدهرية انه ليس في هذا المطلوب إلا قولان : قول أولئك المتكلمين وقولهم ، وقد رأوا أن قول أولئك باطل فجعلوا ذلك حجة في تصحيح قولهم ، مع أنه ليس للفلاسفة الدهرية على قولهم بقدم الأفلاك حجة عقلية أصلاً ، وكان من أعظم أسباب هذا أنهم لم يحققوا معرفة ما بعث الله به رسولهﷺ) [(١)].

ثم بين عقب ذلك أن هذه المسألة ناتجة عن ظهور الجهمية ، وانتشار قولهم وهو تعطيل الله عن صفاته فاشتبه هذا القول على فلاسفة الإسلام ، حيث فهموا أن التوحيد هو تعطيل الصفات ، ووصف الله بصفات هي في حقيقتها تعطيل لله وتكذيب للقرآن وتحريف للنصوص يقول :

(فانهم لم يعرفوا إلا قولين قول الدهرية القائلين بالقدم ، وقول الجهمية القائلين بأنه لم يزل معطلاً عن أن يفعل أو يتكلم بقدرته ومشيئته ، ورأوا لوازم كل قول تقتضي فساده وتناقضه ، فبقوا حائرين مرتابين جاهلين ، وهذه حال من لا يحصى منهم ، ومنهم من صرح بذلك عن نفسه كما صرح به الرازي وغيره) [(٢)].

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ٢/٣٥٨ ـ ٣٥٩ .
(٢) المرجع السابق ٢/٣٥٩ .



نقض أدلة الفلاسفة :

ولنبدأ بما ذكرنا من الأدلة فنفندها واحداً واحداً ، فنورد هنا نقض الغزالي لها حيث يقول في الرد على الدليل الأول : (تحقيقه أن يقال : لمَ لم يحدث العالم قبل حدوثه ؟ ، لا يمكن أن يحال على عجزه عن الأحداث ، ولا على استحالة الحدوث ، فإن ذلك يؤدي إلى أن ينقلب القديم من العجز إلى القدرة ، والعالم من الاستحالة إلى الإمكان وكلاهما محالان ، ولا يمكن أن يقال : لم يكن قبله غرض ثم تجدد غرض ، ولا يمكن أن يحال على فقد آلة ثم على وجودها ، بل أقرب ما يتخيل أن يقال: لم يرد وجوده قبل ذلك ، فيلزم أن يقال : حصل وجوده لأنه صار مريداً لوجوده بعد أن لم يكن مريداً ، فتكون قد حدثت الإرادة ، وحدوثه في ذاته محال ، لأنه ليس محل الحوادث ، وحدوثه لا في ذاته لا يجعله مريداً) [1] .

ثم قال : ولنترك النظر في محل حدوثه ، أليس الإشكال قائماً في أصل حدوثه ؟! وأنه من أين حدث ؟! ولمَ حدث الآن ولم يحدث قبله ؟! أحدث الآن لا من جهة الله ؟! فإن جاز حادث من غير محدث ، فليكن العالم حادثاً لا صانع له ، وإلا فأي فرق بين حادث وحادث ؟! وإن حدث بإحداث الله ' فلم حدث الآن ولم يحدث قبل ؟! العدم آلة ، أو قدرة ، أو غرض ، أو طبيعة ، فلما أن تبدل ذلك بالوجود حدث ؟! عاد الإشكال بعينه ، أو لعدم الإرادة ؟! فتفتقر الإرادة إلى إرادة وكذا الإرادة الأولى ، ويتسلسل إلى غير نهاية .

فإذن قد تحقق بالقول المطلق أن صدور الحادث من القديم من غير تغير أمر من القديم في قدرة أو آلة وقت أو غرض ، أو طبع ، محال ، وتقدير تغير حال محال ، لأن الكلام في ذلك التغير الحادث كالكلام في غيره والكل محال ، ومهما كان العالم موجوداً واستحال حدوثه ، ثبت قدمه لا محالة) [2] .

---

(١) انظر تهافت الفلاسفة ص ٩٠ ، ٩١ .

(٢) المرجع السابق ص ٩١ ، ٩٢ .

ثم ذكر رحمه الله الرد على الدليل الثاني ، للفلاسفة والذي ذكرناه ضمن أدلتهم ، فقال في معارضته وأعتراضه .

(الاعتراض : هو أن يقال : الزمان حادث ومخلوق ، وليس قبله زمان أصلا ، ومعنى قولنا : إن الله متقدم على العالم والزمان ، أنه سبحانه كان ولا عالم ، ثم كان ومعه عالم ، ومفهوم قولنا : كان ولا عالم ، وجود ذات البارئ وعدم ذات العالم فقط ، ومفهوم قولنا : كان ومعه عالم ، وجود الذاتين فقط ، فنعني بالتقدم انفراده بالوجود فقط ، والعالم كشخص واحد ، ولو قلنا : كان الله ولا عيسى مثلا ، ثم كان وعيسى معه ، لم يتضمن اللفظ إلا وجود ذات ، وعدم ذات ثم وجود ذاتين ، وليس من ضرورة ذلك تقدير شيء ثالث ، وإن كان الوهم لا يسكت عن تقدير شيء ثالث وهو الزمان ، فلا التفات إلى أغاليط الأوهام) (١) .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن للفلاسفة مقدمتين في قولهم ، بقدم العالم وهي العمدة عندهم ، وقد نقضها رحمه الله تعالى ، ورد عليها فقال (عمدة الفلاسفة في قدم العالم مبني على أن الترجيح لابد له من مرجح تام يجب به وعلى أنه لو حدث الترجيح لزم التسلسل ، فرد عليهم بقوله:

أحدهما : أن يكون معه ، بحيث يكون زمان الأثر المعين زمان المؤثر ، فهذا هو الذي تقوله المتفلسفة ، وهو معلوم الفساد بصريح العقل عند جمهور العقلاء .

والثاني : أن يكون الأثر عقب تمام المؤثر ، وهذا يقر به جمهور العقلاء ، وهو يستلزم أن لا يكون في العالم شيء قديم ، بل كل ما فعله القديم الواجب بنفسه ، فهو محدث .

---

(١) المرجع السابق ص ١١٠ ــ ١١٢ .

ثم قال (إن قيل ـ إنه لم يزل فاعلا ـ وإن قيل بدوام فاعليته : فذلك لا يناقض حدوث كل ما سواه ، بل هو مستلزم لحدوث كل ما سواه ، فإن كل مفعول فهو محدث ، فكل ما سواه مفعول ، فهو محدث مسبوق بالعدم ، فإن المسبوق بغيره سبقاً زمانياً لا يكون قديما ، والأثر المتعقب لزمان تمام التأثير ، كتقدم بعض أجزاء الزمان على بعض ، وليس في أجزاء الزمان شيء (قديم) وإن كان جنسه قديماً ، بل كل جزء من الزمان مسبوق بآخر ، فليس من التأثرات تأثراً لعينه تأثير قديم ، كما ليس من أجزاء الزمان جزء قديم .

فمن تدبر هذه الحقائق ، وتبين له ما فيها من الاشتباه والالتباس : تبين له محارات أكابر النظار في هذه المهامة التي تحار فيها الأبصار . ﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾) (١) (٢) .

أما المقدمة الثانية وهي لزوم التسلسل ، فابطلها بكلام نفيس قال فيه (أما جواز التسلسل فإن أرادوا به التسلسل المتعاقب في الآثار شيئاً بعد شيء ، فهم يقولون بجواز ذلك ، وحينئذ فلا يمتنع أن يكون كل ما سوى الله محدثاً كائناً بعد أن لم يكن كالفلك وغيره ، وإن كان حدوثه موقفاً على سبب حادث قبله ، وحدوث ذلك السبب موقوف على سبب حادث قبله .

وإن أرادوا التسلسل المقترن ـ وهو أنه لو حدث حادث للزم أن يحدث تمام تأثيره ، ومع حدوث تمام تأثيره يحدث تمام تأثير المؤثر ـ فهذا باطل بصريح العقل ، وهم يوافقون على امتناعه .

---

(١) سورة النور الآية ٤٦ .

(٢) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ٢٧٥/١ .

وإن عنوا بالتسلسل أنه لو حدث مرجح ما للزم أن لا يحدث شيء حتى يحدث شيء ، فهذا متناقض ، وهو ممتنع أيضا .

فإذا قال القائل : لو حدث سبب يوجب ترجيح جنس الفعل للزم هذا التسلسل، فهو صادق، ولكن هذا يفيد أنه لا يحدث مرجح يوجب ترجيح الفعل ، بل لا يزال جنس الفعل موجودا ، فهذا يسلمه لهم أئمة المسلمين ، لكن ليس في هذا ما يقتضي صحة قولهم بقدم شيء من العالم ، بل هذا يقتضي حدوث كل ما سوى الله ، فإنه إذا كان جنس الفعل لم يزل لزم أنه لا تزال المفعولات تحدث شيئا بعد شيء ، وكل مفعول محدث مسبوق بعدم نفسه ، ولكن هؤلاء ظنوا أن المفعول يجب أن يقارن الفاعل ولا يتقدم على مفعوله بزمان ، وهذا غلط بين لمن تصوره، وهو معلوم الفساد بالعقل عند عامة العقلاء ، ولهذا لم يكن في العقلاء من قال (إن السماوات والأرض قديمة أزلية) إلا طائفة قليلة ، ولم يكن في العالم من قال (إنها مفعولة وهي قديمة إلا شرذمة من هذه الطائفة) ، وقولهم بأن المؤثر التام الأزلي يستلزم أثره ـ لهذا الاعتبار الذي يزعمون أن يكون معه ، لا يتقدم المؤثر على أثره بالزمان ـ يوجب أن لا يحدث في العالم شيء، وهو خلاف المشاهدة ، فقد قالوا بما يخالف الحس والعقل وأخبار الأنبياء وهذه هي طرق العلم) [1] .

الدليل الثالث : الذي ذكره الغزالي فقد أبطله وأعترض عليه ، بقوله (العالم لم يزل ممكن الحدوث ، فلا جرم ما من وقت إلا ويتصور إحداثه فيه ، وإذا قدر موجودا بدأ لم يكن حادثا فلم يكن الواقع على وفق الإمكان ، بل

---

(١) موافقة صحيح المنقول الصريح المعقول ٢٧٦/١ ـ ٢٧٧ .

على خلافه ، وهذا كقولهم في المكان ، وهو أن تقدير العالم أكبر مما هو ، أو خلق جسم فوق العالم ، ممكن ، وكذا آخر فوق ذلك الآخر ، وهكذا إلى غير نهاية، فلا نهاية لإمكان الزيادة ، ومع ذلك فوجود ملاء مطلق لا نهاية له ، غير ممكن ، فكذلك وجود لا ينتهي طرفه غير ممكن ، بل كما يقال : الممكن ، جسم متناهي السطح ، ولكن لا تتعين مقاديره في الكبر والصغر ، فكذلك الممكن ، الحدوث ، ومبادئ الوجود لا تتعين في التقدم والتأخر ، وأصل كونه حادثا متعين ، فإنه الممكن لا غير) [1] .

هذا ما أمكن عرضه في هذه العجالة وقد حاولت الاختصار وحرصت عليه حتى لا يطول البحث ومعذرة عن كل تقصير .

وفي نهاية هذا المبحث اذكر كلاما نفسيا ، لابن تيمية أختم به هذا المبحث واعتقد أنه هو مسك الختام في مثل هذه المباحث ، يقول رحمه الله (لكن الذي لا ريب فيه أن (هؤلاء) أصحاب التعاليم ــ كأرسطو وأتباعه ــ كانوا مشركين يعبدون المخلوقات ولا يعرفون النبوات ولا المعاد البدني ، وأن اليهود والنصارى خير منهم في الإلهيات والنبوات والمعاد ، وإذا عرف أن نفس فلسفتهم توجب عليهم أن لا يقولوا بقدم شيء من المعقولات المحضة ، توجب عليهم تصديق الرسل فيما أخبرت به ، وتبين أنهم علموا ذلك بطريق يعجزون عنها ، وأنهم أعلم بالأمور الإلهية والمعاد وما يسعد النفوس ويشقيها منهم ، وتدلهم على أن من اتبع الرسل كان سعيدا في الآخرة ، ومن كذبهم كان شقيا في الآخرة ، وأنه لو علم الرجل من الطبيعيات والرياضيات ما عسى أن يعلم ، وخرج عن دين الرسل كان شقيا ، وأن من أطاع الله ورسوله بحسب طاقته ، كان سعيدا في الآخرة وإن لم يعلم شيئا من ذلك) [2] .

ثم بين ان هذه العلوم عندهم لا تعني عندهم شيئا بل هي وبال عليهم ونقمة.

---

(١) انظر تهافت التهافت ص ١١٨ ، وفي عرض هذه الأدلة وابطالها الفلسفة الاسلامية دراسة ونقد ص٨٧-٩٣.

(٢) منهاج السنة النبوية ٣٦٤/١ ــ ٣٦٥ .

ثم قال عن الفلسفة : (وليس في ذلك إلا مجرد علوم مطلقة ، ليس فيها علم بموجود معين، لا بالله ولا بملائكته ولا بغير ذلك ، وليس فيها محبة لله ولا عبادة لله ، فليس فيها علم نافع ، ولا عمل صالح ، ولا ما ينجى النفوس من عذاب الله فضلا عن أن يوجب لها السعادة) [1] .

وختم ابن تيمية حديثه بكلام عام شامل لكل ما مضى من الأدلة فبين رحمه الله أن هذا كلام الرسل ولا يمكن تأويله لوجوه .

أحدها : أنه قد علم بالاضطرار مرادهم ، فليس في تأويل ذلك ، إلا التكذيب المحض للرسل .

والثاني : أن هذا متفق عليه بين أهل الملل ، سلفهم وخلفهم ، باطنا وظاهرا ، فيمتنع مع هذا أن تكون الرسل كانت مضمرة لخلاف ذلك ، كما يقوله من يقوله من هؤلاء الباطنية .

الثالث : أنه ليس في العقل ما ينافى ذلك ، بل كل ما ينافيه من المعقولات فهو فاسد يعلم فساده بصريح العقل .

الرابع : أن في العقليات ما يصدق ذلك ، ثم كل منهم يسلك في ذلك ما تيسر له من العقليات .

الخامس : أنه معلوم بالفطرة والضرورة ، أنه لابد من محديث للمحدثات وفاعل للمصنوعات ، وأن كون المفعول مقارنا لفاعله لم يزل ولا يزال معه ممتنع في فطر العقول ، وهذا مما يحتج به على هؤلاء ، كما قد بسط في موضعه ، فإنه إذا بين لهم فساد قول إخوانهم ، وتبين لهم أن الفاعل لابد أن يقوم به من الأحوال ما يصير به فاعلا ، امتنع مع هذا أن يكون مفعوله المعين مقارنا له أزلا وأبدا ، فإن هذا إخراج له عن أن يكون مفعولا له .

---

(١) المرجع السابق ص ٣٦٧/١ .

السادس : أن يقال لهؤلاء وأولئك جميعا : أصل ما أنتم عليه الرجوع إلى الوجود ، والفلسفة معرفة الوجود على ما هو عليه ، والفلسفة الحقيقية هي العلوم الوجودية التي بها يعرف الوجود، وأنتم لا تثبتون شيئا في الغالب إلا بقياس : إما شمولي وإما تمثيلي ، فهل علمتم فاعلا يلزمه مفعوله أو يقارنه في زمانه ، لا يحدث شيئا فشيئا ، سواء كان فاعلا بالإرادة أو بالطبع ؟

وهل علمتم فاعلا لم يزل موجبا لمفعوله ، ولم يزل مفعوله معلولا له ؟ فهذا شيء لا تعقلونه أنتم ولا غيركم ، فكيف تثبتون بالعقول ما لا يعقل أصلا معينا، فضلا عن أن يعقل مطلقا ؟ والمطلق فرع المعين فما لا يكون موجدا معينا لا يعقل لا معينا ، ولا مطلقا ولكن يقدر تقديرا في الذهن كما تقدر الممتنعات) [1].

---

(١) منهاج السنة ١/ ١٦٧ ــ ٣٧٠ .

أدلة أهل السنة على حدوث العالم :

أطال أهل السنة في ذكر الأدلة على الحدوث ، وذكروا اكثر من دليل عليه سواء أدلة نقلية مثل الإجماع والاستشهاد بالكتاب والسنة ، أو أدلة عقلية مجارة للخصوم ، وقد أبطل أهل السنة أدلة الفلاسفة في قدم العالم ، وفندوها تفنيدا دقيقا وعميقا ونحن إن شاء الله نذكر أهمها واكثره شيوعا في مباحثهم .

أولا : الأدلة النقلية :

ذكر أهل السنة أكثر من دليل على حدوث العالم منها ما هو نقلي ، ومنها ما هو عقلي ، أما الأدلة النقلية فتنقسم إلى قسمين هما :

(أ) **نقل الإجماع** : وهو نقل اكثر من واحد من أهل السنة ــ والإجماع عند أهل الأصول من أقوى الأدلة ــ لانه لا يمكن أن نجتمع أمة الإسلام على باطل كما قال النبي ﷺ : «لا تجتمع أمتي على ضلالة» [1] .

يقول الإمام البغدادي ناقلا هذا الاجماع (الركن الثاني ــ وهو الكلام في حدوث العالم ، فقد أجمعوا على أن العالم كل شيء غير الله عزوجل ، وعلى أن كل ما هو غير الله تعالى وغير صفاته الأزلية مخلوق مصنوع .. وأجمعوا على أن أجزاء العالم قسمان جواهر ، وأعراض .. واتفقوا على حدوث الأعراض في الأجسام واكفروا من زعم من الدهرية أنها كامنة في الأجسام .. واتفقوا على أن كل عرض حادث في محل وان العرض لا يقوم بنفسه ، واكفروا من قال من المعتزلة البصرية بحدوث إرادة الله سبحانه ، وأجمعوا ان الله خالق الأجسام والأعراض) [2] .

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٣٣/٦ كتاب الفتن باب ما جاء في لزوم الجماعة وصححه الالباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٧٣/١ ح ٤٣١ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٥٢ ــ ٢٥٥ .

ولعل قائلا يقول أن الإجماع هنا لم ينعقد لمخالفة بعض العلماء (الفلاسفة) فيه ، فنقول هنا أنه لا عبره بمخالفة هؤلاء الناس بعد الإجماع ، ولأن هؤلاء المخالفين لم يكونوا بمعرفة بكتاب الله وآثار الرسول على الوجه المطلوب ، كما قال ابن تيمية في هذا الصدد لما ذكر مسألة حدوث العالم ، (ومن أسباب ذلك أنهم لم يعرفوا حقيقة السمع والعقل ، فلم يعرفوا ما دل عليه الكتاب والسنة ، ولم يميزوا في المعقولات بين المتشابهات) [1] .

وقد نقل الشهرستاني أيضا ذلك الإجماع ، فقال (مذهب أهل الحق من أهل الملل كلها ان العالم محدث ومخلوق أحدثه الباري تعالى ، وأبدعه وكان الله ولم يكن معه شيء) [2] .

وقد نقل الإجماع كذلك ابن تيمية ، فقال في كتابه منهاج السنة وعند كلامه عن حدوث الحوادث ، (وقال بكل قول طائفة من أهل القبلة وغيرهم ، وكل هؤلاء يقولون بحدوث الأفلاك ، وأن الله أحدثها بعد عدمها ليس فيهم من يقول بقدمها ، فان ذلك قول الدهرية) [3] .

وقال في موضع آخر (وأما من قبل أرسطو فكانوا يقولون بحدوث السماوات كما يقوله أهل الملل) [4] ، وقال أيضا (وقد نقل غير واحد أن أول من قال بقدم العالم من الفلاسفة ، ارسطو وأما الفلاسفة قبله فلّم يقولوا بذلك) [5] ثم بين أبن تيمية أن هذا موافق للفطرة ، وهي عقيدة الأنبياء والرسل جميعا عليهم

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ٣٦١/٢ ، وانظر كذلك الفرقان بين الحق والباطل ص ١٨٩ .

(٢) نهاية الأقدام في علم الكلام ص ٥ .

(٣) منهاج السنة ٢٨٧/٢ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٨٢ .

(٥) موافقة صحح المنقول لصريح المعقول ٣٩٧/١ .

السلام ويعرف ذلك كل من سمع القرآن والسنة وعلم ما فيها ، يقول (فان الرسل مطبقون على أن كل ما سوى الله محدث مخلوق ، كأن كائن بعد أن لم يكن ليس مع الله شيء قديم بقدمه ، وانه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام) [1] .

ثم أن العلماء بعد ذلك صاروا يذكرون هذا الإجماع ، وينقلونه على من سبقهم ولذلك أطال الشيخ مصطفى صبري في تفنيد القول بقدم العالم ، قال (فالمتكلمون يخالفون الفلاسفة ، ويقولون بحدوث العالم بناء على عقيدة الخلق الإسلامية بل عقيدة المسلمين أجمعين ، لأن الله تعالى خالق كل شيء وخلق الشيء يقتضي كونه معدوما قبل أن يخلق وهو المعنى بالحدوث فالحادث ما له أول يسبقه العدم والقديم مالا أول له فكيف يتصور الفلاسفة القدماء ، ومن تبعهم من المسلمين كابن رشد كون العالم القديم أثر الله ، وكيف يجمعون دعوى قدمه إلى الاعتراف بوجود الله وبتأثيره فيه ؟! فهذا تناقض منهم ولكن العقول تعمى عن هذا إذا لم يكن معها ايمان يعصمها ، ونور تهدي به فلله الحمد والمنة) [2] .

وقد نقل هذا الإجماع كذلك الشيخ محمد أنور الكشميري عند كلامه عن علم الحديث ، الذي سبق الكلام عليه في قوله صلى الله عليه وسلم (كان الله ولم يكن شيء قبله) قال فانه (يدل على ان جميع العالم بنفيره وقطيره ، حادث ثم أن هذه هي عقيدة الأديان السماوية كلها ، وما من دين حق إلا ويعتقد بحدوث الأكوان إلا الله) [3] .

بهذا القول من النقول نخلص إلى أن الاجماع والذي هو حجة على كل مسلم ، من أقوى الأدلة على هذه المسألة كما أسلفنا عند أهل الأصول ، ولعل النصوص السابقة كافية في ثبوت هذا الدليل .

---

(١) مجموعة الفتاوي ٢٨١/٩ ، وانظر الفرقان بين الحق والباطل له ص ١٧٤ .
(٢) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين للشيخ مصطفى صبري ٣١٨/٣ و ٣٢٢ .
(٣) فيض الباري على صحيح البخاري ١/٤ .

(ب) **النصوص من الكتاب والسنة** : هذه المسألة وقد ذكر العلماء أدلة من القرآن والسنة ، توضح بطلان القول بقدم العالم ، غير أنهم لم يطيلوا في ذكرها ، لان المخالف لهم قد قدم العقل على النقل ، فصار العقل هو المقدم **وأول هذه الأدلة** التي جاءت من الكتاب والسنة .

ذكر الله عزوجل أدلة كثيرة على خلق السماوات والأرض ، وخلق الإنسان وغيرها من الكائنات قال شارح الطحاوية في معنى الخلق ، (خلق أي أوجد وإنشأ وأبدع) [١] . ويقول ابن تيمية في أيضاح معنى الخلق كذلك ، وانه معنى مفهوم عند جميع الناس في جميع الامم ، (وكذلك عامة العقلاء من جميع الطوائف متفقون على ان كل ما يقال إنه مفعول أو مبدع أو مصنوع لا يكون إلا محدثا ، ولهذا كان جماهير العقلاء إذا تصوروا انه خلق السماوات والأرض ، تصوروا أنه أحدثها لا يتصورون في عقولهم أن تكون مخلوقة قديمة ؟!) [٢] ثم قال أيضا (وقد علم بالاضطرار أن ما أخبرت به الرسل من أن الله خلق كل شيء ، وانه خلق كذا إنما أرادوا بذلك انه خلق المخلوق وأحدثه بعد أن لم يكن ، كما قال : ﴿ وقد خلقتك من قبل ولم تك شيء ﴾ [٣] والعقول الصريحة توافق ذلك ، وتعلم أن المفعول المخلوق المصنوع لا يكون مقارنا للفعل في الزمان ولا يكون إلا بعده ، وان الفعل لا يكون ألا بأحداث المفعول) [٤] .

ولما اعترض بعض الناس على أن الخلق قد يكون قديم ، لأن مفعولات الله قديمة أكد ابن تيمية على إن ذلك لا يمنع أن يكون مخلوقا لله ، ولا تعارض

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ١/١٢٤ .

(٢) منهاج السنة ٢/٢٨١ وقد فصل وذكر الايات في الخق وأطال في عرضها وتفصيل ذلك انظر منهاج السنة ١/٣٧٠ ومابعدها .

(٣) سورة مريم آية ٩

(٤) مجموعة الرسائل والمسائل ١/٣٧٥ ــ ٣٧٦ .

في ذلك يقول (فليس مع الله شيء من مفعولاته قديم معه ، لا بل هو خـــالق كــل شيء وكل ما سواه مخلوق محدث كائن ، بعد أن لم يكن وانه قدر أنه لــــم يــزل خالقا مفعولا ، وإذا قيــل ان الخلــق صفــة كمــال لقولــه تعالى﴿ أفمن يخلـــق كمن لا يخلق ﴾ [1] ، أفلا يمكن أن تكون خالقيتــه دائمــة ، وكــل مخلوق لــــه محــدث مســبوق بالعــدم ، وليس مع الله شيء قديم) [2] .

ثم شرح هذا القول وفصله ونحن ننقل كلامه بنصه لأهميته ، قــال (وهــذا قول من ما يثبت لله تعالى صفــة التخليق والتكوين في الأزل ، وإن كان المخلـوق حادثا ، وهو قول طوائف من أصحاب أبي حنيفة والشافعي ، وأحمد وأهل الكـــلام والصوفية ، وهو مبني على أن الخلق غير المخلوق ، وهذا قول اكثر الطوائــف ، لكن منهم من صرح بأن الخلق قديم والمخلوق حادث ، ومنهم من صـــرح بتجــدد الأفعال ، ومنهم من لا يعرف مذهبه في ذلك .

فالذي ذكره البغوي عن أهل السنة : إثبات صفة الخلق لله تعالى ، وأنه لـــم يزل خالقــا ، وكذلك ذكر أبو بكر الكلاباذي أنـــه مذهب الصوفيـــــة ، وكذلــك ذكـــره الطحاوي وســـائر أصحاب أبي حنيفة ، وهو قول جمهور أصحاب أحمد ، كأبي إســـحاق بن شـــاقلا ، وأبـــي عبدالله ابن حـــامد ، والقــاضي أبـــي يعلـــى وغيرهم ، وكذلك ذكره غير واحد من المالكية ، وذكر أنـــــه قـــول أهــل الســنة والجماعة) [3] .

---

(١) سورة النحل آية ١٧ .

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل ٣٦٢/٢٤ ، وانظر منهاج السنة ١٦٦/١ .

(٣) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ٢٦١/١ .

ثم ذكر أن هذا هو حال الرسول وهو مراده قطعا ، ولا يفهم غيره حيث قال (وكل من علم حاله – يعني الرسول – يعلم بالاضطرار من دينه ، أنه أخبر أن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام ، وأنه خالق كل شيء ، وأن هذه الأفلاك ليست قديمة أزلية، فالقائل لذلك مناقض لأخباره وأخبار موسى وغيرهما من المرسلين، مناقضة لا يتمارى فيها من له معرفة بذلك) (١) .

ثم بين سبب هذا الضلال والانحراف الذي أصاب اكثر الفلاسفة وبعض المتكلمين فقال : (وأصل هذا الضلال جهلهم بحقيقة ما جاء به الرسول ﷺ ونصرهم لما يظنونه جاء به بما يظنونه من المعقول ، ومعارضتهم لما يعلم أنه جاء به بما يظنونه من المعقول ، وتوهمهم تعارض صحيح المنقول وصريح المعقول ، وهذا هو الكلام الذي عابه السلف والأئمة .

وأما أهل المعرفة العالمون بالمعقول والمنقول ، فلا يقولون في سلفهم ما هو من لوازم قولهم ، كما أنهم لا يقولون في الأنبياء ذلك ، بل يعلمون قطعا أن كلام الأنبياء هو الحق ، وكل ما ناقضه من قول متفلسف أو متكلم أو غيرهما ، فباطل وأنه لا يجوز أن يكون في العقل ما يناقض قول الأنبياء ولا يجوز تعارض الأدلة العلمية السمعية والعقلية أبدا) (٢) .

ولم يكتف ابن تيمية بذلك بل بين أن هذا هو الموافق لفطرة العقلاء ، الذين لم يتأثروا بشيء من الأقوال الفلسفية ، يقول (ولو قيل لعامة العقلاء السليمى الفطرة إن الله خلق السماوات والأرض ، ومع هذا فلم تزالا معه لقالوا هذا ينافي خلقه لهما ، فلا يعقل خلقه لهما إلا إذا خلقهما بعد أن لم تكونا موجودتين .

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٩/٢١٠ .
(٢) المرجع السابق الصفحة نفسها .

وأما إذا قيل لم تزالا موجودتين ، كان القول مع ذلك بأنه خلقهما جمعا بين المتناقضين في فطر الناس وعقولهم التي لم تتغير عن فطرتها ، ولهذا كان مجرد أخبار الرسل بأن الله خلق السماوات والأرض ونحو ذلك ، كافيا في الإخبار بحدوثها لم يحتاجوا مع ذلك أن يقولوا خلقها بعد عدمها ، ولكن أخبروا بزمان خلقها كما في قوله تعالى ﴿ خلق السماوات والأرض في ستة أيام ﴾) [1] [2] .

ومن الأدلة (حديث عمران بن الحصين عن الرسول ﷺ ، انه خلق السماوات والأرض) وقد قال ابن تيمية في تعليقه على حديث (ذكر السماوات والأرض بما يدل على خلقها وسواء كان قوله "وخلق السماوات والأرض" أو "ثم خلق السماوات والأرض" [3] فعلى التقديرين أخبر بخلق ذلك ، وكل مخلوق محدث كائن بعد أن لم يكن وان كان قد خلق من مادة كما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال (خلق الله الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم) [4] .

ثم قال (ولهذا كان ما أخبر الله به في كتابه أنه خلق السماوات والأرض ، بما يفهم جميع الخلائق أنهما حدثتا بعد أن لم يكونا ، وأما تقدير كونهما لم يزالا معه ، مع كونهما مخلوقين له ، فهذا تنكره الفطر ولم يقله إلا شرذمة قليلة من الدهرية كابن سينا وامثاله) [5] .

ولعلنا في هذه النقطة نختم الحديث بقول الدكتور مصطفى صبري الذي يرد بقوة على من حاول تأويل الخلق وزعم انه لا يمكن أن يكون خلق من عدم يقول

---

(١) سورة يونس الآية ٣ .

(٢) منهاج السنة ١/٣٧٢ ـ ٣٧٣ .

(٣) سبق تخريجه ، أخرجه مسلم (٢٩٩٦) ٦/١٥٣ و١٦٨ .

(٤) سوف يخرج .

(٥)مجموعة الرسائل والمسائل ٢/٣٥٤ .

في ذلك (ولا وجه لزعم بعض الناس ، أن الخلق والإيجاد من عدم غير ممكن ، بل الخلق والإيجاد لا يكون إلا كذلك ، وإنما المحال هو الإيجاد من عدم ، بمعنى الإيجاد من غير موجد ، وإنما الزاعمون عدم إمكان الإيجاد من عدم يلتبس عليهم خلق الله بمصنوعات البشر ، فيتكلمون عن قياس الغائب على الشاهد) [1] .

مع العلم أن شيخ الإسلام ومن خلال كلامه السابق كان يميل إلى ترجيح وجود ما دل للخلق سواء كان الماء ، أو بخاره أو غير ذلك من المخلوقات .

ثم أنه من لوازم القول بقدم العالم وجود محذور شنيع سلب القدرة ، والمشيئة عن الله عزوجل ، وهذان أعظم الإلحاد في آيات الله يقول ابن تيمية في أنكاره على من عطل الله عن قدرته ومشيئته (إن الإقرار بأن الله لم يزل يفعل ما يشاء ، ويتكلم بما يشاء ، هو وصف للكمال الذي يليق به وما سوى ذلك نقص يجب نفيه عنه ، فإن كونه لم يكن قادرا ثم صار قادرا على الكلام ، أو الفعل مع أنه وصف له فإنه يقتضي انه كان ناقصا عن صفة القدرة التي هي من لوازم ذاته، والتي هي من أظهر صفات الكمال ، فهو ممتنع في العقل بالبرهان اليقيني ، فإنه إذا لم يكن قادرا ثم صار قادرا لابد من أمر جعله قادرا بعد أن لم يكن ، فإذا لم يكن هناك إلا العدم المحض أمتنع أن يصير قادرا بعد أن لم يكن ، وكذلك يمتنع أن يصير عالما بعد ان لم يكن قبل هذا بخلاف الإنسان ...) [2] .

ثم قال في توضيح وإزالة بعض الوهم الذي قد يصيب ، أو أصاب كثيرا من الناس والفلاسفة وإيضاحا لمعنى المشيئة والقدرة ، (فكذلك إذا قيل لم يزل متكلما إذا شاء ولم يزل يفعل ما شاء ، يقتضي دوام كونه متكلما، وفاعلا بمشيئته وقدرته ، وإذا ظن الظان أن هذا يقتضي قدم شيء معه كان من فساد تصوره،

---

(1) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين ٣/٣٢٢ .
(2) مجموعة الرسائل والمسائل ٢/٣٦٩ .

فإنه إذا كان خالق كل شيء فكل ما سواه مخلوق مسبوق بالعدم ، فليس معه شيء قديم بقدمه ، وإذا قيل لم يزل يخلق كان معناه لم يزل يخلق مخلوقا بعد مخلوق ، كما لا يزال في الأبد يخلق مخلوقا بعد مخلوق ، ننفي ما ننفيه من الحوادث والحركات شيئا بعد شيء ، وليس في ذلك وصفه بدوام الفعل لأبأن معه مفعولا من المفعولات بعينه .

وإن قدر أن نوعها لم يزل معه ، فهذه المعية لم ينفها شرع ولا عقل ، بل هي من كماله ، قال تعالى ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾ [1] والخلق لا يزالون معه ، وليس في كونهم لا يزالون معه في المستقبل ما ينافي كماله ، وبين الأزل في المستقبل ، مع أنه في الماضي حدث بعد أن لم يكن إذ كان كل مخلوق فله ابتداء ، ولا نجزم أن يكون له انتهاء) [2] .

ويبين ابن أبي العز الحذني هذه المسألة ، ويزيدها وضوحا واستشهادا بالنصوص من القرآن ونحن لا نريد الإطالة ، ولكن إتماما للفائدة نذكر قوله في هذه المسألة ثم ذكر الفوائد من الآيات ، وما تدل عليه يقول رحمه الله تعالى (ولا شك أن جمهور العالم من جميع الطوائف يقولون : إن كل ما سوى الله تعالى مخلوق ، كائن بعد أن لم يكن ، وهذا قول الرسل وأتباعهم من المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم .

ومن المعلوم بالفطرة أن كون المفعول مقارنا لفاعله ـ لم يزل ولا يزال معه ـ ممتنع محال ، ولم كان تسلسل الحوادث في المستقبل ، لا يمنع أن يكون الرب سبحانه هو الآخر الذي ليس بعده شيء ، فكذا تسلسل الحوادث في الماضي لا يمنع أن يكون سبحانه وتعالى، هو الأول الذي ليس قبله شيء ، فإن الرب

---

(١) سورة النحل ١٧ .

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل ٣٧١/٢ .

سبحانه وتعالى لم يزل ولا يزال يفعل ما يشاء ، ويتكلم إذا يشاء ، قال تعالى ﴿قال كذلك الله يفعل ما يشاء﴾ [1] وقال تعالى ﴿ ولكن الله يفعل ما يريد ﴾ [2] وقال تعالى ﴿ ذو العرش المجيد * فعال لما يريد ﴾ [3] .

والمثبت إنما هو الكمال الممكن الوجود ، وحينئذ فإذا كان النوع دائما فالممكن والأكمل هو التقدم على كل فرد من الأفراد ، بحيث لا يكون في أجزاء العالم شيء يقارنه بوجه من الوجوه) [4] .

ولما أورد الآية وهي قوله تعالى﴿ ذو العرش المجيد * فعال لما يريد﴾ [5] قال الآية تدل على أمور منها :

أحدهما : أنه تعالى يفعل بإرادته ومشيئته .

الثاني : أنه لم يزل كذلك ، لأنه ساق ذلك في معرض المدح والثناء على نفسه ، وأن ذلك من كماله سبحانه ، ولا يجوز أن يكون عاما لهذا الكمال في وقت من الأوقات ، وقد قال تعالى ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ﴾ [6] ولما كان من أوصاف كماله ونعوت جلاله لم يكن حادثا بعد أن لم يكن ...) ، ثم قال :

الثالث : أنه إذا أراد شيئا فعله ، فإن (ما) موصولة عامة ، أي : يفعل كل ما يريد أن يفعله ، وهذا في إرادته المتعلقة بفعله .

الرابع : أن فعله وإرادته متلازمان ، فما أراد أن يفعله فعله ،

الخامس : إثبات إرادات متعددة بحسب الأفعال وأن كل فعل له إرادة تخصه ، هذا هو المعقول في الفطر ، فشأنه سبحانه أنه يريد على الدوام ، ويفعل ما يريد .

السادس : أن كل ما صح أن تتعلق به أرادته جاز فعله ...) [7] .

---

(١) سورة آل عمران الآية ٤٠ .
(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٣ .
(٣) سورة البروج الآية ١٥ ، ١٦ .
(٤) شرح العقيدة الطحاوية ١/١٠٦ .
(٥) سورة البروج الآيتان ١٥ ــ ١٦ .
(٦) سورة النحل الآية ١٧ .
(٧) شرح العقيدة الطحاوية ١/١١٠ ، ١١١ .

ثم قال (والقول بأن الحوادث لها أول : يلزم منه التعطيل قبل ذلـــك ، وأن الله سبحانه وتعالى لم يزل غير فاعل ثم صار فاعلا .

ولا يلـزم مـن ذلـك قـدم العـالم ، لأن كـل مـا سـوى الله تعـالى محدث ممكن الوجـود ، موجـود بإيجاد الله تعالى له ، ليس لـه مـن نفسـه إلا العدم، والفقر ، والاحتياج وصف ذاتي لازم لكل ما سوى الله تعالى ، والله تعـالى واجـب الوجـود لذاتـه ، غني لذاته ، والغني وصف ذاتـي لازم لـه سـبحانه وتعالى) [١] .

ولعلنا هنا نختم بكلام شيخ الإسلام للدولة العثمانية، الشيخ مصطفى صبري حيث قال في بيان خطورة هذا القول ــ قدم العالم ــ علـى العقيـدة الإسـلامية ولوازمه الباطلة وخطورتها ، (لكن الله تعالى ليس له أن لا يفعل ، وأن لا يشـاء الفعل فهو غير مختار فيهما مباشرة ، وليس قولهم (إن شاء فعل وإن لم يشـأ لـم يفعل) إلا تلاعبا وتعللا باللفظ وتصويرا للاضطرار في قالب الاختيـار ، أعنـى تقليب المفهومات بعضها إلى بعض ، الذي هو أشنع من تقليب الحقائق، فقادريتـه تعالى ومختاريته على ما قالوا أنه يفعل ما يريده ومريديته أنه يريد ما يفعله وهـذا دور . ثم ساق الآيات الكثيرة في المشيئة [٢] .

ثم الزمهم الكفر بتعطيل هذه الايات وتكذيبهم لصريح الايات ، يقول (ففـي هذه الآيات وأمثالها الكثيرة في كتاب الله ذكر لنا سبحانه وتعالى عن أفعاله ، التـي لم يشأ أن يفعلها بها على أنه لو شاء لفعلها ، ومثل هذه التصريحات والتنبيـهات تصـدر في عرف اللغـة والتخاطب ممن يقدر البتة على مشيئة الأفعال ، التي لم

---

(١) المرجع السابق ١/١١١.
(٢) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين ٣/٣٣٤ .

يشأ أن يفعلها مكتفيا عنها ، بأن قال لو شئت لفعلتها بدلا عما أفعله ، فلو لم يكن لله تعالى إلا فعل ما فعله ، وإلا مشيئة ما شاءه غير قادر على أن يترك ما فعله ، فيفعل خلاف ذلك ولا أن يترك مشيئة ما فعله ، فيشاء خلاف ذلك لكان كاذبا في هذه الآيات كلها ، وأمثالها التي لا تحصى من كثرتها) [١] .

---

(١) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين ٣/٣٣٤ .

ثانياً : الأدلـــــة العقليـــــة :

أن الأدلة العقلية التي ذكرها العلماء ، يصعب حصرها في هذا المبحث غـير أنه لابد من ذكر أهم الأدلة في ذلك ، لان هذه الرسالة من أهم مباحثها (بدء الخلق ، أو حدوث العالم) ونحن هنا سوف نذكر أهم الأدلة في ذلك ، فنقول قد ذكر العلمـاء في هذا المقام أدلة كثيرة في حدوث العالم ، وخلقه من أهمها :

(أ) الدليل الذي ذكره الباقلاني بعد أثباته للاعراض والاجسام ، يقول فيه (جميـع العالم العلوي والسفلي ، لا يخرج عن هذين الجنسين ، أعني الجواهر والأعـراض وهو محدث بأسره ، والدليل على حدثه ما قدمناه من إثبات الأعراض .

والأعراض حوادث والدليل على حدوثها بطـلان الحركـة ، عنـد مجـيء السكون لأنها لو لم تبطل عند مجيء السكون لكانا موجوديـن فـي الجسـم معـاً ، ولوجب لذلك أن يكون متحركاً معاً ، وذلك مما يعلم فساده ضرورة .

والدليل على حدوث الأجسام أنها لم تسبق الحوادث ، ولم توجد قبلها وما لـم يسبق المحدث محدث ، وهو لا يخلو أن يكون موجوداً معه ، أو بعده وكلا الأمريـن يوجب حدوثه ، والدليل على أن الجسم لا يجوز أن يسـبق الحـوادث ، أنـا نعلـم بإضرار أنه متى كان موجوداً فلا يخلو أن يكون متمـاس الإبغـاض مجتمعـاً ، أو متبايناً مفترقاً لأنــه ليس بيــن أن تكون أجزاءه متماسـة ، أو متباينـة منزلة ثالثة فوجب ألا يصح أن يسـبق الحوادث ، وما لم يسـبق الحوادث فواجب كونه محدثاً، إذ كان لابد أن يكون إنما وجد مع وجودها ، أو بعدها فأي الأمرين ثبت وجب بـه القضاء على حدوث الأجسام [1] .

---

(١) انظر تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ص ٤١ ــ ٤٣ .

(ب) ذكر ابن تيمية دليلاً مهماً في حدوث العالم وهو عدم استمرار هـــذه الحيـاة الدنيا أو حركة الأفلاك ، حيث يقول (العالم لو كان أزلياً فإمـــا أن يكــون لا يــزال مشتملا على حوادث ، سواء قيل : إنها حادثة في جسم أو عقل ، أو يقال : بل كــان في الأزل ليس فيه حادث ، كما يقال : إنه كان جسماً ساكنا ، فإن كـــان الأول لـــزم تسلسل الحوادث ونحن نتكلم على تقدير امتناع تسلسلها ، فبطل هذا التقديـــــر ، وإن كانــت الحـــوادث حدثـــت فيــــه بعـــد أن لم تكـــن لزم جواز صدور الحـــوادث عن قديـــم أو يتغيـــر ، وهـــذا يبطـــل حجتكــــم ، ويوجــــب جـــــواز حـــدوث الحـــوادث بلا حـــدوث ســـبب . ونحن نعلم بما أخبرنا القرآن بتغـــير ذلـــك يـــوم القيامـــة ، وتوقفهـــا عن الحركـــة ورجوع الشمس مـــن مغربـــها وغيرهـــا مـــن الظواهر [1] .

ونلاحـــظ في هذا الدليـــل أن ابن تيميـــة رحمـــه الله يلــــــزم الفلاســـــفة بايجـــاد دليـــل صحيح في هذه الدعوى ، وهي حدوث العـــالم أو القبـــول بدعـــوى الرســـل ، يقـــول في ذلـــك (والمقصـــود هنـــا أن يقـــال لأئمتهـــــم وحذقهـــــم الذيـــن ارتفعـــت عقولهـــم ، ومعارضهـــم في الإلهيـــات عـــن كـــــلام أرســـطو وأتباعه ، وكلام ابن سينا وامثاله : ما الموجب أولا لقولكم بقدم شيء من العـــــالم ، وأنتم لا دليل لكم على قدم شيء من ذلك ؟ ثم الزمـــــهم بشـــيء يحتكمـــون إليـــه ، ويرجعون إليه وهو محبة الدليل والحكمة يقول [2] .

---

(١) موافقـــة صحيح المنقـــول لصريـــح المعقـــول ٢٦٣/١ ، وانظر كذلـــك درء تعارض العقـــل والنقل فـــي تفصيل الدليل ١٩٧/٩ .

(٢) انظر منهاج السنة النبوية ٣٥٩/١ .

وهذه من أقوى الأدلة حيث لم يقم الفلاسفة ، دليل صحيح في نظر ابن تيمية على هذا الحدوث ، ولذلك يلزم اتباع قول الرسل ، وأصل الفلسفة عندهم مبني على الأنصاف ، وأتباع العلم والفيلسوف هو محب الحكمة ، والفلسفة محبة الحكمة ، وأنتم إذا نظرتم في كلام كل من تكلم في هذا الباب ، وفي غير ذلك لم تجدوا في ذلك ما يدل على قدم شيء من العالم مع علمكم ، أن جمهور العالم من جميع الطوائف يقولون : بأن كل ما سوى الله مخلوق كائن بعد أن لم يكن ، وهذا قول الرسل وأتباعهم من المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم [١] .

· ثم بين ابن تيمية أن هذا القول تناقض من الفلاسفة ، وخاصة ابن سينا ومن يقول بقوله لما ذكر قول أرسطو وأتباعه واعتقاده في الله ، قال (فليس عندهم أنه أبدع شيئا ولا فعل شيئاً ، ولا كانوا يسمونه واجب الوجود ، ولا يقسمون الوجود إلى واجب وممكن ، ويجعلون الممكن هو موجوداً قديماً أزلياً كالفلك عندهم وإنما هذا فعل ابن سينا وأتباعه وهم خالفوا في ذلك سلفهم وجميع العقلاء ، وخالفوا أنفسهم أيضاً فتناقضوا : فأنهم صرحوا بما صرح به سلفهم وسائر العقلاء من أن الممكن الذي يمكن أن يكون موجوداً وأن يكون معدوماً ولا يكون لا محدثاً مسبوقا بالعدم .

وأما الأزلي الذي لم يزل ، ولا يزال فيمتنع عندهم وعند سائر العقلاء ، إن يكون ممكناً يقبل الوجود والعدم ، بل كل ما قبل الوجود والعدم لم يكن إلا محدثاً ، وهذا مما يستدل به على أن كل ما سوى الله ، فهو محدث مسبوق بالعدم كائن بعد أن لم يكن) [٢] فالزم ابن تيمية الفلاسفة هنا بقول أسلافهم ، والاحتكام إلى عقول علمائهم أو التناقض ومخالفة سائر العقلاء .

---

(١) انظر منهاج السنة النبوية ٣٥٩/١ ـ ٣٥٦٠

(٢) مجموعة الفتاوي لابن تيمية ٢٧٧/٩ ، وانظر كذلك نفس الدليل في ٤٤٦/١٦ ، وانظر تفصيل ذلك في مجموعة المسائل والرسائل ٣٦٧/٢ .

(ج) ذكر الشهرستاني ان للمتكلمين في أثبات الحدوث ، طريقين : **أحدهما إثبات حدث العالم ، والثاني إبطال القول بالقدم .**

ثم قال (أما **الأول** فقد سلك عامتهم طريق الإثبات ، بإثبات الأعراض أولا واثبات حدوثها ثانياً ، وبيان استحالة خلو الجواهر عنها ، ثالثاً وبيان استحالة حوادث لا أول لها رابعاً ، ويترتب على هذه الأصول أن ما لا يسبقه الحوادث ، فهو حادث وقد أوردوا هذه الطريقة في كتبهم احسن إيراد)[1] .

ثم ذكر هذه الطرق وفصلها وبين وجه الدلالة فيها ، وهي أدلة طويلة يتعذر نقلها وما ذكر يغني عنها [2] ، وقد ذكر نفس الطرق تقريباً ، والأدلة الماتريدي ولعل كل واحد منهما نقل عن الاشعري اكثر هذه الأدلة [3] .

(د) ومن الأدلة التي يعرف بها حدوث ما سوى الله تعالى ، ما ذكره ابن تيمية وهو دليل عقلي قوي يناهظ أدلة الفلاسفة ، ويردها لو كانوا يحتكون إلى العقل ، أن يقال (لو كان فيها سوى الله شيء قديم لكان صادرا عن علة تامة ، موجبه بذاتها، مستلزمة لمعلولها ، سواء ثبت له مشيئة أو اختيار ، أو لم يثبت ، فأن القديم الأزلي الممكن الذي لا يوجد بنفسه ، لا يتصور وجوده أن لم يكن له في الأزل مقتض تام يستلزم ثبوته ، وهذا كما انه معلوم بضرورة العقل ، فلا نزاع فيه بين العقلاء .

ثم قال : فتبين انه لو كان شيء ما سوى الله أزليا ، للزم أن يكون له مؤثر تام، مستلزم له في الأزل ، سواء سمى علة تامة ، أو موجبا بالذات أو قدر انه فاعل بالإرادة فهو إذاً محدث) [4] .

---

(١) نهاية الأقدام في علم الكلام ص ١١ .
(٢) نهاية الاقدام في علم الكلام ص ١١ ــ ٢٢ .
(٣) كتاب التوحيد للماتريدي ص ٣٠ ــ ٣٧ .
(٤) انظر مجموع فتاوي ابن تيمية ١٢/ ٢٢٠ ــ ٢٢١ وانظر معنى الدليل ١٦/٤٤٤ .

(هـ) ويرى الشيخ مصطفى صبري ، أن دعوى قدم الزمان أو قدم العالم تنافي وجود الله ، وتأثيره في الوجود ، لأن هذا القول حتماً يوقع الإنسان في التناقض ، أو إنكار وجود الله عزوجل ، ولذلك أنكر أكثر أهل المادة والقائلين بقدمها وجود الله أو صاروا إلى الحلول والاتحاد مثل ما فعل الصوفية قديماً وحديثاً ، يقول (فالحادث ما له أول يسبقه العدم ، والقديم مالا أول له فكيف يتصور الفلاسفة القدماء، ومن تبعهم من المسلمين كابن رشد كون العالم القديم أثر الله ، وكيف يجمعون دعوى قدمه إلى الاعتراف بوجود الله وبتأثيره فيه ؟ فهذا أمر يتعجب منه جدا لهذا كان مراد الماديين من اليونان القدماء ، ومن الغربيين المتأخرين لما ادعوا أزلية المادة والقوة ، الاستعانة بذلك على إنكار وجود الله)[١] .

ثم انه يشرح هذا الكلام ويفصله بطريقة فلسفية ودامغة ، لكل من حكم العقل في زعمه ، فلم يبقى عليه ألا التسليم بحدوث العالم أو التناقض ، يقول (فعلى ما ذكرنا لا يكون القديم ألا واجبا والإمكان ينافي القدم ، ولا يصح قول الفلاسفة بإمكان العالم وقدمه معاً ويسقط الخلاف المشهور بين الفلاسفة والمتكلمين ، في أن المحوج إلى العلة الإمكان أو الحدوث لحصول التصادق بين هذين الأمرين ، كالتصادق بين القدم والوجوب ، وتسقط الأقاويل حول أزلية الإمكان وأستلزامه لامكان الأزلية ، لأن نفس الحاجة إلى العلة سواء كان منشأها الحدوث ، أو الإمكان تنبئ عن تأثير مؤثر في وجود ذلك المحتاج ، فهو ان كان معدوماً قبل التأثير فذاك الحدوث بعينه، وأن كان موجوداً فالتأثير فيه بالإيجاد تحصيل الحاصل ، والحاصل أنه لا يتصور إيجاد الموجود أزلا الذي لم يسبق وجوه العدم ، لأنه تحصيل الحاصل وتحصيل الحاصل محال متضمن التناقض) [٢] .

---

(١) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين ٣٢٢/٣ .
(٢) المرجع السابق ، انظر موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين ٣٢٤/٣ ـ ٣٢٥ .

(و) ومن هذه الأدلة على الحدوث ما ذكره ابن حزم ، وهو – عبارة عن عدة أدلة مجتمعة وهي ، فقال :

(الأول : العالم عبارة عن أشخاص بأعراضها وأزمانها ، والمشاهد بالحس والعيان تناهي كل ما في العالم من الأشخاص ، بأعراضها وأزمانها .

أما تناهي الشخص فظاهر بمساحته – أول جرمة وآخره – وبزمان وجوده، وتناهي العرض المحمول فيه بين بتناهي الحامل له .

وتناهي الزمان موجود باستئناف ما يأتي منه بعد الماضي ، وفناء كل وقت بعد وجوده ، واستئناف آخر يأتي بعده إذ كل زمان فنهايته الآن ، وهو حد الزمانين فهو نهاية الماضي ، وما بعده ابتداء للمستقبل وهكذا أبداً يفنى الزمان ، ويبتدئ آخر وإذا ثبت تناهي الأجزاء ، التي تركب منها العالم ، فهو متناهي إذ الكل ليس هو شيئاً غير الأجزاء ، التي ينحل إليها ويستحيل كون أجزاء الزمان متناهية ، وذات أول ويكون هو غير ذي أول) [1] .

الثاني : (العالم موجود بالفعل وكل موجود بالفعل ، فقد حصره العدد وأحصته طبيعته، وحصر العدد وإحصاء الطبيعة نهاية صحيحة إذ مالا نهاية له ، فلا إحصاء له ولا حصر له فأن العالم كله ذو نهاية وسواء في ذلك ما وجد في مدة واحدة أو مدد كثيرة إذ ليست تلك المدد إلا مدة محصاة إلى جنب مدة محصاة ، فهي مركبة من مدد محصاة ، وكل مركب من أشياء فهو تلك الأشياء التي ركب منها ، فهي كلها مدد محصاة فصح أن مالا نهاية له فلا سبيل إلى وجوده ، بالفعل وما لم يوجد إلا بعد مالا نهاية له فلا سبيل إلى وجوده بالفعل ، وما لم يوجد إلا بعد مالا نهاية له، فلا سبيل إلى وجوده أبداً إذ أن مالا نهاية له فلا بعد له والأشياء كلها، موجودة بعضها بعد بعض فهي ذات نهاية وقد نبه الله على هذا الدليل وسابقه ، بقوله :﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ [2])[3] .

---

(1) ابن حزم وموقفه من الالهيات ص ١٢٢ .
(2) سورة الرعد آية ٨ .
(3)ابن حزم وموقفه من الإلهيات ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

الثالث : أن مالا أول له ولا نهاية لا يقع عليه العد والإحصاء ، وقد أحصى العدد والطبيعة كل ما خلا من العالم حتى بلغ إلينا وحيث ثبت هذا ، فالإحصاء منا إلى أولية العالم صحيح موجود بلا شك ، وإذ ذلك كذلك فللعالم أول ضرورة وبالله التوفيق) [١] .

الرابع : أن ما يقع عليه العدد لا سبيل إلى وجود ثان منه ، إلا بعد أول ، ولا ثالث إلا بعد ثان وهكذا أبداً .

وفي وجودنا جميع الأشياء التي في العالم معدودة أيجاب ، أنها ثالث بعد ثان ، وثان بعد أول وفي صحة هذا وجوب أول ضرورة ، وقد نبه الله تعالى على هذا الدليل وعلى الذي قبله وحصرهما في قوله تعالى ﴿وأحصى كل شيء عدداً﴾ [٢] والآخر والأول من باب المضاف فالآخر آخر للأول والأول أول للآخر ، ولو لم يكن أول لم يكن آخر .

فثبت بكل ما سبق من البراهين أن العالم ذو أول ، وإذا كان ذا أول فلابد ضرورة من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها ، وهي : إما أن يكون أحدث ذاته وإما أن يكون حدث بغير أن يحدثه غيره ، وبغير أن يحدث نفسه وإما ان يكون أحدثه غيره) ثم أبطل الاحتمال الأول والثاني وأثبت الثالث ، وهو أنه محدث من الله عزوجل [٣] .

ثم بعد هذا العرض المتواضع لهذه المسألة فنخلص إلى أن العالم كله محدث، والمحدث لابد له من محدث ، وهو الله عزوجل كما أخبر في كتابه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، وكفى بالادلة السابقة دليلاً لكل من أراد الاهتداء والحق .

---

(١) ابن حزم وموقفه من الالهيات ص ١٢٤ .

(٢) سورة الجن آية ٢٨ .

(٣) انظر ابن حزم وموقفه من الإلهيات ص ١٢٤ ، ١٢٥.

ونكتفي بهذا القدر من عرض الأدلة ونقضها ، ورد أهل السنة والجماعة عليها وبها علم بطلان القول بقدم العالم ، وثبت أنه حادث وان الله هو المحدث له ونحب هنا أن نرجح القارئ الكريم إلى تفصيل هذه الأدلة ، وربطها في مواضعها من كتب أهل العلم التي أطلعنا عليها ، لمن أراد الإستزادة والإستفادة منها ، والله الموفق [1] .

---

(١) تهافت الفلاسفة ص ٨٨ وما بعدها ، فتاوى ابن تيمية ٢٨٠/٩ وما بعدها و٢٢٠/١٢ وما بعدها و٤٤٤/١٦ ، المواقف في علم الكلام ص ٧٦ وما بعدها ، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ص ٤١ ، منهاج السنة النبوية ١/اغلب مباحث هذا المجلد و ٢٧٢/٢ ومابعدها ، الفرقان بين الحق والباطل ص ١٧٤ ومابعدها ، مجموعة الرسائل والمسائل ص ٣٧٤ ومابعدها ، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين ٣١٦/٣ ـ ٣٨٩ ، كتاب التوحيد للماتريدي ص ٣٠ ومابعدها ، كتاب نهاية الأقدام في علم الكلام ص ٥ ومابعدها ، درء تعارض العقل والنقل ١٩٦/٩ ومابعدها ، موافقة صحيح المنقول لصريح قدم الأدلة المعقول ٢٦١/١ ومابعدها و٥٤/٢ ومابعدها و ، كتاب التمهيد لقواعد التوحيد ١٢٣ ومابعدها، تبصرة الأدلة في أصول الدين ص ٦١ ومابعدها ـ هذا مع عدم الاستقصاء .

المطلب الثالث : تنزيه التوحيد عن الشرك (التصوير ، الكهانة ، السحر) :

قبل ان نخوض في هذا المبحث ، لابد لنا من الاطلاع على تعريف ولو موجز لمعنى الشرك ، والمراد منه وأقسامه حتى يمكن فهم هذا المبحث ، كما ينبغي فنقول :

الشرك في اللغة ، يأتي غالباً لمعنى الشراكة في أي شيء كان .

يقول ابن فارس : ((الشرك) الشين والراء والكاف أصلان ، أحدهما يدل على مقارنة وخلاف انفراد ، والآخر يدل على امتداد واستقامة .

فالأول الشركة ، وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما ويقال شاركت فلاناً في الشيء ، إذا صرت شريكه . قال الله جل ثناؤه في قصة موسى : ﴿وأشركه في أمري﴾ [1] .

وأما الأصل الآخر فالشرَك : لقَم الطريق ، وهو شراكه أيضاً ، وشراك النعل مشبه بهذا ، ومنه شرك الصائد ، سمى بذلك لامتداده) [2] .

قال في الصحاح (وشاركت فلاناً صرت شريكه ، واشتركنا وتشاركنا في كذا وشركته في البيع والميراث ، أشركه شِركةً والاسم الشِرك) . [3]

ويقول ابن منظور (الشركة مخالفة الشركين، يقال اشتركنا بمعنى تشاركنا) [4] .

(وماء ليس فيه أشْراكٌ ، أي ليس فيه شركاء واحدها شَرك) [5] .

---

(١) سورة طه / ٣٢ .

(٢) معجم مقاييس اللغة ج٣ ص ٢٦٥ .

(٣) الصحاح مادة شرك ١٥٩٣/٤ .

(٤) لسان العرب مادة شرك ٢٢٤٨/٤ .

(٥) لسان العرب مادة شركة ٢٢٩/٤ .

وجاء في الصحاح (والشِرك أيضاً الكفر ، وقد أشرك فلان بالله ، فهو مُشرِك ومشركيٌّ) [1] من باب انه جعل معه الهاً غيره سواء في الألوهية ، أو في الربوبية أو فيما يختص به من الأسماء والصفات .

ويوضح ابن منظور هذا المعنى بقوله: (وأشرك بالله : جعل له شريكاً في ملكه ــ تعالى الله عن ذلك ــ والأسم الشرك ، قال الله تعالى ، حكاية عن عبده لقمان أنه قال لإبنه ﴿يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ [2] ، والشرك : أن يجعل لله شريكاً في ربوبيته ــ تعالى الله عن الشركاء والأنداد ــ وإنما دخلت الباء في قوله (لا تشرك بالله) لأن معناه لا تعدل به غيره ، فتجعله شريكاً له ، وكذلك قوله تعالى : ﴿وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً﴾ [3] لأن معناه عدلوا به ، ومن عدل به شيئاً من خلقه فهو كافر مشرك ، لأن الله وحده لا شريك له ولا ند له) [4]

---

(١) الصحاح مادة شرك ٢/١٥٩٣ ــ ١٥٩٤ .

(٢) سورة لقمان / ١٣ .

(٣) سورة الأعراف الآية ٣٣ .

(٤) لسان العرب مادة شرك ٤/٢٢٤٩ .

ثانياً : المعنى الاصطلاحي للشرك :

أما الشرك في الإصطلاح ، فيراد به إشراك غير الله في ما يختص به من العبادة الالوهية أو الربوبية أو الاسماء والصفات ، وصرفها إلى هذا الشخص من جن أو إنس أو صفة أو غيرها ، سواء كان حباً أو خوفاً أو غير ذلك ، فاذا أشرك غير الله فيما يختص به الله فانه مشرك .

يقول ابن تيمية (فمن جعل لله نداً من خلقه فيما يستحقه عزوجل من الإلوهية والربوبية ، فقد أشرك) [1] ولهذا نرى ابن تيمية وغيره من العلماء ، يقسم الشرك الكفري إلى قسمين شرك في الربوبية ، وشرك في الألوهية .

يقول ابن تيمية في ذلك (والشرك الكفري نوعان فأما الشرك في الألوهية، فهو أن يجعل لله نداً ، أي مثلا في عبادته أو محبته أو خوفه أو رجائه أو إنابته، فهذا الشرك الذي لا يغفره الله ، إلا بالتوبة منه) [2] .

(وأما النوع الثاني فالشرك في الربوبية ، فإن الرب سبحانه هو المالك المدبر المعطي المانع الضار النافع ... فمن شهد أن المعطي أو المانع أو الضار، أو النافع ... غيره فقد أشرك بربوبيته) [3] .

وبعضهم يقسم هذا الشرك ، وهو الشرك الكفري إلى أنواع منها :

النوع الأول : شرك الدعوة ، والدليل قوله تعالى ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾ [4] .

---

(١) انظر الفتاوى ١/٨٨ .
(٢) الفتاوى ١/٩١ .
(٣) الفتاوى ١/٢٩ ، وقد فصل هذه الأنواع في الواسطية بين الحق والخلق من ص ٥ إلى ص ٣٦ .
(٤) سورة يونس / ١٠

النوع الثاني : شرك النية والإرادة والقصد ، والدليل قوله تعالى﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾ (١) .

النوع الثالث : شرك الطاعة ، والدليل قوله تعالى : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ (٢) وتفسيرها الذي لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد في المعصية لادعائهم إياهم كما فسرها النبيﷺ لعدي بن حاتم ، لما سأله فقال : لسنا نعبدهم فذكر له أن عبادتهم ، طاعتهم في المعصية .

النوع الرابع : شرك المحبة ، والدليل قوله تعالى : ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله﴾ (٣) .

وبعض العلماء نبه إلى أنه من أنواع الشرك الأكبر ، عبادة غير الله فلا يلزم من لفظ الشرك تشريك غيره معه ، بل قد يكون عبادة غيره بالكلية ، بدون تشريك لله فيها أقبح أنواع الشرك ، يقول ابن باز : (ومن الشرك أن يعبد غير الله عبادة كاملة فانه يسمى شركاً ، ويسمى كفراً فمن أعرض عن الله بالكلية ، وجعل عبادته لغير الله كالأشجار أو الجن ... يعبدهم أو يصلي لهم ، وينسى الله بالكلية فهذا اعظم كفراً واشد شركاً) (٤)

---

(١) سورة هود الآية ١٥ .

(٢) سورة التوبة / ٣١ .

(٣) سورة البقرة / ١٦٥ .

(٤) مجموعة فتاوى ومقالات متنوعة لأبن باز ٣٢/٤ .

النوع الثاني من أنواع الشرك التي يذكرها العلماء ، ما ذكره النبي ﷺ وهو الشرك الأصغر فقد روى عن النبي ﷺ انه قال (أخوف ما أخاف عليكم ، الشرك الأصغر قالوا يارسول الله وما الشرك الأصغر ؟ قال : الرياء) .

ويستدل العلماء لهذا النوع ، والاستدال له بالآية في سورة الكهف﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ [(١)] [(٢)] .

النوع الثالث من أنواع الشرك الشرك الخفي ، والدليل عليه قوله ﷺ (الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء ، على صفاة سوداء ، في ظلمة الليل) وكفارته قوله ﷺ (اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئا ، وأنا أعلم وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم) [(٣)] .

ومن خلال هذا العرض المتواضع ، يتبين أن الشرك هو صرف أي شيء من أنواع العبادة لغير الله ، أو اعتقاد أن هناك ربا ومدبرا غير الله أو بصرف شيئا من أسماء الله وصفاته لغيره ، فانه عزوجل لا شريك له لا في ربوبيته ولا في الوهيته ولا في أسمائه وصفاته .

ويتبين كذلك أن هذا النوع من الذنوب ، هو من أكبر الكبائر عند الله ، ولذلك يقول بعض أهل العلم كل ما سمى في الشرع بالكفر أو الشرك من المعاصي فانه اكبر جرما من كبائر الذنوب [(٤)] ، ولما كان الشرك هو أعظم الذنوب عند الله ، فيقول تعالى عنه ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [(٥)] .

---

(١) سورة الكهف الآية ١١٠ .

(٢) راجع كتاب التوحيد للفوزان ص ١٣

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣١٩/٢ وهو عند أبي يعلى عن معقل بن يسار في المسند رقم ٨٥ و٦٠ و٦١ في مسند احمد ٤٠٧/٤ ، وقال الألباني في صحيح الأدب المفرد صحح رقم ٧١٦ .

(٤) اراجع التحفة السنية في تهذيب شرح العقيدة الطحاوية ٢٢٠٦ .

(٥) سورة النساء الآية ٤٨ .

وورد في الصحيحين أن النبيﷺ سأل : أي الذنوب أعظم ؟ فقـــال : أن تجعـل لله نداً وهو خلقك» [1] وفي الصحيحين كذلك أن النبيﷺ قال : «الا انبئكم بأكبـر الكبـائر ؟ قلنـا : بلى ، يا رسول الله قـال : الاشـراك بـالله وعقـوق الوالديـن» [2] .

ولذلك جاء هذا الدين ليسد كل باب يؤدي إلى الشرك سواء ، ما كان فيـه تعظيم للاشخاص ، أو غلواً في الصالحين ، أو البنـاء علـى القبـور أو تعليـق الصور، أو الذهاب إلى الكهنة والعـارفين أو تصديقـهم أو تصديـق السـحرة ، والتعامل معهم كل هذه الأمور نهى عنها هذا الدين ، وسد كل طريق يؤدي إليـها، وسـوف يتضح ذلـك من خلال الكـلام على النقـاط في هـذا المطلـب ، ان شاء الله تعالى .

ولقد عد أكثر أهل العلم التصوير والكهانة والسحر من الشرك بالله واختلـف في قتل الساحر هل يقتل مشركاً مرتداً أو تعزيراً حداً ؟ [3] .

ثم إن التصوير وصناعة التماثيل من اكبر الاسباب الداعيـة إلـى الغلـو والشرك ، ولهذا كان الشرك في قوم نوح ، بسبب ذلك كما سوف يـأتي الإشـارة إليها بإذن الله ، وهي التي سنتناولها بالعرض في هذا المبحث .

---

(١) أخرجـه البخـاري (٤٢٠٧) ، (٥٦٥٥) ، (٦٤٢٦) ، (٧٠٩٤) ، (٤٤٨٣) ، (٦٤٦٨) وأخرجـه مسلم (٨٦) .

(٢) أخرجـه البخـاري (٢٥١١) ، (٥٦٣١) ، (٥٦٣٢) ، (٥٩١٨) ومسلم (٨٧) (٨٨) .

(٣) التحفة السنية في تهذيب شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٢٧ .

أولاً : التصويـــر :

نتحدث عن النقطة الأولى من هذا المطلب ، وهي تنزيـــه التوحيـد عـــن سـبب من أسباب الشرك ، وهو التصوير ونتعرض لما أورده البخاري في هـــذا الشأن ، وخطر هذا الأمر على التوحيد .

التمهيـــــد :

لقد حرص الإسلام على سد كل باب يؤدي إلى الوقوع في بالشرك ، فحـوم الغلو في الصالحين أو الإفراط في القول والإعتقاد ، ولهذا قال تعالى﴿ياأهل الكتـب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القها إلى مريم وروح منه﴾ (١) .

ومعناه لا تفرطوا في تعظيمه فترفعوه عن منزلته ، التي أنزلـــه الله فيـها ولهذا سد النبي هذا الباب ، فقد ورد عن النبي من حديث عمر بن الخطاب رضـي الله عنه في قوله ﷺ ((لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنـــا عبده فقولوا عبدالله ورسوله)) (٢) فهو هنا يحـــذر أمتـــه ، ممـــا فعـل النصـــاري وابتداعهم الرهبانية والغلو في الدين ، وتعظيم عيسى حتى جعلوه إله أشركوه مـــع الله في العبادة ، والتعظم وجعلوا لـــه ولأمه الصـــور والتماثيـــل ، حتى عبدوهـــا كما عبدها قوم نوح بل أشـــد .

قال ابن كثير في بيان سبب عبادة قوم نوح هذه الأوثّان ، قال عطاء عـــن ابن عباس : صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد. أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل ، وأما سواع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد ، ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان ، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي كلاع وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام ، فلما هلكوا أوحى

---

(١) سورة النساء / ١٧١ .

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٦١) .

الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ، ففعلوا . فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ، ونسخ العلم عبدت ، وكذا روي عن عكرمة ، والضحاك وقتادة وابن إسحاق نحو هذا [1] .

فكان تصوير هؤلاء الأشخاص سبب في عبادتهم ، ولذلك حرم الاسلام التصوير وشدد في التغليظ على الصور ، قال في قرة العيون (فصارت هذه الأصنام بهذا التصوير على صور الصالحين سلماً إلى عبادتها وكل ما عبد من دون الله من قبر أو مشهد أو صنم أو طاغوت ، فالأصل في عبادته هو الغلو كما لا يخفى على ذوي البصائر) [2] ثم إن من أكبر هذا الغلو التصوير لهؤلاء الصالحين ، وصنع التماثيل لهم وهو من أكبر اسباب الشرك، ولذلك نراه إلى اليوم واقع كما في عبادة مريم ، وعيسى وصنع التصاوير لهم .

قال ابن القيم رحمه الله : (قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم) [3] .

وقال صاحب كتاب فتح المجيد (وسبب تلك العبادة والموصل أليها هو ما جرى من الأولين من التعظيم بالعكوف على قبورهم ، ونصب صورهم في مجالسهم ، فصارت بذلك أوثانا تعبد من دون الله ، فإنهم تركوا دين الإسلام الذي كان أولئك عليه قبل حدث وسائل الشرك وكفروا بعبادة تلك الصور واتخذوهم شفعاء ، وهذا أول شرك حصل في الأرض) [4] .

---

(٣) تفسير ابن كثير ٤٢٧/٤ .

(٢) نقلا عن كتاب فتح المجيد ص ٢١١ .

(٣) فتح المجيد ٢١٢ .

(٤) فتح المجيد ص ٢١٣ .

ولما كان التصوير أحد أقوى أسباب الشرك ، فقد منع الإسلام هذا السبب وحاول سد كل طرقه ومنعه ولذلك وقع الشرك قديما وحديثا ، بمثل هذا السبب كما سوف يتضح إن شاء الله تعالى ، وقبل الخوض في هذا المبحث والكلام على التصوير لابد من ذكر المعنى اللغوي للتصوير ، ثم المعنى الإصطلاحي حتى نتمكن من فهم المراد منه ثم الحكم عليه .

المعنى اللغوي للتصوير :

تكاد معظم معاجم اللغة تجمع على أن (الصورة ــ بالضم : الشكل والهيئة والحقيقة والصفة) [1] .

والظاهر أن فيها لغتان ، قال في الصحاح (الصورة بالكسر لغة وفي الصورة بالضم لغة أيضا) [2] .

وفي معجم مقاييس اللغة (الصورة صورة كل مخلوق والجمع صور ، وهي هيئة خلقته والله تعالى المصور) [3] .

والصورة الوجه . ومن حديث (أما علمت أن الصورة محرمة) والمراد به المنع من اللطم على الوجه) [4] .

غير أن الصورة غالبا ما تطلق على الشكل ، ولذلك أكثر من فسرها من أهل اللغة بهذا يقول ابن منظور (الصورة في الشكل) [5] .

ويقول الفيروز آبادي (الصورة الشكل والتماثيل الصورة) [6] .

وقال الجوهري (التصاوير التماثيل) [7] .

---

(٢) تاج العروس مادة صور ١٢/٣٥٧ ــ ٣٥٨ .

(٢) الصحاح مادة صور ٢/٧١٦ .

(٣) معجم مقاييس اللغة مادة صور ٣/٣٢٠ .

(٤) تاج العروس مادة صور ١٢/٣٥٨ .

(٥) لسان العرب مادة صور ٤/٤٧٤ .

(٦) القاموس مادة صور ٢/٧٣ .

(٧) الصحاح مادة صور ٢/٧١٧ .

ويقول ابن منظور (التصاوير التماثيل) [1] .

وقال في مادة مثل (التمثال الصورة والجمع التماثيل ، ومثل له الشيء صورة كأنه ينظر إليه ، والتمثال : اسم للشيء المصنوع مشبهاً ، بخلق من خلق الله وجمعه التماثيل [2] .

المعنى الشرعي للتصوير :

وإلى هذا المعنى ذهب أكثر المفسرين ، منها على سبيل المثال تفسير الطبري ، حيث فسر قوله تعالى : ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء﴾ [3] ، قال : (يعني بذلك جل ثناؤه : الله الذي يصوركم : فيجعلكم صوراً أشباحاً في أرحام أمهاتكم ، كيف شاء وأحب ، فيجعل هذا ذكراً وهذا أنثى ، وهذا أسود وهذا أحمر ، يعرف عباده بذلك أن جميع من اشتملت عليه أرحام النساء ، فمن صوره وخلقه كيف شاء ...) [4] . والظاهر انهم يقصدون الشكل والشبه .

وقال الرازي في تفسيرها : (أما قوله ﴿ هو الذي يصوركم ﴾ [5] ، قال الواحدي : التصوير : جعل الشيء على صورة ، والصورة : هيئة حاصلة للشيء عند إيقاع التأليف بين أجزائه . وأصله : من صاره يصوره إذا أماله : فهي صورة ، لأنها مائلة إلى شكل أبويه) . وهنا كذلك في الشكل والهيئة .

ويقول الآلوسي في تفسيرها : (... والتصوير : جعل الشيء على صورة لم يكن عليها ، والصورة هيئة يكون عليها الشيء بالتأليف) [6] .

---

(١) لسان العرب مادة صور ٤/٤٧٥ .

(٢) لسان العرب مادة مثل ١١/٦١٠ – ٦١١ .

(٣) سورة آل عمران ، آية ٦ .

(٤) تفسير الطبري ٨/١٦٦ .

(٥) سورة آل عمران الآية ٦ .

(٦) كتاب تفسير روح المعاني للآلوسي ٣/٧٨ .

وقال في زاد المسير (التصوير التخطيط والتشكيل ، والمصور الذي أنشأ خلقه على صورة مختلفة ، ليتعارفوا بها) [١] .

وإذا أردنا النظر في المعنى المراد من الأحاديث التي رواها البخاري في كتاب بدء الخلق ــ عن التصوير ــ يتضح جلياً أن المعنى ، هو التماثيل أو ما يكون من شكل وتخطيط على ثوب ، أو بساط أو غيره . يقول النووي في تعليقه على الحديث الذي رواه البخاري ومسلم ((ان الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب، ولا تصاوير وفي رواية صورة ، وفي رواية صورة تمثال)) [٢] .

قال النووي في كلامه على المعنى المراد من الحديث ، وشموله لكل صورة: (وسواء ما كان في ثوب أو بساط ــ يعني الصور ــ أو درهم أو فلس أو أناء أو حائط أو غيرها ، وهي صور الحيوان ، أما غير الحيوان من شجر ورحال الأبل وغير ذلك ، مما ليس فيه صورة حيوان فليس بحرام) [٣] .

وقال ابن حجر (والصورة التي لا تدخل الملائكة البيت الذي هي فيه ما حرم أقتناؤه ، وهو ما يكون من الصور التي فيها الروح مما لم يقطع رأسه أو لم يمتهن) [٤] ولم يفرق بين التماثيل وغيرها ، وما له ضل وما ليس له ضل .

ثم نقل قول النووي السابق في تأييد هذا القول ، ثم استدل بحديث رواه الامام احمد عن علي (قال أيكم ينطلق إلى المدينة ، فلا يدع بها وثناً الا كسره ولا صورة، إلا لطخها أي طمسها) [٥] ففرق هنا بين الوثن والصورة ، وقال في الصورة باللطخ وهو الطمس والوشم بالكسر مما يعني أنها مرسومة رسماً ، أو شكلاً بغير نحت .

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٢٢٨/٨ .

(٢) اخرجه البخاري ح (٣٢٢٥) في كتاب بدء الخلق (٣٢٢٦٠) و(٣٣٢٢) و(٤٠٠٢) و(٥٩٤٩) و(٥٩٥٨) و(٥٩٦٠) واخرجه مسلم ح ٢١٠٦ بروايات متقاربة .

(٣) شرح مسلم للنووي ٨١/١٤ .

(٤) فتح الباري ٣٩٥/١٠ ، وانظر عمدة القاري ١٣٩/١٥ .

(٥) فتح الباري ٣٩٧/١٠ .

ثم ذكر بعد هذا قول عن الخطابي ، يرى فيه تخصيص هذه الصورة بالتمثال قال (قال الخطابي إنما عظمت عقوبة الصور ، لأن الصور كانت تعبد من دون الله ولأن النظر إليها يفتن ، وبعض النفوس إليها تميل . قال والمراد بالصور هنا التماثيل التي لها روح) [1] ومراده انها مصورة لشيء فيه روح وحياة ، غير أن ابن حجر رجح ان الصورة لا يلزم أن تكون هي التمثال ، بل هي شاملة لكل ما يطلق عليه أسم الصورة ، يقول : (ولا فرق بان تكون الصورة لها ظل أو ليس لها ظل ، ولا بين أن تكون مدهونة أو منقوشة أو منقورة أو منسوجة خلافاً، لمن استثنى النسخ وأدعى انه ليس بتصوير) [2] .

وممن أيد هذا القول شارح سنن ابي داود العلامة السهارنفوري في تعليقه على حديث ابن عمر في امر عمر بن الخطاب ان يأتي الكعبة ويمسح كل صورة» [3] قال (أي تمثال على صورة نبي أو ملك من الملائكة أو نحو ذلك مما كان منقوشاً في حائط أو له جرم ، أو غير ذلك مما فيه الروح) [4] . فلم يفرق بين الصورة والتمثال ، وجعلها واحد وقال في موضع آخر (المراد بالصورة صورة حيوان إن كان معلقاً على حائط أو ثوب ملبوس أو عمامه أو نحو ذلك ، مما لا يعد ممتهناً بخلاف ما كان في بساط يداس ، أو وسادة أو نحوها) [5] فأطلق على الجميع صورة .

فالكل يطلق عليه صورة سواء كان على شكل تمثال ، أو كان منقوشاً في ثوب أو ستر ولذلك اكثر الاحاديث سمت هذه صوراً ، فالكل يطلق عليه صورة والظاهر أن المراد به ما شكل وخطط وشبه بخلق الله ، أطلق عليه صورة . قال الزهري (النهي في الصورة على العموم ، وكذلك إستعمال

---

(١) فتح الباري ٣٩٧/١٠ .
(٢) المرجع نفسه ٤٠٣/١٠ .
(٣) انظر البخاري ح (١٦٠١) و(٣٣٥١) و(٣٣٥٢) .
(٤) بذل المجهود في شرح سنن ابي داود ٣٩/١٧ .
(٥) بذل المجهود في شرح سسن ابي داود ٣٤/١٧ .

ما هي فيه ودخول البيت الذي هي فيه سواء كانت رقماً في ثوب ، أو غير رقم وسواء كانت في حائط أو ثوب أو بساط ممتهن ، أو غير ممتهن عملاً بظاهر الاحاديث لاسيما حديث النمرق) [1] .

وقد يراد بالصورة الوجه خاصة ، كما مر بنا في المعنى اللغوي في «نهي النبي عن ضرب الصورة وتفسيرها ،بأنها الوجه وقد نص ابن تيمية على أن بعض العلماء يرى ذلك قال : وفي الحديث ــ مر بالرأس فليقطع» [2] قال (ولهذا نص الأئمة على ذلك ، وقالوا الصورة هي الرأس . فإذا قطع فلا يبقى فيها روح ، فيبقى مثل الجمادات) [3] فاذا زال الرأس هنا زال حكمها عنها ، فاصبحت مثل الجماد . فكان المراد بها ما يشكل على شيء آخر ، ويحكى عليه ولذلك إذا زال الرأس زال التصوير فأصبت لا تحاكي شيء معين .

فمن خلال ما سبق يتضح أن الصورة هي التمثال ، والتمثال هو الصورة سواء لها ظل أو ليس لها ظل ، وليس المراد بالتمثال الجسم كما هو المتعارف عليه الآن ، بل كل صورة تمثال سواء كانت منقوشة أو كانت مرسومة رسماً على جدار ، كما وقع في رسم الصور داخل الكعبة ، وتسميتها من النبي بالصورة أو غير ذلك من الأسماء [4] ، والراوية الأخرى أن النبي «أمر بالآلهة أن تخرج من الكعبة فأخرج إبراهيم وإسماعيل وفي أيديهم الأزلام» [5] فدل الحديث أن الصورة تطلق ويراد بها العموم سواء التمثال أو غير مما هو مشكل على حائط ، أو قماش أو غيره من الأشياء ، كلها يطلق عليها صورة غير أنه إذا أزيل رأسه، فإنه لا يطلق عليه حينئذٍ صورة كما قال ابن تيمية في النقل السابق عنه ، ونحن هنا نريد المعنى الإصطلاحي للصورة وليس مرادنا الحكم عليّها ، فإن هذا له موضع آخر بأذن الله .

---

(١) ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٢٧٤/٤ .

(٢) أخرجه أحمد ٣٠٥/٢ وابو داود (٤١٥٨) والترمذي ١١٥/٥ وقال حسن صحيح وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ح(٢٨٠٦) وأخرجه ابن حبان (٥٨٥٤) وقال الأرنؤوط هو صحيح على شرط مسلم .

(٣) الفتاوي ٣٧٠/٢٦ .

(٤) انظر البخاري ح (٣٣٥١) ، (٣٣٥٢) .

(٥) انظر البخاري ح (١٦٠١) .

أحكـــــام الصــــور :

نحن في هذا المبحث سوف نقوم بذكر الأحكام العامة ، للصور ونقوم بذكـو الأحاديث التي ذكرها البخاري في كتاب بدء الخلق ، ثم نتلمس بعد ذلك الحكمـــة من التحريم للصور ــ والله المستعان ــ .

أولا : سوف نذكر المسائل المتفق عليها ، بين العلماء ثم نذكر بعد ذلك المســائل الخلافية وتبيين الراجح بإذن الله .

فنقول أولا حكم أتخاذ الصور المجسمة لذي الروح غير الممتهن ، فان هـذا متفق على تحريمه بين العلماء ، إلا من شذ منهم وقد حكى الإجماع علـــى ذلـك النووي فقال : (وأجمعــوا علـــى منـــع ما كـــان له ظل ووجــوب تغـيره قـال القاضي إلا ما ورد في لعب البنات) [١] ونقل الإجماع كذلك ابن العربي ، يقـــول ابن حجر في ذلك (وقال ابن العربي حاصل ما في الصور ، ان كانت مـــن ذوات الاجسام حرم بالإجماع) [٢] .

وقال في موضع أخر (أن ابن العربي من المالكية نقــل ، أن الصـــورة إذا كان لها ظل حرم بالإجمـــاع سواء كان مما يمتهن أو لا) قال وهذا الإجماع محلـه غير لعب البنات كما سوف أذكره) [٣] .

ونقل الإجماع كذلك الشيخ محمد الحبـــش ، فقـــال (لا شـــك أن التمـــاثيل المنحوتة من مادة صلبة ، لذي روح كامل الجسم يقصد مضاهاة خلق الله محرمـــة قطعا ، وهي المقصودة بالتحريم في النصوص الكثيرة ، وهو محـــل اتفـــاق بيـــن العلماء) [٤] ونقل الإجماع كذلك أصحاب كتاب حكم الإسلام في الصور والتصوير فقال (من الامور المتفق عليها بين العلماء ــ إلا من شذ منهم ولا يؤخذ برأيـــه إن الصور المجسمة لما له روح وغير ممتهن يحرم أتخاذها كما يحرم تصويرها [٥].

---

(١) شرح مسلم ٨٢/١٤ .

(٢) فتح الباري ٤٠٥/١٠ .

(٣) فتح الباري ٤٠١/١٠ .

(٤) حكم الإسلام في الصور والتصوير وندل جبر ص ٢٧ .

(٥) أحكام التصوير في الفقه الإسلامي للشيخ محمد الحبش ص ٢٢ .

أما من قصد بهذا التصوير صنع الأصنام ، أو ألهة تعبد من دون الله فقد حكم عليه العلماء بالكفر ، وأن كان مسلما يقول النووي : (فمن فعل الصورة لتعبد وهو صانع الأصنام ، ونحوها فهذا كافر ، وهو أشد عذابا وكذلك من فعلها ليضاهي بها خلق الله فقد كفر) [1] ، كذلك يقول ابن حجر ، في تعليقه على حديث أشد الناس عذابا المصورين ، قال : قال الطبري (بأن المراد هنا من صور ما يعبد من دون الله ، وهو عارف بذلك قاصدا له فإنه يكفر بذلك) [2] .

أن هذه المسألة وهي تصوير ذوات الأرواح ، وجعلها على هيئة مجسمات غير ممتهنة حرام بالإجماع وأستثنى العلماء من الصور المجسمة ، ما كان من لعب البنات .

وعمدتهم في هذا الباب ما رواه الشيخان ، والنسائي وأبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : ((كنت ألعب بالبنات ، فربما دخل النبي ﷺ وعندي الجواري ، فإذا دخل خرجن ، وإذا خرج دخلن)) [3] .

وفي رواية أبو داود عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، أنها قالت: ((قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر ، وفي سهوتها ستر ، فهبت ريح ، فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة رضي الله عنها لعب . فقال ﷺ : ما هذا يا عائشة ؟ قالت : بناتي . ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاع فقال : ما هذا الذي أرى وسطهن ؟ قالت : فرس . قال : وما هذا الذي عليه ؟ قالت : جناحان . قال : فرس له جناحان ؟ قالت : أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة ؟ قالت : فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه)) [4] . فهذا نص في أباحة هذه اللعب للأطفال عند العلماء .

---

(١) شرح مسلم للنووي ٩١/١٤ .

(٢) فتح الباري ٣٩٧/١٠ .

(٣) والبخاري في الأدب باب الانبساط إلى الناس ح (٦١٣٠) ، ومسلم ح١٨٩٠ رقم الحديث ٢٤٤٠ .

(٤) سنن أبي داود ٢٢٧/٥ وقال أسناده صحيح .

ثانيا : من المسائل المتفق عليها في الإباحة تصوير ، مالا روح له مثل الشجر والشمس والقمر ، ويدخل تحت ذلك ما كان مقطوع الرأس :

هذه المسألة كذلك لا خلاف فيها بين أهل العلم على جوازها ، وذلك لحديث ابن عباس الذي رواه البخاري ((عن سعيد بن ابي الحسن قال : كنت عند ابن عباس رضي الله عنهما ، إذ أتاه رجل فقال : يا أبن عباس إني إنسان ، إنما معيشتي من صنعة يدي ، وإني أصنع هذه التصاوير ، فقال ابن عباس : لا أحدثك إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ ، سمعته يقول : من صور صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح ، وليس بنافخ فيها أبدا ، فربا الرجل ربوة شديدة، واصفر وجهه . فقال : ويحك إن أبيت إلا أن تصنع فعليك بهذا الشجر؛ كل شيء ليس فيه روح)) [1] .

أن هذا الحديث هو عمدة من أجاز تصوير مالا روح له ، لأن ابن عباس صرفه إلى ذلك ، ولم يعلم من الصحابة من أنكر عليه ذلك ، أو خالفه فيه ، وقد مال إلى هذه الإباحة البخاري رحمه الله ، فبوب لهذا الحديث بقوله (باب التصوير التي ليس لها روح) [2] .

قال ابن حجر (يستدل بهذا الحديث على جواز تصوير مالا روح له من شجر أو شمس أو قمر ... وقال مجاهد الشجر غير المثمر ، وأما ما يثمر فإنه ألحق بما له روح ، قال عياض : لم يقله أحد غير مجاهد ... قال الطحاوي هذا مردود ، بأن الصورة لما أبيحت بعد قطع رأسها التي لو قطعت من ذوي الروح، لما عاش دل ذلك على إباحة مالا روح له أصلا) [3] .

---

(١) رواه البخاري ح (٢٢٢٥) و (٥٩٦٣) و (٧٠٤٢) . ورواه مسلم ح (١٦٧٠) (٣١١٠) بعدة طرق .

(٢) فتح الباري ٤/٤٨٥ .

(٣) فتح الباري ١٠/٤٠٩ .

وقال النووي (والجمهور على جواز صور الشجر وغيره ، مما ليس بحيوان وقد قدمنا أن هذا جائز عندنا) [1] وقال (وأما تصوير صورة الشجر، ورحال الإبل وغير ذلك مما ليس فيه صورة حيوان ، فليس بحرام) [2] .

قال ابن تيمية ((ولهذا يفرق في هذا بين التصوير بين الحيوان وغير الحيوان فيجوز صورة الشجر والمعادن في الثياب والحيطان ونحو ذلك .. ولهذا قال ابن عباس للمتفتى الذي أفتاه (صور الشجر ومالا روح فيه) وفي السنن أن النبي ﷺ قال له جبريل في الصورة ، مر بالرأس فليقطع)) [3] .

ولهذا نص الأئمة على ذلك وقالوا الصورة هي الرأس ، إذا قطع لا يبقى فيها روح فيبقى مثل الجمادات ، وهذا التصوير ليس فيه غش ولا لبس ، ولا تشبيه بخلق الله عزوجل) [4] .

وقال في تحفة الأحوذي في تعليقه على حديث أبي هريرة الذي فيه ((مر بالتمثال فليقطع رأسه)) فيه دليل على أن الصورة إذا غيرت هيئتها ، بأن قطع رأسها أو حلت أو طمسها حتى لم يبقى منها إلا الأثر ، على شبه الصورة فلا بأس به وعلى أن موضع التصوير ، إذا نقض حتى تتقطع أوصالة جاز أستعماله) [5]

ونخلص هنا أن الصورة هي الرأس ، فإذا زال زال الحكم.

ولذلك دخل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ لما قطع الرأس في التمثال المنصوص عليه . قال ابن حجر(ونقل الرافعي عن الجمهور ، أن الصورة إذا قطع رأسها أرتفع المانع) [6] .

فمن خلال ما سبق من الأحاديث والنقول عن العلماء ، يتضح أن ما كان لغير ذوات الأرواح أو كان مقطوع الرأس ، فإنه غير داخلٌ في النهي والتحذير من التصوير المروي إلى الشرك .

---

(١) شرح مسلم ٨٥/١٤ ــ ٨٦ .

(٢) شرح مسلم ٨١/١٤ .

(٣) أخرجه الترمذي في السنن ج ٣٥/٨ (٢٨٠٧) ، ورواه ابن حبان (٥٨٥٤) والبيهقي (٢٧٠/٧) .

(٤) انظر الفتاوي ٣٧٠/٢٩ .

(٥) تحفة الأحوذي ٩٠/٨ .

(٦) فتح الباري ٤٠٢/١٠ .

ثالثا : تصوير مالا ظل له أو الرقم في الثوب :

وهذه المسألة هي التي وقع فيها الخلاف القوي بين العلماء .

والخلاف وارد لوجود أحاديث عن النبيﷺ ، أو فعل منه أو من الصحابة كما سوف يتضح من خلال العرض بسببه كان أعتماد العلماء على القول ، بجواز هذا النوع فمن ذلك حديث البخاري الذي قال فيه «حدثنا أحمد ، حدثنا ابن وهب أخبرنا عمرو أن بكير بن الأشج حدثه أن بسر بن سعيد حدثه أن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه حدثه ، ومع بسر بن سعيد عبيد الله الخولاني الذي كان في حجر ميمونة رضي الله عنها ، زوج النبي ﷺ حدثهما زيد بن خالد ، أن أبا طلحة حدثه أن النبيﷺ قال : لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة . قال بسر : فمرض زيد ابن خالد ، فعدناه ، فإذا نحن في بيته بستر فيه تصاوير ، فقلت لعبيد الله الخولاني، ألم يحدثنا في التصاوير ؟ فقال : إنه قال (إلا رقم في ثوب) ألا سمعته ؟ قلت : لا . قال : بلى قد ذكره» (1) .

وسوف نذكر هنا أقوال العلماء في هذه المسألة على الإجمال ، ثم بعد ذلك نذكر الراجح منها .

أختلف العلماء في هذه المسألة ، على ثلاثة أقوال :

القول الأول : المنع من أتخاذ الصور جميعا ، سواء ممتهنة أو غير ممتهنة، ما له ظل أو غيرها ، وقد نسب ابن حجر هذا القول إلى إبن العربي ، وأدعى الإجماع عليه ، قاله ابن حجر (ان ابن العربي نقل الإجماع على أن الصورة إذا كان لها ظل حرمت سواء كانت ممتهنة أو لا ثم قال : وهذا الإجماع محله غير لعب البنات) (2) .

---

(1) اخرجه البخاري ح (٣٢٢٦) كتاب بدء الخلق وح (٥٩٥٨) ومسلم ١٦٦٥/٣ ح (٢١٠٦) بروايات عديدة .

(2) فتح الباري ٤٠١/١٠ .

ونقل ابن حجر هذا القول كذلك عن الداودي ، عند كلامه عن حديث النمرقة الذي سوف نذكره بعد قليل ، قال : (وأدعى الداودي أن حديث الباب ناسخ لجميع الأحاديث الدالة على الرخصة ، وأحتج أنه خبر والخبر لا يدخله النسخ ، فيكون هو الناسخ) [1] . ثم رد عليه ابن حجر هذا القول . وهذا القول هو قول الزهري أيضا ، حيث نقله القسطلاني عنه حيث ، قال : (وقال الزهري النهي في الصورة على العموم، وكذلك استعمال ما هي فيه ودخول البيت الذي هي فيه سواء كانت رقما في ثوب ، أو غير رقم وسواء كانت في حائط أو ثوب أو بساط ممتهن ، أو غير ممتهن عملا بظاهر الأحاديث لاسيما حديث النمرقة [2] .

وعمدة هؤلاء العلماء في هذا القول ، ما يلي :

منها حديث الصحيحين عن ابن عباس ، عن أبي طلحة رضي الله عنهم، قال : قال رسول الله ﷺ (لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا تصاوير) [3] .

وما رواه مسلم عن أبي طلحة الأنصاري قال : سمعت رسول الله ﷺ قال: ((لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا تماثيل)) [4] .

وفي رواية أخرى : سئلت عائشة رضي الله عنها ، عن الحديث الآنف الذكر هل سمعته من رسول الله ﷺ ؟ فقالت : لا ، ولكن سأحدثكم ما رأيته فعل . رأيته خرج في غزواته ، فأخذت نمطا فسترته على الباب ، فلما قدم فرأى النمط

(١) فتح الباري ١٠/٤٠٤ .

(٢) ارشاد الساري الى صحيح البخاري ٥/٢٧٤ .

(٣) انظر صحيح البخاري ح ٥٦٠٥ ومسلم ح ٢١٠٤ بروايات كثيرة . وسبق تخريجه .

(٤) أخرجه البخاري ح ٣٢٢٥ ومسلم ح ٢١٠٦ .

عرفت الكراهية في وجهه ، فجذبه حتى هتكه أو قطعه . وقال : إن الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين . قالت : فقطعنا منه وسادتين وحشوناهما ليفا فلم يعب ذلك علي) [1] .

«وفي رواية أخرى في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير . فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخل ، فعرفت في وجهه الكراهية فقالت : يارسول الله ، أتوب إلى الله وإلى رسوله فماذا أذنبت ؟ فقال رسول الله ﷺ : إن أصحاب هذه الصور يعذبون ويقال لهم : أحيوا ما خلقتم . ثم قال : إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة» [2] .

قال الشيخ التويجري في تعليقه على حديث عائشة ، وميله إلى تحريم جميع أنواع الصور ، ما له ظل وما ليس كذلك قال (قد اشتمل حديث عائشة على فوائد كثيرة :

إحداها : تحريم التصوير ، حيث يتبين ذلك من إنكار النبي ﷺ لنصب الستر الذي فيه الصور ، ومن هتكه له ، ومن تلون وجهه لما رآه ، ومن الوعيد الشديد للمصورين .

الثانية : أنه من الكبائر لما جاء فيه ، من الوعيد الشديد .

الثالثة : أن علة التحريم هي المضاهاة بخلق الله تعالى ، وذلك من أعظم الظلم . والمضاهاة : هي المشابهة والمماثلة .

وللتحريم علة أخرى ، وهي أن التصوير ذريعة إلى عبادة الصور كما وقع ذلك لقوم نوح وللنصارى وغيرهم من المشركين [3] .

---

(١) صحيح مسلم ح ٢١٠٧ .

(٢) اخرجه البخاري ح ٥٩٥٤ ، ومسلم ح ٢١٠٧ بروايات متعددة .

(٣) إعلام النكير على المفتونين بالتصوير ص ٣٥ .

هذه أهم أدلتهم في هذه المسألة ، وهي أدلة عامة سوف نجيب عنـــها فـــي آخر المبحث .

القول الثاني : أن الصور تحرم إذا كانت غير ممتهنة وغير محرمة ومباحـــة إذا كانت بعكس ذلك وهو قول الجمهور ، وقد نقل النووي هذا القول عن الجمـــهور ، يقول في ذلك : قال (وأما اتخاذ المصور فيه صورة حيوان ، فان كان معلقا علـــى حائط أو ثوبا ملبوسا ، أو عمامة ونحو ذلك مما لا يعد ممتهنا فـــهو حـــرام ، وإن كان في بساط يداس ومخدة ووسادة ونحوها ، مما يمتهن فليس بحرام ولكن يمنـــع دخول الملائكة البيت .. ولا فرق في هذا كله بين ما له ظل وما لا ظل له ، هـــذا تلخيص مذهبه في هذه المسألة وبمعناه قال جماهير العلماء من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم ومذهب الثورى ومالك وأبو حنيفة وغيرهم) [(١)] . وهذا هـــو مذهـــب الخطابي والقاضي أبي يعلى ، كما نقله عنهم النووي أيضا [(٢)] .

ويدخـــل تحت هذا القول ، وهو القول بالإباحة للممتهن ما كان رقما فـــي ثوب ، إذا كان ممتهن من بـــاب أولى . وأيـــد هذا القـــول ابن حجر رحمـــه الله ، قـــال : (والصـــور التي لا تدخـــل الملائكـــة البيت الذي هي فيه ، مـــا يحـــرم أقتنـــاؤه وهو ما يكـــون من الصـــور التي فيهـــا الروح ممـــا لن يقطـــع رأســـه أو لم يمتهن) [(٣)] .

ولعل هذا هو مذهب البخاري ، حيث أنه لما ذكر أحكام التصوير ، جاء في باب فقـــال (باب ما وطيء من التصاوير) ، ثم ذكر فيه حديث عائشة عن النمرقة

---

(١) شرح مسلم للنووي ١٤/٨١ ــ ٨٢ .

(٢) المرجع السابق ١٤/٨٢ .

(٣) فتح الباري ١٠/٣٩٥ .

ورجح ابن حجر هذا القول للبخاري [(١)] ، و قال في تعليقه على حديث النمرقة وذكره رواية ((وفيه الخيل ذوات الاجنحة)) [(٢)] قال واستدل بهذا الحديث على جواز إتخاذ الصور إذا كانت لا ظل لها ، وهي مع ذلك مما يوطأ ويداس ، أو يمتهن بالإستعمال كالمخاد والوسائد ، قال النووي : وهو قول جمهور العلماء من الصحابة والتابعين) [(٣)] .

ولعل هذا القول هو الراجح ، وقد رجحه ابن حجر لنص جبريل في حديث أمتناعه من الدخول إلى البيت [(٤)] ، على وجوب إمتهان الصورة قال ابن حجر (وحديث أبي هريرة في السنن وصححه الترمذي ، وابن حبان أتم سياقا منه ولفظه (أتاني جبريل فقال : أتيتك البارحة فلم يمنعني أن أكون دخلت ، إلا أنه كان على الباب تماثيل ، وكان في البيت قوام ستر فيه تماثيل ، وكان في البيت كلب ، فمر برأس التمثال الذي على باب البيت يقطع فيصير كهيئة الشجرة ، ومر بالستر فليقطع فليجعل منه وسادتان منبوذتان توطآن ، ومر بالكلب فليخرج ، ففعل رسول الله ﷺ) وفي رواية النسائي (إما أن تقطع رءوسهما أو تجعل بسطا توطأ) (٥) وفي هذا الحديث ترجيح قول من ذهب إلى أن الصورة التي تمنع الملائكة من دخول المكان التي تكون فيه باقية على هيئتها ، مرتفعة غير ممتهنة ، فأما لو كانت ممتهنة أو غير ممتهنة لكنها غيرت من هيئتها، إما بقطعها من نصفها أو بقطع رأسها فلا امتناع ، وقال القرطبي : ظاهر حديث زيد بن خالد عن أبي

---

(١) فتح الباري ٤٠٠/١٠ .

(٢) اخرجه مسلم في احد روايته في ح ٢١٠٧ في ١٦٦٧/٣ .

(٣) فتح الباري ٤٠١/١٠ .

(٤) فتح الباري ٤٠١/١٠ .

(٥) سبق تخريجه قريبا .

طلحة الماضي قيل إن الملائكة لا تمنع من دخول البيت الذي فيه صورة إن كانت رقما في الثوب ، وظاهر حديث عائشة المنع ويجمع بينهما ، بأن يحمل حديث عائشة على الكراهة ، وحديث طلحة على مطلق الجواز ، وهو لا ينافى الكراهة ، قلت : وهو جمع حسن ، لكن الجمع الذي دل عليه حديث أبي هريرة أولى منه ، والله تعالى أعلم) [1] .

وهذا الحديث صارف قوي الحديث عائشة في النمرقة ــ وجميع أحاديث الوعد في القول الأول ــ والذي هو من أقوى الادلة في المنع ، ونكتفي بهذا القدر في عرض هذا القول .

القول الثالث : الجواز في ما كان رقما في ثوب :

وأما حجة من قال بجواز ما كان رقما في ثوب ، فهو حديث خالد بن زيد الذي ذكرناه وفيه أنه كان معلق على الجدار ، ومرقوع عليه الصورة .

وهذا المذهب هو قول القاسم بن محمد بن أبي بكر رضي الله عنه ، قال النووي (وقال آخرون يجوز منها ما كان رقما في ثوب سواء أمتهن ، أم لا، وسواء كان رقما في ثوب سواء أمتهن أم لا وسواء علق في حائط أم لا ، وكرهوا ما كان له ضل أو كان مصورا في الحيطان وشبهها سواء كان رقما وغيره .. وهذا هو مذهب القاسم بن محمد) [2] . وهذا القول أيضا ، هو مذهب الحنابلة، يقول ابن حجر (ومنها أن مذهب الحنابلة جواز الصورة في الثوب ، ولو كان معلقا على ما في خبر أبي طلحة ، لكن إن ستر به الجدار منع عندهم ، قال النووي : وذهب بعض السلف إلى أن الممنوع ما كان إن ستر به الجدار منع عندهم ، قال النووي : وذهب بعض السلف إلى أن الممنوع ما كان له ظل وأما ما لا ظل له فلا بأس بإتخاذه مطلقا) [3] .

---

(١) فتح الباري ٤٠٦/١٠ .

(٢) شرح مسلم للنووي ٨٢/١٤.

(٣) فتح الباري ٤٠٢/١٠ .

ولعل حجتهم عموم قوله إلا رقما في ثوب .

يقول ابن حجر في عرض مذهب محمد بن القاسم ، وإنكاره على النووي إبطاله هذا القول ، يقول: (قلت : المذهب المذكور نقله ابن أبي شيبة ، عن القاسم بن محمد بسند صحيح ولفظه ، عن ابن عون (قال دخلت على القاسم ، وهو بأعلى مكة في بيته ، فرأيت في بيته ، حجلة فيها تصاوير القندس والعنقاء) ففي إطلاق كونه مذهبا باطلا نظر ، إذ يحتمل أنه تمسك في ذلك بعموم قوله «إلا رقما في ثوب» [1] فإنه أعم من أن يكون معلقا أو مفروشا ، وكأنه جعل إنكار النبي ﷺ على عائشة تعليق الستر المذكور ، مركبا من كونه مصورا ومن كونه ساترا للجدار، يؤيده ما ورد في بعض طرقه عند مسلم ، فأخرج من طريق سعيد بن يسار عن زيد بن خالد الجهني ، قال (دخلت على عائشة) فذكر نحو حديث الباب لكن قال «فجذبه حتى هتكه وقال : إن الله لم يأمرنا ، أن نكسو الحجارة والطين . قال فقطعنا منه وسادتين» [2] الحديث ؛ فهذا يدل على أنه كره ستر الجدار ، بالثوب المصور ، فلا يساويه الثوب الممتهن ، ولو كانت فيه صورة ، وكذلك الثوب الذي لا يستر به الجدار . والقاسم بن محمد أحد فقهاء المدينة ، وكان من أفضل أهل زمانه ، وهو الذي روى حديث النمرقة ، فلولا أنه فهم الرخصة في مثل هذه الحالة ما استجاز استعمالها) [3] .

ومع ذلك فإن ابن حجر ذكر أن هذا المذهب مرجوح ، وليس قوي ، يقول: (لكن الجمع بين الأحاديث الواردة في ذلك ، يدل على أنه مذهب مرجوح ، وأن الذي رخص فيه من ذلك ما يمتهن ، لا ما كان منصوبا وقد أخرج ابن أبي شيبة من طريق أيوب عن عكرمة قال : كانوا يقولون في التصاوير في البسط والوسائد التي توطأ ذلك لها . ومن طريق عاصم عن عكرمة قال : كانوا يكرهون ما نصب من التماثيل نصبا ، ولا يرون بأسا بما وطئته الأقدام ومن طريق ابن سيرين وسالم بن عبدالله وعكرمة ، وسعيد ابن جبير كلهم قالوا : لا بأس بالصورة

---

(١) اخرجه البخاري (٣٢٢٥) في كتاب بدء الخلق .
(٢) سبق تخريجه قريبا .
(٣) فتح الباري ٤٠٢/١٠ .

إذا كانت توطأ ومن طريق عروة كان يتكئ على المرافق فيها التماثيل الطير والرجال) [١] .

ولعل حديث السنن الذي سبق ، وأمر جبريل للنبي بإنزال الستر ، وجعله بساط ممتهن نص في الرد على هذا القول والله أعلم .

أما الرد على أصحاب القول الأول ، فلعل المراد من أراد التصوير ، وباشره وعمل هذه الصور ورسمها ، وقد نقل النووي الإجماع على تحريم ذلك . قال النووي (قال أصحابنا وغيرهم من العلماء تصوير صورة الحيوان حرام شديد التحريم ، وهو من الكبائر ، لأنه متوعد عليه بهذا الوعيد الشديد المذكور ، في الأحاديث وسواء شبه بما يمتهن أو بغيره ، فصنعته حرام بكل حال ، لأن فيه مضاه لخلق الله تعالى وسواء ما كان في ثوب أو بساط أو فلس ، أو إناء أو حائط أو غير ذلك) [٢] وكذلك من الردود على القول الأول حديث النمرقة ، وأمر عائشة بجعله بساط يجلس عليه ووسائد يتكي عليها . ونص جبريل على الامتهان .

ونكتفي بهذا العرض لهذه الأحاديث والردود عليها ولعل القول الراجح هو القول الثاني ، وهو مذهب الجمهور .

هذا ما ذكره العلماء من الكلام على هذه الأحاديث ، والتي ذكرها الإمام البخاري في كتابه بدء الخلق ، والمقام ليس مقام تفصيل وبيان أقوال فقهية ، وانما هو مقام بحث في مسائل العقيدة لكن اقتضت الضرورة ذكر هذه الأقوال حتى يمكن فهم هذه الأقوال والأحاديث التي ذكرها البخاري في هذا الباب وصلتها بأمر العقيدة .

ولعل في مثل هذا المقام نذكر العلة لتحريم التصوير وعلاقتها بالتوحيد وهي علل مستفادة من الأحاديث ، أو مستنبطة من بعض كلام العلماء ممن ذكر هذه الحكم في معرض حديثه عن تحريم التصوير ، ومنها :

---

(١) المرجع السابق ٤٠٢/٠١ .

(٢) شرح مسلم ٨١/١٤ .

١ ــ أنها مضاهاة لخلق الله عزوجل ، وتشبه بخلقه ولذلك ورد في الحديث ، عن أبي هريرة ((ومن أظلم ممن ذهب يخلق ، كخلقي فليخلقوا حبة ، أو ليخلقوا شعيرة)) [(١)].

وحديث ابن عمر ((إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيو ما خلقتم)) [(٢)] .

وكل من درس ونظر وتفكر في مثل هذه المصائب الحاصلة بسبب هذه الطرق وما جره التصوير من الفتنة يعلم أن من أهم الأمور سد الذريعة إلى هذا المحذور ، وأن صاحب الشرع أعلم بما نهى عنه وعاقبه ما يول اليه . وأن الخير والهدى في طاعته ، والشرك أو الشر والضلال في معصيته ومخالفته .

٢ ــ الصور اتخذت ألهة عبدت من دون الله ولذلك صارت طريقا إلى مثل هذا الشيء ، فيقول ابن حجر (إنما عظمت عقوبة المصور ، لأن الصور كانت تعبد من دون الله ، ولأن النظر إليها يفتن وبعض النفوس إليها تميل) [(٣)] ، ويؤكد ابن حجر هذا المعنى أنه يمتنع تصوير مالا روح له ، إذا كان يعبد من دون الله ، لأن الحكمة من المنع هي سد الشرك وأبوابه يقول (ويتأكد المنع في ذلك بما عبد من دون الله ، مثل الشمس والقمر والشجر ، فلا يصورها إذا عبدت من دون الله) [(٤)] .

٣ ــ ويقول النووي في الحكمة في منع الصور ، لأنها تمنع دخول الملائكة ، وتنزل الرحمة (قال العلماء سبب امتناعهم ــ أي من دخول بيت فيه صورة ــ كونها معصية فاحشة ، وفيها مضاهاة وبعضها فيه صورة ما يعبدون من دون الله) [(٥)] .

---

(١) اخرجه مسلم ح (٢١١١) .

(٢) اخرجه البخاري (٥٩٥١) و(٧٥٥٨) ومسلم ح (٢١٠٨) .

(٣) فتح الباري ٤٠٩/١٠ .

(٤) فتح الباري بتصرف بسيط ٤٠٩/١٠ .

(٥) شرح مسلم ٨٤/١٤ .

٤ ــ وأهم هذه الحكمة ما وقع فيها وبسببها من شرك ، كما حصل في زمن نـــوح عليه السلام يقول الشيخ محمد جميل زينو ، في عرض هذه الحكمـــة (وأضـــرار الصور والتماثيل كثيرة أهمها : في الدين والعقيـــدة : ولقـــد رأينـــا أن الصـــور والتماثيل أفسدت عقائد كثير من الناس ، فالنصارى عبدوا صورة عيسى ومريـــم والصليب ، وفي أوربا وروسيا عبدوا تماثيل زعمائهم ، وحنوا لها الرؤوس أجلالا وتعظيما ، ولحق بهم بعض الصوفية يعبدوا هذه الصور) [١] .

٥ ــ ومن الحكمة في منع التصوير كذلك ما ذكره محمد توفيق البوطـــي ، حيـــث يقول في ذلك : (إن تصوير الأحياء مزلق لصاحبه ، يمكن أن يؤدي به إلى أحـــد الأمرين السابقين ، أي المضاهاة ، أو عبادة الصورة ذلك ، لأنه عندما تبلغ براعة المصور في تصوير الأحياء درجة من الدقة ومحاكاة الواقع ، ينعكس الأمر علـــى نفسه بأحد الأثرين السابقين .

فهو إما أن يصاب بحالة من الغرور بصنعته ، فيرى في نفسه القدرة علـــى مضاهاة الخالق سبحانه في خلقه . أو أن يصاب بحالة إعجاب بـــالصورة ، التـــي صنع درجة تصل به إلى التقديس والتعظيم ، وما أسطورة بجمـــاليون إلا مظـــهر ضعف يعكس هذه الحالة التي تجلت في كثير من التماثيل ، والأصنام التي صنعـــها النحاتون اليونانيون .. ثم عبدوها وأطلقوا عليها أسماء خرافية آملتها عليهم ، وهذا التأثر في الحقيقة لون من الضعف في النفس البشرية ، وقـــد قـــال الله تعـــالى : (وخلق الانسان ضعيفا) [٢] لذلك فإنه يمكن أن يتعرض الإنسان في حالات كثـــيرة من اقتحامه لميدان هذا الفن ، ولاسيما عندما يكون الفن للفن ــ كمـــا يقولـــون ــ وعندما لا يوظف الفن لغرض أسمى ، أو هدف محـــترم فـــي نظـــر الشـــريعة ، أقـــول: يمكن عندئـــذ أن يتعرض الإنسان لهذا التـــأثير ، ويقـــع فريســـة وهمـــه وضعفـــه [٣] .

---

(١) مجموعة رسائل التوجيهات الاسلامية بتصرف ص ٦٣ .

(٢) سورة النساء الآية ٢٨ .

(٣) التصوير بين حاجة العصر وضوابط الشريعة ص ٩٠ ، ٩١ .

ثانياً : الكهانـــــة :

التمهيـــــد :

لقد حمى الإسلام التوحيد من الكهانة والسحر ، وكل ما شاكلها من الأعمـــال التي قد تزعزع عقيدة المسلم بل قد عد هذا العمل كفراً بالله وكتابه ، كما في الســـنن عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ((ومن أتى كاهناً أو عرافاً فصدقـــه بمـــا يقول فقد كفر بما أنزل على محمد)) (١) ، ويؤيد هذا الوعيد ما روى مسلم عن صفية عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قـــال : ((من أتى عرافـــاً ، فســـأله عـــن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة)) (٢) .

يقول الشيخ عبدالعزيز بن باز في تعليقه على هذا الحديث ، (فيه دليل علـــى كفر الكاهن والساحر لأنهما يدعيان علم الغيب ، وذلك كفر ولأنهما لا يتوصلان إلى مقصودهما إلا بخدمة الجن ، وعبادتهم دون الله وذلك كفر بالله وشرك به ســـبحانه، والمصدق لهم بدعواهم يكون مثلهم وكل من تلقى هذه الأمور عمن يتعاطها فقد برئ منه رسول الله ﷺ) (٣) ، فهذا الحديث دليل على أن هذا العمل ، وهو الكهانة مـــن الكفر والشرك بالله ، ولذلك حرص الإسلام على سد هذا الباب ، وكل بـــاب يـــؤدي إلى الشرك وتنزيه التوحيد عن مثل هذه الأعمال ، قال بعض أهل العلم (هـــذا فـــي السائل الذي لم يصدق ، أما من صدق فقد كفر) (٤) .

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٩٠٤) والترمذي (١٣٥) وابن ماجه (٦٣٩) وأحمد ٢/٤٠٨ ، ٤٢٩ ، ٤٧٦ وقـــال أحمد شاكر اسناده قوي .

(٢) أخرجه مسلم ح (٢٢٣٠) .

(٣) كتاب النشره للبابطين ص ٨٦ .

(٤) انظر فتح الباري ٢٣٢/١٠ .

مفهـــوم الكهانـــة :

أولاً : المفهوم اللغوي للكهانة :

الكهانة بالفتح ويجوز الكسر [1] .

يقول ابن منظور في معنى الكهانة (كهن من باب قتل فهو كـــاهن، ويكـــهن كهانة وتكهن تكهناً وتكهيناً ، والأخير نادر وكهن كهانة مثل كفرة كفار ، والعـــرب تسمى كل من يتعاطى علماً دقيقاً كاهناً ، ومنهم من كان يســمى المنجــم والطبيــب كاهــن) [2] .

وفي تاج العروس (والكاهن كذلك الذي يقوم بأمر الرجل، ويسعى في حاجتــه والقيام بأسبابه وأمر خزائنه ، وكاهن الرجل من يخلفه في أهله يقوم بأمرهم) [3] .

هذا هو تعريفها في اللغة وملخصه كما هو ظاهر ، هو أدعاء علم دقيق وعلم الغيب سواء في أمر حادث أو أمر سابق أو ادعاء معرفة بأشياء قد تكون غائبة عــن الشخص العادي .

ثانياً : تعريف الإصطلاحي للكهانةً :

يقول ابن حجر في تعريفها هي (أدعا علم الغيب ، كالإخبار بما ســيقع فــي الأرض مع الإستناد إلى سبب ، والأصل فيه استراق الجني الســمع ، مــن كــلام الملائكة فيلقيه في أذن الكاهن .. ثم قال والعرب تسمى كل مــن أذن بشــيء قبــل وقوعه كاهن) [4] .

وكل من ذكر الكهانة تقريباً ، يذكر لها قريباً من هذا التعريف ، فهي أدعــاء معرفة شيء غائب ، أما مستقبلاً أو شيء ماضي هو غيب لبعــض النــاس ، كــأن يسرق متاع الانسان فلا يعرف من سرقه فيخبره الكاهن ، بمساعدة الجن له .

قال الراغب الأصفهاني الكهانــة هي (تعاطي الأخبار ، عن الحوادث الخفية

---

(١) الصحاح ٢١٩١/٦ .

(٢) لسان العرب ٣٦٢/١٣ ــ ٣٦٣ ، وانظر فتح الباري ٢٢٧/١٠ .

(٣) تاج العروس (٣٢٧/٩) .

(٤) فتح الباري ٢٢٧/١٠ .

الغائبة بإدعاء معرفة الأسرار ، ومطالعة علم الغيب) [١] ، ويعرفها شيخ الإسلام بقوله : (الإدعاء المعرفة بالحوادث) [٢] .

ويقول العيني (الكاهن هو الذي يتعاطى الأخبار ، عن الكائنات في مستقبل الزمان ، ويدعي معرفة الأسرار) [٣] وبعضهم يعتمد على حركة الافلاك ، والتنجيم وهي نوع من الكهانة ، كما سوف يظهر بعد قليل .

وفي عون الباري (الكهان من يخبر ، بالغيبات المستقبلية) [٤] .

ويعرفها الشيخ محمد بن عبدالوهاب (الكاهن هو الذي يخبر عن الغيبات في المستقبل وقيل الذي يخبر عما في الضمير) [٥] .

وقال صاحب فتح المجيد (الكاهن الذي يأخذ عن مسترق السمع ، وكانوا قبل البعثة كثير ، وأما بعد البعثة فانهم قليل) [٦] .

والظاهر أن هذا محل إتفاق بين أهل العلم ، فكل من تكلم عن الكهانة وتعريفها يذكر بعد ذلك أن هذا الاسم عام في كل من يدعي علم الغيب ، أو يقرأ علم النجوم في الكون أو غير ذلك من هذه الطرق ، يقول ابن حجر (والكاهن لفظ يطلق على العراف والذي يضرب بالحصى ، والمنجم وغيرهم) [٧] ، وقد ذكر شارح الطحاوية نفس هذا المعاني في تعريف الكاهن [٨] ، وكذلك شارح كتاب التوحيد الشيخ سليمان بن عبدالله بن عبدالوهاب [٩] ، وتركت ذكرها خشية الإطالة ، وما سبق قد يغني فلتراجع .

---

(١) مفردات غريب القرآن للراغب الاصفهاني ص ٤٤٢

(٢) الفتاوى ١٧٢/٣٥ .

(٣) عمدة القاري ١٣٣/١٥ .

(٤) عون الباري ٣٥/٤ ، وانظر كذلك ارشاد الساري لشرح البخاري ٢٦٨/٥ .

(٥) تيسير العزيز الحميد ص ٣٦٠ .

(٦) فتح المجيد ص ٢٣٥ .

(٧) فتح الباري ٢٢٧/١٠ .

(٨) شرح العقيدة الطحاوية ٧٦٠/٢ .

(٩) تيسير العزيز الحميد ٣٦١ .

wrong

كيفية معرفة الكاهن بالغيب :

ومقصدونا بالغيب هو الغيب المحدد إذ أن ادعاء معرفة الغيب في كل شـيء لم يقل به أحد ولم يدعيه أحد ، وهذه المسألة من أهم المسائل المتعلقة بالتوحيد مثـل كيفية معرفة المسروق أو معرفة ما يحدث بعد استماعه مـن الملائكـة واسـتراق الشياطين له ، فتسرقه الشياطين وتخبر به الكاهن ، وسوف يتّضح ذلك بعـد قليـل، وهذا يدل عليه حديث البخاري ، الذي ذكره في كتاب بدء الخق ونصه ما يلي:

«حدثنا محمد قال حدثنا ابن أبي مريم ، قال أخبرنا الليث قال حدثنا ابن أبـي جعفر عن محمد بن عبدالرحمن عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضي الله عنـها زوج النبي ﷺ أنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الملائكـة تـنزل فـي العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قضي في السماء ، فتسـترق الشـياطين السـمع فتسمعه فتوحيه إلى الكهان ، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم» [1] .

وفي رواية الطب قال : «عن عروة عن عائشة رضي الله عنـها ، قـالت : سأل ناس رسول الله ﷺ عن الكهان ، فقال : ليس بشيء ــ وفي رواية ليسوا بشي، فقالوا: يارسول الله ، إنهم يحدثوننا أحيانا بشيء ، فيكون حقاً ، فقال رسـول الله ﷺ : تلك الكلمـة من الحق يخطفها الجنى فيقرها في أذن وليه ، فيخلطون معها مائـة كذبـة» [2] . فأخبر الرسول عن كيفية صدق الكهان ، في بعض الأحيان وكـون كلامهم حقاً ومعلوم ، أن هذا بعد البعثة النبوية .

ونحن هنا سوف نذكر معاني هذا الحديث ، وبعض التعليقات الهامة لبعـض العلماء ، ~~وسوف نذكر شرح هذا الحديث كاملاً~~ ، لأهميته منْ جهة كيفية وقوع الحق في كلام الكهان وصوابهم من جهة أخرى ، وما قد يحدث هذا الشيء لبعض ضعاف النفوس فيصدقون أن الكهان يعرفون الغيب ، فيقعون في الكفر والشرك لمخالفتـهم كلام الله ورسوله وتكذيبهم لهم ومخالفة صريح القرآن .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٨٨) في كتـاب بـدء الخلـق ح (٣٢٨٨) (٥٧٦٢) (٣٢٨٨) (٦٢١٣) و(٧٥٦١) وأخرجـه مسلم ح (٢٢٢٨) .

(٢) أخرجه البخاري ح (٥٧٦٢) ووافقه مسلم على هذا النص ح (٤٢٢٨) .

والآن إلى شرح الحديث ، قال ابن حجر العنان (هو السحاب وزنا ومعنى واحدة عنانه كسحابة كذلك ، وقوله وهو السحاب من تفسير بعض الرواة أدرجه في الخبر[1] وقال في إرشاد الساري (فالسحاب مجاز عن السماء ، كما أن السماء مجاز عن السحاب كما في قوله تعالى ﴿وأنزلنا من السماء ماء طهورا﴾ [2] ، وقد قال ابن حجر (يحتمل أن يراد بالسحاب السماء كما أطلق السماء على السحاب ، ويحتمل أن يكون على حقيقته وأن بعض الملائكة إذا نزل الوحي إلى الأرض ، تسمع منهم الشياطين أو المراد الملائكة الموكلة بإنزال المطر) [3] .

قوله فتذكر الأمر ((أي الملائكة تذكر الأمر الذي قضى في السماء ، وجوده وعدمه وأصل ذلك أن الملائكة تسمع في السماء ما قضى الله تعالى ، في كل يوم من الحوادث فيحدث بعضهم بعضا) [4] ولعل ما يؤيد هذا التفسير ، ما جاء في صحيح مسلم من حديث (ابن عباس قال : أخبرني رجل من أصحاب النبيﷺ من الأنصار، أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى بنجم فاستنار ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ماذا كنتم تقولون في الجاهلية ، إذا رمى بمثل هذا ؟ ، قالوا : الله ورسوله أعلم ، كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم ، ومات رجل عظيم : فقال رسول الله ﷺ فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ، ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه ، إذا قضى أمرا سبح حملة العرش ، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم ، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا ، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش : ماذا قال ربكم ؟ فيخبرونهم ماذا قال . قال فيستخبر بعض أهل السماوات بعضا ، حتى يبلغ الخبر هذه

---

(١) أنظر فتح الباري ٣٥٧/٦ ، وعمدة القاري ١٣٣/١٥.
(٢) سورة الفرقان آية ٤٨ .
(٣) فتح الباري ٢٠٣١/١٠ .
(٤) عمدة القاري ١٣٣/١٥ ، وانظر كذلك عون الباري لحل أدلة البخاري ٢٥/٤ ، وارشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٢٧٦٨/٥ ، ٢٦٨ ، شرح مسلم للنووي ٢٢٦/١٤ ، ٢٢٧/٥ ..

السماء الدنيا ، فيتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم ويرمون به ، فما جاؤا به على وجه فهو حق ، ولكن يقرفون فيه ويزيدون)) [1] .

(قال الخطابي هؤلاء الكهان فيما علم بشهادة الإمتحان ، قوم لهم أذهان حادة ونفوس شريرة وطبائع نارية ، فهم يفزعون إلى الجن في أمورهم ، ويستفتونهم في الحوادث فيلقون إليهم الكلمات) [2] .

وقوله (فقال ليس بشيء) وفي رواية مسلم (ليسوا بشيء) قال ابن حجر (أي ليس قولهم بشيء يعتمد عليه والعرب تقول لمن عمل شيئا ولم يحكمه ما عمل شيئا قال القرطبي : كانوا في الجاهلية يترافعون إلى الكهان في الوقائع ، والأحكام ويرجعون إلى أقوالهم وقد انقطعت الكهانة بالبعثة المحمدية ، لكن بقي في الوجود من يتشبه بهم) [3] .

وقوله (فانهم يحدثوننا بشيء فيكون حقا) أي ماسبب صدقهم في بعض الأحيان ، فأجابه النبي ﷺ عن سبب هذا التصدق ، قال (تلك الكلمة من الحق) قال النووي أي الكلمة المسموعة من الحق ، وقوله يخطفها بفتح الطاء معناها أستراقه ، وأخذه بسرعة [4] وقال النبي ﷺ (فتسترقه) أي تفتعل من السرقة ، أي تسمع الكلام سرقة مستحفيا) [5] وقال في عون الباري تسترقه (أي تختلسه) [6] .

والجن تخدم الكاهن بمثل هذا العمل لما يقدم به الكاهن من الشرك لهم أو عبادتهم أو تقديم ما يريدون منه وأستماع الجن بأشياء يقدمها الكاهن لهم ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ومن إستمتاع الإنس بالجن ، أستخدامهم في الأخبار بأمور الغائبة

---

(١) رواه مسلم ح (٢٢٢٩) ، قال النووي (يقرفون) هذه اللفظة ضبطوها ، من رواية صالح ، على وجهين : احدهما بالراء والثاني بالذال ، ووقع في رواية الأوزاعي وابن معقل بالراء ، باتفاق النسخ ، ومعناه يخلطون فيه الكذب ، وهو بمعنى يقذفون ، وفي رواية يونس : يرقون ، قال القاضي : ضبطناه عن شيوخنا بضم الياء وفتح الراء وتشديد القاف ، انظر تعليق عبدالباقي على صحيح مسلم ١٧٥١/٤ .

(٢) فتح الباري ٢٢٩/١٠ ، وانظر كذلك عمدة القاري ١٣٣/١٥ .

(٣) فتح الباري ٢٣٠/١٠ .

(٤) شرح مسلم للنووي ٢٢٤/١٤ ، وانظر كذلك فتح الباري ٢٣٠/١٠ .

(٥) عمدة القاري ١٣٣/١٥ .

(٦) عون الباري لحل أدلة البخاري ٢٥/٤ ، وانظر فتح الباري .

كما يخبر الكهان ، فإن في الإنس من له غرض في هذا لما يحصل به من الرياسة ، والمال وغير ذلك) [١] .

وأما قوله ﷺ (تلك الكلمة من الحق) (قال النووي في نسخ بلادنا بالجيم والنون أي الجن) [٢] وهي مخالفة لرواية البخاري (وقال في معناها أي الكلمة المسموعة من الجن أو التي تصح عما نقلته الجن) [٣] وقال ابن حجر (أي الكلمة المسموعة التي تقع حقا) [٤] .

وقوله (يخطفها الجني) معناه يلقيها إلى وليه وهذه الرواية هي الأكثر كما قال النووي .

ومعناها أن الجني يأخذها من الملائكة ثم يلقيها في أذن الكاهن [٥] .

وقال ابن حجر (كذلك للأكثر وفي رواية السرخسي يخطفها من الجني — أي الكاهن يخطفها من الجني ، أو الجن الذي يلقى الكاهن يخطفها من جني أخر ، فوقه ومعنى يخطفها أي يأخذها بسرعة — وقال وفي رواية الكشميهني «يحفظها» بتقديم الفا بعدها ظاءاً معجمة — قال والأول هو المعروف) [٦] .

قوله (فيقرها في أذن وليه) قال النووي : (هو بفتح الباء وضم القاف وتشديد الراء ، ومعناه ترديدك الكلام في أذن المخاطب حتى يفهمه ، قال الخطابي : معناه أن الجني يقذف الكلمة إلى وليه الكاهن ، فتسمعها الشياطين كما تؤذن الدجاجة بصوتها صواحبها فتتجاوب) ، قال (وفي رواية كقر الزجاجة وتدل عليها ، رواية البخاري في بدء الخلق ومعناه كما قال القاضي يكون لما يلقيه إلى وليه حس كحس القارورة عند تحريكها مع اليد أو على صفا) [٧] .

---

(١) الفرقان بين الحق والباطل ص ١٠٦ .

(٢) شرح مسلم للنووي ٢٢٥/١٤ .

(٣) شرح مسلم للنووي ٢٢٥/١٤ .

(٤) شرح الباري ٢٣٠/١٠ .

(٥) انظر شرح مسلم للنووي ٢٢٥/١٤ .

(٦) فتح الباري ٢٣٠/١٠ .

(٧) شرح مسلم للنووي ٢٢٥/١٤٠ — ٢٢٦ .

وقال ابن حجر (فيقرها ــ أي يصبها تقول قررت على رأسه دلواً ، إذا صببته ، فكأنه صب في أذنه ذلك الكلام . قال القرطبي ويصح أن يقال المعنى ألقاها في أذنه بصوت يقال قر الطائر إذا صوت) [١] .

وقوله في (إذن وليه) قال ابن حجر (أطلق على الكاهن ولي الجني ، لكونه يواليه أو عدل عن قوله الكاهن إلى قوله وليه للتعميم في الكاهن ، وغيره ممن يوالي الجن) [٢] .

قوله (فيكذبون منها مائة كذبة من عند أنفسهم) وفي رواية الطب (فيدخلون معها من مائة كذبه) ، وفي مسلم (فيزيدون فيها مائة كذبة) وفي أخرى (أكثر من مائة كذبة) فالظاهر أن العدد للمبالغة ، كما يؤيده رواية مسلم السابقة ، قال ابن حجر (ذكر المائة للمبالغة لا للتعين) ثم استدل بحديث مسلم وفيه ، (ولكنهم يزيدون فيها وينقصون) [٣] [٤] .

وقوله فيكذبون معها ، قال في عون المعبود (أي مع الكلمة المسموعة من الشياطين مائة كذبة من عند أنفسهم) [٥] .

وبهذا يتم ذكر معاني هذا الحديث ، وأما أحكامه فهي ما يلي :

دل الحديث على أن الكاهن ربما صدق ، وكان بعض قوله حق وهذا الحق هو ما أمكن إستراقه من الملائكة ، حيث يبلّغ الأمر من الله إليهم ويخاطبهم به، فيحدث بعضهم بعضاً فيذهب هؤلاء الجن فيسترقون السمع ، فربما بلغوا الكاهن بما يكون وربما أصابهم الشهاب من السماء قبل تبلغ هذا الأمر ، ولا عبرة بمن قال لا استراق بعد نبوة محمد ﷺ أو بعثته ، وأن هذا انتهى بالبعثة لما يخالفه من صريح حديث البخاري ، وتصريحه بالسماع من الملائكة وإعطائها الكاهن وهذا بعد البعثة بلا شك ولا ريب .

---

(١) فتح الباري ٢٣٠/١٠ .

(٢) نفس المرجع ونفس الصفحة .

(٣) نفس المرجع ٢٣١/١٠ .

(٤) رواه مسلم ح (٢٢٢٩) وهي بروايات هذا بعضها ، انظر صحيح مسلم ١٧٥٠/٤ ــ ١٧٥١ .

(٥) انظر عون المعبود ٢٥/٤ ، وإرشاد الساري ٢٦٨/٥ .

ورجح ابن كثير أن الجن طردت من مساكن لها في السماء، كانت تجلس تسترق السمع فيها، وهو صريح الآية الكريمة ﴿وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع﴾ [١] وأن الله حفظ القرآن الكريم حتى لا يسترقه الجن ، فليقوه على ألسنة الكهنة فيلتبس الأمر ويختلط ولا يدري من الصادق ، فكان هذا من لطف الله بعباده وحفظه لكتابه العزيز [٢] . قال ابن حجر (فلما جاء الإسلام ونزل القرآن ، حرست السماء من الشياطين وأرسلت عليهم الشهب ، فبقي من إستراقهم ما يتخطفه إلا على فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب وإلى ذلك الأشارة بقوله تعالى ﴿إلا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب﴾ [٣] وكانت إصابة الكهان قبل الإسلام كثيرة جدا ، كما جاء في أخبار شق وسطيح ونحوهما ، وأما في الإسلام فقد ندر ذلك ولله الحمد والمنة حتى كاد ان يضمحل) [٤] .

ويؤيد ذلك حديث النبي الذي اخرجه البخاري وسبق شرحه ، قال الخطابي (بين ﷺ في هذا الحديث أن أصابة الكاهن أحيانا إنما هي لأن الجني يلقي إليه الكلمة التي يسمعها استراقا من الملائكة ، فيزيد فيها عليها أكاذيب يقيسها على ما سمع فربما أصاب نادرا وخطئه الغالب) [٥] . فيتبين من أقوال العلماء أن هذا لا يستبعد حدوثه، وأنه إستراق للسمع من الملائكة ثم يصل إلى الكاهن فيكون الحق في بعض ما ينطق به ويؤيد ذلك ما روي ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ((إن نبي الله ﷺ قال : إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم ، قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا ـ للذي قال ـ : الحق ، وهو العليّ الكبير ، فيسمعها مسترق السمع ، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ـ

---

(١) سورة الجن الآية ١٠ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٤/٤٣٠ .

(٣) سورة الصافات الآية ١٠ .

(٤) فتح الباري ١٠/٢٢٧ .

(٥) فتح الباري ١٠/٢٣٠ .

ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه ــ فيسمع الكلمة ، فيلقيها إلى من تحته ، ثم يلقيها الأخر إلى من تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال : أليس قال لنا يوم كذا كذا وكذا وكذا ، فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء» [١] . قال ابن حجر (قوله فربما أدرك الشهاب الخ) يقتضي أن الأمر في ذلك يقع على حد سواء ، والحديث الأخر يقتضي أن الذي يسلم منهم قليل بالنسبة إلى من يدركه الشهاب) [٢] .

فهذه بعض طرقهم وألاعيبهم في الأخبار عن أمور المستقبل ، وقد حرم الإسلام جميع هذه الأنواع وغيرها ، مما يخل بالتوحيد مثل السحر الذي سوف نتكلم عليه بعد هذا المبحث إن شاء الله تعالى .

ومن خلال العرض السابق يتضح لنا أن الكاهن ، قد يصدق ويكون كلامه حقاً لسلوكه أنواعاً من الحيل منها ما يلي :

النوع الأول : أن يكون للإنسان ولي من الجن ، يخبره بما يسترقه من السماء ، فإن الجن كانوا يصعدون إلى جهة السماء ، فيركب بعضهم بعضاً ، إلى أن يدنو الأعلى ، بحيث يسمع الكلام ، فيلقيه إلى الذي يليه ، إلى أن يتلقاه من يلقيه في أذن الكاهن ، فيزيد عليه ، فلما جاء الإسلام ، ونزل القرآن ، حرست السماء من الشياطين وهذا الذي قد سبق الكلام عليه [٣] .

النوع الثاني : أن يكون للإنسان ولي من الجن ، يخبره بما يطرأ في أقطار الأرض، وما خفي عنه مما قرب أو بعد [٤] ، وهذا لا يستبعد حدوثه فالشياطين تسري في الإنسان سريان دمه ، وهي تدخل البيوت التي لا يذكر فيها اسم الله ، وتشارك في الطعام والشراب والثياب والأولاد إذا لم يذكر اسم الله عليه [٥] .

---

(١) أخرجه البخاري ح (٤٨٠٠) .
(٢) فتح الباري ٣٩٩/٨ ، ٤٠٠ .
(٣) انظر شرح مسلم للنووي ٢٢٣/١٤ , وفتح الباري ٢٢٧/١٠ .
(٤) شرح مسلم للنووي ٢٢٣/١٤ ، وفتح الباري ٢٣٣/١٠ .
(٥) انظر الفتاوى ص ٣٢/١٩ .

وهذان النوعان هما من إستمتاع الإنس بالجن والشياطين ، بإستخدامهم في الإخبار بالأمور الغائبة ، كما قال تعالى : ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا﴾ (١) .

قال ابن تيمية (فقد كان الرجل من الإنس ينزل بالوادي ، والأودية مظان الجن ، فإنهم يكونون بالأودية أكثر مما يكونون بأعالي الأرض ، فكان الإنس يقول: أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهائه . فلما رأت الجن أن الإنس تستعيذ بها ، زاد طغيانهم ، وبهذا يجيبون المعزم والراقي بأسمائهم وأسماء ملوكهم ، فإنه يقسم عليهم بأسماء من يعظمونه ، فيحصل لهم بذلك من الرئاسة والشرف على الإنس ما يحملهم على أن يعطوهم بعض سؤلهم ، لاسيما وهم يعلمون أن الإنس أشرف منهم ، وأعظم قدراً ، فإذا خضعت الإنس لهم ، واستعاذت بهم ، كان بمنزلة أكابر الناس ، إذا خضع لأصاغرهم ، ليقضي له حاجته) (٢) .

ثم قال (والجن لا يخدم الإنس بهذه الأخبار إلا لما يستمتع به من الإنس ، بأن يطيعه الإنسي في بعض ما يريده ، إما في شرك ، أو في فاحشة وأكل حرام ، أو قتل نفس بغير حق أو غيرها) (٣) .

النوع الثالث : ما يستند إلى ظن وتخمين وحدس ، بأن يزعم الشخص أنه يعرف الأمور بمقدمات وأسباب ، يستدل بها على مواقعها كالشيء المسروق ، فيعرف من سرقة . وتتهم المرأة بالزنى ، فيعرف صاحبها ، وهذا قد يجعل الله فيه لبعض الناس قوة مع كثرة الكذب فيه (٤) .

وقد بين الدكتور عمر بن سليمان الأشقر هذه الحيلة، وفصلها فقال : (وبعض الكهان يكونون من الذكاء، بحيث يجيبون إجابات محتملة عامة، يمكن تفسير كل الاحتمالات في ضوئها ، بحيث يبدو أن الكاهن أخبر بالحق، مهما كانت النتيجة التي صار إليها الإنسان المستخبر ، وأقرب مثال لهذا أن رجلا إستشار كذابا من

---

(١) سورة الجن آية ٦ .

(٢) الفتاوى ١٩/٣٣ ـ ٣٤ .

(٣) المرجع السابق ١٩/٤١ ، ٤٢ .

(٤) انظر فتح الباري ١٠/٢٢٧ ، وشرح الطحاوية ٢/٧٦٣ .

هؤلاء الدجالين في ابنه المريض ، فقال له : إن ابنك سيستريح ، فلما مات الولد قال له : ألم أقل لك إنه سيستريح من آلامه وأوجاعه ، ولو كان شفي من مرضه لكانت تلك الإجابة مقنعة للسائل بصحة قوله ذلك الدجال أيضا .

وبعض ما يصيب به الكهان يكون مستندا إلى ظن ، وتخمين وحدس ، وهذا قد يجعل الله فيه لبعض الناس قوة مع كثرة الكذب فيه .

وبعض ما يصيبون فيه يكون مستندا إلى التجربة ، والعادة فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك .

ولكن الأخبار التي يصيب فيها الكهان مما لا يستند إلى التجربة أو الظن والحدس من الأخبار الآتية فإن مصدره الشياطين ، والذين يستحقون اسم الكهانة هم هؤلاء الذين يوحي إليهم الشيطان) (١) .

ثالثاً : حكم الكهانة : جاء الإسلام بتحريم هذه الطرق ، وسد كل ما يفسد التوحيد ومن اكبر مفسدات التوحيد التصديق بالكهانة ، أو إعتقاد أن أحداً غير الله يعلم الغيب ولذلك ورد في الحديث السابق (من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد) (٢) وورد في حديث ــ كتاب بدء الخلق السابق ــ قولهﷺ (فلا تأتهم) قال ابن تيمية (نهى النبي ﷺ عن اتيان الكهان ــ والمنجم يدخل في اسم الكاهن ، والضارب بالحصى ونحوهم ، فلا يجوز أتيانهم ولا إعطائهم شيئاً من الأجرة ، وقد حكى الإجماع على تحريم ذلك غير واحد من العلماء : كالبغوي والقاضي عياض وغيرهما) (٣) قال النووي (وهذه الإضرب كلها تسمى كهانة ، وقد أكذبهم الشرع ونهى عن تصديقهم وإتيانهم) (٤) .

وقال ابن تيمية في جواب له حول سؤال عن التنجيم، والإستدلال بها

---

(١) عالم السحر والشعوذة ، عمر بن سليمان الأشقر ص ٢٧١ .

(٢) أخرجه أبو داود (٣٩٠٤) والترمذي (١٣٥) وابن ماجه (٦٩٣) والامام احمد ٤٠٨/٢ و٤٢٩ و٤٧٦ وقال احمد شاكر في تعليقه أسناده قوي .

(٣) الفتاوى ١٩٤/٣٥ ــ ١٩٥ .

(٤) شرح مسلم للنووي ٢٢٣/١٤ .

على الحوادث وهل يجوز ذلك ، فقال : (بل ذلك محرم بإجماع المسلمين ، وأخذ الأجرة على ذلك ، ويحب منعهم من الجلوس في الحوانيت والطرقات ، ومنع الناس أن يكرموهم والقيام في ذلك ، من أفضل الجهاد في سبيل الله) [1] ويقول الشيخ عبدالعزيز بن باز (لا يجوز لأحد من المسلمين الذهاب لأحد من الكهان ونحوهم، لسؤاله عمن سيتزوج أبنه أو قريبه أو عما يكون بين الزوجين ، واسرتيهما من المحبة والوفاق أو العداوة والفراق ونحو ذلك ، لأن هذا من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله) [2] ، ولما ذكر حديث (من أتى كاهناً أو عرافاً ، فقد كفر بما أنزل على محمد) [3] قال هذا دليل على كفر الكاهن والساحر ، لأنهما يدعيان علم الغيب ، وذلك كفر، ولأنهما لا يتوصلان لمقصدهما إلا بخدمة الجن ، وطاعتهم من دون الله وذلك كفر بالله) ثم قال (والمصدق لهم يدعواهم علم الغيب يكون مثلهم ، وكل من تلقى هذه الأمور ، عمن يتعاطاها فقد برى منه رسول الله ﷺ) [4] .

قال الشيخ سلمان بن عبدالله آل الشيخ (فكل من تلقى هذه الأمور ، عمن تعاطاها فقد بريء منه ﷺ لقوله (ليس منا من تطير أو تطير له ، أو تكهن أو تكهن له ..) [5] [6] الحديث ، فهي إما شرك مثل الطيره ، أو كفر مثل الكهانة والسحر، فمن رضي بذلك وتابع عليه فهو كالفاعل لقبوله الباطل وأتباعه .

ولأن هذا العمل خطير على التوحيد ، فقد برئ منه الرسول ﷺ من فاعله ومتعاطيه وبين كفرهم ، وبين أن صلاتهم لا تقبل منهم أربعين يوما ، وهذا حتى ينتهوا عن هذا الفعل ويخلصوا دينهم لله رب العالمين ، قال شارح الطحاوية (الكهانة والتنجيم والضرب بالحصى ، وغيرها من أعمال الشعوذة محرمة بإجماع المسلمين وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال (ثمن الكلب خبيث ومهر البغي خبيث ، وحلوان الكاهن خبيث) [7] .

---

(١) الفتاوى ١٩٧/٣٥ .

(٢) كتاب النشرة للبابطين ص ٨٧ .

(٣) أخرجه أحمد ٤٠٨/٢ و٤٢٩ و٤٧٦ ، وقال احمد شاكر اسناده قوي ، وأخرجه ابو داود (٣٩٠١) والترمذي (١٣٥) وابن ماجه (٦٣٩) .

(٤) النشرة ص ٨٦ ، ٨٧ .

(٥) المعجم الكبير للطبراني ١٦٢/١٨ رقم ٣٥٥ .

(٦) فتح المجيد ٢٣٧ .

(٧) اخرجه البخاري ح (٢٢٣٧) (٢٢٨٢) (٥٣٤٦) (٥٧٦١) ومسلم (٥٦٧) (١٥٦٨) وغيرهم كثير .

ثم قال (ويدخل في هذا المنجم وصاحب الأزلام ، والضارب بالحصى الذي يخط بالرحل فكل ما يعطي هؤلاء حرام ، وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحد من العلماء) [1] .

ثم قال بعد سياق الأدلة على تحريم ذلك ، (والنصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم وسائر أصحابه ، وجميع الأئمة جاءت بالنهي عن ذلك) [2] .

ثم قال (وصناعة التنجيم محرمة بالكتاب والسنة ، بل هي محرمة على لسان جميع الرسل ، قال تعالى (ولا يفلح الساحر حيث أتى) [3] ، وقال (ألم ترى إلى الذين اتوا نصيبا من الكتاب ، يؤمنون بالجبت والطاغوت) [4] ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره الجبت السحر ويلحق به ، ما يتعلق من الكهانة والتنجيم وغيرها) [5] .

ثم قال (والواجب على ولي الأمر وكل قادر ، أن يسعى في إزالة هؤلاء المنجمين والكهان والعرافين ، وأصحاب الضرب بالرمل والحصى والقرع والغالات ومنعهم من الجلوس في الحوانيت أو الطرقان ، ويكفي من يعلم تحريم ذلك ولا يسعى إلى أزالته مع قدرته على ذلك ، قوله تعالى ﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾ [6] وهؤلاء الملاعين يقولون الإثم ، ويأكلون السحت بإجماع المسلمين) [7] .

ونكتفي بهذا العرض في هذا المبحث ، علما أن موضوع الجن له مبحث مستقل نتحدث فيه عن أفعال الجن وقدراتهم ، وجميع أعمالهم ولعله يوضح ما نقص في هذا المبحث عن كيفية إستراق السمع ، وما شاكلها من المسائل المهمة .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٧٦٠/٢ ـ ٧٦١ .
(٢) شرح العقيدة الطحاوية ٧٦١/٢ .
(٣) سورة طه ، آية ٦٩ .
(٤) سورة النساء ، آية ٥١ .
(٥) شرح العقيدة الطحاوية ٧٦٢/٢ .
(٦) سورة المائدة ٧٩/١ .
(٧) شرح العقيدة الطحاوية ٧٦٣/٢ .

ثالثا : السحر :

في هذا المبحث سوف نتكلم إن شاء الله تعالى ، عن مسألة كبيرة وهي مسألة السحر ونبين علاقتها بالتوحيد وحكم السحر ، وإن كانت هذه المسألة سوف ترد بالتفصيل في سحر النبي ﷺ وكيفيته ونتكلم هناك ان شاء الله على أنواع السحر.

فنقول أولا لابد من ذكر تعريف السحر في اللغة ، ثم الإصطلاح ثم بعد ذلك نذكر حكم السحر والساحر ، ونؤجل حقيقة السحر وتأثيره وأنواعه ، والخلاف فيها إلى مبحث سحر النبي ﷺ .

تعريف السحر لغة :

يأتي السحر لغة بمعاني كثيرة من أشهرها ثلاث ، فهو يأتي بمعنى ما خفي ولطف سببه ، ويأتي بمعنى السحر وهو عضوء في جسم الإنسان ، ويأتي بمعنى الوقت وهو أخر الليل .

قال ابن فارس (السحر ـ السين والحاء والراء أصول ثلاثة متباينة : أحدها عضو من الأعضاء ، والأخر خدع وشبهه ، والثالث وقت من الأوقات .

فالعضو السحر ، وهو ما لصق بالحلقوم والمريء من أعلى البطن ، ويقال بل هي الرئة ، ويقال منه للجبان : انتفخ سحره .

وأما الثاني فالسحر ، قال قوم : هو إخراج الباطل في صورة الحق ، ويقال هو الخديعة ، واحتجوا بقول القائل :

فإن تسألينا فيم نحن فإننا عصافير من هذا الأنام المسحر

كأنه أراد المخدوع الذي خدعته الدنيا وغرته ، ويقال المسحر الذي جعل له سحر ، ومن كان ذا سحر لم يجد بدا من مطعم ومشرب .

وأما الوقت فالسحر والسحرة ، وهو قبل الصبح ، وجمع السحر أسحار ويقولون : أتيتك سحر ، إذا كان ليوم بعينه ، فإن أراد بكرة وسحرا من الأسحار قال : أتيتك سحرا) [1] .

ثانيا : ويأتي السحر في كلام العرب كذلك بمعنى الفساد والإفساد .

قال ابن منظور (طعام مسحور إذا أفسد عمله ، وأرض مسحوره إذا أصابها المقر اكثر عما ينبغي فأفسدها ، وحيث ذو سحر : إذا كان ماؤه أكثر مما ينبغي) [2] . وقال في تهذيب اللغة وياتي السحر بمعنى السفاد .

قال النابغة :

فقالت يمين الله أفعل أنني رأيتك مسحورا يمينك فاجرة

ومسحورا أي ذاهب العقل مفسدا) [3] .

أما المعنى الإصطلاحي للسحر : فإنه عام ، وهو في الشيء الذي يستهوي النفوس ويميل بها بأي نوع من أنواع التأثير ، وقد ذكر العلماء تعريفات عدة للسحر بحسب ما يعتقد كل شخص من حقيقة السحر ، وتأثيره أو تعميمه أو تخصيصه ، وذلك سوف يتضح من ذكر تعريفاتهم .

يقول الطبري السحر هو (تخيل الشيء إلى المرء بخلاف ما هو به ، في عينه وحقيقته) [4] .

وعرفه الفخر الرازي ، بقوله (لفظ السحر في عرف الشرع مختص ، بكل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ، ويجري مجرى التمويه والخداع ومتى اطلق ولم يقيد أفاد ذم فاعله) [5] .

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١٣٨/٣ .

(٢) لسان العرب ٣٤٩/٤ .

(٣) تهذيب اللغة ٢٩١/٤ .

(٤) تفسير الطبري ٣٦٨/١ .

(٥) التفسير الكبير ١٨٧/٣ عند تفسير قوله (يعلمون الناس السحر) البقرة آية ١٠٢ .

وهذا معنى عام والله أعلم ، حيث أنه يشمل أشياء كثير ، هي خافية على بعض الناس مثل خفة اليد ونحوها ، وعمل بعض الالات الحديثة والقديمة ، وهي خافية على بعض الناس وكانوا يعدون ذلك سحرا ، ولعل هذا التعريف عام فيدخل فيه ما ليس سحرا في عرف الشرع مع أنه في اللغة من أنواع السحر ، كما سوف يتضح ذلك عند الكلام على انواع السحر في مبحث سحر النبيﷺ .

ويعرفه ابن خلدون بتعريف لعله أضبط من ذلك ، فيقول (السحر علم بكيفية استعدادات تقتدر بها النفوس البشرية على التأثير في عالم العناصر ، إما بغير معين أو بمعين من الأمور السماوية ، والأول هو السحر والثاني الطلسمات) (١) . ولعله أراد به التنجيم ، كذلك وهو نوع من أنواع السحر .

وهذا بناء على أن للسحر حقيقة ، كما هو مذهب جمهور أهل السنة والجماعة والذي سوف يتضح بالدليل عند الكلام على ذلك في باب النبوات .

وعرفه ابن قدامة ــ وهو من معتقدي وجود حقيقة له ــ فقال (هو عقد ورقي يتكلم به أو يكتبه ، أو يعمل شيئا يؤثر في بدن المسحور ، أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له) (٢) . ولعل هذا التعريف من أضبط التعريفات للسحر ، وخاصة على القول الراجح بوجود حقيقة للسحر ، وتأثيره على المسحور .

ونقل ابن حجر عن القرطبي نفس هذا التعريف ولكنه فصله، وذكر أكثر أنواعه ، يقول (قال القرطبي : السحر حيل صناعية يتوصل إليها بالاكتساب ، غير أنها لدقتها لا يتوصل إليها الا آحاد من الناس ، ومادته الوقوف على خواص الاشياء والعلم بوجوه تركيبها وأوقاته ، وأكثرها تخييلات بغير حقيقة وأيهامات بغير ثبوت فيعظم عند من لا يعرف ذلك ، كما قال الله تعالى عن سحرة فرعون ﴿وجاءوا بسحر عظيم﴾ (٣) مع أن حبالهم وعصيهم لم تخرج عن كونها

---

(١) المقدمة لابن خلدون ص ٩٢٣ .

(٢) المغني لابن قدامة المقدسي ٨/١٥٠ .

(٣) سورة الأعراف الآية ١٦١ .

حبالا وعصيا ، ثم قال : والحق أن لبعض أصناف السحر تـأثيرا فـي القلـوب ، كالحب والبغض والقاء الخير والشر ، وفي الابدان بالألم والسـقم ، وإن أنكـر ان الجماد ينقلب حيوانا ، أو عكسه بسحر الساحر ونحو ذلك) (١) .

ويعرفه بعضهم بأنه (كل امر خفي سببه وتخيل على غالب حقيقته ، ويجـري مجرى التمويه والخداع ، ومتى أطلق ولم يقيد أفاد ذم فاعله . وقد أجرى مقيدا فيمـا يمتدح ويحمد ، كما روى «أن من البيان لسحرا») (٢) (٣) .

واقتصر ابن القيم على المعنى الشرعي لحديث سحرهﷺ فقال في معنى هـذا السحر وحقيقته (هو مركب من تأثير الأرواح الخبيثة ، وانفعـال القـوى الطبيعيـة عنها) (٤) ثم بدأ يفصل ، هذا الكلام وكيفية وقوع السحر ، وتدخل الجن في بعـض أنواعه ، وتأثيره على المسحور .

ولذا فكل من اثبت حقيقة للسحر وتأثيره على المسحور ، عرفه بمثل ذلـك ، يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين (هو عزائم ورقى وعقد تؤثـر فـي القلـوب، والعقول والابدان فتسلب العقل وتوجد الحب والبغض ، فتفرق بين المـرء وزوجـه وتمرض البدن وتسلب تفكيره) (٥) .

ومن لم يثبت هذه الحقيقة للسحر ،فإنه يعرفه بخدع الحواس والايحـاء الـى النفس وما الى ذلك ، يقول سيد قطب في ذلك (إن السحر خداع الحـواس ، وخـدع الأعصاب ، والإيحاء إلى النفوس والمشاعر ، وهو لا يغير من طبيعة الأشياء ، ولا ينشئ حقيقة جديدة لها ، ولكنه يخيل للحواس والمشاعر بما يريده الساحر) (٦) .

---

(١) فتح الباري ٢٣٣/١٠ .

(٢) أخرجه البخاري ح (٥٧٦٧) .

(٣) مجلة المنار ١٧٣/١ .

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ١٢٥/٤ ــ ١٢٦ .

(٥) فتـاوى العقيـدة / محمد بن صالح العثيمين ص ٣٣٣ ، وانظر نفس التعريف تقريبا في معجـم الفـاظ العقيدة ص ٣١٥ .

(٦) في ظلال القرآن لسيد قطب ٤٠٠٧/٦ .

وبعد الكلام عن تعريف السحر اللغوي والشرعي ، لابد من معرفة حكم السحر وموقف الإسلام منه : ولعل الكلام على أنواع السحر وتأثيره ، يتأجل إلى مبحث سحر النبيﷺ ولاسيما أن كتاب بدء الخلق ، لم يذكر فيه غير هذا الحديث في السحر ضمن باب صفة إبليس وجنوده .

فنقول لقد حذر الإسلام من السحر أشد تحذير ، بل قد قرن السحر بالشرك بالله عزوجل الذي هو أعظم الذنوب ، فقد قالﷺ في حديث أبي هريرة عند البخاري ((اجتنبوا السبع الموبقات الشرك بالله والسحر)) الحديث [1] وذكر السحر بعد الشرك مباشرة ، واقترانه كذلك بهذه الكبائر يدل على عظم هذا الذنب ، والذي هو مكفر للشخص كما هو رأي اكثر أهل العلم كما سوف يأتي .

وقد قال الله عزوجل : ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ، يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون بين المرء زووجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرى من خلق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾ [2] نفي هذه الاية تصريح بكفر الساحر ، وجعل سبب الكفر هو تعليم الناس السحر ، وترتيب عدم الخلاق في الآخرة . وقوله في الآية بعدها ﴿ولو أنهم أمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون﴾ [3] فدل على عدم إيمانهم وكفرهم ، وأنهم لو أمنوا واتقوا ، لكان خيرا لهم في الدنيا والآخرة .

قال النووي (فعمل السحر حرام ، وهو من كبائر الذنوب بالاجماع ، وهو قد يكون كفر ، وقد لا يكون كفر بل معصية كبيرة ، إن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر كفر وإلا فلا ، وأما تعلمه وتعليمه فحرام ، فإن تضمن الكفر بالفعل أو القول، فهو كفر وإلا فلا) [4] .

---

(١) أخرجه البخاري ح (٥٧٦٤) ومسلم كتاب الإيمان ح (٨٧) .
(٢) سورة البقرة / آية ١٠٢ .
(٣) سورة البقرة الآية ١٠٣ .
(٤) شرح مسلم للنووي ٦٧٦/١٤ .

ومن شدة التغليظ على السحر والسحرة ، ترتيب حكم القتل فيهم ، واختلافهم هل له توبة أم لا ؟ وسوف يأتي هذا الحكم بعد قليل .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (والسحر حرم بالكتاب والسنة والاجماع ، وكل ما حرمه الله وروسوله فضرره اعظم من نفعه , قال تعالى ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ...﴾ (١) الآية ، قال فاخبر سبحانه انه من اعتاض بذلك ، يعلم أنه لا نصيب له في الآخرة ... ثم بين أن الايمان والتقوى ، هو خير لهما في الدنيا والآخرة وأخبر سبحانه بسوء عاقبة من ترك الايمان والتقوى في غير آية في الدنيا والآخرة ولهذا قال تعالى ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ (٢) والمفلح هو الذي ينال المطلوب وينجو من المرهوب فالساحر لا يحصل له ذلك) (٣) .

وقال الماتريدي نقلا عن القاري : (القول بأن السحر كفر على الاطلاق خطأ، بل يجب البحث عنه فإن كان رد ما التزمه في شرط الايمان ، فهو كفر وإلا فلا) (٤).

وقال ابن كثير في تفسيره (قال أبو جعفر الرازي قالا انما نحن فتنه فلا تكفر ، وذلك أنهما على الخير والشر والكفر والايمان ، فعرف أن السحر من الكفر) وقال في قوله ﴿ولو انهم أمنوا واتقوا﴾ (٥) ، (ذهب الى تكفير الساحر الامام احمد وطائفة من السلف ، وقيل بل لا يكفر ولكن حده ضرب عنقه) (٦) .

وقال القرطبي في بيان حكمه (من السحر ما يكون كفرا من فاعله ، مثل ما يدعونه من تغيير صور الناس ، وإخراجهم في هيئة بهيمة ، وقطع مسافة شهر في ليلة والطيران في الهواء ، فكل من فعل هذا ليوهم الناس أنه محق فذلك كفر منه قاله أبونصر عبد الرحيم القشيري ، وقال ابو عمرو من زعم أن الساحر يقلب الحيوان من صورة إلى صورة ، فيحيل الانسان حمارا أو نحوه ، ويقدر على نقل الأجساد وهلاكها وتبديلها ، فهذا يرى قتله لانه كافر بالانبياء يدعي مثل آياتهم، ومعجزاتهم ولا يتهيأ مع هذا علم صحة النبوة ، إذ قد يحصل مثلها بالحيلة) (٧) .

---

(١) سورة البقرة الآية ١٠٢ .
(٢) سورة طه ، آية ٦٩
(٣) الفتاوى ٣٥/١٧٠ ــ ١٧١ .
(٤) شرح كتاب الفقه الأكبر لأبي حنيفة مع شرحه للشيخ على القاري ص ٢٢٠ .
(٥) سورة البقرة ، آية ١٠٣ .
(٦) تفسير ابن كثير ١/١٨٠ ــ ١٨١ .
(٧) تفسير القرطبي ٢/٤٥ .

ويقول الفخر الرازي في تفصيل حكم السحر ، مـــا يلـــي قـــال : (المســـألة السادسة: في أن الساحر هل يكفر أم لا : اختلف الفقهاء في أن الساحر هل يكفـــر أم لا ، روي عن النبي ﷺ أنه قال : ((من أتى كاهنا أو عرافا فصدقهما بقول فقد كفـــر بما أنزل على محمد)) عليه السلام وأعلم أنه لا نزاع بين الأمة ، في أن من اعتقد أن الكواكب هي المدبرة لهذا العالم ، وهي الخالقة لما فيه مـــن الحـــوادث والخـــيرات والشرور ، فإنه يكون كافرا على الاطلاق ، وهذا هو النوع الأول من السحر .

أما النوع الثاني وهو أن يعتقد أنه قد يبلغ روح الانسان ، في التصفية والقـــوة إلى حيث يقدر بها على إيجاد الاجسام ، والحياة والقدرة وتغيير البنيـــة والشـــكل ، فالأظهر اجماع الأمة أيضا على تكفيره .

أما النوع الثالث : وهو أن يعتقد الساحر ، أنه قد يبلغ في التصفيـــة وقـــراءة الرقي وتدخين بعض الأدوية إلى حيث يخلق الله تعالى ، عقيب أفعاله علـــى ســـبيل العادة الأجسام والحياة والعقل وتغير البنية والشكل ، فها هنا فقد فصل في هذا النـــوع ورجح انه لا يكفر بسببه) [(١)] . وقوله (يخلق عقيب أفعالـــه) هـــذا علـــى مذهـــب الاشعري رحمه الله تعالى.

وقال ابن كثير (كفر الساحر ، هو مذهب الجمهور وابـــو حنيفـــة ومـــالك ، واحمد وأكثر العلماء على هذا القول) [(٢)] ، فيكاد يكون هذا القول من العلماء اجمـــاع إلا في بعض الأنواع ولذلك يقول ابن حجر: (وقد استدل بهذه الآية أن السحر كفـــر ، وتعلمه كفر وهو واضح في بعض أنواعه كالتعبد للشياطين ، أو الكواكب واما النوع الآخر الذي هو من باب الشعوذة فلا يكفر به من تعلمه أصلاً) [(٣)] .

ومال إلى هذا القول ، ابن قدامه المقدسي ، يقول (تعلم السحر وتعليمه حـــرام لا نعلم فيه خلافا بين أهل العلم ، قال أصحابنا (ويكفر الساحر بتعلمه وفعله ســـواء اعتقد تحريمه أو إباحته) [(٤)] . وهو تقريبا يمثل مذهب الحنابلة عامة ، والله أعلم .

---

(١) التفسير الكبير ١٩٤/٣ ـــ ١٩٥ .
(٢) المغني ١٥١/٨ .
(٣) تفسير ابن كثير ١٨٥/١ .
(٤) فتح الباري ٢٣٥/١٠ .

وهذا القول هو قول أكثر علماء هذا العصر أيضا ، يقول صاحب كتاب فتح المجيد ، وهو من المتأخرين بل المعاصرين (واختلفوا : هل يكفر الساحر او لا ؟ فذهبت طائفة من السلف إلى انه يكفر ، وبه قال ماللك وابو حنيفة واحمد رحمهم الله. قال أصحابه : الا ان يكون سحره بإدوية وتدخين وسقي شيء يضر فلا يكفر . وقال الشافعي : اذا تعلم السحر قلنا له : صف لنا سحرك ، فإن وصف ما يوجب الكفر ، مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة ، وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر ، وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد أباحته كفر) [1] .

وأيد هذا القول اكثر العلماء المعاصرين ، وخاصة من أهل هذا البلد وعلى رأسهم الشيخ ابن باز حيث يقول (والصحيح أنه يقتل حدا لردته ، وهذا هو قول أبي حنيفة ومالك وأحمد رحمهم الله ، لكفره بسحره مطلقا لدلالة لآية ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾ [2] الآية . وهي تدل على كفر الساحر مطلقا ، وهو الراجح) [3] .

وهو رأي الجمهور سلفا وخلفا ومنهم أكثر علماء هذا البلد ، كما في الفتوى السابقة وهي صادرة عن اكثر من عالم ونرى تقسيم وتفصيل لهذه المسألة للشيخ ابن عثميين في اجابة له عن سؤال (عن أقسام السحر وهل الساحر كافر ؟ فأجاب بقوله: (السحر ينقسم إلى قسمين .

الأول : عقد ورقي ــ أي قراءات وطلاسم يتوصل بها الساحر إلى الإشراك بالشياطين فيما يريد لضرر المسحور ، قال الله تعالى : ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾ [4] .

الثاني : أدوية وعقاقير تؤثر على بدن المسحور ، وعقله ، وإرادته وميله وهو ما يسمى عندهم بالعطف والصرف ، فيجعلون الإنسان ينعطف على زوجته ، أو امرأة أخرى حتى يكون كالبهيمة تقوده كما تشاء ، والصرف بالعكس من ذلك ، فيؤثر في بدن المسحور بإضعافه شيئا فشيئا ، حتى يهلك ، وفي تصوره بأن يتخيل الأشياء على خلاف ما هي عليه .

---

(١) فتح المجيد ص ٢٣٣ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٠٢ .

(٣) فتاوي اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء ١/٣٦٩ .

(٤) سورة البقرة / آية ١٠٢ .

وكفر الساحر اختلف فيه أهل العلم : فمنهم من قال يكفر . ومنهم من قال لا يكفر .

ولكن التقسيم السابق الذي ذكرناه ، يتبين به حكم هذه المسألة : فمن كان سحره بواسطة الشياطين ، فإنه يكفر ، ومن كان سحره بالأدوية والعقاقير ، فإنه لا يكفر ولكنه يعتبر عاصيا) [١] .

وقال في جواب آخر له (وتعلم السحر محرم ، بل هو كفر اذا كانت وسيلته الاشراك بالشياطين ، واستعماله كفر ولهذا يقتل الساحر رده وكفرا) [٢] .

وبهذا الكلام يتبين لنا تحذير الإسلام من هذا العمل ، حيث أنه غالبا لا يكون إلا شركا وكفرا بالله عزوجل وهذا هدم للإسلام من أساسه ، وسوف يأتي لهذا المبحث زيادة تفصيل عند الكلام ، على سحر الرسولﷺ في الباب الثاني.

---

(١) فتاوي العقيدة لمحمد العثميين ص ١٣١ .

(٢) فتاوي العقيدة للعثيمين ص ٣٣٣ .

المبحث الثاني
توحيـــــد الربوبيـــة

التمهيـــــد :

ذكر البخاري في كتاب بدء الخلق ، أحاديث كثيرة عن توحيـــــد الربوبيـــة ، ونحن سوف نناقش هذه الأحاديث في هذا المبحث ، أن شاء الله تعالى غير أنه فـــي بداية هذا المبحث نحب التعرف على المقصود بالربوبية في اللغة ، والإصطـــلاح ، أما كلمة توحيد فقد سبق الكلام عليها في المبحث الأول .

أولاً : معنى الربوبية في اللغة :

كلمة الربوبية مأخوذة كما هو معروف من كلمة الرب وهو الله عزوجل قـــال تعالى : ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ (١) وإذا عرفته لم تطلق إلا على الله عزوجل (٢) .

والرب في اللغة على معاني منها :

١ ــ مالك الشيء قال في الصحاح رب كل شيء ، مالكه والرب ، أسم من اســـماء الله عزوجل ، ولا يقال في غيره الا بالإضافة (٣) .

وفي تاج العروس (ورب كل شيء مالكه ومستحقه أو صاحبه. يقـــال فـــلان فلان رب هذا الشيء أي ملك له ، وكل من ملك شيئا فهو ربه يقال هو رب الدابـــة ورب الدار ، وفلانة ربة البيت وفي حديث أشراط الساعة ((أن تلد الأمـــة ربتـــها أو ربها)) (٤) وأراد به السيد والمالك ، وفي الحديث أيضا (واللهم رب هذه الدعـــوة) أي صاحبها وقيل المتم لها) (٥) وزاد في لسان العرب بعد هذا الكلام فقال (والرب يطلق

---

(١) سورة الناس ، آية ١ .
(٢) تاج العروس ٤٥٩/٢ .
(٣) الصحاح ١٣٠/١ .
(٤) اخرجه البخاري ح(٥٠) و(٤٧٧٧) .
(٥) تاج العروس ٤٦٠/٢ .

في اللغـــة على المالك والســـيد والمدبـــر والمربـــي ، والقيـــم والمنعم ولا يطلـــق غير مضـــاف إلا على الله عزوجل ، وقـــد أطلق في الشعر خاصة في الجاهليـــة، وهو نادر) [1] وقال في معجم مقاييس اللغة (فالرب المالك والخالق والصاحب) [2].

٢ ـ يأتي الرب بمعنى المصلح والقائم على الشيء ، والمصلح له (والرب المصلـح للشيء يقال رب فلان ضيعته ، إذا قام على أصلاحها ، وهذا سقاء مربوب بالرب ، والله عزوجل هو الرب ، لأنه مصلح أحوال خلقه ، وربت الصبي أربه وربيته أربـة إذا اصلحته وربيته) [3] .

وقال في الصحاح (ورب الضيعة أي أصلحها وأتمها ، ورب فلان ولده يربـه رباً وربيه وتربيه بمعنى أي رباه ، والمربوب المربى) [4] .

٣ ـ ياتى الرب بمعنى السيد المطاع ، قال تعالى (فيســـقي ربـــه خمـــرا) [5] . أي سيده، وفي كلام ابن عباس ، لأن يربني بني عمي خير من أن يربـــي غـــيرهم) أي يكونوا على امراء وسادة ويقصد بني أمية ، لأنهم أقرب إليه من ابن الزبير) [6] .

وفي الصحاح قال (وربيت القوم سننهم ، أي كنت فوقهم قال أبو نصر: وهـو من الربوبية ومنه قول صفوان (لإن يربي رجل من قريش ، أحب إلي من أن يربـي رجل من هوازن) [7] .

والكلمة لها معاني كثيرة جداً يطول ذكرِها ، واكتفينا بـــهذا القـــدر لأن هـــذه المعاني هي المقصودة هنا .

---

(١) لسان العرب ٣٩٩/١ ، ٤٠٠ .

(٢) معجم مقاييس اللغة ٣٨٠/٢ .

(٣) معجم مقاييس اللغة ٣٨١/٢ ، ٣٨٢ .

(٤) سورة يوسف الآية ٤١ .

(٥) الصحاح ١٣٠/١ .

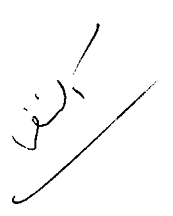
(٦) انظر لسان العرب ٤٠١/١ .

(٧) الصحاح ١٣٠/١ وتاج العروس ٤٦٣/٢ .

ثانيا : تعريف توحيد الربوبية في الاصطلاح :

قـال شـارح الطحاوية (توحيد الربوبية هو بيان أن الله وحده خالق ، كـل شيء) [1] ولعل هذا التعريف تعريف بأحد جزئيات هذا التوحيد ، وهو الخلـق وإلا فافعال الله عزوجل كثيرة ، منها الخلق فيجب على الإنسان توحيد الله بأفعاله كلـها، الخاصة به واعتقاد عدم شريك له في مثل هذه الأفعال ، يقول صاحب القول السـديد (والمراد بتوحيد الربوبية الإعتقاد الجازم ، بأن الله وحده الخالق الرازق ، المحيـي المميت المدبر لشئون خلقه كلها ، لا شريك له في ذلك) [2] .

وقد عرف ابن حجر هذا النوع من التوحيد ، فقال هو (اعتقاد أن الله واحـد، في الأهيته وملكه وتدبيره لا شريك له ، ولا رب سواه ولا خالق غـيره) [3] وقـد عرفه كثير من العلماء بتعريفات ترجع كلها إلى وجوب إفراد الله بأفعاله ، من الملك والتدبير والخلق والرزق وغيرها من أفعاله) [4] ولو وضع تعريف لهذا النوع مـن التوحيد فقيل هو أفراد الله تعالى ، بأفعاله المختص بها لكان حسناً .



(١) تاج العروس ٤٥٩/٢ ولسان العرب ٣٩٩/١ .
(٢) شرح العقيدة الطحاوية ٢٤/١ .
(٣) القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد ص ١٦ .
(٤) انظر فتح الباري ٣٥٧/١٣ .

المطلب الأول : خلق العرش والماء والسماوات والأرض والقلم :

لابد بادئ ذي بدء من الإطلاع على معنى الخلق في اللغة ، ومن ثم نذكر المعنى الشرعي للخلق ، حتى نتمكن من معرفة المقصود بهذه الكلمة ، والتي تأتي بمعاني سوف تتضح من خلال العرض .

المعنى اللغوي لكلمة خلق :

ياتي الخلق في اللغة بعدة معاني من أهمها ، ما يلي :

١ ــ **التقدير** : قال في الصحاح (يقال خلقت الأديم ، إذا قدرته قبل القطع ، ومنه قول زهير :

ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفرى

وقال الحجاج (ما خلقت الا فريت ولا وعدت إلا وفيت) [١] .

وفي معجم المقاييس : (قال خلق يأتي بمعنى قدر الشيء ، ومنه قولهم خلقت الاديم للسقاء إذا قدرته ، ومن ذلك الخلق وهي السجية ، لأن صاحبه قد قدر عليه ، وفلان خليق بكذا وأخلق به أي ما أخلقه أي ممن يقدر فيه ذلك . والخلاق النصيب لانه قد قدر لكل أحد نصيبه ، فأي كلمة تأخذ معنى التقدير ، فإنها تسمى خلق أو خلاق أو خلق وكذا) [٢] .

وفي لسان العرب (الخلق التقدير ، وخلق الأديم يخلقه خلقا قدره ، لما يريد قبل القطع وقاسه ليقطع منه مزاده أو قربه أو حقا ــ ثم ذكر ببيت زهير ــ ومعناه أنت إذا قدرت أمراً قطعته وأمضيته ، وغيرك يقدر مالا يقطعه لأنه ليس بماضي العزم وأنت مضاء على ما عزمت عليه) [٣] .

---

(١) الصحاح ١٤٧٠/٤ ــ ١٤٧١ .

(٢) معجم مقاييس اللغة ٢١١/٢ ــ ٢١٢ .

(٣) لسان العرب ٨٧/١٠ .

وفي تاج العروس (يسمون صانع الأديم ونحوه ، الخالق لأنه يقدر أولاً ثم يفري .

وخلق النطع والأديم خلقا ، وخلقه إذا قدره وحززه أو قدره لما يريد ، قبل أن يقطعه وقاسه قبل أن يقطع منه مزاده أو قربه) [1] .

٢ ـ **الإنشاء** على مثال أبدعه ـ أو هو الإيجاد سواء من عدم ، أو تحويل الشيء من خلق إلى خلق مختلف ، قال في تاجر العروس : (الخلق في كلام العرب على وجهين الإنشاء على مثال أبدعه والآخر التقدير وكل شيء خلقه الله ، فهو مبتدعه على غير مثال سبق إليه ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ [2] .

والخالق في صفات الله تعالى المبدع للشيء ، المخترع على غير مثال سبق، وقال الأزهري هو الذي أوجد الاشياء جميعها ، بعد أن لم تكن موجودة وأصل الخلق التقدير ، فهو بإعتبار ما منه وجودها مقدر ، وبإعتبار الإيجاد على وفق التقدير خالق) [3] .

وفي لسان العرب (الله تعالى الخلاق وفي التنزيل ﴿هو الله الخالق البارئ المصور﴾ [4] ، وفيه ﴿بلى وهو الخلاق العليم﴾ [5] قال الأزهري ، ولا تجوز هذه الصفة بالالف واللام لغير الله عزوجل ، وهو الذي أوجد الأشياء جميعها ، بعد أن لم تكن موجودة ، والخلق في كلام العرب ابتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه وكل شيء خلقه الله فهو مبتدئه على غير مثال سبق إليه ، وقال ابن سيدة : (خلق الله الشيء يخلقه خلقا أحدثه بعد أن لم يكن ، والخلق يكون المصدر ، ويكون المخلوق ﴿يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾ [6] فسمى المخلوق خلقا) [7] .

---

(١) تاج العروس ٢٥/٢٥١ ـ ٢٥٢ .

(٢) سورة الأعراف ، آية ٥٤ .

(٣) تاج العروس ٢٥/٢٥١ .

(٤) سورة الحشر الآية ٢٤ .

(٥) سورة يس الآية ٨١ .

(٦) سورة الزمر الأية ٦ .

(٧) لسان العرب ١٠/٨٥ .

وفي الصحاح (والمخلق القدح إذا لين وسوي وقال يصفه :

فخلقتــه حتى إذا تم واســتوى كمضـــة ســق أو لمثل كممتن إمام

قرنــت بحقويه ثلاثا فلم يــزغ عن القصد حتى بصرت بدمام) [١]

ويأتي الخلق بمعاني كثيرة منها :

الإفتراء ومنه خلق الكذب أو الإفك ، ومنه قوله تعالى ﴿وتخلقون إفكـــا﴾ [٢] ويقال هذه قصيدة مختلقة أى منحوله) [٣] ومن المجاز خلــق الكــلام وغــيره ، إذا (صنعه) إختلقا [٤] .

والخليقة الطبيعة والجمع الخلائق ، قال لبيد :

فاقنع بما قسم المليك فإنما قسم الخلائق بيننا علامها

ومنــه الخلــق ، والخلــق النـــاس والخليقـــة البهائم [٥] وقيل هي الفطـــرة والسليقـــة [٦].

وخلق الشيء خلقا (ملسه ولينه) [٧] .

ويقال صخرة خلقاء أي ملساء ، ويقال اخلولق السحاب ، استوى ومن هـــذا الباب أخلق الشيء ، وخلق إذا بلي ومنه الثوب إذا بلي ، وملس سمي خلقـــا وكــل شيء اعتدل فهو المختلق [٨] .

ونكتفي بهذا القدر من هذه المعاني وهي كثيرة جداً ذكرنا بعضها فقط لمعنـــى الخلق في اللغة ، ونذكر بعد ذلك معناه في الاصطلاح .

---

(١) الصحاح ١٤٧١/٤ ، وانظر تاج العروس ٢٥١/٢٥ .
(٢) سورة العنكبوت الآية ١٧ .
(٣) لسان العرب ٨٥/١٠ .
(٤) الصحاح ١٤٧١/٤ .
(٥) تاج العروس ٢٥٣/٢٥ .
(٦) لسان العرب ٨٦/١٠ .
(٧) تاج العروس ٢٥٢/٢٥ .
(٨) معجم مقاييس اللغة ٢١٤/٢ ، وانظر لسان العرب كذلك ٨٧/١٠ ــ ٨٨ .

ثانيا : الخلق في الاصطلاح :

يأتي الخلق في الإصطلاح بنفس المعنى اللغوي ، ولذلك أكثر من فسر المراد بالخلق فسره ، بأنه الايجاد على غير مثال سابق من العدم ، أو أنه قدره تقديرا كما سوف يظهر من بعض التعريفات ، التي ذكرها بعض أهل العلم [1] ، يقول الراغب الاصفهاني في معنى الخلق ، (الخلق أصله التقدير المستقيم ، ويستعمل في أبداع الشيء من غير أصل ولا احتداء قال تعالى ﴿خلق السموات والأرض﴾ [2] أي أبدعها بدلالة قوله تعالى ﴿بديع السموات والأرض﴾ [3] ويستعمل في إيجاد الشيء من الشيء نحو ﴿خلقكم من نفس واحدة﴾ [4] ﴿وخلق الإنسان من نطفه﴾ [5] وليس الخلق الذي هو الابداع الا لله تعالى ولهذا قال في الفصل بينه وبين غيره ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾ [6] ، وأما الذي يكون بالاستحالة فقد جعله الله لغيره في بعض الأحيان كعيسى حيث قال ﴿وإذا تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني﴾ [7] .

والخلق يقال في معنى المخلوق ، والخلق في الأصل واحد لكن خص الخلق بالهيئات ، والأشكال والصور المدركة بالبصر ، وخص الخلق بالقوي والسجايا المدركة بالبصيرة) [8] .

وليس شيء من فعل بني آدم على الحقيقة خلق بل هو صنع وفعل منهم والخلق لله عزوجل فإنه وحده الخلاق وما يفعل بنوا آدم من الصنع والخلق، فإنه تشبه بفعل الله وليس هو مثله على الإطلاق كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ذلك [9].

ويعرفه البهقي الخلق بالاختراع والإبداع على غير أصل ولا مثال سابق) [9] .

---

(١) انظر الإيمان لابن تيمية ص ٩٠ ـ ٩١ .
(٢) سورة الأنعام الآية ١ .
(٣) سورة البقرة الآية ١١٧ .
(٤) سورة النساء الآية ١ .
(٥) سورة النحل الآية ٤ .
(٦) سورة النحل الآية ١٥ .
(٧) سورة المائدة الآية ١١٠ .
(٨) المفردات في الفاظ القرآن ٢٩٦ ـ ٢٩٧ .
(٩) انظر الفتاوى ٢٩/٣٦٨ .
(٩) الاعتقاد للبيهقي ٧٤ ، وانظر كذلك عمدة القاري ١٥/١٠٧ .

وعرفه بنفس هذا التعريف شارح العقيدة الطحاوية ، فقال (معنى خلق أي أوجد وانشأ وأبدع ويأتي خلق بمعنى قدر) [١] ويعرفه ابن حزم ، بقوله (هو الإخراج من العدم إلى الوجود) [٢] .

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية معنى كلامنا أنه خالق كل شيء ، وخلق كذا وكذا أي انه خلق المخلوق وأحدثه بعد أن لم يكن كما قال تعالى﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا﴾ [٣] [٤] .

وله تعريف آخر (وهو الشيء الذي كونه الله بأمره ، وهو المفعول من هذا الأمر من الله عزوجل) [٥] ، ويوافق شيخ الإسلام ابن تيمية على هذا التعريف صاحب منار القاري في شرح صحيح البخاري ، حيث قال الخلق هو الموجود من العدم بفعل الله وأمره وابداعه [٦] .

ومن اسماء الله عزوجل الخالق ، ﴿خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل﴾ [٧] ، وقال تعالى ﴿وهل من خالق غير الله﴾ [٨] ومعناه كما قال البيهقي ، قال الحليمي (ومعناه الذي صنف المبدعات وجعل لكل صنف منها قدرا ، فأوجد فيها الصغير أو الكبير أوالطويل أوالقصير ، والإنسان والبهيمة والدابة والطائر والحيوان والموات ، ولا شك ان الإعتراف بالإبداع يقتضي الاعتراف بالخلق ، إذ أن الخلق هيئة الابداع ، ومعنى الخلاق الخالق خلقا بعد خلق [٩] .

ويعرف شارح الطحاوية الخالق (بأنه المخرج للشيء من العدم ، إلى الوجود لاغير) وقد نقل هذا عن بعض من شرح الطحاوية من المشايخ ، ولكنه اعترض عليه بأنه يوجد معنى ثاني للخالق ، وهو التقدير [١٠] .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ١٢٤/١ .

(٢) الفصل في الملل والاهواء والنحل ٢٣١/٣ .

(٣) سورة مريم الآية ٩ .

(٤) مجموعة الرسائل والمسائل ٣٧٥/٢ ـ ٣٧٦ .

(٥) الفتاوي ٢١٥/١٨ .

(٦) منار القاري شرح مختصر البخاري خميس محمد قاسم ١٤٦/٤ ـ ١٤٧ .

(٧) سورة الزمرة الآية ٦٢ .

(٨) سورة فاطر الآية

(٩) كتاب الاسماء والصفات للبيهقي ص ٤٢ .

(١٠) شرح العقيدة الطحاوية ١١٦/١ .

ويقون شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان أن هذا المعنى للخلق واضح ومفهوم (ولهذا كان ما أخبر الله به في كتابه ، من أنه خلق السموات والأرض عما يفهم جميع الخلائق ، أنهما حدثتا بعد أن لم تكونا) [1] .

وسئل الشيخ صالح الأطرم ما معنى الخلق ، فاجاب يقول (المقصود بالخلق هو ايجاد الاشياء بعد أن لم تكن موجودة وأبدعها على ما لم يسبق لها نظير ﴿بديع السموات والأرض﴾ [2] أي أبداعها ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض﴾ [3] وكل شيء خلقه الله فهو مبتدئة على غير مثال سبق إليه ، ويأتي الخلق بمعنى التقدير ، ومنه قوله تعالى ﴿تبارك الله احسن الخالقين﴾ [4] أي المقدرين وقوله ﴿وتخلقون إفكاً﴾ [5] أي تقدرون كذبا) [6] .

ولعنا نكتفي بهذا القدر من الكلام على المعنى الاصطلاحي للخلق ، وندخل في صلب المبحث وهو خلق الله عزوجل للعرش ، والماء والقلم والسموات والارض والحديث عنها وعن ترتيب خلقها والترجيح في ذلك بشيء من الاختصار ، ومنهجنا في هذه الرسالة هو الاختصار ، قدر الطاقة لأن التوسع مع كثرة المباحث يؤدي إلى تضخيم حجم الرسالة دون فائدة كبيرة تحصل من تكرار ذلك .

خلق العرش والماء والقلم والسموات والأرض :

اختلف العلماء في هذه المسألة على عدة أقوال ، وسبب هذا الإختلاف والله أعلم هو ورود ~~أحاديث متعارضة في النصوص~~ ، على مَن مِن هذه المخلوقات هو أولها خلقاً .

Contradiction

---

(١) الفتاوى ١٨/٢٦ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٦٧ .

(٣) سورة فاطر الآية ١ .

(٤) سورة المؤمنين الآية ١٤ .

(٥) سورة العنكبوت الآية ١٧ .

(٦) الأسئلة والأجوبة في العقيدة ، صالح بن عبدالرحمن الاطرم ص ١١ ، ١٢ .

فبعض العلماء يرى أن أول شيء خلقه الله ، هو الماء والعرش وأنهما خلقا قبل السموات والأرض ، والقلم يقول ابن حجر (لكن أشار بقوله ــ حديث عمران بن الحصين في بدء الخلق ، (وكان عرشه على الماء) إلى أن الماء والعرش كانا مبدأ هذا العالم ، لكونهما خلقا قبل خلق السموات والأرض، ولم يكن تحت العرش إذ ذاك إلا الماء) [1] وقال العيني في شرحه للحديث (وفيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والأرض [2] .

وقال في عون الباري في تعليقه ، على هذا الحديث (وكان عرشه على الماء) (معناه أنه خلق الماء سابقا ، ثم خلق العرش على الماء) [3] .

ويقول ابن تيمية في تأييد هذا الرأي : (فهذا القلم خلقه الله لما أمره بالتقدير المكتوب قبل خلق السموات والأرض ، بخمسين الف سنة وكان مخلوقا قبل خلق السموات والأرض ، وهو أول ما خلق من هذا العالم ، وخلقه بعد العرش كما دلت عليه النصوص وهو وقول جمهور السلف .. وأخبر القرآن الكريم أنه خلق السموات والأرض قي ستة أيام ، وكان عرشه على الماء ، وفي الآية الأخرى ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض إئتيا طوعا أو كرها قالتا اتينا طائعين﴾ [4] . وقد جاءت الاثار عن السلف ، بأن السماء خلقت من بخار الماء ، وهو الدخان) [5] .

وقال في موضع آخر (ولكن كان قبل ان يخلق الله هذه السموات ، وهذه الأرض وهذا النهار كان العرش على الماء كما قال تعالى ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء﴾) [6] [7] .

---

(١) فتح الباري ٣٧٤/٦ .

(٢) عمدة القاري ١٠٩/١٥ .

(٣) عون الباري ٥/٤ انظر كذلك ارشاد الساري ٢٤٩/٥ ، وانظر منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري كذلك ١٤٧/٤ .

(٤) سورة فصلت الآية ١١ .

(٥) مجموعة الرسائل والمسائل ٣٥١/٢ ــ ٣٥٢ .

(٦) سورة هود الآية ٧ .

(٧) الفتاوى ٢١٣/١٨ .

ويؤيد هذا القول كذلك ابن كثير رحمه الله تعالى ، فعند تفسير هذه الآية آية هود ـ ذكر الأقوال واختار أسبقية خلق الماء والعرش ، للسموات والأرض [1] وأيد هذا القول كذلك شارح الطحاوية ، عند تعليقه على حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه [2] .

وكذلك أيده ابن القيم في قصيدته المشهورة بالنونية يقول فيها :

وأذكر حديث السبق للتقدير	والتوقيت قبل جميع ذي الأعيان
خمسين ألفاً من سنين عدها المخـ	ـتار سابقه لذي الأكوان
هذا وعرش الرب فوق الماء من	قبل السنين بمدة وزمان
والناس مختلفون في القلم الذي	كتب القضاء به من الديان
هل كان قبل العرش أو هو بعده	قولان عند أبي العلي الهمداني
والحق أن العرش قبل لانه	قبل الكتاب كان ذا أركان
وكتاب القلم الشريف تعقبت	إيجاده من غير فصل زمان [3]

وهذا القول هو رأي جمهور العلماء تقريبا ، وهو قول جمهور السلف كما قال ابن تيمية وأدلة هؤلاء العلماء على هذا القول ، ما يلي :

١ ـ حديث عمران بن الحصين وفيه «وكان عرشه على الماء» [4] وفي بعض طرقه ثم خلق السموات والأرض) [5] بعد ذكر كتابة المقادير ، في رواية كتاب التوحيد .

وأيدوا هذه الرواية برواية قصة نافع بن يزيد الحميرى ، بلفظ (كان عرشه على الماء ثم خلق القلم ، فقال اكتب ما هو كائن ، ثم خلق السموات والأرض وما فيهن) [6] قال فصرح في هذا الحديث بترتيب المخلوقات ، بعد الماء والعرش [7] .

---

(١) تفسير ابن كثير ٤١٩/٢ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ١١٣/١ .

(٣) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة ابن القيم ٣٧٢/١ ، ٣٧٤ ــ ٣٧٥ .

(٤) اخرجه البخاري ح (٣١٩٠) في بدء الخلق (٣١٩١) (٤٣٦٥) .

(٥) أخرجه البخاري ح (٧٤١٨) .

(٦) هذا اللفظ في الإصابة لأبن حجر ٤٠٦/٦ (٨٦٥٩) وفيه ضعف .

(٧) عون الباري ٥/٤-٦ .

قال ابن تيمية في تعليقه ، على حديث عمران بن الحصين ولفظه (ثم خلق) قال (فان كان لفظ الرسول ﷺ (ثم خلق) فقد دل على أن خلق السموات والأرض، بعد ما تقدم ذكره من كون عرشه على الماء ومن كتابته في الذكر ، وهذا اللفظ أولى بلفظ رسول الله ﷺ لما فيه من تمام البيان ، وحصول المقصود للفظه الترتيب ، وإن كان لفظ الواو فقد دل سياق الكلام على أن مقصوده الإخبار ، أنه خلق السموات والأرض بعد ذلك وكما دل على ذلك سائر النصوص ، فإن مقصوده بانه خلق السموات والأرض حين كان عرشه على الماء ، كما أخبر بذلك في القرآن، وحينئذ يجب ان يكون العرش كان على الماء قبل خلق السموات والأرض ، كما أخبر بذلك في الحديث الصحيح حيث قال : ((قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء)) [1] فأخبر أن التقدير السابق لخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة حين كان عرشه على الماء [2] .

ثم هؤلاء العلماء اختار كثير منهم ، ترجيح أسبقية خلق الماء على العرش لأحاديث وردت في ذلك ، يقول العيني (فإن قلت إذا كان العرش والماء خلقا أولا فأيهما سابق في الخلق قلت الماء ، لما روى أحمد والترمذي مصححا ، من حديث أبي رزين العقيلي مرفوعا (ان الماء خلق قبل العرش) [3] وايد هذا القول ابن حجر في الفتح كذلك ، وكذلك أيد صاحب عون المعبود هذا القول واستدل له بحديث عند أحمد ، والحاكم من حديث ابي هريرة قلت يارسول الله اني إذا رأيتك طابت نفسي ، وقرت عيني انبئني عن كل شي قال ((كل شيء خلق من الماء)) [4] [5] .

---

(١) أخرجه البخاري ح (٦٩٨٢ .

(٢) الفتاوى ٢١٨/١٨ ـ ٢١٩ .

(٣) أخرجه أحمد ٤٩٣/٢ .

(٤) اخرجه الامام ٢٩٥/٢ و٣٢٣ و٣٢٤ وأخرجه الحاكم في المستدرك ١٧٦/٤ (٧٢٧٨) ومسند الحاق ١٨٤/١ (١٣٣) .

(٥) انظر عون المعبود ٧٠٦/٤ ، وانظر فتح الباري ٣٣٤/٦ .

وقال ابو الطيب الفنوجي البخاري في تعليقه على حديث عمران ابن الحصين وتعليقه على كلام ابن حجر السابق (وهذا يـــدل علـــى أن ألمـــاء أصـــل لجميـــع المخلوقات، ومادتها وأن جميع المخلوقات خلقت منه . قال تعالى ﴿والله خلـــق كـــل دابة من ماء﴾ [١] ومن قال : إن المراد بالماء النطفة فقد أبعد لوجهين ، أحدهمـــا أن النطفة لا تسمى ماء مطلقا بل مقيدا في جميع الآيات .

والثاني (ان من الحيوانات ما يتولد من غير نطفة ، كدود الخل والفاكهة فليس كل حيوان مخلوقا من نطفة فدل القرآن على أن كل ما يدب ، وكل ما فيه حياة مـــن ماء) [٢] .

وممن يرى هذا الرأي كذلك الشيخ حمزة قاسم ، حيث يقول في تعليقه علـــى حديث عمران بن الحصين ، (دل الحديث على أن الله كان قبل كل شيء ، ولم يكـــن أي شيء غيره موجودا ، ثم خلق الماء أولا والعرش ثانيا ، أو خلق العـــرش فـــي الجهة العليا والماء في السفلى ، ثم خلق القلم واللوح المحفوظ ثم خلـــق الســـموات والأرض هذا هو الترتيب الزمني لخلق هذه الكائنات العلوية والسفلية) [٣] .

وأيد هذا القول كذلك القسطلاني (حيث استشهد ببعض الأحاديث السابقة ، ثـــم قال : (وهذه الأحاديث تدل على أن الماء هو أصل جميع المخلوقات ، وان مادتـــها منـــه) ثـــم استشـــهد بأثـــار عن ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهم ، في تأييـــد هذا القـــول) [٤] .

القول الثاني : قول الحسن وعطاء ومجاهد وذهب أليه ابن جرير ، وابن الجـــوزي ومن تبعه وهو أوليه خلق القلم [٥] .

واستدل هؤلاء بعدة أحاديث منها ما يلي :

١ ــ حديـــث عمران ابن حصين في بـــدء الخـــلق ، وفيه:((وكتب في ذكـــر كـــل شيء)) [٦] وتصريحه بالكتابة قبل خلق السموات والأرض ، وقولهم في سؤالهم جئنـــا لنسألك عن أول هذا الأمر .

---

(١) سورة النور الآية ٤٥ .

(٢) عون الباري ٧٠٦/٤ .

(٣) منار القاري شرح مختصر البخاري ١٤٧/٤ .

(٤) ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٢٥٠/٥ .

(٥) انظر عمدة القاري ١٠٩/١٥ ، وفتح الباري ٣٣٤/٦ .

(٦) اخرجه البخاري ح (٣١٩٠) و(٤٣٦٥) و(٤٣٨٦) و(٧٤١٨) .

٢ ـ حديث عبادة ابن الصامت مرفوعا ، «أول ما خلق الله القلم ثم قال لــــه اكتـــب فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة» [١] ، كذلك وحديث ابن عباس عنــــد البيـــهقي «أول ما خلق من القلم فقال اكتب فقال يارب وما اكتب فقال اكتب القدر فجرى بمـــا هو كائن عن ذلك اليوم إلى قيام الساعة» [٢] .

وحديث «قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمســـين الق سنة وكان عرشه على الماء» [٣] .

والرد على هذه الاحاديث بما يلي :

أما حديث عمران ابن الحصين ، فإنه صرح بكون ذلك وعرشه على المــــاء قبل الخلق ، قال ابن تيمية (فإنه يدل على أن النبي ، إنما اجابهم عن أول خلق هــذا العالم لانه لم يذكر الخلق مطلقا ، بل قال (كان الله ولا شيء قبله) فلم يذكر الا خلــق السموات والأرض ، لم يذكر خلق العرش مع أن العرش مخلوق أيضا ، فعلم أنــــه أخبر بأول هذا العالم ، لا بأول الخلق مطلقا) [٤] وكذلك ذكر ابن حجر نفـــس هـــذا المعنى ورجح أن المسئول عنه ، هو هذا الحاضر الموجـــود لا أول مـــا خلـــق الله عزوجل [٥] . وكذلك أيد هذا القول شارح الطحاوية ، وبيـــن أن المـــراد أول هـــذا الخلق الموجود ، لا أول الخلق واستدل له بعدة أدلة تؤيد ما ذهـــب إليـــه ، تركتـــها أختصاراً [٦] .

أما الحديث الثاني .

فيجاب عنه بجوابين الأول ما ذكره النبي (وهو أن الأولية أمر مبني ، وكـــل شيء مقبل أنه أول ، فهو بالنية إلى ما بعدها) [٧] .

---

(١) أخرجه الترمذي ح (٣٣/٩) وأحمد ٣١٧/٥ والحاكم في المستدرك ح(٣٨٤٠) والبيهقي في السنن الكـــبرى ٣/٩ ح(١٧٤٨١) .

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٣/٩ والطبري في المعجم الكبير ٦٨/١٢ رقم (١٢٥٠٠) .

(٣) أخرجه مسلم ح (٢٦٥٣) .

(٤) انظر الفتاوى ٢١٣/١٨-٢١٤ ، مجموعة الرسائل والمسائل ٣٥٤/٣.

(٥) فتح الباري ٣٣٣/٦ .

(٦) شرح الطحاوية ١١٣/١ .

(٧) عمدة القاري ١٩/١٥ .

والجواب الثاني ما ذكره ابن حجر حيث ، قال (فيجمع بينه وبين ما قبله بأن أولية القلم ، بالنسبة إلى ماعدا الماء والعرش ، أو بالنسبة إلى ما منه صدر من الكتابة ، أي أنه قيل له اكتب أول ما خلق) [١] .

وكذلك يجاب عنه بان الأحاديث الأخرى تفسره ، وهو التصريح بأن ذلك كان وعرشه على الماء كما في بعض الروايات ، من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص في مسلم وكذلك قصة إبي رزين ، في حديث عمران بن الحصين التصريح بترتيب ذلك بقول ثم خلق السموات والأرض .

وكذلك رواية نافع بن يزيد الحميري ، وفيها (ثم خلق القلم فقال اكتب ما هو كائن ثم خلق السموات والأرض) [٢] .

وأما الحديث الرابع فانه فيه تصريح (بكون ذلك وعرشه على الماء ، بقوله (وكان عرشه على الماء) [٣] .

القول الثالث :

أن أول الخلق هو خلق السموات والأرض ، وهذا العالم ودليلهم حديث عمران بن الحصين ، وفيه جئنا نسألك عن أول هذا الأمر ، فأجابهم النبيﷺ عن أول ذلك ولا يجوز أن يجيبهم عن غيره [٤] .

ويجاب عنه بما أجيب عن أدلة القول الثاني .

وأن النبي أجابهم عن هذا العالم ، لا عن أول الخلق مطلقا ، كما قال ابن تيمية وغيره .

هذه هي أهم الأقوال في هذه المسألة في الخلق ، وبشيء من الإختصار حتى لا يزيد حجم هذه الرسالة .

وإن كان هناك أقوال أخرى قد وردت عن بعض العلماء ، منها : أن أول ما خلق الله هو العقل وحجتهم في ذلك ، حديث يروي عن النبيﷺ (أول ما خلق الله العقل) قال ابن حجر ليس لهذا الحديث طريق يثبت [٥] .

---

(١) سبق تخريجه قبل قليل .

(٢) أخرجه مسلم ح (٢٦٥٣) .

(٣) فتح الباري ٣٣٤/٦ .

(٤) انظر الفتاوي ٢١٤/١٨ .

(٥) فتح الباري ٣٣٤/٦ .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية عن هذا الحديث ، (هو حديث كذب موضوع عند أهل العلم بالحديث ليس هو في شيء من كتب أهل الإسلام المعتمدة وإنما يرويه مثل داود وابن المحبر ، وأمثاله من المصنفين في العقل ، ويذكره أصحاب رسائل إخوان الصفا ونحوهم ، من المتفلسفة وقد ذكره أبو حامد في بعض كتبه وابن عربي وابن سبعين ، وأمثال هؤلاء وهو عند أهل العلم بالحديث كذب على النبي ﷺ) [1] .

ثم قال (ومع هذا فلفظ الحديث (أول ما خلق الله العقل ، قال له أقبل فأقبل، وقال له أدبر فأدبر ...) ومعنى هذا اللفظ أنه قال للعقل في أول أوقات خلقه ، ليس فيه أن العقل أو المخلوقات لكن المتفلسفة القائلون بقدم العالم ، أتباع أرسطو هم ومن سلك سبيلهم من باطنية الشيعة والمتصوفة والمتكلمة ، رووه أول ما خلق الله العقل بالضم ليكون ذلك حجة لمذهبهم ، في أن أول المبدعات هو العقل الأول ، وهذا اللفظ لم يروه أحد من أهل الحديث بل اللفظ المروي، مع ضعفه يدل على نقيض هذا المعنى فإنه قال (ما خلقت خلقا اكرم علي منك) فدل على أنه خلق قبله غيره) [2] ..

فعلم أن هذا الحديث ضعيف ، وبهذا يعلم بطلان القول بأولية خلق العقل .

وورد قول آخر كذلك عن بعض العلماء ، وهو أن أول المخلوقات نور النبي ﷺ ذكره العيني في أثناء شرحه ، لحديث عمران بن الحصين [3] فقد قال شيخ الإسلام إبن تيمية ، أنه وأمثاله من الأحاديث الضعيفة المكذوبة على الرسول ﷺ [4] .

---

(١) الفتاوي ٣٣٦/١٨-٣٣٧ .

(٢) الفتاوي ٣٣٧/١٨ .

(٣) عمدة القاري ١٠٩/١٥ .

(٤) الفتاوي ٣٦٧/١٨ ، وانظر لسان الميزان لأبن حجر ١٣٧٩ .

وكذلك ما يروي أن الله أول ما خلق النور والظلمة ، ثم ميز بينهما فجعل الظلمة ليلا أسوداً مظلما وجعل النور نهارا أبيضاً مبصرا) [1] ويروي مثل هذا ابن إسحاق في السيرة نقله عن العيني ، وهذا كذلك لم أرى له طريق يثبت به بعد طول بحث ، ولعله أخذه من أهل الكتاب ، فإنهم عندهم في الكتاب المقدس مثل هذه الأشياء [2] .

ولعلنا نختم هذا المبحث ، ونخلص منه أن أول شيء خلقه الله هو الماء ، أو العرش ولعل الماء يكون أرجح للأحاديث المذكورة في ذلك ، ثم خلق الله القلم واللوح المحفوظ ، ثم بعد ذلك خلقت السموات والأرض ، وهذا العالم المشاهد والله أعلم .

---

(١) عمدة القاري ١٥/١٠٩ .

(٢) الكتاب المقدس ط١ الشرق الأوسط سفر التكوين الاصحاح الأول ص ٣ .

المطلب الثاني : خلق الرياح :

أولاً : معنى الريح في اللغة :

قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة الراء والواو والحاء أصل كبير مطرد ، يدل على سعة وفسحة واطّراد ، وأصل ذلك كله الريح ، فالرَوْحُ روح الإنسان و إنما هو مشتق من الريح ، وكذلك الباب كله والرِّوح نسيم الريّح ، ويقال أراح الإنسان إذا تنفسّ [1] .

ومن خلال استعراض المغنى اللغوي ، يتبين ما يلي :

أن الريح تأتي لمعاني منها :

١ ـ نسيم الهواء قال ابن منظور ، وكذلك نسيم كل شيء هي ريحه [2] .

٢ ـ شدة الهواء أو طيبه قال في الصحاح : (وراح اليوم يراح إذا اشتده ريحه ويوم راح شديد الريح [3] .

وقال شمر يقال راح يومنا يراح ريحا ، إذا اشتد ريحه وهو يوم راحّ وراح يومنا يَرَاحُ رُوَحاً ، إذا طابت ريحه ويوم ريّحٌ طيب الريح .

ويقال إفتح البيت حتى يراح البيت ، أي حتى تدخله الريح) [4] .

وقال الفراء (شجره مروحة ، إذا هبت بها الريح) [5] وقال ليث يوم ريِّح، ورَاح ذو ريح شديد [6] .

٣ ـ تأتي بمعنى القوة والغلبة : قال في تاج العروس ، قال تأبط شراً وقيل سليك بن السّلَكَة .

انتظران قليلا ريث غفلتهم　　　　أو تعدوان فان الريح للعادي

ومنه قوله تعالى : ﴿وتذهب ريحكم﴾[7] [8] .

---

(١) معجم مقابيس اللغة ٢/٤٥٤ .
(٢) لسان العرب ٢/٤٥٥ .
(٣) الصحاح ١/٣٦٩ .
(٤) نفس المرجع .
(٥) تهذيب اللغة ٥/٢١٧ .
(٦) انظر تاج العروس ٦/٤ ، ولسان العرب ٢/٤٥٥ .
(٧) سورة الانفال آية ٤٦ .
(٨) انظر معجم مقاييس اللغة ٢/٤٦٤ والصحاح ١/٣٦٨ وتاج العروس ٦/٤١٤ ولسان العرب ٢/٥٧ .

ومن ذلك النصرة والدولة ، (ويقال الريح لآل فلان أي النصرة والغلبة وكان لفلان ريح أي قوة ، وإذا هبت رياحك فأغتنمها أي قوتك ونشاطك) [1] .

٤ ـ الريح الشيء الطيب والرائحة النسيم طيباً كان أو نتناً ، والرائحة ريح طيبة نجدها في النسيم تقول لهذه القبلة رائحة طيبة ، وفي الحديث (لم يجد رائحة الجنة) أي لم يشم ريحها ، وذكر شواهد كثيرة لهذا المعنى [2] [3] .

(والريح واحدة الرياح ، والأرياح وقد تجمع على أرواح لأن أصلها الواو وإنما جاءت بالياء الإنكسار ما قبلها ، فإذا رجعوا إلى الفتح عادت إلى الواو كقولك أروح الماء وتروحت بالمروحة [4] .

وفي الباب معاني كثيرة هذه أهمها ، وقد تركت ذلك للاختصار والمعنى الاصطلاحي ، هو المعنى اللغوي تقريبا فإن المراد بالريح هو الهواء سواء ، كان شديدا وهو الغالب أو لم يكن كذلك ، كما هو في أكثر الآيات والأحاديث ، وقد فسرها أكثر العلماء بذلك ، كما سوف يتبين من خلال العرض الآتي [5] .

ذكر البخاري في هذا الكتاب آيات وأحاديث فيها ذكر الريح ، وسوف نتناول ذلك من خلال العرض الآتي :

خلق الريح وأوامر الله لها :

قال ﷺ في ما يرويه ابو هريرة رضي الله عنه ، عن خلق الريح «الريح من روح الله تأتي بالرحمة ، وتأتي بالعذاب فلا تسبوها ، وسلوا الله من خيرها واستعيذوا بالله من شرها» [6] .

ومعنى روح الله في الحديث، أي رحمة الله عزوجل ، قال في عون المعبود (روح الله) أي رحمته ، كما قال عزوجل (فلا تأيسوا من روح الله إنه لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون) أي يرسلها الله عزوجل من رحمته لعباده

---

(١) انظر تاج العروس ٤١٤/٦ ولسان العرب ٤٥٥/٢ .

(٢) تاج العروس ٤١٤/٦ .

(٣) لسان العرب ٤٥٧/٢ .

(٤) الصحاح ٣٦٧/١ ، وانظر تاج العروس ٣١٣/٦ .

(٥) انظر تفسير ابن كثير ٢١٣/٢ . والتفسير الكبير ١١٣/١٤ .

(٦) رواه الامام احمد ٤٠٩/٢ ح ٩٢٩٩ وابو داود ح ٥٠٩٧ ورواه ابن حبان (الاحسان) ح ٥٧٣٢ وقال محققه شعيب الأرنؤوط اسناده صحيح ٣٩/١٣ واستشهد له بروايات عدة .

(فلا تسبوها) (لانها مأمورة و(اسلوا الله من خيرها) ، أي خير ما ارسلت به وفي بعض النسخ ، واستعيذوا بالله من أي شر ما رسلت به) [1] .

وقد قال الله تعالى في محكم آياته كما استشهد فيها البخاري ، وجعلها عنوان للباب وهي قوله تعالى : ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته﴾ [2] وعلى قراءة الجمهور (نشراً بين يدي رحمته) [3] وقد ذكر الله عزوجل ، قبل هذه الايات في نفس السياق الخلق ، قال تعالى :﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا﴾ [4] .

قال ابن كثير : (لما ذكر الله تعالى ، أنه خالق السموات والأرض ، وانه المتصرف الحاكم المدبر المسخر ، وأرشد إلى دعاه ، لأنه على ما يشاء قادر ونبه تعالى على أنه الرازق والمتصرف بتسخير هذه الرياح) [5] .

وقال الرازي في ذكر وجه المناسبة ، بين ذكر خلق السموات والأرض ، وذكر الرياح في سياق هذه الآيات : (أعلم أن كيفية النظم وجهين : **الأول** أنه تعالى لما ذكر دلائل الالهية ، وكمال العلم والقدرة من العالم العلوي ، وهي السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم ، أتبعه بذكر الدلائل من بعض أحوال العالم السفلي ، ومن جملة الآثار العلوية الرياح والسحاب ، والأمطار ويترتب على أحوال الأمطار النبات وذلك هو المذكور في هذه الآية) [6] .

ثم تكلم عن خلق هذه الرياح، وكيفية حركتها وإبطال أقوال الفلاسفة، بتأثير الهواء وسخونته، وأن الرياح تتحرك من أجل هذه السخونة ، ثم أبطل قول المنجمين

---

(١) عون المعبود شرح سنن إبي داود للعظيم آبادي ٣/١٤ .

(٢) سورة الأعراف آية ٥٧ .

(٣) الفتح ٣٤٧/٦ ، وانظر التفسير الكبير ١١٣/١٤ .

(٤) سورة الأعراف آية ٥٤ .

(٥) تفسير ابن كثير ٢١٢/٣ .

(٦) التفسير الكبير ١١٢/١٤ .

في إثبات سبب تحرك هذا الهواء ، وتأثير النجوم في ذلك ، ثم أبطل لزوم الحركة للهواء لذاته وأثبت أن الله عزوجل ، هو المحرك ثم قال في ختام ذلك : (فثبت بهذا البرهان الذي ذكرناه ، أن محرك الرياح هو الله سبحانه وتعالى ، وثبت بالدليل العقلي صحة قوله وهو ﴿الذي يرسل الرياح﴾ [1] [2] .

وقال في تأكيد تصريف الله لهذه الرياح ، وأنها خلق من خلق الله يأمره الله، بما يريد من الخير أو العذاب ، قال : (الريح هواء متحرك وحركة الهواء ، بعد أن لم يكن متحركا لابد له من سبب ، وذلك السبب ليس نفسه كونه نواء ولا شيئا منه، لوازم ذاته وإلا لدامت حركة الهواء بدوام ذاته ، وذلك محال ، فلم يبق إلا أن يقال أنه يتحرك بتحرك الفاعل المختار ، والأحوال التي تذكرها الفلاسفة في سبب حركة الهواء ، عند حدوث الريح قد حكيناها في هذا الكتاب ، مرارا فأبطلناها ، وبينا أنه لا يمكن أن يكون شيء منهما سببا لحدوث الرياح ، فبقيى أن يكون محركها هو الله سبحانه وتعالى [3] .

ونحن هنا سوف نقوم بالتعليق على الآيات والأحاديث ، التي ذكرها البخاري فقط ، ولا نريد التوسع في ذكر جميع الآيات في الرياح ، وما قدر الله فيها من العذاب أو ما قدر فيها من التبشير بين يدي رحمته ، وقد ذكرّ البخاري نوعين من أوامر الله عزوجل لهذه الرياح نوع عذاب ونوع تبشير ، ونشر بين يدي رحمته الله عزوجل، واستشهد لذلك بآية لكل نوع وحديث ، وسوف نقوم بالتعليق على ما أورده البخاري رحمه الله تعالى في ذلك .

---

(١) سورة الأعراف الآية ٥٧ .
(٢) التفسير الكبير ١١٣/١٤ .
(٣) انظر التفسير الكبير ١٤٠/١٩ .

أوامر الله عزوجل للرياح :

وأوامر الله تعالى للرياح كثيرة ، نذكر منها ما يلي :

١ ـ يأمر الله عزوجل هذه الرياح بأوامر الخير ، فيرسلها بشرا بين يدي رحمته، قال الله عزوجل ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ...﴾ الآية [١] .

قال ابن كثير بشراً (أي منتشرة بين يدي السحاب الحامل للمطر ، ومنه من قرأ بشرا مبشرات ، وقوله بين يدي رحمته ، أي المطر) ، ثم قال فانظر إلى أثار رحمة الله ، كيف يحيي الأرض بعد موتها) [٢] .

وقال في التفسير الكبير في تعليقه ، على هذه الآية قال ((نشرا بين يدي رحمته)) [٣] فيه فائدتان : الأولى : أن قوله ((نشراً)) أي منتشرة متفرقة ، فجز من أجزاء الرياح يذهب يمنه ، وجزء يذهب يسره ، وكذلك القول في سائر الأجزاء واختصاص ذهابه لذلك بفعل الله الواحد المختار ، والفائدة الثانية : أن قوله ((بين يدي رحمته)) أي بين يدي المطر ، الذي هو رحمته) [٤] .

وقد فسر البخاري ﴿نشراً بين يدي رحمته﴾ [٥] وقال معنى ((نشراً)) أي متفرقة [٦] ، وفي إرشاد الساري (جمع نشور فمعنى ، (نشراً بين يدي رحمته) قدام رحمته يعني المطر ، الذي هو جزء من الرحمة من الله لعباده) [٧] .

---

(١) سورة الأعراف آية ٥٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ١١٢/٢ ـ ١١٣ وانظر تقريبا نفس التفسير في الدر المنثور ٤٧٧/٣ ـ ٤٧٨ .

(٣) أعتمد قراءة مراه بشرا بالنون واعتمد عليها لأنها قراره الجمهور وهو ما فعل البخاري كذلك انظر عمدة القاري ٢٢/١٥.

(٤) التفسير الكبير ١١٤/١٤ بتصرف .

(٥) سورة الأعراف ٥٧ .

(٦) انظر الفتح ٣٤٦/٦ .

(٧) إرشاد الساري ٢٦١/٥ .

٢ ـ يرسل الله هذه الرياح لواقح ، لتلقيح السحاب أو تلقح الشجر ، والأرض بوضع البذور فيها ، قال تعالى ﴿وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾ [١] .

قال البخاري معنى لواقح ملقحة ، قال الحافظ ابن حجر ، ولعله فسره بقول أبي عبيده وفقاً لابن اسحاق [٢] .

وقال العيني في ذكر الإختلاف في تفسيرها ، (فقيل هي ذات اللقاح والعرب تقول لذات الجنوب لاقح وحامل وللشمال حائل ، وعقيم وقال ابن مسعود لواقع تحمل الريح الماء فتلقح السحاب وتمر به فيدر ، كما تدر اللقحة ثم يمطر ، وقال ابن عباس تلقح الرياح والشجر والسحاب وتمر به) [٣] .

ويقول الدكتور عدنان الشريف تفسير عصري ، (لم تعرف الأسرار العلمية لعملية نزول الماء من السحب ، ودور الرياح في ذلك إلا في أواخر القرنين التاسع عشر ، والعشرين مع العلماء ، حيث اكتشف العلماء أن الرياح بما تحمله من غبار ، هي العامل الرئيسي في هطول الأمطار ، ففي كل سنتيمتر مكعب من الرياح ، يوجد خمسة آلاف نواة صغيرة من جزئيات الغبار والدخان والملح تتكثف حولها قطيرات الماء التي تتألف منها الغيوم في الطبقات الباردة من الجو ، ولولا نوى التكثف التي تحملها الرياح ، ما أمكن لقطيرات الماء التي تؤلف السحب بأن تتحول إلى قطرات مرئية ذلك ، بأن كل قطرة من ماء المطر تكبر كل قطيرة من ماء السحب بخمسة عشر مليون مرة تقريبا.

والرياح تلعب أيضاً دورا ملقحاً في عملية البرق والصواعق التي تحصل داخل السحب الرعدية ، والرياح مع الحشرات والطيور تلعب الدور

---

(١) سورة الحجر آية ٢٢ .

(٢) انظر فتح الباري ٣٤٦/٦ ، ٣٤٧ .

(٣) عمدة القاري ١٢٢/١٥ ، وانظر فتح الباري ٢٤٧/٦ .

الأكبر في عملية تلقيح الأزهار ، وتكاثرها فهي تحمل لقاحها وبذورها إلى مسافات قريبة أو بعيدة قد تصل أحياناً إلى آلاف الكيلومترات) [1] .

٣ ــ ومن فوائد هذه الرياح أنها قد تكون نصرا لعباد الله المؤمنين ، وعذابا على مخالفيهم كما حصل لبعض الأمم السابقة ، وكما حصل كذلك للنبيﷺ ، حيث حصل ذلك في غزوة الاحزاب (الخندق) ، ونصرهم الله على الكفار بالريح العقيمة الشديدة ويروي البخاري عن ابن عباس في ذلك حديث عن النبيﷺ قال فيه ((نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور)) [2] .

والصبا بفتح الصاد والباء ، هي الريح الشرقية ، كما يقول النووي [3] وابن حجر[4] وقال العسقلاني هي الريح التي تجيء من ظهرك ، إذا استقبلت القبلة (٥) ولعله في موضع غرب القبلة ، وهي المقصودة بقوله تعالى في غزوة الاحزاب ﴿ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنوداً فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا﴾ [6] .

وجزم ابن حجر أنها المقصودة بقول النبيﷺ ((نصرت بالصبا)) الحديث سبق تخريجه [7] ، ولعل جزمه مؤيد بأنه ﷺ لم يقع له ذلك، في غزوة غير غزوة الأحزاب .

وقد فسر مجاهد هذه الريح في الآية ــ آية الأحزاب ــ بأنها الصبا وهو قول عكرمة رحمه الله واختيار ابن جرير كذلك [8] .

---

(١) من علوم الأرض القرآنية الثوابت العلمية في القرآن الكريم للدكتور عدنان الشريف ص ٨٦ .
(٢) أخرجه البخاري ح ٣٢٠٥ في كتاب بدء الخلق ومسلم ح ٩٠٠ .
(٣) شرح مسلم ١٩٨/٦ .
(٤) فتح الباري ٣٤٨/٦ .
(٥) إرشاد الساري ٢٦١/٥ .
(٦) سورة للأحزاب آية ٩ .
(٧) فتح الباري ٣٤٨/٦ .
(٨) انظر تفسير ابن كثير ٤٥٣/٣ .

وقد ذكر ابن كثير عدة أثار عن الصحابة في وصف هذه الريح ، وكيف كانت وما وقع فيها من شدة البرد ، وقوة الريح وأمر الرسول لحذيفة ان يذهب، وينظر اخبار المشركين وما فعل الله بهم ، قال ابن اسحاق في ما يرويه عن حذيفة بن اليمان قال (فدخلت في القوم ، والريح ، تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قرار ، ولا نار ولا بناء فقام أبو سفيان خطيباً ، إلى أن قال ولقينا من هذه الريح ما ترون ، ما تطمن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ، ولا يتمسك لنا بناء فارتحلوا فإني مرتحل) [1] .

وفي رواية أخرى لابن كثير يصف حذيفة شدة هذه الريح قال عن حذيفة : (وما أتت علينا قط أشد ظلمة ولا أشد ريحا في أصوات ريحها ، أمثال الصواعق وهي ظلمة ما يرى أحدنا أصبعه ... ثم قال لي رسول الله : يا حذيفة انظر لي خبر القوم ... وفيه وإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبرا ، فوالله إني لا أسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم والريح تضربهم بها) [2] .

٤ ـ جعل الله في هذه الرياح منافع للناس كثيرة جدا منها على سبيل المثال ، سير السفن في البحر قديما وحديثا بواسطة هذه الريح ، وقد أمتن الله بهذه النعمة في آيات كثيرة من القرآن بل كثيرة جدا ومنهما قوله تعالى : ﴿ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام * إن يشاء يسكن الريح فيضللن رواكد على ظهره ان في ذلك لايات لكل صبار شكور * أو يوبقهن بما كسبوا ويعفوا عن كثير﴾ [3] .

قال ابن كثير (يقول تعالى ومن آياته الدالة على قدرته الباهرة وسلطانه تسخيره البحر لتجري فيه الفلك بأمره ، وهي الجواري في البحر ، كالأعلام أي كالجبال قاله مجاهد والحسن والسدي والضحاك ، أي هذه في البحر كالجبال في البر (إن يشاء يسكن الريح) أي التي تسير في البحر ، بالسفن لو شاء لسكنها ، حتى لا

(١) تفسير ابن كثير ٣/٤٥٣ ـ ٤٥٤ .
(٢) تفسير ابن كثير ٣/٤٥٤ .
(٣) سورة الشورى الآيات ٣٢ ـ ٣٤ .

تتحرك السفن بل تبقى راكدة لا تجيء ، ولا تذهب بل واقفة على ظهره ، أي على وجه الماء «إن في ذلك لآيات لكل صبار» أي في الشدائد «شكور» أي أن في تسخيره البحر ، وإجرائه الهواء بقدر ما يحتاجون إليه لسيرهم ، لدلالات على نعمة الله تعالى على خلقه ، لكل صبار أي في الشدائد شكور في الرخاء ، ومعنى قوله تعالى﴿أو يوبقهن بما كسبوا﴾ أي لو شاء لأرسل الريح قوية عاتية ، فأخذت السفن وأحالتها عن سيرها المستقيم فصرفتها ذات اليمين وذات الشمال آبقة لا تسير على طريق ، ولا إلى جهة مقصد ، وهذا القول هو يتضمن هلاكها ، وهو مناسب للأول، وهو أنه تعالى لو شاء لسكن الريح فوقفت ، أو لقواه فشردت وأبقت ، وأهلكت ولكن من لطفه ورحمته انه يرسله بحسب الحاجة) (١) .

٥ ــ وقد تكون هذه الرياح مرسلة ، لاهلاك طاغية أو عدو من أعداء الإسلام ، أو منافق أو غيره ، وقد تكون مرسلة لقبض أرواح المؤمنين ، كما في الريح التي تكون قبل يوم القيامة عند نزول عيسى عليه السلام .

فمثال الأول ما رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه «أن النبيﷺ كان في سفر ، فلما كان قرب المدينة هاجت ريح شديدة ... فقال رسول الله ﷺ بعثت هذه الريح ، لموت منافق» (٢) .

ولعل هذا الرجل هو صاحب عزوة تبوك ، حين رجع النبيﷺ إلى المدينة فلما كان قرب المدينة قال النبيﷺ «ستهب عليكم الليلة ريحٌ شديدة فلا يقيم فيها احد منكم فمن كان له بعير فليشد عقاله ، فهبت ريح شديدة فقام رجل ، فحملته الريح حتى القته بجبلي طي» (٣) .

---

(١) تفسير ابن كثير ١١٩/٤ .

(٢) رواه مسلم ح (٢٧٨٢) .

(٣) رواه مسلم في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ح (١٣٩٢) .

ومثال الثاني وهو قبض أرواح المؤمنين ، ما رواه مسلم أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ ((أن الله يبعث ريحاً من اليمن ، ألين من الحرير فلا تدع أحداً في قلبه ، قال: ابو علقمة مثقال حبة وقال عبدالعزيز مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته، وهذا أقرب قيام الساعة حين تقوم على شرار الخلق)) [1].

هذا هو الجانب الأول الذي ذكره البخاري ، لهذه الرياح وما يكون فيها من أوامر الله بالخير ، وما كان فيها من النصر والتأييد لعباد الله المؤمنين وهو نموذج بسيط ذكره البخاري شاهد لما يكون في هذه الرياح من الخير ، وما يحصل فيها من النصر والتأييد .

وأما الجانب الآخر لهذه الرياح ، فهو جانب العذاب وما يحصل فيها من التدمير والهلاك لبعض الأمم ، أو لمن خرج عن طاعة الله عزوجل في أي عصر ، وفي أي مكان ، وقد أشار البخاري إلى هذا الجانب ، وذكر بعض الشواهد له .

ونحن هنا سوف نتناولها ونعلق عليها بشيء من الاختصار ، حتى تأتي على مراد البخاري في أيراده لهذه الأمثلة ويكتمل الموضوع الذي بدأنا به ، وقد أورد البخاري بعض الأمثلة ، لما يكون في هذه الرياح من الإهلاك والعذاب منها (قوله تعالى ﴿أيجب أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابهّا إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾ [2] . فقد فسر البخاري هذا الإعصار بالريح العاصف فقال هي (ريح عاصفة تهب من الأرض إلى السماء كعمود فيه نار) [3] وقيل الإعصار النار .

(١) اخرجه مسلم ح (١١٧) .
(٢) سورة البقرة آية ٢٦٦ .
(٣) فتح الباري ٦/٣٤٦ .

كما قال العيني وابن حجر ، وهو تفسير أبو عبيدة فقال العيني ، بعد نقل تفسير البخاري (هو تفسير أبو عبيدة بلفظه ، ونقل كذلك عن الطبري في تفسيره، عن السدي أن الإعصار الريح والنار السموم ، وعن الضحاك قال الإعصار ريح فيها برد شديد. قال والأول أظهر لقوله تعالى : فيه نار) [1] .

وقال ابن كثير (وهذه الريح ، قيل هي مثال ضربه الله عزوجل فقال : قال تعالى ﴿وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار﴾ وهو الريح الشديد ، (فيه نار فاحترقت) أي أحرق ثمارها ، وأباد أشجارها فأي حال يكون حاله ؟ وقد روى ابن أبي حاتم من طريق العوفي ، عن ابن عباس قال : ضرب الله مثلا حسنا ، وكل أمثاله حسن قال (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار ، له فيها من كل الثمرات) يقول ضيعه في شيبته (وأصابه الكبر) وولده وذريته ضعاف عند آخر عمره ، فجاءه (أعصار فيه نار) فاحترق بستانه فلم يكن عنده قوة أن يغرس مثله ولم يكن عند نسله خير يعودون به عليه ، وكذلك الكافر يكون يوم القيامة إذا رد إلى الله عزوجل ليس له خير فيستعتب كما ليس لهذا قوة فيغرس مثل بستانه ، ولا يجره قدم لنفسه خيرا يعود عليه كما لم يغن عن هذا ولده وحرم أجره أشد حاجته إليه كما حرم هذا جنته عند ما كان أفقر ما كان إليها ، عند كبره وضعف ذريته) ، وقيل هي ريح عذاب يرسلها الله على من يريد من يخالف أمره فيهلكه بها) [2] .

ونقل البخاري شاهد آخر على نوع آخر من أنواع الويا ، وأمر الله عزوجل لهذه الريح ، وهو مثل ضربه الله عن قوم عصوا الله في ما أنعم عليهم ، قال تعالى ﴿مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صرّ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون﴾ [3] .

---

(١) انظر عمدة القاري ١٥/١٢٢ ، وفتح الباري ٦/٣٤٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ١/٣٠٢ .

(٣) سورة الأعراف آية ١١٧ .

قال ابن كثير : قال تعالى ﴿مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيه صرّ﴾ أي برد شديد قاله ابن عباس ، وعكرمة ، وسعيد ، وابن جبير ، والحسن، وقتادة ، والضحاك ، والربيع بن انس ، وغيرهم ، وقال عطاء برد ، وجليد ، وعن ابن عباس أيضاً ومجاهد (فيها صرّ) أي نار ، وهو يرجع إلى الأول ، فأن البرد الشديد ولاسيما الجليد يحرق الزروع والثمار كما يحرق الشيء بالنار ، (وأصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فأهلكته) أي فأحرقته يعني بذلك السعفة ، إذا نزلت على حرث قد أن جذاذه أو حصاده فدمرته وأعدمت ما فيه من ثمر أو زرع ، فذهبت به وأفسدته فعدمه صاحبه أحوج ما كان إليه) [١] ، وهذا التدمير بسبب ما كان منه من الظلم، وعصيان أوامر الله عزوجل .

وقد حكى البخاري مثل تفسير ابن كثير السابق ، فقال (الصرّ شدة البرد) [٢].

وهذه النوع من الرياح يرسلها الله فتهلك هؤلاء الناس المكذبين ، والعاصين والمتكبرين المتحدين لله عزوجل ، كما قال ذلك القسطلاني [٣] .

وأكبر ريح سلطها الله على قوم ، هي ما أرسله الله على قوم عاد ، قال تعالى ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كانهم أعجاز نخل خاوية ، فهل تر لهم من باقية﴾ [٤] .

قال ابن كثير وقوله (واما عاد فأهلكوا بريح صرصر) أي باردة ، قال قتادة، والسدي والربيع بن أنس ، والثوري : (عاتية) أي شديدة الهبوب ، قال قتادة عتت عليهم حتى نقبت عن أفئدتهم ، وقال الضحاك (صرصر) باردة (عاتية) ، عتت عليهم بغير رحمة ولا بركة (سخرها عليهم) أي سلطها عليهم (سبع ليال وثمانية أيام حسوما) أي حوامل متتابعات مشائيم ، قال ابن مسعود ، وابن عباس ، ومجاهد

---

(١) أنظر تفسير ابن كثير ١/ ٣٧٥ ــ ٣٧٦ .

(٢) فتح الباري ٣٤٧/٦ ، وأنظر ارشاد الساري ٢٦١/٥ .

(٣) إرشاد الساري ٢٦١/٥ .

(٤) سورة الحاقة ، آية ٦ .

وعكرمة ، والثوري ، وغيرهم حسوما متتابعات ، وعن عكرمة ، والربيع بن خثيم مشائيم عليهم كقوله تعالى (في أيام نحسات) [1] .

وهذه الريح أهلكتهم عن آخرهم ، فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم كما أخبر الله عنهم .

وقد قال ﷺ في وصف هذه الريح ما أخرجه البخاري من حديث ابن عباس «نصرت بالصبا ، واهلكت عاد بالدبور» [2] .

والدبور هنا هي التي أرسلت على قوم عاد ، وفيها شدة البرد والعذاب المهلك ولم أرى زيادة تفسير غير ما ذكرت ، ولعل أحسن تفسير لها ، هو ما ذكره الله عنها في الآيات السابقة من سورة الحاقة .

قال في إرشاد الساري في محاولة تفسيرها ، وتقريبها إلى الأفهام هي (التي تجيء من قبل وجهك ، إذا استقبلت القبلة وقد قيل إن الريح تنقسم إلى قسمين رحمة وعذاب ثم إن كل قسم ينقسم إلى أربعة أقسام ، ولكل قسم أسم فأسماء أقسام الرحمة المبشرات ، والناشرات والمرسلات والرخاء ، وقيل الصبا وأسماء أقسام العذاب العاصف ، والقاصف وهما في البحر ، والعقيم والصرصر ، وهما في البر ثم ذكر طبيعة كل ريح [3] .

وقد ذكر البخاري كذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت ، كان رسول الله ﷺ اذا رأى مخيلة في السماء ، أقبل وأدبر ودخل وخرج وتغير وجهه ، فإذا أمطرت سري عنه ، فعرفته عائشة ذلك فقال النبيﷺ : «وما أدرى لعله كما قال قوم عاد ﴿فلما رأوه عارضا مستقبل ، أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا﴾» [4] [5] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤١٣

(٢) اخرجه البخاري ح ٣٢٠٥ ومسلم ٩٠٠ .

(٣) ارشاد الساري ٥/٢٦١ .

(٤) سورة الاحقاف آية ٢٤ .

(٥) اخرجه البخاري ح (٣٢٠٦) في كتاب بدء الخلق وح ٤٨٢٩ ومسلم ح ٨٩٩.

وفي رواية مسلم ((إن خشيت أن يكون عذابا سلط على أمتي)) [(١)] وفي رواية أخرى لمسلم أيضا عن عائشة ((كان النبي إذا عصفت الريح قال اللهم أني أسألك خيرها ، وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها ، وشر مما أرسلت به)) قالت وإذا تخيلت السماء ، تغير لونه وخرج ودخل) [(٢)] .

وقد خاف النبي أن يصيب أمته ، ما أصاب قوم عاد كما أخبر عنه عزوجل، عنهم في الآيات السابقة ، فإنهم لما رأوا الرياح والسحب في الجو ، قالوا هذا عارض ممطرنا وقد كانوا ممحلين محتاجين إلى المطر ، وقد رد عليهم الله فقال﴿بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأذن ربها﴾ [(٣)] .

وقد خاف النبيﷺ على أمته من هذا الهلاك ، وان يصيب قومه ما أصاب قوم عاد فأهلكهم الله عزوجل ، ودمرهم فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ، ومعنى (تدمر كل شيء ـ أي من بلادهم مما شأنه الخراب ، فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم وبادوا جميعا عن أخرهم) [(٤)] وقد أمتن عزوجل بنعم هذه الرياح على بني آدم، وأخبر عزوجل أنه لو شاء لأهلك الناس بهذه الرياح ، وأنهم متوعدون إن هم اعرضوا عن الله عزوجل ، ودينه يقول تعالى ﴿فإن اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾ [(٥)] .

وقد ذكر البخاري نوع آخر من أنواع الرياح المهلكة ، والتي هي ريح عذاب فذكر ، قوله تعالى ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا * أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم صاحبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا * أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم به علينا تبيعا﴾ [(٦)].

---

(١) رواه مسلم ح ٨٩٩ .
(٢) رواه مسلم ح ٨٩٩ في ٢/٦١٦ .
(٣) تفسير ابن كثير ٤/١٦١ ـ ١٦٣ .
(٤) سورة فصلت آية ١٣ .
(٥) سورة الأسراء الآيات ٦٧ ـ ٦٩ .

والقاصف من الريح هنا ، هو الكاسر المدمر لهذه السفن ، فتفرق كما ذكر ذلك اكثر المفسرين منهم ابن كثير [١] ، والرازي في التفسير الكبير ، قال (القاصف الكاسر والقاصف من الريح التي تقصف الشجر ، وتكسره وأراد هنا ريحا شديدة، تقصف الفلك وتغرقهم) [٢] وقد فسرها البخاري (كذلك قال قاصفا تقصف كل شيء تأتي عليه) [٣] ، وقال أبو عبيده (هي التي تقصف كل شيء ، أي تحطم) وعن ابن عباس (أنها التي تفرقه) وضعف ابن حجر هذا التفسير[٤] .

وقد امتن الله بهذه النعمة ، وهي نعمة حملهم في الفلك ، وتسيير الريح لهم بقوله تعال في سورة يونس ﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونين من الشاكرين﴾ [٥] .

فذكر الله هنا أنواع الرياح ، وأنها ريح طيبة هادية ، ثم ذكر النوع الثاني وهي الشديدة العاتية المدمرة ، وامتن الله على عباده بتسخير هذه الرياح ، وجعلها منافع للناس كما قال عزوجل في آية البقرة ﴿وتصريف الرياح والسحاب المسخرتين السماء والأرض لايات لقوم يعقلون﴾ [٦] وقوله تعالى ﴿واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فاحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون﴾ [٧] [٨] .

---

(١) تفسير ابن كثير ٥٠/٣ ــ ٥١ .

(٢) التفسر الكبير ١٠/٢١ .

(٣) أنظر عمدة القاري ١٢٢/١٥ .

(٤) فتح الباري ٣٩٤/٦ .

(٥) سورة يونس آية ٢٢ .

(٦) سورة البقرة آية ١٦٤ .

(٧) سورة الجاثية آية ٥ .

(٨) انظر هذه الانواع في تفسير ابن كثير ٣٩٤/٢ ــ ٣٩٦ .

قال ابن كثير : (وتصريف الرياح أي جنوبا وشمالا ، ودبورا ، وصبا ، بريه، وبحريه ليلية ، ونهارية ، ومنها ما هو للمطر ، ومنها ما هو للقاح ، ومنها ما هو غذاء للأرواح ، ومنها ما هو عقيم لا ينتج) [١] .

وقال عدنان الشريف تصريف الرياح ، (هو التبديل من رياح قليلة الحركة كالنسيم إلى رياح سريعة الحركة كالعواصف) [٢] .

هذه بعض منافع الرياح ، وبعض مضارها ، وتصريف الله لها في الخير والشر وخلقها كما يريد عزوجل ، وكما يشاء فقد قال سبحانه وتعالى في تسخير هذه الريح ، لسليمان عليه السلام ، وذكر هذه النعمة :﴿ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿وسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب﴾ [٤] ﴿ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين﴾ [٥] .

فان الله عزوجل سخر لسليمان الريح يتصرف فيها حتى أنه يقطع بها مسافات الشهر في غدوة عليه السلام [٦] .

فهذه نبذة مختصرة عن خلق الله لهذه الرياح وأوامر الله لها ، وتسخيرها بإذنه عزوجل ، وبعض أوامر الله لها بالخير ، أو بالعذاب ، وحكمته من خلق هذه الريح.

وقد رأينا في هذه المباحث الإيجاز والإقتصار على ما يذكره البخاري ، وعدم التوسع ، أو الاستقصاء حتى لا تطول هذه الرسالة أكثر من اللازم ، وما ذكر فيه كفاية بإذن الله عزوجل ، غير أنه يحسن في نهاية هذا المبحث ذكر شيء من الآداب النبوية عند رؤية الريح أو حدوثها ، وما ينبغي على المسلم في ذلك ، وهي مأخوذة مما ذكره البخاري في هذا الكتاب .

---

(١) تفسير ابن كثير ١٥٠/٤ .
(٢) من علوم الأرض القرآنية ص ٨٤ .
(٣) سورة سبأ آية ١٢ .
(٤) سورة ص ٣٦ .
(٥) سورة الأنبياء آية ٨١ .
(٦) انظر تفسير ابن كثير ٥٠٧/٣ .

بعضا من الآداب النبوية عن رؤية الريح :

١ ـ عدم سب الريح ، أو لعنها لأنها مرسلة من قبل الله عزوجل ، وليست هي سبب في شيء إنما بتسبيب الله لها ، وأوامره لها ومثلها مثل الدهر ، فكما نهى الله عن لعن الدهر قال (لأن الله هو الدهر يقلب الليل والنهار) ، فقد روى أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنه ((أن رجلا لعن الريح)) وفي رواية أخرى ((أن رجلا نازعته الريح رداءه على عهد النبي ﷺ فلعنها فقال النبي لا تلعنها ، فإنها مأمورة، وأن من لعن شيئا ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه)) [1] .

٢ ـ سؤال الله من خيرها ، والإستعاذة بالله من شرها ، وقد مر بنا الحديث الذي فيه ((اللهم أني أسألك من خير هذه الريح ، وخير ما أمرت به ، وأعوذ بك من شر هذه الريح ، وشر ما أرسلت به)) [2] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول : ((لا تسبوا الريح ، فإنها تجيء بالرحمة ، والعذاب ، ولكن سلوا الله من خيرها، وتعوذوا بالله من شرها)) [3] .

وننبه إلى وورد حديث عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه كان يقول عند رؤية الرياح ، أو الريح : ((اللهم أجعلها رياحا ، ولا تجعلها ريحا اللهم اجعلها رحمة ، ولا تجعلها عذاب)) [4] .

---

(١) أخرجه أبو داود ح ٤٩٠٨ ورواه الترمذي ح ١٩٧٨ وابن حبان ح ٥٧٤٥ وقال الألباني صحيح في صحيح سنن أبو داود ٩٢٧/٣ ح ٤١٠٢ .

(٢) رواه مسلم ح ٨٩٩ .

(٣) رواه الأمام أحمد ٢٥٠/٢ ح ٧٤١٣ والبخاري في الأداب المفرد ح ٧٢٠ والنسائي في عمل اليوم والليلة ح ٩٢٩ وابن حبان ح ١٠٠٧ وقال شعيب الأرنؤوط صحيح لغيره في تعليقه على مسند أحمد ٢٥٠/٢ .

(٤) رواه الطبري ح ١١٥٣٣ وقال محققه حمدي السلفي ضعيف لوجود حسين بن قيس وهو متروك ١٧٠/١١ ورواه أبو يعلي في مسنده برقم ح ٢٤٥٦ وقال محققه حسين بن سليم اسد إسناده ضعيف لوجود حسين بن قيس وهو متروك ٣٤٣/٤ .

هذا ما تمكنت من عرضه في هذا المبحث المهم الذي ذكره البخاري في هذا الكتاب الذي أردنا دراسته ، وتبين من هذا العرض فقه البخاري رحمه الله وسعة علمه وفقهه في ربط الأحداث بعضها ببعض ، وأخذ الأمور من نظرة كلية وشاملة، وعميقة في نفس الوقت ، فرحمه الله رحمة واسعة ، وجمعنا به في جنات عدن ، وجميع المسلمين آمين .

المطلب الثالث : خلق الإنسان :

إن **مسألة خلق الإنسان** مسألة طويلة ، ونحن هنا سوف نقتصر في الكلام عليها على ما أورده البخاري رحمه الله تعالى ، فيها من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، ونصه قال حدثنا ﷺ وهو الصادق المصدوق : ((إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً يؤمر بأربع كلمات ، ويقال له : اكتب عمله ، ورزقه، وشقي أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح ، فان الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه ، وبين الجنة إلا ذراع ، فيسبق عليه كتابه ، فيعمل بعمل أهل النار ، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة)) [1] .

وهذا الحديث يدل على شيئين ، هما : كيفية خلق الإنسان ومسألة نفخ الروح فيه بعد الخلق .

أما المسألة الأولى ، وهي مسألة خلق الإنسان وتكوينه فإن الله عزوجل هو خالق كل شيء ، وهو الذي أول ما خلق آدم ، ثم خلق منه زوجته حواء ، ثم بدأ النسل البشري بالتكاثر .

قال تعالى : ﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تسألون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا﴾ [2] ومعنى بث منهما أي خلق، وذرأ في الأرض ، فكثروا ، وانتشروا في هذه الأرض ، وخلقت من نسلهما البشرية جميعاً [3] ، وقال عزوجل مخبراً عن خلق الإنسان ، وكيف تحول الخلق من خلق مباشرة إلى إيجاد هذا النسل من مني الإنسان، والتزاوج بين الجنسين الذكر ، والأنثى،

---

(١) الحديث متفق عليه أخرجه البخاري بروايات كثيرة وهذا لفظ كتاب بدء الخلق ورقمه ٣٢٠٨ واخرجه ايضا ح (٣٣٣٢) و(٦٥٩٤) (٧٤٥٤) وأخرجه مسلم ح (٢٦٤٣) بروايات كثيرة كذلك .

(٢) سورة النساء ، آية ١ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٤٢٤/١ .

قال تعالى : ﴿وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه﴾ [1] فأخبر أن بدايته كانت من الطين ، ثم جعل سلالته ، ونسله من هذا الماء المهين ، وهو المني ، وبعد ذلك يكون نفخ الروح فيه [2] كما أخبر بذلك حديث ابن مسعود الذي ذكره البخاري هنا ، وقد سمى الله هذا الخلق للإنسان من هذه النطفة وايجاده منها خلقاً من عدم ، كما قال تعالى: ﴿وقد خلقتك من قبل ولم يك شيئاً﴾ [3] ، وقال تعالى : ﴿أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يكن شيئا﴾ [4] ، قال ابن تيمية : (خلق الإنسان ، وإيجاده من العدم ، وأحداثه بعد أن لم يكن محدث معلوم بالضرورة لجميع الناس ، وكل أحد يعلم انه حدث في بطن أمه بعد أن لم يكن ، وأن عينه حدثت هناك) [5] .

ونحن هنا نريد فقط التعليق على حديث البخاري في بدء الخلق ، ونستعرض كلام أهل العلم عليه ، وما فيه من ذكر الخلق ، ونفخ الروح فيه ، وأما الكلام عن القدر ، وكتابة المقادير ، فنؤجله إلى الفصل الثاني من هذا الباب .

أولا : خلق الإنسان وتكوينه :

ونحن هنا سوف نشرح هذا الحديث ، ونذكر تعليقات أهل العلم عليه .

فأولا قوله ﷺ : ((أن أحدكم يجمع خلقه)) (جزء من حديث سبق تخريجه) :

فجمع الخلق هنا يحتمل أن يراد به (أنه يجمع بين ماء الرجل ، والمرأة، فيخلق منهما الولد كما قال تعالى : ﴿خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب﴾ [6] والصلب صلب الرجل ، والترائب ترائب المرأة [7] .

---

(١) سورة السجدة ، الآيات ٧ ــ ٩ .

(٢) انظر الدر المنثور ٥٤٠/٦ ، وانظر تفصيل ذلك وشرحه كاملا في كتاب الإنسان في مرآة القرآن للشيخ محمد أحمد سحلول ١٥ ــ ١٨ .

(٣) سورة مريم الآية ٩ .

(٤) سورة مريم الآية ٦٧ .

(٥) التفاوي ٢٧٠/١٦ .

(٦) سورة الطارق الآيات ٦ ــ ٧ .

(٧) تفسير ابن كثير ٤٩٩/٤ .

أو أن المراد أنه يجتمع من البدن كله ، وذلك أنه قيل أن النطفة في الطور الأول تسرى في جسد المرأة أربعين يوماً ، وهي متوحمة ، ثم بعد ذلك يجمع، ويذر عليها من تربة المولود فتصير علقه [1] ، وذكر الامام العيني : عن الجمع هنا (أن النطفة إذا وقعت في الرحم ، وأراد الله أن يخلق منها بشراً ، طارت في أطراف المرأة تحت كل شعره وظفر ، فتمكث أربعين ليلة ، ثم تنزل دماً في الرحم ، فذلك جمعها) [2] .

ولعل هذا التفسير للجمع مأخوذ عن أثر يروى عن ابن مسعود رضي الله عنه في ذلك قال : ((ان النطفة إذا وقعت في الرحم طارت في كل شعره، وظفر، فتمكث أربعين يوماً ، ثم تنحدر في الرحم ، فتكون علقه قال : فذلك جمعها)) [3] .

ولكن الحافظ بن حجر رحمه الله تعالى ، بين على أن هذا التفسير عن ابن مسعود غير ثابت ، ولعله مدرج من كلام الأعمش ، كما قال ابن حجر [4] .

وفسر الجمع في هذا الحديث أبو محمد ثابت بن أبي ثابت ، من علماء اللغة في القرن الثالث الهجري ، بأن المقصود به هو : (أن النطفة حين تجتمع بالدم، وتصير مشاج ، وهو إختلاطها مع المني حتى تصير شيئاً واحداً) [5] وذكر مثل هذا التفسير الشيخ احمد البيانوني رحمه الله تعالى [6] .

ويرى ابن حجر أن هذا الجمع هنا (ضم بعض إلى بعض بعد الإنتشار، والمراد أن المني يقع في الرحم حين إنزعاجه بالقوة الشهوانية الدافعة مبثوثاً متفرقاً فيجمعه الله في محل الولادة من الرحم) [7] .

---

(١) شرح متن الأربعين النووية للامام النووي ص ٢٩ .

(٢) عمدة القاري ١٥/١٣٠ .

(٣) رواه الخطابي في معالم السنن ٤/٣٢٤ والبيهقي في الاسماء والصفات ص ٣٨٧ وابن الأثير في النهاية ١/٢٩٧ .

(٤) فتح الباري ١١/٤٨٩ .

(٥) انظر كتاب خلق الانسان لابي محمد ثابت بن ابي ثابت ص ٢ ــ ٣ .

(٦) انظر كتاب هذا الانسان لاحمد عزالدين البيانوني ص ١٣ .

(٧) فتح الباري ١١/٤٨٨ .

ونقل قولاً آخر لمعنى الجمع عن ابن الأثير ، وهو (مكث النطفة في الرحم أي تمسك النطفة أربعين يوماً تختمر فيه حتى تتهيأ للتصوير ، ثم تخلق بعد ذلك) [١] .

وذكر ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى في معنى الجمع أثر ابن مسعود السابق ، وذكر قولًا آخر كذلك ، وهو : ((أن الله يجمع كل عرق ونسب لهذه النطفة إلى آدم ، ثم يخلقها بعد ذلك ، واستشهد لهذا المعنى بحديث الرجل ، الذي قال للنبي ان امرأتي ولدت لي غلام أسود ، فقال : له لعله نزعه عرق) [٢] [٣].

وقال صاحب عون الباري : المراد بالجمع (هو ضم بعضها إلى بعض بعد الانتشار حتى يتخمر فيها ، ويتهيأ للخلق) [٤] .

ونزع حمزه قاسم صاحب منار القاري إلى تفسير حديث لهذا الجمع حيث قال : (المراد بالجمع هو أن الحيوان المنوي يجتمع ببويضة الأنثى ، فيلقمها، وتحمل المرأة بإذن الله تعالى) [٥] ، وأيد هذا التفسير صاحب كتاب النفس البشوية حيث قال : (فيه إشارة تكوين الجنين من نطفة الذكر ، وبويضة الأنثى بعد التلقيح ، وتكوين الجنين من الجينات الذكرية ، والأنثوية) [٦] ، والجامع لهذه الأشياء ، هو الله سبحانه وتعالى .

وأما قوله (خلق أحدكم) ، فالمراد بالخلق هنا ، أي المخلوق كما قال كثير من العلماء منهم ابن حجر رحمه الله تعالى (قال: الخلق تعبير عن المصدر

---

(١) فتح الباري ٤٨٩/١١ .

(٢) أخرجه البخاري عن ابي هريرة والسائل رجل من فزاره ح (٥٣٠٥) (٦٨٤٧) ومسلم (١٥٠٠) .

(٣) جامع العلوم والحكم لعبد الرحمن بن رحب الحنبلي ١٥٤/١ ــ ١٥٥ .

(٤) عون الباري ٢١/٤ .

(٥) منار القاري شرح مختصر البخاري ١٥٢/٤ . وقيل ان معنى الجمع هو (التقدير والحفظ) وقيل بضم بعض إلى بعض ويحفظ ، انظر إيضاح المعاني الخفية في الأربعين النووية لمحمد تاتاي ص ٤٤ ، وانظر كذلك نفس المعنى الوافي في شرح الأربعين النووية للدكتور مصطفى النغا ص ٢٥ .

(٦) النفس البشرية لسيد عبدالحميد مرعي ص ١٢ .

الجثة ، وحمل على أنه بمعنى المفعول كقولهم درهم ضرب الأمير أي مضروبه، أو على حذف مضاف أي ما يقوم به خلق أحدكم ، أو الخلق مبالغة كقولهم : (وإنما هي إقبال وإدبار) جعلها نفس الإقبال ، والإدبار لكثرة وقوع ذلك منها) [1] وقيل أن معنى خلقه (أي مادة خلقه وهو الماء الذي يخلق منه) [2] .

وقولهﷺ : (أربعين يوماً نطفة) ، ففيها اختلاف كثير ، فقد ورد بعدة روايات عن مسلم عن حذيفة بن أسيد يبلغ به إلى النبيﷺ أنه قال : ((يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين ، أو خمس وأربعين ليلة ، فيقول يارب أشقي أم سعيد ..)) الحديث [3] .

وعن عبدالله بن سعود ((إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله لها ملكاً، فصورها وخلق سمعها ، وبصرها ، وجلدها ، ولحمها ...)) الحديث [4] .

ولفظ آخر للحديث نفسه : ((أن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة ، ثم يتسور عليها الملك الذي يخلقها ، فيقول يارب ...)) الحديث [5] .

وفي لفظ آخر : ((أن ملكاً موكلاً بالرحم إذا أراد الله أن يخلق شيئاً بأذن الله، ولبضع وأربعين ليلة ، ثم ذكر نحوه)) [6] .

وهذه الاحاديث كلها أنفرد بها مسلم عن غيره ، كما قال ابن القيم في شفاء العليل [7] .

وهذه الرويات للحديث ظاهرها مخالف لحديث ابن مسعود ولأن ظاهر حديث ابن مسعود أن لكتابه ، وتخليقه يكون بعد أربعة أشهر ، وهذه في نهاية الأربعين الأولى ، وقد أجاب العلماء على ذلك بعدة أجوبة منها :

---

(١) انظر فتح الباري ٤٨٨/١١ وعون الباري ٢١/٤ .

(٢) الوافي في شرح الاربعين النووية ص ٢٥ .

(٣) رواه مسلم كتاب القدر ح (٢٦٤٤) ٢٠٣٧/٤ .

(٤) رواه مسلم كتاب القدر ح (٢٦٤٥) ٢٠٣٧/٤ .

(٥) رواه مسلم كتاب القدر ح (٢٦٤٥) ٢٠٣٨/٤ .

(٦) رواه مسلم كتاب القدر ح (٢٦٤٥) ٢٠٣٨/٤ .

(٧) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم ص ٥٢ ، ٥٦ .

يقول ابن القيم : (وكثير من الناس يظن التعارض بين الحديثين ، يقصد حديث ابن مسعود ، وحديث حذيفة بن أسيد ، ولا تعارض بينهما بحمد الله ، وأن الملك الموكل بالنطفة يكتب ما قدره الله سبحانه على رأس الأربعين الأولى حتى يأخذ في الطور الثاني ، وهو العلقة ، وأما الملك الذي ينفخ فيه ، فإنما ينفخها بعد الأربعين الثالثة ، فيؤمر عند نفخ الروح فيه بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقاوته ، وسعادته .

وهذا تقدير آخر غير التقدير الذي كتبه الملك الموكل بالنطفة ، ولهذا قال في حديث ابن مسعود : (ثم يرسل إليه الملك ، فيؤمر بأربع كلمات) ، وأما الملك الموكل بالنطفة فذاك راتب معها ينقلها بإذن الله من حال إلى حال ، فيقدر الله سبحانه شأن النطفة حتى تأخذ في مبدأ التخليق ، وهو العلق ، ويقدر شأن الروح حين تتعلق بالجسد بعد مائة وعشرين يوما ، فهو تقدير بعد تقدير ، فاتفقت أحاديث رسول الله ﷺ ، وصدق بعضها بعضا ، ودلت كلها على إثبات القدر السابق، ومراتب التقدير ، وما يؤتي أحد إلا من غلط الفهم ، أو غلط في الرواية ، ومتى صحت الرواية ، وفهمت كما ينبغي تبين أن الأمر كله من مشكاة واحدة صادقة متضمنة لنفس الحق ، وبالله التوفيق) (١) .

وقد أجاب النووي عن هذه الأشكال بعد سياق روايات الحديث ، وحديث حذيفة قال : فإن قلت ، فما الجمع بينهما ؟ (قال العلماء طريق الجمع بين هذه الروايات أن للملك ، ملازمة ومراعاة لحال النطفة ، وأنه يقول يارب هذه علقة ، هذه مضغة في أوقاتها ، فكل وقت يطول فيه ما صارت إليه بأمر الله تعالى ، وهو أعلم سبحانه، ولكلام الملك ، وتصرفه أوقات أحدها ، حين يخلقها الله تعالى نطفة ، ثم ينقلها علقة ، وهو أول علم الملك بأنه ولد لأنه ليس كل نطفة تصير ولدا ، وذلك عقب الأربعين الأولى وحينئذ يكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ،

---

(١) شفاء العليل لابن القيم ص ٥٦ .

وشقاوته أو سعادته ، ثم للملك فيه تصرف آخر في وقت آخر وهو تصويره وخلق سمعه وبصره ، وجلده ولحمه وعظمه ، وكونه ذكرا أم أنثى وذلك إنما يكون في الأربعين الثالثة ، وهي مدة المضغة ، وقبل إنقضاء هذه الأربعين ، وقبل نفخ الروح فيه لأن نفخ الروح لا يكون إلا بعد تمام صورته) [١] ، ثم ذكر طريق آخر لحل الأشكال ، وهو التأويل ، وعدم حمل الحديث على ظاهره قال (وأما قوله في إحدى الروايات ، فإذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة ، بعث الله إليها ملكا فصورها ، وخلق سمعها ، وبصرها وجلدها ، ولحمها وعظمها ، ثم قال يارب أذكر أم أنثى ؟ فيقضي ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم يقول يارب أجله ، فيقول ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، وذكر رزقه فقال القاضي ، وغيره ليس هو على ظاهره ، ولا يصح حمله على ظاهره ، بل المراد بتصويرها ، وخلق سمعها إلى آخره أنه يكتب ذلك ، ثم يفعله في وقت آخر لأن التصوير عقب الأربعين الأولى غير موجودة في العادة ، وإنما يقع في الأربعين الثالثة) [٢] .

وقد أيد هذا القول الإمام العيني ، ولعله اخذه من الامام النووي ، وذكر قول النووي بأكمله ، فلا داعي لإعادته هنا [٣] .

وقد أجاب الإمام النووي رحمه الله عن الإشكال ، وهو تنصيص حديث ابن مسعود على أن ذلك يكون بعد أربعة أشهر ، يقول : (فقوله ثم يبعث بحرف ، ثم يقتضي تأخير كتابة الملك هذه الأمور إلى ما بعد الأربعين الثالثة ، والأحاديث الباقية تقتضي الكتب بعد الأربعين الأولى ، وجوابه أن قوله ثم يبعث إليه الملك، فيؤذن ، فيكتب معطوف على قوله يجمع في بطن أمه ، ومتعلق به لا بما قبله، وهو قوله ، ثم يكون مضغة مثله ويكون قوله ، ثم يكون علقة مثله ثم يكون

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ١٦/ ١٩٠ ، ١٩١ .

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ١٦/١٩٠ ، ١٩١ .

(٣) عمدة القاري ١٥/١٣١ .

مضغة مثله ، معترضا بين المعطوف والمعطوف عليه ، وذلك جائز موجود في القرآن والحديث الصحيح وغيره من كلام العرب) [1] ثم إن هنا ليست مخصوصة بترتيب الخلق بل ، هي لترتيب الكلام فقط .

وقال ابن تيمية في محاولة الجمع بين الحديثين ما يلي :

(أن الحديث موافق حيث ذكر فيه أنه بعد تصويرها يكتب ذكرا أو أنثى، ويوافق الكتابة ، يقول : فهذا الحديث فيه أن تصويرها بعد اثنتين وأربعين ليلة، وأنه بعد تصويرها ، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ، يقول الملك يارب أذكر أم أنثى ؟ ومعلوم أنها لا تكون لحما وعظاما حتى تكون مضغة ، فهذا موافق ، لذلك الحديث في أن كتابة الملك تكون بعد ذلك .

فهذا فيه بيان أن كتابة رزقه وأجله ، وشقاوته وسعادته ، بعد أن يجعله ذكرا أو أنثى ، وسويا أو غير سوي) [2] .

ثم قال في محاولة أخرى للجمع ، أو يقال (أنه لم يذكر ذلك بحرف (ثم) فلا تقتضي ترتيبا ، وإنما قصد أن هذه الأشياء تكون بعد الأربعين .

وحينئذ ، فيقال : أحد الأمرين لازم ؛ أما أن تكون هذه الأمور عقيب الأربعين ، ثم تكون عقب المائة والعشرين ؛ ولا محذور في الكتابة مرتين ؛ ويكون المكتوب (أولا) فيه كتابة الذكر والأنثى ، أو يقال : أن ألفاظ هذا الحديث لم تضبط حق الضبط .

ولهذا اختلفت رواته في ألفاظه ؛ ولهذا عرض البخاري عن روايته ، وقد يكون أصل الحديث صحيحا ، ويقع في بعض ألفاظه اضطراب ، فلا يصلح حينئذ أن يعارض بها ما ثبت في الحديث الصحيح المتفق عليه .

---

(١) شرح مسلم للنووي ١٩١/١٦ .

(٢) الفتاوى ٢٤٠/٤ .

فلا معارضة ولا ريب أن ألفاظه لم تضبط ، كما تقدم ذكر إختلاف فيها ؛ وأقربها اللفظ الذي فيه تقدم التصوير على تقدير الأجل والعمل ، والشقاوة والسعادة ، وغاية ما يقال فيه أنه يقتضي أنه قد يخلق في الأربعين الثانية ، قبل دخوله في الأربعين الثالثة ، وهذا لا يخالف الحديث الصحيح ، ولا نعلم أنه باطل، بل قد ذكر النساء أن الجنين يخلق بعد الأربعين ، وأن الذكر يخلق بل الأنثى .

وهذا يقدم على قول من قال من الفقهاء أن الجنين لا يخلق في أقل من واحد وثمانين يوما ، فإن هذا إنما بنوه على أن التخليق إنما يكون إذا صار مضغة، ولا يكون مضغة إلا بعد الثمانين ، والتخليق ممكن قبل ذلك ، وقد أخبر به من أخبر من النساء ، ونفس العلقة يمكن تخليقها ، والله أعلم [1] .

ونحا ابن حجر في الجمع منحا آخر ، وهو تأول حديث ابن مسعود ، وحديث حذيفة يعكس النووي جمعا ، ونقل ذلك عن القاضي عياض ، فقال: (قال القاضي عياض : وحمل هذا على ظاهره لا يصح لأن التصوير بأثر النطفة ، وأول العلقة في أول الأربعين الثانية غير موجود ، ولا معهود ، وإنما يقع التصوير في آخر الأربعين الثالثة ، كما قال تعالى : ﴿ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما﴾ الآية ، قال : فيكون معنى قوله (فصورها الخ) أي كتب ذلك ، ثم يفعله بعد ذلك ، بدليل قوله بعد (أذكر أو أنثى) قال : وخلقه جميع الأعضاء الذكورية ، والأنوثية يقع في وقت متفق ، وهو مشاهد فيما يوجد من أجنة الحيوان وهو الذي تقتضيه الخلقة ، واستواء الصورة ، ثم يكون للملك فيه تصور آخر وهو وقت نفخ الروح فيه لحين يكمل له أربعة أشهر ، كما اتفق عليه العلماء أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد أربعة أشهر) [2] .

---

(١) الفتاوى ٢٤١/٤ ، ٢٤٢ .

(٢) فتح الباري ٤٩٣/١١ .

ثم ذكر جمعا آخر نقله عن من لم يسمه قال : (قال بعضهم وجه الجمع بينهما ، بأن يحمل إرسال الملك على التعدد ، فمرة في إبتداء الأربعين الثانية ، وأخرى في انتهاء الأربعين الثالثة ، لنفخ الروح .

وأما قوله في حديث حذيفة في ابتداء الأربعين الثانية : (فصورها) ، فإن ظاهر حديث ابن مسعود أن التصوير إنما يقع بعد أن تصير مضغة ، فيحمل الأول على أن المراد أنه يصورها لفظا وكتبا لا فعلا ، أي يذكر كيفية تصويرها، ويكتبها ، بدليل أن جعلها ذكرا أو أنثى إنما يكون عند المضغة . قلت : وقد نوزع في أن التصوير حقيقة إنما يقع في الأربعين الثالثة بأنه شوهد في كثير من الأجنة التصوير في الأربعين الثانية ، وتمييز الذكر على الأنثى .

فعلى هذا ، فيحتمل أن يقال أول ما يبتدي به الملك تصوير ذلك لفظا ، وكتبا ثم يشرع فيه فعلا عند استكمال العلقة ، ففي بعض الأجنة يتقدم ذلك ، وفي بعضها يتأخر .

ولكن بقى في حديث حذيفة بن أسيد أنه ذكر العظم ، واللحم وذلك لا يكون إلا بعد أربعين العلقة ، فيقوى ما قال عياض ومن تبعه) [١] .

(ومن الصعوبة الجزم بشيء من تلك الأقوال) ، قال : (وقال بعضهم يحتمل أن يكون الملك عند انتهاء الأربعين الأولى ، يقسم النطفة إذا صارت علقة إلى أجزاء بحسب الأعضاء ، أو يقسم بعضها إلى جلد ، وبعضها إلى لحم وبعضها إلى عظم ، فيقدر ذلك كله قبل وجوده ثمّ يتهيأ ذلك في آخر الأربعين الثانية ، ويتكامل في الأربعين الثالثة ، وقال بعضهم معنى حديث ابن مسعود أن النطفة يغلب عليها وصف المنى في الأربعين الأولى، ووصف العلقة في الأربعين الثانية، ووصف المضغة في الأربعين الثالثة ولا ينافى ذلك أن يتقدم تصويره ، والراجح أن التصوير إنما يقع في الأربعين الثالثة) [٢] .

---

(١) فتح الباري ٤٩٣/١١ .

(٢) فتح الباري ٤٩٣/١١ .

وهذا الجمع الأخير هو الذي أختاره ابن رجب الحنبلي للجمع بين الروايات قال : (جمع بعضهم إن الملك يقسم النطفة إلى أجزاء ، فيجعل بعضها للجلد وبعضها للحكم وبعضها للعظام فيقدر ذلك كله قبل وجوده ، والثاني هو حمل حديث ابن مسعود ان الجنين يغلب عليه وصف المني في الأربعين الأولى، والمضغة في الأربعين الثانية ، والعلقة في الثالثة ، وان كانت خلقته تمت وتصويره قد انتهى) [١] .

ثم قال ابن رجب في ذكر أقوال للجمع بين الحديثين ، وهي تبين اجتهادهم رحمهم الله في التوفيق بين الأحاديث ذلك قال : (إن الكتابة والتصوير تكون مرتين، وقد يقال مع ذلك أن أحدهما في السماء ، والأخرى في بطن الأم) .

قال ابن رجب : (والأظهر أنها مرة واحدة ، ولعل ذلك يختلف بإختلاف الأجنة فبعضهم يكتب له ذلك بعد الأربعين الأولى ، وبعضهم بعد الأربعين الثالثة) [٢] .

ثم قال : (وقد يقال : إن لفظ ثم في حديث ابن مسعود إنما أريد به ترتيب الأخبار ، لا ترتيب المخبر عنه في نفسه) والله أعلم [٣] ، ولعل هذا هو الراجح وبه تستقيم جميع الأحاديث ، ولعل ما يؤيده رواية ابن مسعود الأخرى ، وهي التي ذكرناها ضمن روايات مسلم .

ثم ذكر كذلك طريق آخر وهو الجمع فقال : (ومن المتأخرين من رجح أن الكتابة والتصوير تكون في أول الأربعين الثانية ، كما دل عليه حديث حذيفة بن أسيد ، وقال : إنما أخر ذكرها في حديث إبن مسعود إلى ما بعد ذكر المضغة ، وإن ذكرت بلفظ (ثم) لئلا ينقطع ذكر الأطوار الثلاثة التي يتقلب فيها الجنين،

---

(١) جامع العلوم والحكمة ص ١٥٨ ــ ١٥٩ .

(٢) جامع العلوم والحكم ص ١٦٦ .

(٣) جامع العلوم والحكم ص ١٦٧ .

وهي كونه : نطفة وعلقة ومضغة ، فإن ذكر هذه الثلاثـــة على نسق واحد أعجـب وأحسن ، فلذلك أخر المعطوف عليها ، وإن كان المعطوف متقدما على بعضها في الترتيب، واستشـــهد لذلك بقوله تعالى :﴿وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسـله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه﴾ [1] والمراد بالانســان : آدم عليه السلام، ومعلوم أن تسويته ، ونفخ الروح فيه ، كان قبل جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، لكن لمـــا كان المقصود ذكر قدرة الله عزوجل في مبدأ خلـــق آدم وخلق نســله ، عطف ذكر أحدهما على الآخر ، وأخر ذكر تســوية آدم ، ونفــخ الروح فيه ، وإن كـــان ذلــك متوســطا بيــن خلق آدم من طيــن وبيــن خلــق نسله ، والله أعلم [2] .

وذهب القاضي عياض إلى تأويل حديث حذيفة بن أسيد ، وعدم حمله علــى ظاهره لأن حديث ابن مسعود أقوى وأصرح ، قال : ولأن هذا غير معــهود فــي الاجنة ولا موجود وتأول قوله (فصورها) أن كتب ذلك ، ثم يفعله بعد ذلــك عنــد النفخ بدليل قوله في الحديث (أذكر أم أنثى) ، قـــال وخلــق الأعضـــاء الذكريــة والانثوية يقع في وقت متفق ، ومشاهد فيما يوجد من أجنة الحيوان ، وهو الـــذي تقتضيه الخلقة ، واستواء الصورة ، ثــم يكون للملك تصوير أخر وقت نفخ الروح فيه حين يكمل أربعة أشهر) [3] .

والذي يترجح في هذه الأقوال أن الأحاديث كلها متفقة كما قال ابن تيميــــة وابن القيم ، وأن التصوير تصويرا خفيا لكل شيء ، وهو في الأربعين الأولـــى ، ويكن من قبل الملك الموكل بالرحم ، ثــم بعــد ذلك يرسل الله ملكـــا فـــي تمـــام الأربعـــة أشـــهر يكتـــب كل شـــيء في كتـــاب معه ويصعد به وينفخ الروح فيه

---

(١) سورة السجدة ، الايات ٧ ــ ٩ .

(٢) جامع العلوم والحكم ص ١٦٧ .

(٣) انظر فتح الباري ٤٩٣/١١ .

كما ورد ذلك ، وأن ذلك يكون تقدير بعد تقدير ، أو أن هذا التقدير إنما هو في الأربعين الأولى، وحديث ابن مسعود فيه تقديم، وتأخير كما قال ابن رجب وغيره.

ولعلي اختم بكلام نفيس لإبن القيم نختم به هذا الكلام، يقول : (فإن قيل فما التوفيق بين الحديثين قلنا نتلقاه بالقبول والتصديق وترك التحريف ، ولا ينافي ما ذكرناه ، إذ غاية ما فيه أن التقدير وقع بعد الأربعين الأولى ، وحديث ابن مسعود يدل على أنه وقع بعد الأربعين الثالثة ، وكلاهما حق قاله الصادق ﷺ ، وهذا تقدير بعد تقدير ، فالأول تقدير عند إنتقال النطفة أول أطوار التخليق، والتقدير الثاني عند كمال خلقه ونفخ الروح ، فذلك تقدير عند أول خلقه وتصويره، وهذا تقدير عند تمام خلقه وتصويره) [١] .

ثم قال إبن القيم رحمه الله تعالى : (وهذا يوافق ما أجمع عليه الأطباء من أن مبدأ التخليق ، والتصوير بعد الأربعين ، فإن قيل كيف التوفيق بين هذا ، وبين حديث ابن مسعود ، وهو صريح في أن النطفة أربعين يوما نطفة ، ثم أربعين علقة ثم أربعين مضغة ، ومعلوم أن العلقة والمضغة لا صورة فيهما ، ولا جلد ولا لحم ولا عظم ، والحاجة إلى التوفيق بين حديثه وحديث حذيفة بن أسيد .

قال : (فنقول هناك تصويران : أحدهما تصوير خفي لا يظهر وهو تصوير تقديري ، مثل تصور حين تفصيل الثوب أو تنجير الباب : مواضع القطع والفصل فيعلم عليها وتضع مواضع الفصل ، والوصل وكذلك كل من يضع صورة من مادة لاسيما مثل هذه الصورة ، ينشئ فيها التصوير ، والتخّليق على التدرج بعد شيء لأول وهلة واحدة كما يشاهد بالعيان في التخليق الظاهر في البيضة ، فها هنا أربع مراتب :

أحدهما : تصوير ، وتخليق علمي لم يخرج إلى الخارج .

الثانية : مبدأ تصوير خفي يعجز الحس عن ادراكه .

الثالثة : تصوير يناله الحس ، ولكنه لم يتم بعد .

---

(١) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص ٣٧ .

الرابعة : تمام التصوير الذي ليس بعده إلا نفخ الروح .

فالمرتبة الأولى علمية ، والثلاث الأخرى خارجية عينية .

وهذا التصوير بعد التصوير نظير التقدير بعد التقدير .

وهذا يدل على سعة علم الرب تبارك وتعالى ، وإحاطته بالكليات، والجزئيات.

وكذلك التصوير الثاني مطابق للتصوير العلمي ، والثالث مطابق للثاني ، والرابع مطابق للثالث ، وهذا مما يدل على كمال قدرة الرب تعالى ، ومطابقة المقدور للمعلوم ، فتبارك الله رب العالمين ، وأحسن الخالقين) [1] .

وكذلك أجاب عن الاختلاف في عدد الأربعين في حديث حذيفة بن أسيد الغفاري ابن حجر رحمة الله بقوله : (فحاصل الإختلاف أن حديث ابن مسعود لم يختلف في ذكر الأربعين ، وكذا في كثير من الأحاديث ، وغالبها كحديث أنس ثاني حديثي الباب لا تحديد فيه ، وحديث حذيفة بن أسيد اختلفت ألفاظ نقلته ، فبعضهم جزم بالأربعين كما في حديث ابن مسعود ، وبعضهم زاد ثنتين أو ثلاثا أو خمسا أو بضعا ، ثم منهم من جزم ومنهم من تردد ، وقد جمع بينها القاضي عياض بأنه ليس في رواية ابن مسعود بأن ذلك يقع عند انتهاء الأربعين الأولى وابتداء الأربعين الثانية ، بل أطلق الأربعين ، فاحتمل أن يريد أن ذلك يقع في أوائل الأربعين الثانية، ويحتمل أن يجمع الاختلاف في العدد الزائد على أنه بحسب اختلاف الأجنة، وهو جيد لو كانت مخارج الحديث مختلفة ، لكنها متحدة وراجعة إلى أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد ، فدل على أنه لم يضبط القدر الزائد على الأربعين ، والخطب فيه سهل) [2] .

---

(١) انظر التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص ٣٨ ــ ٣٩ ، وانظر كذلك كتاب خلق الإنسان بين الطب والقرآن فقد جمع قريبا من هذا الجمع ص ٤٠١ ــ ٤٠٣ .

(٢) فتح الباري ٤٨٩/١١ ، ٤٩٠ .

وكذلك ذكر ابن تيمية قريب من هذا الجمع ، فقال (ولهذا شك أبعد الأربعين ؛ أو خمس وأربعين ؟ وغيره إنما ذكر أربعين أو اثنين وأربعين ، وهو الصواب ؛ لأن من ذكر اثنين وأربعين ذكر طرفي الزمان ، ومن قال أربعين حذفهما ، ومثل هذا كثير في ذكر الأوقات ، فقدم المؤخر ، وأخر المقدم) [1] .

ولعل العدد في الأربعين قد رواه بعضهم بالمعنى ويشهد له رواية «بضع وأربعين ليلة» [2] .

فبعضهم رواها بالنص ، وبعضهم رواها بالمعنى ، أو أن هذا يختلف بإختلاف الجنين ، كما قال ابن رجب [3] .

وأما قوله في الحديث نطفة ، فإنها المني ، قال النووي (والنطفة المني، وأصلها الماء القليل ، وجمعها نطاف) [4] وكذلك فسرها ابن حجر في الفتح قال (المراد بالنطفة المني ، واصله الماء الصافي القليل) [5] .

وأما قوله ﷺ «ثم يكون علقة مثل ذلك» [6] فالعلقة هي قطعة دم متجمد كما قال النووي [7]، وابن رجب [8]، وابن حجر [9]، والعيني [10]، وغيرهم ، وقال ابن حجر (يحتمل انها تكون بتلك الصفة مدة الأربعين ، ثم تنقلب إلى الصفة التي تليها ويحتمل أن يكون المراد تصيرها شيئا فيخالط الدم النطفة في

---

(١) الفتاوى ٢٤١/٤ .
(٢) سبق تخريجها وهي عند مسلم ح (٢٦٤٥) ٢٠٣٨/٤ .
(٣) جامع العلوم والحكم ص ١٦٦ .
(٤) شرح الأربعين النووية للنووي ص ٣٠ .
(٥) فتح الباري ٤٨٨/١١ ــ ٤٨٩ .
(٦) سبق تخريجه ص .
(٧) شرح الأربعين للنووي ص ٣٠ .
(٨) جامع العلوم والحكمة ص ١٥٥ .
(٩) فتح الباري ٤٩٠/١١ ، ٤٩١ .
(١٠) عمدة القاري ١٣٠/١٥ .

الأربعين الأولى بعد انعقادها وامتدادها ، وتجري في أجزائها شيئا فشيئا حتى تتكامل علقة في أثناء الأربعين ، ثم يخالطها اللحم شيئا فشيئا إلى أنه تشتد ، فتصير مضغة ولا تسمى علقة قبل ذلك مادامت نطفة ، وكذا ما بعد ذلك من زمان العلقة والمضغة) [1] .

والمضغة في هذا الحديث هي قطعة اللحم كما قال ابن حجر [2] وابن رجب [3] ، والنووي [4] ، وغيرهم كثير ، وسميت بذلك لأنها بقدر ما يمضغ الماضغ كما قالوه هؤلاء العلماء .

وقوله ﷺ «ثم يبعث الله ملكا ، فيؤمر بأربع كلمات برزقه وأجله ، وشقي أو سعيد» [5] وسوف يأتي الكلام عليها عند الحديث عن أعمال الملائكة وفي باب القدر كذلك ، وأما قوله ﷺ «ثم ينفخ فيه الروح» [6] ، فسوف نتحدث بشكل مبسط بادئين بالمعنى اللغوي ثم الشرعي مع العلم ان اللغوي هو الشرعي بلا فرق بينهما .

نفخ الروح في الإنسان :

معنى الروح في اللغة :

والروح تأتي في اللغة بمعاني منها على سبيل الاختصار :

١ ـ النفس : قال في تهذيب اللغة قال أبو بكر بن الأنباري : (الروح والنفس واحد غير أن الروح مذكر ، والنفس مؤنث [7] ، وهذا لم يعطي علمه أحد من الخلق .

---

(١) فتح الباري ١١/٤٩٠ ـ ٤٩١ .

(٢) فتح الباري ١١/٤٩١ .

(٣) جامع العلوم والحكمة ص ١٥٥ .

(٤) شرح الأربعين للنووي ص ٣٠ .

(٥) سبق تخريجه .

(٦) سبق تخريجه .

(٧) تهذيب اللغة ٥/٢٢٤ .

قال الأزهري : (فأما قول الله جل وعز : ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ ، فإن المنذري أخبرنا عن محمد بن موسى النهرتيري عن أبي معمر عن عبدالسلام بن حرب عن خصيف عن مجاهد عن ابن عباس في قوله (ويسألونك عن الروح قل إن الروح قد نزل من القرآن بمنازل ولكن قولوا كما قال الله : ﴿قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ ، وروى عن النبي ﷺ أن اليهود سألوه عن الروح ، فأنزل الله هذه الآية .

وأخبرني المنذري عن أبيه عن الفراء أنه قال في قوله﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ [1] ، قال من علم ربي أي أنكم لا تعلمونه .

قال الفراء : والروح هو الذي يعيش به الإنسان لم يخبر الله به أحدا من خلقه ، ولم يعط علمه العباد .

قال : وقوله فإذا سويته ، ونفخت فيه من روحي فهذا الذي نفخه في آدم وفينا لم يعط علمه أحدا من عباده .

قال : وسمعت أبا الهيثم يقول : الروح إنما هو النفس الذي يتنفسه الإنسان، وهو جار في جميع الجسد ، فإذا خرج لم يتنفس بعد خروجه ، وإذا تتام خروجه بقى بصره شاخصا نحوه حتى يغمض وهو بالفارسية جان) [2] .

٢ ـ تأتي الروح بمعني القران ، كما قال تعالى ﴿وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا﴾ [3] ، وهذا لأن به حياة الأبدان والقلوب .

قال الأزهري (وهو ما نزل به جبريل من الدين ، فصار يحيي به الناس، ويعيشون به) [4] .

وقال في موضع آخر : (هو الوحي سمي روحا ؛ لأنه يحيى من موت الكفر ، فصار بإحيائه للناس كروح الذي يحيي به جسد الإنسان) [5] .

---

(١) سورة الاسراء الآية ٨٥ .

(٢) تهذيب اللغة ص ٢٢٤ ، وانظر كذلك لسان العرب ٤٦٢/٢ .

(٣) سورة الشورى ، الآية ٥٢ ،

(٤) تهذيب اللغة ٢٢٤/٥ ، وانظر كذلك لسان العرب ٤٦٣/٢ .

(٥) تهذيب اللغة ٢٢٥/٥ ، وانظر كذلك لسان العرب ٤٦٣/٢ .

وفي تاج العروس (قال الزجاج جاء في التسفير أن الروح الوحي وسمي القرآن روحا ، وقال ابن الاعرابي الروح الفران والروح النفس) [1] .

٣ ـ تأتي كلمة الروح بمعنى الرحمة قال الله تعالى : ﴿لا تيأسوا من روح الله﴾ أي من رحمة الله ، سماها روحا لأن الروح والراحة بها ، قال الأزهري : وكذلك قوله في عيسى (وروح منه) أي رحمة منه تعالى ، وفي الحديث : عن أبي هريرة ((الريح من روح الله تأتي بالرحمة ، وتأتي بالعذاب ، فإذا رأيتموها فلا تسبوها، واسألوا الله من خيرها ، واستعيذوا بالله من شرها)) [2] ، وقوله : من روح الله ، أي من رحمة الله ، والجمع أرواح [3] .

هذه أهم المعاني في الروح والمعاني الاصطلاحية الشرعية للروح هي من المعاني اللغوية كذلك كما سوف يظهر بعد قليل .

المعنى الاصطلاحي للروح :

(الروح والروح في الأصل واحد ، وجعل الروح اسما للنفس ، قال الشاعر في صفة النار :

فقلت له ارفعها إليك وأحيها بروحك واجعلها لها قيتة قدرا [4]

وذلك لكون النفس بعض الروح كتسمية النوع باسم الجنس ، نحو تسمية الإنسان بالحيوان ، وجعل اسما للجزء الذي به تحصل الحياة والتحرك ، واستجلاب المنافع واستدفاع المضار ، وهو المذكور في قوله ﴿ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ [5] ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ [6]، وإضافة

---

(١) تاج العروس ٤٠٨/٦ ، وانظر كذلك الصحاح ٣٦٩/١ .

(٢) رواه الأمام أحمد ٤٠٩/٢ ح(٩٢٩٩) (٥٧٣٢) وقال محققه شعيب الأرناؤوط اسناده صحيح ٣٩/١٣ واستشهد به روايات عدة وأبو دود ح (٥٠٩٧) ، ورواه ابن حبان (الاحسان) .

(٣) تاج العروس ٤٠٨/٦ ، وانظر كذلك لسان العرب ٤٦٢/٢ .

(٤) تهذيب اللغة ٢٢٥/٥ .

(٥) سورة الإسراء ، الآية ٨٥ .

(٦) سورة الحجر ، آية ٢٩ .

إلى نفســه إضافة ملك ، وتخصيصه بالإضافة تشــريفا لــه وتعظيمــا ، كقولــه ﴿وطهر بيتي﴾ [١] ، ﴿يا عبادي﴾ [٢] ، وسمي أشراف الملائكة أرواحا ، نحــو : ﴿يوم يقوم الروح والملائكــة صفا) [٣] ﴿تعرج الملائكة والروح﴾ [٤] ﴿نــزل بــه الروح الأمين﴾ [٥] ، سمي به جبريل ، وسماه بروح القدس في قوله : ﴿قل نزلــه روح القدس﴾ [٦] ﴿وأيدناه بروح القدس﴾ [٧] ، وسمي عيسى عليه السلام روحا في قوله ﴿وروح منه﴾ [٨] ، وذلك لما كان له من إحياء الأمــوات ، وســمي القــرآن روحا في قوله : ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾ [٩] وذلك لكــون القــرآن سببا للحياة الأخروية الموصوفة في قوله ﴿وإن الدار الأخرة لهي الحيوان﴾ [١٠] ، والروح التنفس ، وقد أراح الإنسان إذا تنفس) [١١] .

وفي تعليق ابن كثير على آية الإسراء ﴿ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ [١٢] .

ذكر الخلاف في الشيء المسئول عنه وماذا كان يقصــد اليــهود بســؤالهم للرسول ، وكذلك المشركين في مكة حين سألوه نفس السؤال بايعاز مــن اليــهود ورجح أن المسئول عنه هو هذه الروح التي في النفس البشرية ، وأنهم سألوه عــن أرواح بني آدم ولم يقصدوا بسؤالهم ملك من الملائكة) [١٣] .

---

(١) سورة الحج ، الآية ٢٦ .

(٢) سورة الزمر ، الآية ٥٣ .

(٣) سورة النبأ ، الآية ٣٨ .

(٤) سورة المعارج ، الآية ٤ .

(٥) سورة الشعراء ، الآية ١٩٣ .

(٦) سورة النحل ، الآية ١٠٢ .

(٧) سورة البقرة ، الآية ٢٥٣ .

(٨) سورة النساء ، الآية ١٧١ .

(٩) سورة الشورى ، الآية ٥٢ .

(١٠) سورة العنكبوت ، الآية ٦٤ .

(١١) المفردات للراغب الأصفهاني ص ٣٦٩ .

(١٢) سورة الإسراء ، الآية ٨٥ .

(١٣) تفسير ابن كثير ص ٥٩ ـ ٦٠ .

ثم قال في تعليقه على قوله ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ : أي من شأنه ، ومما استأثر بعلمه دونكم ، ولهذا قال : ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ أي وما اعطيكم من علمه إلا على قليل فإنه لا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء تبارك وتعالى ، والمعنى أن علمكم في علم الله قليل ، وهذا الذي تسألون عنه من أمر الروح مما أستأثر به تعالى ولم يطلعكم عليه ، كما أنه لم يطلعكم إلا على القليل من علمه تعالى) [١] .

ثم ذكر الخلاف في تعريف الروح فقال : (ذكر السهلي الخلاف بين العلماء في أن الروح هي النفس ، أو غيرها وقرر أنها ذات لطيفة كالهواء سارية في الجسد كسريان الماء في عروق الشجر ، وقرر أن الروح التي نفخها الملك في الجنين هي النفس بشرط اتصالها بالبدن واكتسابها بسببه صفات مدح أو ذم فهي إما نفس مطمئنة أو امارة بالسوء ، قال كما أن الماء هو حياة الشجر ثم يكسب بسبب اختلاطه معها اسما خاصا فإذا اتصل بالعنبة وعصر منها صار ماء مصطارا أو خمرا ، ولا يقال له ماء حينئذ إلا على سبيل المجاز ، وكذا لا يقال للنفس روح إلا على هذا النحو وكذا لا يقال للروح نفس إلا باعتبار ما تؤول إليه ، فحاصل ما تقول إن الروح هي أصل النفس ومادتها والنفس مركبة منها ومن اتصالها بالبدن فهي من وجه لا من كل وجه ، وهذا معنى حسن ، والله أعلم [٢] .

وقد ذكر السيوطي نفس المعنى ، وذكر أقوال أخرى في معنى الروح، ورجح انه ملك أو نوع من الملائكة لا يعلمهم إلا الله لا الملائكة ولا الناس ولا الجن وانهم لا يرون كما نحن لا نرى الملائكة ، واعتمد في ذلك على آثار أغلبها ضعيف ، وأكثرها غريب ، وقد أطال إطالة كبيرة في ذلك) [٣] .

---

(١) تفسير ابن كثير ٦٠/٣ .

(٢) تفسير ابن كثير ٦١/٣ .

(٣) راجع الدر المنثور ٣٣١/٥ ــ ٣٣٣ .

وقال الرازي في تعليقه على هذه الآية ما يلي : (للمفسرين في الروح المذكورة في هذه الآية أقوال أن أظهرها أن المراد منه الروح الذي هو سبب الحياة ... ثم ذكر أن سؤال اليهود يحتمل معنيين هما ، أنهم سألوه عن ماهية الروح ؟! أو هل سألوه عن قدمها ، وحدوثها .

ولم يرجح شيء ولا يوجد مرجح ثم شرع في الإجابة عن هذين السؤالين ، ونحن نذكر هذين الجوابين بشيء من الاختصار ، لأنه أطال فيها كثيرا فنقول : (أما الإجابة عن السؤال الأول : فهم قالوا ما حقيقة الروح ، وماهيته ؟ أهو عبارة عن أجسام موجودة في داخل هذا البدن متولدة من امتزاج الطبائع ، والأخلاط ، أو هو عبارة عن نفس هذا المزاج والتركيب أو هو عبارة عن عرض أخر قائم بهذه الأجسام ، أو هو عبارة عن موجود بغاير هذه الأجسام ، والأغراض ؟ فأجاب الله عنه بأنه موجود مغاير لهذه الأجسام ، ولهذه الأغراض ، وذلك لأن هذه الأجسام أشياء تحدث من امتزاج الأخلاط والعناصر ، وأما الروح فأنه ليس كذلك ، بل هو جوهر بسيط مجرد لا يحدث إلا بمحدث قوله (كن فيكون) [1] ، فقالوا لما كان شيئا مغايرا لهذه الأجسام ، ولهذه الأغراض فأجاب الله عنه بأنه موجود يحدث بأمر الله وتكوينه وتأثيره في إفادة الحياة لهذا الجسد ولا يلزم من عدم العلم بحقيقته المخصوصة نفيه ، فإن أكثر حقائق الأشياء وماهياتها مجهولة .

وأما الإجابة عن السؤال الثاني : فهو أن لفظ الأمر قد جاء بمعنى الفعل قال تعالى: ﴿وما أمر فرعون برشيد﴾ [2] وقال ﴿فلما جاء أمرنا﴾ [3] أي فعلنا، فقوله: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ أي من فعل ربي ، وهذا الجواب يدل على أنهم سألوه أن الروح قديمة أو حادثة ، فقال : بل هي حادثة ، وإنما حصلت

---

(١) سورة النحل ، الآية ٤٠ .

(٢) سورة هود ، الآية ٩٧ .

(٣) سورة هود ، الآية ٨٢ .

بفعل الله وتكوينه ، وايجاده ثم احتج على حدوث الروح قوله﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ ، يعني أن الأرواح في مبدأ الفطرة تكون خالية عن العلوم والمعارف ثم يحصل فيها العلوم والمعارف ، فهي لا تزال تكون في التغيير من حال إلى حال وفي التبديل من نقصان إلى كمال والتغيير والتبديل من أمارات الحدوث فقوله :﴿قل الروح من أمر ربي﴾ يدل على أنهم سألوه أن الروح هل هي حادثة فأجاب بأنها حادثة واقعة بتخليق الله وتكوينه ، وهو المراد من قوله :﴿قل الروح من أمر ربي﴾ ، ثم استدل على حدوث الأرواح بتغيرها من حال إلى حال ، وهو المراد من قوله : ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا* فهذا ما نقوله في هذا الباب ، والله أعلم﴾ [1] .

ويعرف شيخ الإسلام ابن تيمية الروح بقوله : (والروح المدبرة للبدن التي تفارقه بالموت هي الروح المنفوخة فيه ، وهي النفس التي تفارقه بالموت ، وقال تعالى ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى﴾ [2] .

قال ابن عباس وأكثر المفسرين : يقبضها قبضين : قبض الموت ، وقبض النوم ثم في النوم يقبض التي تموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى حتى يأتي أجلها وقت الموت .

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه كان يقولُ إذا نام: ((باسمك ربي وضعت جنبي ، وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فاغفر لها وارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين)) [3] [4] .

---

(١) التفسير الكبير ٣١/٢١ ــ ٣٢.
(٢) سورة الزمر الآية ٤٢ .
(٣) أخرجه مسلم ٢٠٨٤/٤ .
(٤) الفتاوى ٢٨٦/٩ .

ثم قال : (وفي الحديث الصحيح إن الروح إذا قبض تبعه البصر) فقد سمى المقبوض وقت الموت ، ووقت النوم روحا ونفسا ، وسمى المعروج به إلى السماء روحا ونفسا ، لكن يسمى نفسا باعتبار تدبيره للبدن ، ويسمى روحا باعتبار لطفه، فان لفظ (الروح) يقتضي اللطف ، ولهذا تسمى الريح روحا ، وقال النبي ﷺ «الريح من روح الله» [1] أي من الروح التي خلقها الله فإضافة الروح إلى الله إضافة ملك لا إضافة وصف ، إذ كل ما يضاف إلى الله أن كان عينا قائمة بنفسها فهو ملك له ، وأن كان صفة قائمة بغيرها ليس لها محل تقوم به فهو صفة الله) [2] .

وفي موضع آخر قال : (ولكن لفظ «الروح ، والنفس» يعبر بهما عن عدة معان : فيراد بالروح الهواء الخارج من البدن ، والهواء الداخل فيه ، ويراد بالروح البخار الخارج من تجويف القلب من سويداه الساري في العروق ، وهو الذي تسميه الأطباء الروح ، ويسمى الروح الحيواني ، فهذان المعنيان غير الروح التي تفارق بالموت التي هي النفس ، ويراد بنفس الشيء ذاته ، وعينه كما يقال رأيت زيدا نفسه ، وعينه) [3] .

ثم تكلم عن كيفيتها وحقيقتها ، فقال رحمه الله تعالى : (وأما قول السائل : «هل لها كيفية تعلم ؟» ، فهذا سؤال مجمل ، إن أراد أنه يعلم ما يعلم من صفاتها وأحوالها فهذا مما يعلم ، وأن أراد أنها هل لها مثل من جنس ما يشهده من الأجسام ، أو هل لها من جنس شيء من ذلك ؟ فإن أراد ذلك ، فليس كذلك ، فإنها ليست من جنس العناصر : الماء ، والهواء ، والنار ، والتراب ، ولا من جنس أبدان الحيوان والنبات والمعدن ، ولا من جنس الأفلاك والكواكب ، فليس لها نظير مشهود ، ولا جنس معهود) [4] .

---

(١) سبق تخريجه .

(١) الفتاوى ٩/٢٩٠ .

(٢) الفتاوى ٩/٢٩٢ .

(٣) الفتاوى ٩/٢٩٥ .

وفي موضع آخر ، قال : (إذا تبين هذا فالنفس وهي الروح المدبرة لبدن الإنسان هي ما باب ما يقوم بنفسه التي تسمى جوهرا وعينا قائمة ، فنفسها ليست من باب الأعراض التي هي صفات قائمة بغيرها) (١) ، ثم قال : (والصواب أنها ليست مركبة من الجواهر المفردة ، ولا من المادة والصورة ، وليست من جنس الأجسام المتحيزات المشهودة المعهودة ، وأما الإشارة إليها ، فإنه يشار إليها وتصعد وتنزل ، وتخرج من البدن وتنسل ، كما جاءت بذلك النصوص ، ودلت عليه الشواهد العقلية) (٢) .

وقال في موضع آخر : (ومذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر سلف الأمة ، وأئمة السنة أن الروح عين قائم بنفسها تفارق البدن ، وتنعم وتعذب، وهي ليس من البدن ولا جزء من أجزاءه كالنفس المذكور ، وقد نص الإمام أحمد على ذلك ، ولم يختلف أصحابة في ذلك (٣) .

وأما مكان مسكنها من الجسد قال رحمه الله : (فلا اختصاص للروح بشيء من الجسد ، بل هي سارية في الجسد كما تسري الحياة التي هي عرض في جميع الجسد ، فان الحياة مشروطة بالروح ، فإذا كانت الروح في الجسد كان فيه حياة ، وإذا فارقته الروح فارقته الحياة) (٤) .

ولعلنا نكتفي بهذا القدر من الكلام عن معاني الروح ، مع العلم أن الأشعري رحمه الله تعالى قد ذكر في معناه خمسة عشر قولا متفاوتة ، فمن أراد الاستزادة ، فيراجعها هناك (٥) .

---

(١) الفتاوى ٣٠١/٩ .

(٢) الفتاوي ٣٠٢/٩ .

(٣) الفتاوى ٣٤١/١٧ .

(٤) الفتاوي ٣٠٢/٩ ، وانظر كذلك الفتاوي ٢٦٧/١٧ .

(٥) مقالات الاسلاميين للاشعري ٢٨/٢ ــ ٣٠ .

وأني أميل إلى أن معنى الروح هو النفس ، ولكن ماهيـــة هــذه الــروح ، وكونها لا يعلمها إلا الله عزوجل ، وان كنا نعلم بعــض صفاتـــها ، وأعراضـــها، وأوصافها ، ولكن ذلك ليس علما بكيفيتها وحقيقتها ، وما أوتينا من العلم إلا قليلا .

وأما معنى نفخ الروح والكلام عليه ، ومتى يكون ؟ فانه لا يكون إلا بعـــد أربعة أشهر باتفاق أهل العلم ، قال النووي : (واتفق العلماء على أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد أربعة أشهر) (١) .

وحجتهم ما ورد في رواية البخاري في كتابه التوحيد بالترتيب فـــي هــذا الخلق ، وقوله ثم ينفخ فيه الروح ، قال ابن حجر في الجمع بين الروايتين روايـــة البخاري ورواية مسلم وفيها (ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح) قال (وظـــاهره قبل الكتابة ، ويجمع بأن رواية آدم صريحة في تأخير النفخ للتعبير بقولـــه ثـــم ، والرواية الأخرى محتملة فترد إلى الصريحة لأن الواو لا ترتب ، فيجوز أن تكون معطوفة على الجملة التي تليها ، وأن تكون معطوفة على جملة الكلام المتقدم ، أي يجمع خلقه في هذه الأطوار ، ويؤمر الماك بالكتب ، وتوسط قولــه: (ينفــخ فيــه الروح) بين الجمل ، فيكون من ترتيب الخبر على الخبر لا من ترتيـــب الأفعـــال المخبر عنـــها ، ونقل ابن الزملكاني عن ابن الحاجب في الجواب عـــن ذلــك أن العرب إذا عبرت عن أمر بعده أمور متعددة ، ولبعضها تعلق بالأول حسن تقديمــه لفظا على البقية ، وإن كان بعضها متقدما عليه وجودا ، وحسن هنـــا لأن القصـــد ترتيب الخلق الذي سيق الكلام لأجله ، وقال عياض : اختلفت ألفاظ هذا الحديـــث في مواضع ، ولم يختلف أن نفخ الروح فيه بعد مائة وعشرين يوما ، وذلك تمـــام أربعة أشهر ، ودخوله في الخامس ، وهذا موجود بالمشاهدة ، وعليه يعول فيمـــا يحتاج إليه من الأحكام في الاستحقاق عند التنازع ، وغير ذلك بحركة الجنين فـــي الجوف) (٢) .

---

(١) شرح مسلم للنووي ١٩١/١٦ .

(٢) فتح الباري ٤٩٤/١١ ، وانظر عمدة القاري ١٣١/١٥ .

وقد نقل ابن رجب أثارا وأقوالا عن جمهور العلماء ، على اعتماد هذا القول ، وإثبات ذلك عن كثير من الصحابة والتابعين .

ونقل أثار عن الإمام أحمد وغيره ، وعن ابن المسيب ، تدل على أن نفخ الروح يكون بعد أربعة أشهر وعشرا [1] .

ولعل مقصودهم من ذلك تيقن نفخ الروح فيه ، وقد سئل ابن المسيب ((عن عدة الوفاة حيث جعلت أربعة أشهر وعشرا ما بال العشر قال : ينفخ فيها الروح)) [2] .

مع العلم انه لا يمكن تحديد متى النفخ بالضبط ولا كيفيته ، ولذلك احتيط بهذه العشر ، والله أعلم حتى يمكن التأكد من الحمل وحياة المولود في بطن أمه، والتأكد أن كان هناك حملا أو لا .

يقول الدكتور توفيق محمد عز الدين : (ونفخ الروح ، حدث عرف من طريق الوحي ، والعلم التجريبي لا يمكنه أن يقول في أمر الروح شيئا ، إلا عندما يتعدى مجاله فيخرج من العلم إلى الظن .

لا يمكن للعلم أن يثبت ، ولا أن ينفي ولا أن يبين الكيفية ، لأن أي إثبات أو نفي أو تكييف يقوم به العلم التجريبي ، يقع على شيء مادي ، تتناوله الملاحظة، وهو قطعا ليس الروح ، فالروح من أمر الله : ﴿يسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ [3] وعلم الإنسان نفسه لازال قليلا محدودا ، فلازال العلم عاجزا عن إدراك كثير من الجوانب المتعلقة بالأعضاء والوظائف في جسم الإنسان ، ولازال عجزه أشد في إدراك سر الحياة

---

(١) جامع العلوم والحكم ص ١٦٣ ــ ١٦٥ .

(٢) رواه البخاري (٦٥٩٥) ومسلم (٢٦٤٦) .

(٣) سورة الإسراء ، آية ٨٥ .

الكامن في كل خلية من خلاياه ، فأي قدرة ستكون له على إدراك سر الروح ، التي هي من الغيب الذي أمر النبيﷺ وهو نبي أن يعلن أنه لا يعلم عنها إلا أنها من أمر الله .

والبحوث الروحية الحديثة ليست إلا لوثة من لوثات المادية الغربية ، وتختلط بكثير من الشعوذة ، وأهداف الحركات والجمعيات التي تروج لها مشبوهة ، فالعجب ممن يظن أن هذه الأبحاث طريق يمكن منه إثبات الروح ، والتعرف عليها بعد مفارقة الجسد .

وبديهي أن النفخ المقصود في آيات نفخ الروح ليس كنفخ الهواء في الأوعية التي تمسكه ، فطريقة النفخ كحقيقة الروح ، كلاهما غيب ، لكن لو بحثت عن لفظ يقرب معنى حلول الروح في الجسد ما وجدت أنسب من لفظ النفخ ، لأنه في معناه الأصلي يجعل الهواء يسري في كل الوعاء الذي نفخ فيه ، وكذا عندما تنفخ الروح تسري في الجسد كله) (١) .

ونكتفي بهذا القدر من الكلام عن خلق الإنسان ، ونفخ الروح فيه ، مع العلم أنه سوف يأتي إشارة وزيادة وإكمال لشرح الحديث في الفصل القادم ، وهو الكلام على القدر ثم يأتي بعد ذلك ذكر له عند الحديث عن أعمال الملائكة عليهم السلام.

وأما معنى النفخ ، فقد قال ابن حجر عن هذا النفخ ما يلي : (ومعنى إسناد النفخ للملك أنه يفعله بأمر الله ، والنفخ في الأصل ريح من جوف النافخ ليدخل في المنفوخ فيه) (٢) .

وقد ذكر ابن تيمية هذا النفخ وان معناه (بث روح الحياة في الانسان من الملك بقدرة الله وأنه واقع لسائر الآدميين ، وأنه يختلف عن النفخ للحمل الذي لمريم عليها السلام لكن لم يتعرض لكنهه وحقيقته) (٣) .

---

(١) دليل الأنفس بين القرآن والعلم الحديث ، توفيق محمد عزالدين ص ١٦٢ ، وانظر كذلك نفس المعنى في كتاب التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان ، عثمان جمعة خيرية ص ٩٥ ــ ٩٦ .

(٢) فتح الباري ٤٩٤/١١ .

(٣) انظر الفتاوى ٢٦٦/١٧ ــ ٢٦٨ .

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى في تعليقه على هذا النفخ (ونحن نجهل كنه هذه النفخة ، ولكننا نعرف آثارها فآثارها هي التي ميزت هذا الكائن الإنساني عن سائر الخلائق في هذه الأرض ميزته بخاصية القابلية للرقي العقلي والروحي ، وجعلت عقله ينظر تجارب الماضي ويصمم خطط المستقبل ، وجعلت روحه يتجاوز المدرك بالحواس والمدرك بالعقول ليتصل بالمجهول للحواس، والعقول) [١] .

ولنا هنا وقفة وهي أن هذه الروح مخلوقة بالإجماع يقول ابن تيمية : (روح الآدمي مخلوقة ، مبدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة ، وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين ، مثل محمد بن نصر المروزي ، الإمام المشهور ، الذي هو أعلم أهل زمانه بالإجماع والاختلاف، أو من أعلمهم) [٢] .

ثم ساق أدلة كثيرة جدا تبين رجحان هذا القول وقال بعد ما أنتهى من ذكر هذه الأدلة : (فقد بان بما ذكرناه أن من قال : إن أرواح بني آدم قديمة غير مخلوقة ، فهو من أعظم أهل البدع الحلولية ، الذين يجر قولهم إلى التعطيل ، يجعل العبد هو الرب وغير ذلك من البدع الكاذبة المضلة) [٣] .

ونقل هذا الإجماع كذلك ابن القيم في سياق رواه على من قال أنها قديمة فقال (فهذه مسألة زل فيها عالم ، وضل فيها طوائف من بني آدم ، وهدى الله أتباع رسوله ﷺ فيها للحق المبين ، والصواب المستبين ، فأجمعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم على أنها محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة .

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ٣٠٢٧/٥ .

(٢) الفتاوى ٢١٦/٤ .

(٣) الفتاوى ٢١٧/٤ ــ ٢٢٩ .

هذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، كما يعلم بالاضطرار من دينهم أن العالم حادث ، وأن معاد الأبدان واقع ، وأن الله وحده الخالق ، وكل ما سواه مخلوق له ، وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم وهي القرون المفضلة على ذلك ، من غير اختلاف بينهم في حدوثها وأنها مخلوقة) (١) .

ونقل هذا الإجماع الشهرستاني فقال : (وأجمع أهل السنة على أن الأرواح كلها مخلوقة على خلاف قول النصارى) (٢) .

ثم ذكر الأدلة على هذا القول في أكثر من خمسة عشر دليل وأطال في ذلك (٣) .

ثم أطال الكلام على أثار هذه النفخة وإن الإنسان بها يرتقي إلى الحياة الكريمة ويتوصل بها إلى الصفات العظيمة ، لأنه مركب من عنصرين عنصر الطين وعنصر الروح .

ونكتفي بهذا القدر من الكلام عن خلق الإنسان مع العلم انه سوف يأتي له زيادة شرح كما أسلفنا ، والله الموفق ، وإلى المبحث الثالث .

---

(١) كتاب الروح ص ٣٤٨ ، وانظر في هذا المعنى فتح الباري ٤٥٢/١٣ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٥٩ .

(٣) انظر كتاب الروح لابن القيم ٣٥٤ ــ ٣٧٥ .

المبحث الثالث
توحيد الأسماء والصفات

التمهيـــــد :

أن توحيد الأسماء ، والصفات من أنواع التوحيد التي سبق الإشارة إليها في أول الباب الأول والكلام عليها هناك ، وقد تطرق البخاري رحمه الله لهذا النـــوع من أنواع التوحيد في كتاب «بدء الخلق » غيـر أن حديثـه عنـه كـان حديـث غير مباشر ، لأنه عقد لهذا المبحث كتاب مسـتقل في الصحيـح هـو كتـاب التوحيد ختم به كتابه الصحيح ، وقـد تطرق فيه إلى معظم ما يتعلـق بالأسـماء والصفات وأطال في تقريرها وأثباتها . وقد سبق لنا الكلام على المعاني اللغويـة للتوحيد .

وأما المعنى الاصطلاحي لهذا النوع من أنواع التوحيـد ، فيقـول الشـيخ عبدالرحمن بن سعدي : (التوحيد ثلاثة أقسام أحدها : توحيد الأسـماء والصفـات وهو إعتقـاد أنفراد الرب جل جلالـه بالكمال المطلق من جميـع الوجوه بنعـوت العظمـة ، والجلال والجمال التي لا يشـاركه فيهـا مشارك بوجه من الوجـوه، وذلك بإثبات ما أثبته لنفسـه أو أثبتـه لـه رسـوله ﷺ مـن جميـع الأسـماء والصفات ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمتـه وجلالـه من غير نفي لشيء منهـا ولا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل ونفـي مـا نفاه عن نفسـه أو نفـاه عنـه رسول الله ﷺ من النقائض والعيوب وعن كل مـا ينافي كمالـه) [1] .

---

(١) كتاب التوحيد والقول السديد لعبدالرحمن بن سعدي ص ١١ ، وانظـر نفـس المعنـى فـي مختصـر الصواعق المرسلة ص ٣٣ .

ويعرفه الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ صاحب كتاب فتح المجيد ، بقوله :(هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه وتكليمه بكتبه وتكليمه لمن شاء من عباده ، وإثبات عموم قضائه وقدره وحمته) [١] .

ولعل التعريف المختار هو : (هو إفراد الله سبحانه بما سمى الله نفسه، ووصف به نفسه في كتابه ، أو على لسان رسوله وذلك بإثبات ما أثبته ونفي ما نفاه من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل) [٢] وبعضهم يختصر هذا التعريف ، فيعرفه بقوله : (هو إفراد الله بما يختص به من الأسماء، والصفات) [٣] .

والواجب إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات ، وأفراده ، والتعبد لله بإثبات معانيها ودعاه بها ، وعدم الخوض فيها بغير علم وإثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات ، وما أثبته له نبيه ﷺ من غير تحريف ، ولا تعطيل ولا تكييف ، ولا تمثيل .

---

(١) فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد ص ١٢ ، وانظر مجموع فتاوي ابن باز ١/٣٨ ، وشرح الطحاوية ١/٢٤ .

(٢) شرح الأصول الثلاثة لابن عثيمين ص ٣٣ .

(٣) معجم ألفاظ العقيدة ص ١٠٣ ــ ١٠٤ .

المطلب الأول : صفة الكلام لله عزوجل :

سوف نتناول هنا وبإيجاز صفة الكلام لله عزوجل ، لأن البخاري قد أشار إليها في كتاب بدء الخلق إشارة عابرة وغير مقصودة حيث ذكر ذلك مفصلاً في كتاب التوحيد والأحاديث التي ذكرت فيها هذه الصفة في كتابه هي :

حديث الإسراء والمعراج الطويل والشاهد من هذا الحديث قوله ﷺ : ((فنودي : أني قد أمضيت فريضتي ، وخففت عن عبادي ، وأجزي الحسنة عشراً)) [1] .

وحديث أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ((إذا أحب الله العبد نادى جبريل : إن الله يحب فلاناً فأحببه ، فيحبه جبريل ، فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلان فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض)) [2] .

قال أهل السنة ، والنداء هنا نداء يليق بجلال الله ، وعظمته لا يشابه نداء أحد من خلقه سبحانه وتعالى [3] .

وكذلك حديث أبي هريرة عنه قال : قال رسول الله ﷺ ((قال الله : أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فأقرأوا إن شئتم ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾)) [4] [5] .

والشاهد منه ((قال الله)) ، ونسبة هذا القول إليه .

---

(١) أخرجه البخاري ح (٣٢٠٧) (٣٣٩٣) (٣٤٣٠) (٣٨٨٧(وأخرجه مسلم ح (١٦٢) .

(٢) أخرجه البخاري ح (٣٢٠٩) (٦٠٤٠) (٧٤٨٥) ، وأخرجه مسلم ح (٢٦٣٧) .

(٣) درء تعارض العقل والنقل ٢/٩٣ .

(٤) سورة السجدة آية ١٧ .

(٥) أخرجه البخاري ح (٣٢٤٤) (٤٧٧٩) (٤٧٨٠) (٧٤٩٨) .

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ((أن الملائكة يتعاقبون ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وفي صلاة العصر ، ثم يعرج إليه الذين كانوا فيكم ، فيسألهم ، وهو أعلم ـ فيقول كيف تركتم عبادي ؟ فقالوا تركناهم يصلون وأتيناهم يصلون)) [1] . وهذه رواية كتاب بدء الخلق .

فهذه الأحاديث التي ذكرها البخاري في هذا الباب توجب علي ، ولو بشيء من الإختصار ، ذكر مذهب الناس في هذه المسألة ، ثم ذكر مذهب أهل السنة والجماعة وأدلة ما ذهبوا إليه في هذا الشأن ثم نذكر مذهب أهل السنة والجماعة أيضاً في إثبات النداء والصوت لله عزوجل ، والأدلة على ذلك .

أختلف الناس في (مسألة الكلام ومعناها) والمقصود بها على عدة أقوال وهي كما يلي :

القول الأول : أن المتكلم من فعل الكلام ، ولو كان منفصلا عنه ، فعله في غيره، وهذا قول المعتزلة والجهمية ، وهؤلاء يقولون : هو صفة فعل منفصل عن الموصوف لا صفة ذات ، ولذلك أنكروا صفة الكلام الثابتة لله ، وقالوا إن كلام الله مخلوق .

القول الثاني : أن المتكلم هو من قام به الكلام ، ولو لم يكن بفعله ، ولا هو بمشيئته وقدرته ، وهذا قول الكلابية والأشعرية والسالمية وغيرهم ، فهؤلاء يقولون: هو صفة ذات لازمة للموصوف لا تتعلق بمشيئته ولا قدرته ، ولذلك قالوا في كلام الله إنه المعنى النفسي القائم بالله ، وإن الله لا يتكلم إذا شاء متى شاء ، بل كلامه أزلي قائم به كحياته وعلمه .

---

(١) أخرجه البخاري ح (٣٢٢٣) (٢٥٥٥) ومسلم ح (٢١٠) .

القول الثالث : أن المتكلم من جميع الوصفين ، فقام به الكلام ، وقدر عليه ، فهو من تكلم بفعله ومشيئته وقدرته ، وقام به الكلام ، وهذا قول السلف وأكثرهم أهل الحديث ، وطوائف من المرجئة والكرامية وغيرهم ، فهؤلاء يقولون : هو صفة ذات وصفة فعل ، وهو قائم بالمتكلم متعلق بمشيئته وقدرته ، وهذا مطابق لمذهب السلف في كلام الله عزوجل [1] وذكر أدلة ذلك شارح الطحاوية وأطال في ذلك.

وأما أقوال الناس في هذه الصفة وأثباتها لله فكذلك على عدة أقوال هي :

القول الأول : أن كلام الله ليس صفة قائمة به ، ولا مخلوقا منفصلا عنه ، بل هو ما يفيض على النفوس إما من العقل الفعال أو غيره ، حسب نظريتهم في الخلق ، حيث إنهم يزعمون أن الله لا تقوم به الصفات ، وليس خالقا باختياره ، وليس عالما بالجزئيات ، وهذا قول الفلاسفة والصابئة ومن وافقهم ، وهؤلاء ربما سموا هذا الفيض كلاما بلسان الحال ، وربما قالوا : إن الله متكلم مجازا [2] .

القول الثاني : قول من قد يوافق الفلاسفة في أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من العقل الفعال أو غيره ، لكن يقولون إن هذا الفيض يكون للأنبياء والأولياء ، ثم إذا غلب عليهم القول بالإتحاد ووحده الوجود ، قالوا : وكل كلام في الوجود هو كلام الله ، سواء نثره ونظامه ، حسنه وقبيحه ــ تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ــ وهذا قول غلاة الصوفية وفلاسفتهم ويلحق بهم من ينكر هذا الكلام وهم الجهمية ، وغلاة المعتزلة [3] .

---

(١) انظر منهاج السنة (٢/٢٩٤) ، ودرء التعارض (١٠/٢٢٢) ، وشرح العقيدة الطحاوية ١/١٩٨ ــ ١٩٩ .

(٢) انظر مجموعة الفتاوى ٦/٣١٦ ، وشرح الطحاوية ١/١٧٣ .

(٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية ١/١٧٣ ، ومقالات الإسلامية ١/٢٦٣ ، والفرق بين الفوق ص ٢٥٩ ــ ٢٦٠

القول الثالث : إن كلام الله مخلوق منفصل عنه ، خلقه في غيره ، وهذا قول المعتزلة ، والجهمية الذين ينفون أن تقوم بالله صفة من الصفات ، لا حياة ، ولا علم، ولا قدرة ، ولا كلام [١] .

القول الرابع : إن كلام الله معنى واحد قديم ، قائم بذات الله أزلا وأبدا ، هو الأمر بكل ما أمر الله به ، والنهي عن كل ما نهى الله عنه ، والخبر عن كل ما أخبر الله عنه ، إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا ، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة [٢] .

وأما تعريف السلف لصفة الكلام فقد قالوا : (انه يتكلم بمشيئته وقدرته وكلامه ليس مخلوق بل كلامه صفة له قائم بذاته منه بدأ وإليه يعود والكلام صنعه كمال لا صفة نقص ، ومن تكلم بمشيئة أكمل ممن لا يتكلم بمشيئة) [٣] .

قال الحافظ بن حجر في تعليقه على الحديث السابق في سؤال الله الملائكة قوله : فيقول كيف تركتم عبادي فيه إثبات صفة الكلام لله عزوجل ، وأنه يكلم ملائكته [٤] .

يقول الإمام ابن خذيمة في إثبات هذه الصفة : (أبواب إثبات صفة الكلام له عزوجل) ، ثم ذكر عشرة أبواب ، ثم ذكر تحت كل باب من هذه الأبواب العشرة أكثر من آية ، وعدة أحاديث وآثار عن السلف في إثبات ذلك، ويطول ذكرها هنا [٥] .

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ١٧٣/١ و١٩٧-١٩٨ ، والفتاوى ٢٠٢/١٢ .

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية ١٧٤/١ ، والفرق بين الفرق ص ٢٥٩ ــ ٢٦٠ ، وفصل هذه الأقوال وأطال في عرضها ومناقشتها شيخ الإسلام في مجموعة الفتاوى ٥١٣/٦ ــ ٥٤٥ .

(٣) جامع الرسائل والمسائل لابن تيمية ٤/٢ ــ ٥ وشرح الطحاوية ١٧٤/١ ، وانظر حكاية الاقوال والاختلاف في هذه المسألة في درء تعارض العقل والنقل ٣٢٩/٢ ــ ١٣٣ ، وشرح العقيدة الطحاوية ١٧٢/١ ــ ١٧٥ ، ومجموعة الفتاوى ٣٧/١٢ ــ ٥٤ ، وفتح الباري ٤٨٧/١٣ ــ ٤٨٨ ــ وغيرها كثير.

(٤) فتح الباري ٣٧/٢ .

(٥) انظر كتاب التوحيد لابن حزين من ص ٣٢٨ ــ ٤٠٥ .

وقد نقل فخر الدين الرازي إجماع المسلمين على إثبات هذه الصفة لله وإطلاقهم لفظ المتكلم على ، وأن اختلفوا في المعنى) [1] وكذلك ابن حجر في فتح الباري نقل هذا الإجماع [2] ، وأشار إلى هذا الإجماع البغدادي ، ونقله عن أهل السنة [3] .

وقال الإمام أبوبكر الإسماعيلي : (ويثبتون – أي أهل الحديث – أن له وجهاً وسمعاً وبصراً وعلماً وقدرة وقوة وعزة وكلاماً .. فهو تعالى ذو العلم والقوة والقدرة والسمع والبصر والكلام ، كما قال تعالى :﴿ولتصنع على عيني﴾ [4] ﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا﴾ [5] ، وقال : ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ [6] وقال : ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ [7] [8] .

والنصوص أكثر من تحصى في إثبات الكلام لله تعالى ، وأنه صفة لائقة لا تشبه صفات المخلوقين ، بل إن الكتب السماوية كلها دليل على إثبات الكلام لله تعالى ، فقد قال تعالى : ﴿أنزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو أنتقام﴾ [9] ، وبينه قوله تعالى : ﴿وأن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ [10] ، فاسند هذا القرآن إلى نفسه وأنه كلامه وكل واحد من الناس يفهم هذا الفهم .

---

(١) محمل أذكار المتقدمين والمتأخرين ص ٢٥٠ .

(٢) فتح الباري ٤٨٧/١٣ .

(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٥٩ .

(٤) سورة طه الآية ٣٩ .

(٥) سورة هود الآية ٣٧ .

(٦) سورة التوبة الآية ٦ .

(٧) سورة النساء الآية ١٦٤ .

(٨) اعتقاد أئمة السلف للنشار ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٩) سورة آل عمران آية ٤ .

(١٠) سورة التوبة آية ٦ .

وقد حكى بين مذهب السلف في هذه المسألة الشيخ عبدالله الجديع فقال :
(وأما السلف فهم يؤمنون أن الكلام صفة قائمة به سبحانه غير بائنة عنه ، لا ابتداء لاتصافه به ولا انتهاء لها يتكلم بمشيئته واختياره ولا يشبه كلام المخلوقين وكلامه أحسن الكلام ويكلم به من شاء من خلقه : من ملائكته ورسله وسائر عباده بواسطة إن شاء أو بغيرها ، ويسمعه على الحقيقة من شاء من ملائكته ورسله ويسمعه عباده في الدار الآخرة بصوت نفسه كما أنه كلم موسى بصوت ، وكما أن كلامه لا يشبه كلام المخلوقين ، فإن صوته لا يشبه أصواتهم وكلماته لا حصر لا نهاية لها ، وكلامه ينقسم ويتبعض ويتجزأ فالقرآن من كلامه والإنجيل من كلامه والقرآن غير التوراة والإنجيل والفاتحة بعض القرآن وآية الكرسي ، بعض سورة البقرة وكلامه يتفاضل فيكون بعضه أفضل من بعض فآية الكرسي أفضل من غيرها من الآيات ، وكلامه يتعاقب يتلو بعضه بعضاً ، كل ذلك غير مخلوق بألفاظ وحروف ولا تشبه كلام المخلوقين وأصوات العباد وحركاتهم بالقرآن وورق المصحف وجلده ومداد الكتابة كل ذلك مصنوع مخلوق ، والمؤلف من الحروف المنطوقة المسموعة المسطورة المحفوظة كلام الله تعالى غير مخلوق بحروفه ومعانيه) [١] .

ومن نفى الحرف والصوت من كلام الله عزوجل لاعتمادهم على أصول فلسفية وقواعد كلامية وعدم خبرة وتفحص لكلام السلف ، ولذلك نشأ هذا القول يقول الإمام أبو نصر السجزي (فلما نبغ ابن كلاب وأضرابهْ وحاولوا الرد على المعتزلة من طريق مجرد العقل ، وهم لا يخبرون أصول السنة ، ولا ما كان السلف عليه ، ولا يحتجون بالأخبار الواردة في ذلك .

إلى أن قال ــ قالوا للمعتزلة : الذي ذكرتموه لي بحقيقة الكلام ، وإنما سمي ذلك كلاما على المجاز ، لكونه حكاية أو عبارة عنه وحقيقة الكلام : معنى قائم بذات المتكلم .

---

(١) انظر العقيدة السلفية في كلام رب البرية للجديع ص ٧٩ ــ ٨١ بتصرف قليل .

قال : ثم خرجوا من هذه إلى أن إثبات الحرف والصوت في كلامه سبحانه تجسيم ، واثبات اللغة فيه تشبيه) [١] .

وهذا القول هو مذهب البخاري رحمه الله كما نقله عنه ابن حجر عليه رحمة الله يقول : (قال ابن بطال يريد البخاري بهذه الترجمة [٢] وأحاديثها وما أورد في الأبواب قبلها أن كلام الله تعالى صفة قائمة به وأنه لم يزل متكلما ولا يزال ، ثم قال ابن حجر والذي يظهر أن غرضه أن كلام الله لا يختص بالقرآن، فإنه ليس نوعا واحدا كما تقدم نقله عمن قاله ، وأنه وان كان غير مخلوق وهو صفة قائمة به فانه يلقيه على من يشاء من عباده بحسب حاجتهم في الأحكام الشرعية وغيرها من مصالحهم وأحاديث الباب كلها كالمصرحه بها المراد [٣] ولم يتعقب ابن حجر هذا الرأي ، وكأن ابن حجر مال إلى هذا القول فانه عند حكاية الأقوال في معنى الكلام ، قال كلاما ما معناها تأيد كلام البخاري هذا [٤].

وفي خلق أفعال العباد للبخاري ما نصه : (باب ما ذكر أهل العلم للمعطلة الذين يردون أن يبدلوا كلام الله عزوجل) ، ثم قال : (حدثني الحكم بن محمد الطبري كتبت عنه بمكة قال : (حدثنا سفيان بن عيينه قال أدركت مشائخنا منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينا يقلون القرآن كلام الله وليس بمخلوق) [٥] وقد أطال في النقل والاستدلال ، وذكر الأدلة على هذا القول مما يبين مذهبه السابق في هذه المسألة [٦] .

---

(١) لرد على من أنكر الحرف والصوت للسجزي ص ٨١ ــ ٨٢ بتصرف .

(٢) يقصد ترجمة باب قول الله تعالى يردون ان يبدلوا كلام الله .

(٣) فتح الباري ٤٧٥/١٣ .

(٤) انظر فتح الباري ٤٨٧/١٣ ــ ٤٨٨ .

(٥) خلق افعال العباد للبخاري تحقيق عبدالرحمن عميرة ص ٢٩ .

(٦) انظر خلق أفعال العباد للبخاري من ص ٢٩ ــ ٤٦ .

وبعد أن ذكرنا مذهب أهل السنة إجمالاً في هذه الصفة ، نذكر مذهب أهل السنة في مسألة الحرف والصوت والنداء في كلام الله ، والتي قد تطرق إليها البخاري من خلال ذكر الأحاديث السابقة .

إن مسألة الحرف والصوت من المسائل الكبار التي وقع فيها النزاع في كلام الله تعالى ، وأساس الخلاف فيها ناشئ من الخلاف في حقيقة الكلام ما هو ؟ والذي سبق الإشارة إليها في أول هذا المبحث .

فمن أثبت اللفظ للكلام سواء ضم إليه المعنى ، بالعموم أو بالإشتراك أم لم يضم إليه المعنى ، لم ينكر الحرف والصوت فيه ، بخلاف من أثبت المعنى فقط دون اللفظ .

ولهذا كان الذي أنكروا الحرف والصوت في صفة الكلام هم القائلين بأن الكلام اسم للمعنى فقط ، وأنه لا يطلق على اللفظ إلا من باب المجاز ، وهؤلاء هم ابن كلاب وأتباعه من الأشعرية وغيرهم [1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (جماهير الطوائف يقولون : إن الله يتكلم بصوت ، مع نزاعهم في أن كلامه هل هو مخلوق ، أم قائم بنفسه ؟ قديم أو حادث ؟ أو مازال يتكلم إذا شاء ؟ فإن هذا قول المعتزلة ، والكرامية ، والشيعة ، وأكثر المرجئة ، والسالمية ، وغير هؤلاء من الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، والحنبلية ، والصوفية .

وليس من طوائف المسلمين من أنكر أن الله يتكلم بصوت إلا ابن كلاب ، ومن اتبعه) [2] .

---

(١) انظر الفتاوى ١٢/٤٩ .

(١) مجموع الفتاوى ٦/٥٢٨ .

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة، وهي مسألة الحرف والصوت والنداف فقال : (واستفاضت الآثار عن النبي ﷺ والصحابة ، والتابعين ومن بعدهم من أئمة السنة ، أنه سبحانه ينادي بصوت ، نادى موسى ، وينادي عباده يوم القيامة بصوت ، ويتكلم بالوحي بصوت ، ولم ينقل عن أحد من السلف أنه قال: إن الله يتكلم بلا صوت أو بلا حرف ، ولا أنه أنكر أن يتكلم الله بصوت أو بحرف) (١) .

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى في شرحه للعقيدة الطحاوية بعد أن سرد أقوال الناس في كلام الله عزوجل (تاسعها : أنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء ، وهو يتكلم به بصوت يسمع ، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديما ، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة) (٢) .

وقد تطرق الحافظ ابن حجر في كلامه على صفة الكلام إلى مسألة الحروف والصوت ، حيث حكى الاختلاف الحاصل فيها فقال : (أختلف أهل الكلام في أن كلام الله هل هو بحرف وصوت أو لا ؟ .

فقال المعتزلة : لا يكون الكلام إلا بحرف وصوت ، والكلام المنسوب إلى الله قائم بالشجرة .

وقال الأشاعرة : كلام الله ليس بحرف ولا صوت ، وأثبتت الكلام النفسي ، وحقيقته : معنى قائم بالنفس ، وإن اختلفت عنه العبارة ، كالعربية ، والعجمية ، واختلافها لا يدل على اختلاف المعبر عنه ، والكلام النفسي هو ذلك المعبر عنه.

وأثبت الحنابلة أن الله متكلم بحرف وصوت (٣) .

---

(١) مجموع الفتاوى ٥٢٨/٦ ــ ٥٢٩ و٥٣٠ ــ ٥٣٢ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ١٢٩/٢ .

(٣) انظر فتح الباري ٤٥٧/١٣ .

والظاهر أن أكثر من كان يمثل السلف هم الحنابلة في ذلك الوقت ، ثم حكى شبه من ينفي الحرف والصوت في كلام الله والرد عليها وكأنه يرجح إثبات هذه الصفة لله على توجه اللائق به عزوجل ، يقول (هذا حاصل كلام من ينفي عن كلام الله الصوت من الأئمة ، ويلزم منه أن الله لم يسمع أحدا من ملائكته ، ورسله كلامه ، بل ألهمهم إياه .

وحاصل الإحتجاج للنفي الرجوع إلى القياس على أصوات المخلوقين ، لأنها التي عهد أنها ذات مخارج ، ولا يخفى ما فيه ، إذ الصوت قد يكوّن من غير مخارج ، كما أن الرؤية قد تكون من غير اتصال أشعة كما سبق ، وصفات الخالق لا تقاس على صفة المخلوق ، وإذا ثبت ذكر الصوت بهذه الأحاديث الصحيحة وجب الإيمان به ، ثم إما التفويض وإما التأويل ، وبالله التوفيق) [١] .

وقوله إما التفويض أو التأويل هذا على ما كان شائعا أنه هو مذهب السلف، ولعل عذره في ذلك عدم إدراك العقل لكهنه هذه الصفات ومقصودة نفي الكيفية والإحاطة بها ، وقال ابن حجر في موضع آخر عند تعليقه على باب كلام الرب مع الأنبياء وغيرهم ، قال (وإذا ثبت كلامه مع غير الأنبياء بالأحاديث الصحيحة فإن كلامه مع الأنبياء بطريق الأولى أثبت) [٢] ، وهذا هو المذهب الحق وهو الذي يوافق الدليل .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (استفاضت الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ، ومن بعدهم من أئمة السنة أنه سبحانه ينادي بصوت ، نادى موسى ، وينادي عباده يوم القيامة بصوت ، ويتكلم بالوحي بصوت ، ولم ينقل عن أحد من السلف أنه قال : إن الله يتكلم بلا صوت ، أو بلا حرف ، ولا أنه أنكر أن يتكلم الله بصوت أو بحرف) [٣] .

---

(١) فتح الباري ١٣/٤٥٧ ــ ٤٥٨ .

(٢) فتح الباري ١٣/٤٨٥ .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٢/٣٠٤ ــ ٣٠٥ .

ولهذا قال الإمام أبو نصر السجزي في رسالته في الرد على من أنكر الحرف والصوت (الفصل الثالث في التدليل على أن مقالة الكلابية وأضرابهم مؤدية إلى نفي القرآن أصلا ، وإلى التكذيب بالنصوص الواردة فيه ، والرد لصحيح الأخبار ، ورفع أحكام الشريعة) [١] .

وهذا هو مذهب البخاري رحمه الله تعالى فإنه عقد في كتاب التوحيد أبوابا في إثبات هذه الصفة (الحرف والصوت) وذكر تحت كل باب عدة أحاديث [٢] .

وقد ذكر البخاري في خلق أفعال العباد أدلة كثيرة على إثبات الحرف والصوت ، وذكر عدة أبواب لإثباتها منها :

ـ باب ما كان النبي ﷺ يذكره ويرويه عن ربه عزوجل ، وذكر تحته عشرة أحاديث [٣] .

وقال رحمه الله تعالى في باب آخر (باب ما كان النبي ﷺ يستعيذ بكلمات الله لا بكلام غيره ، وقال نعيم : لا يستعاذ بالمخلوق ولا بكلام العباد والجن والإنس والملائكة ، وفي هذا دليل أن كلام الله غير مخلوق وأن سواه خلق [٤] .

ثم ذكر تحت هذا الباب أحاديث كثيرة جدا منها حديث (أن الله ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب فليس هذا لغير الله جل ذكره) [٥] .

قال أبو عبدالله البخاري وفي هذا دليل أن أصوات الخلق لا تشبه صوت الخالق ، لأن صوت الله جل ذكره يسمعه من قرب وأن الملائكة يصعقون من صوته ، فإذا تنادى الملائكة له يصعقوا وقال الله ﴿فلا تجعلوا لله أندادا﴾ [٦] .

---

(١) رسالة السجزي في الرد على من أنكر الحرف والصوت ص ١٠٥ .

(٢) هامش انظر في ذلك باب ٣٥ يرون ان يبدلوا كلام الله انظر الفتح (٤٧٢/١٣) ، وباب ٣٦ كلام الرب مع الانبياء وغيرهم الفتح (٤٨١/١٣) ، وباب ٣٧ كلام الرب مع أهل الجنة انظر الفتح (٤٩٦/١٣) .

(٣) خلق أفعال العباد للبخاري ص ٩٥ ـ ٩٦ .

(٤) خلق أفعال العباد للبخاري ص ٩٦ .

(٥) انظر كتاب خلق افعال العباد ص ٩٨ وله شاهد من حديث مسلم عن أبي هريرة ح ١٩٤ .

(٦) سورة البقرة آية ٢٢ .

ثم ذكر اثارا كثيرة عن الصحابة في هذا المعنى [1] ، ويكفينا ما قدمنا من أحاديث البخاري في صدر هذا المبحث .

وكذلك ذكر الإمام ابن خزيمة إثبات هذه الصفة في كتاب التوحيد له تحت أكثر من باب منها الباب السابع والثلاثون ، وهو صفة تكلم الله بالوحي وشدة خوف السموات منه ، وذكر تحته عدة أحاديث ومنها الباب الأربعون وهو ذكر أن الله يكلم عباده يوم القيامة بغير ترجمان [2] ، وذكر تحته عدة أحاديث [3] منها الباب الواحد والأربعون ، وهو ذكر بعض ما يكلم به الخالق ـ جل وعلا ـ عباده وذكر تحته عدة أحاديث [4] .

ونحن هنا سوف نختم بذكر بعض الأدلة من الكتاب والسنة لإثبات الحرف والصوت لله عزوجل ، والتي قد أنكرها كثير من أهل الكلام .

أولا : الأدلة من القرآن :

١ ـ قول الله تعالى : ﴿قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير﴾ [5] .

٢ ـ قوله تعالى : ﴿قد نبأنا الله من أخباركم﴾ [6] .

٣ ـ وقوله تعالى : ﴿وإذ نادى ربك موسى أن ات القوم الكافرين﴾ [7] .

٤ ـ وقوله تعالى : ﴿وما كنت بجانبي الطور إذ نادينا﴾ [8] .

٥ ـ وقوله تعالى : ﴿إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى إذهب إلى فرعون انه طغى﴾ [9] .

---

(١) انظر خلق أفعال العباد للبخاري ص ٩٦ ـ ١٠١ .

(٢) انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ٣٤٨/١ ـ ٣٤٩ .

(٣) انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ٣٥٩/١ ـ ٣٦٤ .

(٤) انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ٣٦٥/١ ـ ٣٦٨ .

(٥) سورة التحريم الآية ٣ .

(٦) سورة التوبة الآية ٩٤ .

(٧) سورة الشعراء الآية ١٠ .

(٨) سورة القصص الآية ٤٦ .

(٩) سورة النازعات الآيات ٦ ـ ٧ .

٦ ـ وقوله تعالى : ﴿وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكمـــا ان الشيطان لكما عدو مبين﴾ [١] .

٧ ـ قولـــه تعالى : ﴿ويوم يناديهم فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلـــوا السبيل﴾ [٢] .

٨ ـ قوله تعالى : ﴿ويوم يناديهم أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ [٣] .

هذه بعض الآيات في إثبات هذه الصفة ، وهي صفة كمال لائقة بالله كمـــا ينبغي له لا ينبغي تكليفها أو تشبيها أو إنكارها أو تأويلها بل تثبت لله كما يليق بـــه وقد فهمها العرب والصحابة ولم يتأولوا فيها شيء بل أثبتوها لله ولـــم يعـــترضوا عليها أو ينكروها ، ولنا فيهم قدوة حسنة .

وأمـــا الأحاديـــث فهي كثيرة ، ونختار مما ذكره البخاري ـ فـــي كتـــاب التوحيد ـ فقط للاختصار ، ولان ما سبق يغني عما يأتي .

ذكر البخاري في باب قول الله تعالى :﴿يريدون أن يبدلـــوا كـــلام الله﴾ [٤] ذكر تحتـــه ثمانية عشر حديثا كلها دالة على هذه الصفة ونختار حديثا واحدا مـــن هذا الباب هو حديث أبي هريـــرة : عن أبي هريرة عـــن النبيﷺ قـــال : ((بينمـــا أيوب يغتسل عريانا حر عليه رجل جراد من ذهب فجعل يحثي في ثوبه ، فنـــاداه ربـــه يا أيوب ألم أكن أغنيـــك عما ترى قـــال بلى يارب ، ولكني لا غنـــى بـــي عن بركتـــك)) [٥] .

قال ابن حجر ووقع في رواية أحمد وإبن حبان عن أبي هريرة ((لما عـــافى الله أيوب أمطر عليه جرادا من ذهب)) ، وقوله في الحديث (خر عليه) أي ســـقط عليـــه ، وقولـــه (رجل جراد) أي جماعـــة جراد ، والجـّراد إسم جمع واحـــدة جرادة) [٦] .

---

(١) سورة الأعراف الآية ٢٢ .

(٢) سورة القصص الآية ٦٢ .

(٣) سورة فصلت الآية ٤٧ .

(٤) سورة الفتح الآية ١٥ .

(٥) أخرجه البخاري ح (٢٧٩) (٣٣٩١) (٧٤٩٣) .

(٦) انظر فتح الباري ٦/٤٨٤ .

وتحت باب كلام الرب عزوجل يوم القيامة مع الانبياء وغيرهم ، ذكر كذلك ستة أحاديث ، منها حديث الشفاعة الطويل ، ومنها حديث عن ابن عمر : (أن رجلا سأل ابن عمر كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوي ؟ قال ((يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول : أعملت كذا وكذا ؟ فيقول : نعم ، ويقول عملت كذا وكذا ؟ فيقول : نعم ، فيقرره ثم يقول إني سترت عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم)) [1] .

وفي باب ما جاء في قوله تعالى ﴿وكلم الله موسى تكلما﴾ [2] ذكر ثلاث أحاديث تدل على هذه الصفة ، منها حديث قتادة ((عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ يجمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم فيقولون له أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك الملائكة ، وعلمك أسماء كل شيء ، فأشفع لنا إلى ربنا حتى يريحنا فيقول لهم لست هناكم ، فيذكر لهم خطيئته التي أصاب)) [3] والشاهد من هذا الحديث قوله (وعلمك اسماء كل شيء) .

وفي باب كلام الرب مع أهل الجنة ذكر حديثان أحدهما عن أبي سعيد الخدري (حدثنا يحيى بن سليمان حدثني ابن وهب قال حدثني مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : ((قال النبي ﷺ إن الله يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون لبيك ربنا وسعديك ، والخير في يديك ، فيقول هل رضيتم ؟ فيقولون وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : يارب وأي

---

(١) أخرجه البخاري ح (٧٥١٤) .

(٢) سورة النساء الآية ١٦٤ .

(٣) أخرجه البخاري ح (٧٥١٦) .

شـــيء أفضـــل مـــن ذلـــك ؟ فيقــول أحــل عليــكم رضواني فــــلا أســـــخط عليكــم بعــده أبــدا)) [1] [2] .

وبهذا القدر نكتفي في إثبات هذه الصفة كما أثبتها الله ورسوله وصحابتـــــه والسلف الصالح ، وأنها على المعنى اللائق بالله عزوجل من عير تكيف ولا تمثيل ولا تأويل ولا إنكار ،بل تثبت كما جاءت عن الله ﴿ومن أصدق من الله حديثا﴾[3] ، وبهذا القدر كفاية ، وأردنا ذكر أهم أدلة أهل السنة لهذه المسألة فأنهم إنما يسيرون على وحي القرآن وهديه ويعكس أهل الأهواء الذين ضلوا في هذه الحيـــاة الدنيـــا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا .

---

(١) أخرجه البخاري ح (٧٥١٨) ومسلم (٢٨٢٩) .

(٢) هذه الابواب التي ذكرها البخاري هي جميعا في كتاب التوحيد له ورقمه ٩٧ وهو اخر كتاب في الجامع الصحيح لـــه رحمه الله ورقم هذه الابواب بالتسلسل المذكور كما يل باب ٣٥ وبـــاب ٣٦ وبـــاب ٣٧ وباب ٣٨ والله أعلم .

(٢) سورة النساء الآية ٨٧ .

المطلب الثاني : رؤية الله عزوجل :

أهل الإسلام على ثبوت رؤية الله يوم القيامة إلا ما روي عن إجماع المعتزلة على نفيها بالأدلة واختلفوا في الرؤية بالقلوب ، فأثبتها أكثرهم ونفاها بعضهم [١] .

وأثبت أهل السنة والجماعة ذلك للمؤمنين في الآخرة ويكاد ينعقد الإجماع على جواز ذلك بين السلف وأهل الإسلام ، إلا ما خالف فيه الجهمية والمعتزلة فنفوا ذلك عنه [٢] .

قال الشوكاني (وقد ذهبت المعتزلة ومن تابعهم إلى إنكار الرؤية في الدنيا والآخرة) [٣] .

ونذكر هنا الكلام على هذه الصفة في الآخرة أما في الدنيا فإن هذه المسألة سوف تأتي عند الحديث عن رؤية النبي لله عزوجل ليلة الإسراء والمعراج .

ولا نريد الإطالة في مثل هذه المباحث بل الغرض الإشارة إلى رأي البخاري ، وما ذكره من أدلة في هذه المسألة وغيره من المسائل العقدية .

والبخاري رحمه الله لم يذكر شيئا **مستقلا** عن رؤية الله في الدار الآخرة في هذا الباب ، ولكن عند **ذكره** لحديث الإسراء والمعراج ، أتبعه بأحاديث نفي الرؤية عن النبي ﷺ لربه في هذه الحياة الدنيا التي نقلت عن عائشة وغيرها وميله إلى هذا المذهب ، إلا أنه في كتب أخرى من صحيحه روي أحاديث الرؤية لله في الدار الآخرة ، فرأينا علينا إلزاما ذكر هذا المذهب له استكمالا للفائدة وللمناسبة بين الرؤيتين في الدنيا والآخرة .

---

(١) مقالات الإسلامية ٢٧٨/١ .

(٢) انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص ٢٧٦ والرد على الجهمية للإمام أحمد ص ١٠٤ والفصل لابن حزم ٣٤/٢ .

(٣) فتح القدير للشوكاني ٨٧/١ .

وقد كان الإجماع من السلف والخلف على جواز الرؤية لله يوم القيامة .

ونقل هذا الإجماع الإمام النووي في شرح مسلم عن الحديث على باب (إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه وتعالى) ، قال النووي (أعلم أن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا وأجمعوا أيضا على وقوعها في الآخرة وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين، وزعمت طائفة من أهل البدع المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه وأن رؤيته مستحيلة عقلا ، وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح) .

وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين ، ورواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله ﷺ وآيات القرآن فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها أجوبة مشهورة في كتب المتكلمين من أهل السنة وكذلك باقي شبههم وهي مستقصاة في كتب الكلام ، وليس بنا ضرورة إلى ذكرها هنا .

وأما رؤية الله تعالى في الدنيا فقد قدمنا أنها ممكنة ولكن الجمهور من السلف والخلف من المتكلمين وغيرهم يرى أنها لا تقع في الدنيا) (١) .

وقد أشار إلى هذا الإجماع ابن خزيمة رحمه الله فقال (باب ذكر البيان أن الله عزوجل ـ ينظر إليه جميع المؤمنين يوم القيامة برهم وفاجرهم وان زعمت أنوف الجهمية المعطلة المذكرة لصفات خالقنا جل ذكره) (٢) ، ثم ساق الأحاديث الدالة على ذلك وذكر أكثر من أربعين حديثا في ذلك وأطال فيها مما يطول ذكره هنا (٣) .

---

(١) شرح مسلم للنووي ١٥/٣ .

(٢) كتاب التوحيد لابن خزيمة ٤٠٦/٢ .

(١) كتاب التوحيد لابن خزيمة ٤٠٦/٢ ــ ٤٧٦ .

وقال ابن القيم في حادي الأرواح (الباب الخامس والستون في رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى (واتفق على هذا الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام على تتابع القرون ، وأنكرها أهل البدع المارقون والجهمية المتهوكون) [1] .

ثم ساق الأدلة على هذا المذهب من القرآن والسنة وكلام السلف ، ثم قال (قال الطبري فتحصيل في الباب ممن روى عن رسول الله ﷺ من الصحابة حديث الرؤية ثلاثة وعشرون نفسا منهم على وأبو هريرة ...) [2] ، ثم قال (وأما أقوال التابعين وأئمة الحديث والفقه والتفسير والتصوف ، فأقوالهم في إثبات ذلك لا يحيط بها إلا الله عزوجل ، ثم ساق كثير من هذه الأقوال) [3] .

وقال ابن القيم في ختام هذا المبحث (قد دل القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث عصابة الإسلام ونزل الإيمان وخاصة رسول الله ﷺ على أن الله يرى يوم القيامة بالأبصار كما يرى القمر ليلة البدر صحوا وكما ترى الشمس في الظهيرة ، ومن أنكر ذلك فقد أبطل الشرع فان الذي قال هذه الأحاديث هو الذي جاء بالقرآن من عند الله وهو الذي بلغه فلا يجوز أن يجعل كلام الله عضين ويؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض) [4] .

كما نقل هذا الإجماع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى إذ يقول (أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن المؤمنين يرون الله بأبصارهم في الآخرة وأجمعوا على أنهم لا يرونه في الدنيا بأبصارهم ولم يتنازعوا إلا في النبيﷺ.

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ص ٣٢٦ .

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ص ٣٧٠ .

(٣) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ص ٣٧١ .

(٤) حادي الأرواح إلى بلاد الأرواح لابن القيم ص ٣٨٠ .

وثبت عنه في الصحيح أنه قال : (واعلموا أن أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت) [١] .

ومن قال من الناس : أن الأولياء أو غيرهم يرى الله بعينه في الدنيا فهو مبتدع ضال ، مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة لاسيما إذا ادعوا أنهم أفضل من الأنبياء فان هؤلاء يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا والله أعلم) [٢] .

وعقد الإمام البيهقي في الاعتقاد باب في إثبات رؤية الله عزوجل بالابصار في الآخرة ، وقد أطال في ذكر الآيات والأحاديث وأقوال السلف عليهم رحمة الله [٣] .

وذهب إلى هذا القول الإمام ابن حزم رحمه الله وساق الأدلة ، ثم قال بعد ذلك (الآيات والأحاديث الصحاح المأثورة في رؤية الله عزوجل يوم القيامة موجبة للقبول لتظاهرا وتباعد ديار الناقلين لها ، ورؤية الله عزوجل يوم القيامة كرامة للمؤمنين لا حرمنا ذلك الله من فضله ، ومحال أن تكون هذه الرؤية رؤية القلب لأن العارفين به تعالى يرونه في الدنيا بقلوبهم) [٤] .

وقال الإمام مالك عن سؤاله هل يرى الله يوم القيامة فقال نعم) [٥] وكذا روى عن الإمام أحمد رحمه الله [٦] .

وقال أبو بكر ابن الآجرى من علماء القرن الرابع (وبالنظر إلى وجه الله يوم القيامة يتلذذ المؤمنون فإن اعترض جاهل ممن لا علم معه أو بعض هؤلاء الجهمية الذين لم يوفقوا للرشاد ولعب بهم الشيطان وحرموا التوفيق ، فقال : وهل المؤمنون يرون الله عزوجل يوم القيامة .

---

(١) مجموع الفتاوى ٥١٢/٦ . وانظر شرح العقيدة الوسطية ص ١٥٥ ، ١٨١ ، ٢٠٠ .

(٢) الاعتقاد للبيهقي ص ٩٥ .

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣٦/٢ .

(٤) مجمل إعتقاد أئمة السلف للتركي ص ٤٣ .

(٥) مجمل إعتقاد أئمة السلف للتركي ص ٥٣ .

قيل له نعم والحمد لله على ذلك ، فإن قال الجهمي أنا لا أؤمن بهذا ، قيل له : كفرت بالله العظيم فإن قال وما الحجة ؟

قيل له : لأنك رددت القرآن والسنة وقول الصحابة رضي الله عنهم وقول علماء المسلمين وأتبعت غير سبيل المؤمنين وكنت ممن قال الله فيهم (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصليه جنهم وساءت مصيرا) [1] [2] .

ونقل الإجماع على جواز الرؤية للمؤمنين الشهرستاني حيث قال (أجمع أهل السنة على أن الله تعالى يكون مرئيا للمؤمنين في الآخرة ، وقالوا بجواز رؤيته في كل حال ولكل حي من طريق العقل ، وجوب رؤيته للمؤمنين خاصة في الآخرة من طريق الخبر ، وهذا خلاف قول من أحال رؤيته من القدرية والجهمية) [3] .

وقال شارح الطحاوية في عقيدة (والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا وقاله رسوله ﷺ) [4] .

ثم قال الشارح للطحاوية في نقل الإجماع : (والمخالف في الرؤية الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام المعرفون بالإمامة بالدين وأهل الحديث وسائر طوائف أهل الكلام المنسوب إلى أهل السنة والجماعة) [5] .

---

(١) سورة النساء آية ١١٥ .

(٢) كتاب الشريعة للآجرى ص ٢١٢ ــ ٢١٣ .

(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٥٩ .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٠٧ بتصرف .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٠٧ ــ ٢٠٨ .

وقد نقل هذا الإجماع كذلك الرازي فقال أطبق أهل السنة على أن الله تعالى يصح أن يرى وأنكرت الفلاسفة والمعتزلة والكرامية والجهمية ذلك) [١] .

هذه بعض الأقوال في هذا الشأن وهي تبين حصـــول الإجمـــاع بحصـــول الرؤية يوم القيامة ، وأما أهم الأدلة التي أستدل بها أهل السنة والجماعة على هـــذا القول فهي كما يلي باختصار شديد :

أولا الأدلة من القرآن :

الدليل الأول : قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) [٢] .

قال جمهور المفسرين المراد به ناظرة إلى ربها قال الطحاوي النظـــر إذا عدي بالى لم يحتمل إلا المعاينة والإبصار [٣] وكذلك قال ابن منظور أهل اللغـــة في لسان العرب [٤] .

وقد نقل ابن خزيمة هذا التقدير عن الحسن البصري قال (الناظرة الحســـنة وحق لها هذا الحسن وهي تنظر إلى ربها وقد حسنها الله بهذا النظر) [٥] .

قال ابن جرير الطبري : (روى عن ابن عمر عن الرسول ﷺ في قولـــه: وجوه يؤمئذ ناضرة قال من البهاء والحسن (إلى ربها ناظرة) قال فـــي وجـــه الله تعالى) [٦] .

وكذلك قال القرطبي هي النظر إلى وجه الله عزوجـــل وســـاق الأحـــاديث والآثار في ذلك [٧] .

---

(١) كتاب أصول الدين للرازي ص ٦٧ .

(٢) سورة القيامة ٢٢ ــ ٢٣ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوي ٢٠٩/١ .

(٤) لسان العرب ٢١٦/٥ .

(٥) كتاب التوحيد لابن حزين ٤٥٦/٢ .

(٦) تفسير الطبري ١٢٠/٢٩ .

(٧) الجامع لأحكام القرآن ١٠٧/١٩ .

وقال ابن كثير (إلى ربها ناظرة) تراه عيانا كما رواه البخاري وغيره ذلك) [١] .

وكذا قال الشوكاني في تعليقه في فتح القدير قال (ناظرة) قال جمهور أهل العلم ، المراد به ما تواترت به الأحاديث الصحيحة من أن العباد ينظرون ربهم يوم القيامة كما ينظرون القمر ليلة البدر) [٢] .

وهذا القول هو مذهب البخاري في هذه الاية فانه عندما ذكرها في كتاب التوحيد قال : (باب وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) ، ثم ساق الأحاديث الدالة على الرؤية ومنها حديث جرير بن عبدالله عن النبيﷺ قال ((كنا جلوسا عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال : إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تظامون في رؤيته ، فان أستطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فأفعلوا) [٣] .

كما ذهب إلى هذا المذهب كذلك الإمام ابن حجر في تعليقه على هذه الأحاديث قال : (قال ابن بطال ذهب أهل السنة والجماعة وجمهور الأمة إلى جواز رؤيته الله في الآخرة ومنعه الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة) [٤] .

الدليل الثاني : قوله تعالى : ﴿والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ [٥] .

قال الطبري (الحسنى) الجنة والزيادة النظر إلّى وجه الله سبحانه وتعالى) [٦] .

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٤٥٠ .

(٢) فتح القدير للشوكاني ٥/٢٤٣ .

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح ح ٧٤٣٤ .

(٤) فتح الباري ١٣/٤٣٥ .

(٥) سورة يونس ٢٥ ــ ٢٦ .

(٦) جامع البيان ٧/٧٤ .

وقد نقل ابن خزيمة في كتاب التوحيد أكثر من رواية عن حذيفة بن اليمان يقول فيها : (الزيادة النظر إلى وجه الله) [١] .

وقال القرطبي: الزيادة المقصود بها هنا هي النظر إلى وجه الله تعالى [٢] .

وقال ابن كثير : (روي تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم عن ابو بكر الصديق ، وحذيفة بن اليمان ، وعبدالله بن عباس ، وسعيد بن المسيب، وعبدالرحمن بن ابي ليلي ، وعبدالرحمن بن سباط ، ومجاهد ، وعكرمة ، وعامر بن سعيد ، وعطاء ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، ولسدي ، ومحمد بن أسحاق وغيرهم من السلف والخلف وقد وردت فيه أحاديث كثيرة عن النبي في ذلك) [٣].

وقد روى مسلم عن صهيب رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ (إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ، ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عزوجل ثم تلا هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) [٤] [٥] .

وقد نقل ابن حزيمة هذا التفسير عن كثير من الصحابة منهم أبو بكر أبو موسى الأشعري وغيرهم من التابعين ، وقد ضعف المحقق هذه النقل عن أبي بكر وابو موسى الأشعري رضي الله عنه [٦] .

قال الشوكاني : (وقد روي عن التابعين ومن بعدهم روايات في تفسير الزيادة، غالبها أنها النظر إلى وجه الله سبحانه ، وقد ثبت التفسير بذلك عن رسول الله ﷺ فلم يبق حينئذ لقائق مقال) [٧] .

---

(١) كتاب التوحيد لابن حزين ٤٥١/٢ ـ ٤٥٢ وصحح هذه الروايات المحقق .

(٢) الجامع لاحكام القرآن ٣٣٠/٨ .

(٣) تفسير ابن كثير ٣٩٦/٢ .

(٤) رواه مسلم ح ١٨١ (١٦٣/١) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٣٣٠/٨ .

(٦) انظر كتاب التوحيد لابن حزيمة ٤٥٤/٢ ـ ٤٥٦ .

(٧) فتح القدير ٤٤٢/٢ .

الدليل الثالث من القرآن : قوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) [١].

قال القرطبي : (قال أبو بكر بن المسعاني استدل مالك بن أنـــس ، وابـــن عيينة والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وجماعة من أئمتنا ، بـــهذه الآيـــة علـــى أن المؤمنين يرون الله تعالى في الجنة .

قال مالك بن أنس رحمه الله : لو لم ير المؤمنين ربهم له يعبر الله الكفـــار بالحجاب وقال : (كلا أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ، وعنه أيضا قـــال : لمـــا حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه .

وقال الإمام الشافعي : لما حجبهم في السخط كان هذا دليلا على أنهم يرون في الرضى .

قال الربيع : قلت للشافعي وتدين بهذا يا سيدي فقال والله لو لم يوقن محمـد بن أدريس أنه يرى ربه في الآخرة ما عبده في الدنيا) [٢] .

هـــذه بعض الأدلة ، والكلام عليها والتعليق البسيط من القرآن الكريم ، وقد تركنا غيره مما أســتدل بـــه أهل الســـنة خشية الاطالة ولحصول المقصود بمـــا ذكر إن شـــاء الله .

ثانيا : الأحاديث في ذلك :

وأما الأحاديث فسوف نقتصر في ذكرها على بعض ما جاء في الصحيحيـن عن النبي ﷺ غير ما ذكرنا فيما سبق وأدل هذه الأحايث على هذه المســـألة مـــا رواه ابو هريرة رضي الله عنه (أن الناس قالوا يارسول الله هل نرى ربنـــا يـــوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : «هل تضارون في القمر ليلـــة البـــدر ؟ قـــالوا لا يارسول الله ، قال : فهل تضارون في الشمس ليس دونـــها ســـحاب ، قـــالوا : لا يارسول الله قال: فإنكـــم ترونه كذلك ، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كـــان يعبد شيئا فليتبعـــــه ...» [٣] .

---

(١) سورة المطففين آية ١٥ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢٦١/١٩ بتصرف .

(٣) صحيح البخاري ح (٧٤٣٧) ومسلم (١٨٢) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : ((قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا ؟ قلنا : لا ، قال : فإنكم لا تضارون في رؤية إلا كما تضارون في رؤيتهما ...) الحديث [١] .

قال ابن حجر : (لا تضامون في رويته أي لا يجتمعون في رؤيته في جهة ولا ينظر بعضكم إلى بعض بل ترونه في جهاتكم كلها ولا تحتاج رؤيتكم إلى إجتماع وتعاون لظهور هذه الرؤية [٢] .

وعن عدي بن حاتم ، قال : ((قال رسول الله ﷺ ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه ، وبينه ترجمان ، ولا حجاب يحجبه)) [٣] . والمقصود عن الله عزوجل فان يراه ، ويزول الحجاب بينه ، وبين عبده .

وحديث عبدالله بن قيس ، عن أبيه عن النبي ﷺ قال : ((جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم ، وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن)) [٤] .

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ذكرت جزء قليل منها ، وهي أحاديث طويلة ذكرنا الشاهد فقط منها ، ودلالتها على ما ذهب إليه أهل السنة ، والجماعة ظاهرة ، فالصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه أخبر بأن المؤمنين سيرون ربهم تبارك وتعالى بأعين رؤوسهم في الدار الآخرة رؤية ظاهرة جلية لا مرية فيها ، ولا شك كما يرون الشمس ، والقمر إذا لم يحل دونهما حائل من غير أن يلحقهم ضيم ، أو مشقة في الحصول على هذه الرؤية ، ودلالة الأحاديث على هذا صريحة لا تحتمل التأويل ، وهي صحيحة لا تقبل الرد ، اتفق على صحتها

---

(١) صحيح البخاري ح ٧٤٣٧ ــ ٧٤٣٨ ، وانظر صحيح مسلم ١/١٦٣ ــ ١٨٣ .

(٢) فتح الباري ١٣/٤٣٦ .

(٣) صحيح الإمام البخاري ح ٧٤٤٣ .

(٤) صحيح البخاري ح ٧٤٤٤ واخرجه مسلم ح ١٨٠ .

جميع المحدثين ، ولم يتعرض لتأويلها أو ردهـــا إلا بعــض الفــرق كالمعتزلــة، والجهمية ومن تبعهم ممن حادوا عن الصواب ، والحق واضح لمن وفقه الله اليـــه ونهي الكلام على هذا المطلب وان كان بشيء من الاختصار ، مع العلم انه هنـــاك كتب مســتقلة في هذا الشـــأن لمـــا أراد التدقيــق فـــي هــذه المســـــألة مـــــن جميع الجوانب (١) .

وسوف يأتي زيادة إيضاح ، وتوسع لهذه المسألة بأذن الله عند التحقيق فـــي رؤية النبي لله عزوجل ليلة الإسراء ، والمعراج ولعلها تكمل ما نقص فـــــي هــذا المبحث من الأشياء التي تطرق إليها الإمام البخاري رحمه الله تعالى .

---

(١) هناك كتب الفت في رؤية الله والتحقيق فيها منها :

١ ـ كتاب رؤية الله تبارك وتعالى لابي محمد عبدالرحمن بن احمد المعروف بابن النحاس .

٢ ـ ورؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها للدكتور احمد بن ناصر آل حمد .

هــذا غيــر المباحث المتفرقة والموجودة في اكثر كتب أهل العلم والتي أثنا إلى شيء منها في شـــيئا هذا المبحث .

المطلب الثالث : حب الله عزوجل (وإثبات صفة المحبة لله عزوجل) :

وهذه الصفة من صفات الله الفعلية متفق فيها عند المسلمين وجميع المرسلين ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى ، لعباده المؤمنين ومحبتهم له ، وهذا أصل دين الخليل أمام الحنفاء عليه السلام .

وأول من أنكر هذه الصفة الجعد بن درهم فضحى به خالد بن عبدالله القسري يوم الأضحى بواسط ، فقال : أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فأني مضحي بالجعد بن درهم ، فإنه زعم ان الله له يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ! ثم نزل ، فذبحه) (١) .

وهذه الصفة لله عزوجل ذكرها البخاري رحمه الله في كتاب بدء الخلق في حديث واحد فقط ، وهو حديث أبوهريرة رضي الله عنه عن النبيﷺ قال : «إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلانا فاحببه ، فيحبه جبريل ، فينادي جبريل في أهل السماء ، إن الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ويوضع له القبول في الأرض» (٢) .

وهذا الحديث صريح الدلالة على هذه الصفة لله عزوجل وأثباتها على ما يفهمه أهل العربية ومن نزل القرآن بلغتهم يقول الشيخ عبدالله الغنيمان : (هذا الحديث من الدلائل على إثبات صفة المحبة لله عزوجل فهو يحب من يشاء من عباده من أهل الطاعة له ، والتقوى) (٣) .

وقد إنعقد الإجماع بين المسلمين على إثبات هذه الصفة لله عزوجل ، وقد نقل هذا الإجماع غير واحد من العلماء منهم الإمام النووي في تعليقه على هذا الحديث في صحيح مسلم ، وأن كان قد أول هذه الصفة على مذهب الأشاعرة (٤).

---

(١) مجموعة الفتاوى ٣٥٤/٢ ، وانظر جامع الرسائل ١٤/٢ .

(٢) اخرجه البخاري ح (٣٢٠٩) (٦٠٤٠) (٧٤٨٥) واخرجه مسلم (٢٦٣٧) .

(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لعبدالله الغنيمان ٢٢٧/٢ .

(٤) شرح مسلم للنووي ١٨٣/١٦ ــ ١٨٤ .

وقد نقل الإجماع على إثبات هذه الصفة لله عزوجل غير واحد من العلماء، منهم ابن تيمية كما مر معنا ، ونقل هذا الإجماع كذلك صاحب موارد الضمان في محبة الرحمن [1] .

ويقول ابن تيمية كذلك مثل هذا الكلام في إثبات هذه الصفة وعدم تكيفها وعدم جواز تفسيرها بالإرادة أو إيصال الخير أو غيرها ، بل هي صفة كمال لائقة بالله عزوجل [2] .

وهذه المحبة لا يمكن تفسيرها ، لأنه لا يعلم كنه صفات الله عزوجل إلا هو يقول ابن حجر: (وحقيقة المحبة عند أهل المعرفة من المعلومات التي لا تحد وإنما يعرفها من قامت به وجدانا لا يمكن التعبير عنه والحب على ثلاثة أقسام : إلهي وروحاني، وطبيعي ، وحديث الباب يشتمل على هذه الأقسام الثلاثة فحب الله للعبد حب إلهي وحب جبريل والملائكة حب روحاني وحب العباد له حب طبيعي [3] .

وأثبات هذه الصفة لله عزوجل مشهور عند علماء السنة وقد تكلم الناس في هذه المحبة وأثارها وفوائدها ، ومن ذلك ما ذكره الامام ابن رجب الحنبلي في كتابه جامع العلوم والحكم ، وقد أطال واستطرد في ذلك مما يتعذر نقله في مثل هذه المباحث [4] .

وشيخ الإسلام ابن تيمية كذلك في مجموع الفتاوى أطال في الكلام على هذه المعاني للمحبة وأثارها وفوائدها وإثبات حقائقها وفوائدها وذكر الأدلة عليها [5] وقد ذكر الإمام البيهقي كذلك هذه الصفة لله عزوجل وأطال في ذكر أدلتها والآثار المفسرة لها ، وذكر أنها من صفات الفعل لله عزوجل [6] .

---

(١) موارد الضمان في محبة الرحمن لسيد حسين العفاني ص ٣٦ .

(٢) جامع الرسائل ١٤/٢ ــ ١٥ .

(٣) فتح الباري (٤٧٨/١٠) ، وانظر عمدة القاري (١٣٢/١٥) .

(٤) انظر جامع العلوم والحكم من ص ٣٣٠ ــ ٣٦٠ .

(٥) انظر مجموعة الفتاوى ٤٠/١٠ ــ ٩٠ .

(٦) انظر كتاب الاسماء والصفات للبيهقي ص ٦٣٣ ــ ٦٣٧ .

وقد تكلم ابن القيم كذلك على هذه المنزلة في مدارج السالكين وأطال في إثباتها ، وذكر الأدلة ، والآثار الناتجة عن هذا الحب الالهي ، وفوائده ، وحقائقه، والآثار عن الصحابة ، والسلف على هذه المعاني [1] .

ويقول في شرح العقيدة الطحاوية : (ولكن محبة الله لخلقه صفة ثابتة لله كما يليق به تعالى كسائر صفاته وهي صفة كمال كما هي سائر صفاته) [2] .

كما يثبت أهل السنة لوازم هذه المحبة من اكرام الله لمن يحبه وأثابته له وتوفيقه للخير وأعانته عليه ، ونحو ذلك من اللوازم الحاصلة لاولياء الله ، وعبلده الصالحين [3] .

ونحن هنا سوف نذكر الأدلة على هذه الصفة لله عزوجل كما قرر ذلك علماء السلف ولا نطيل في ذلك لعدم اطالة البخاري في عرضها ، ولأن الخلاف فيها إنما هو خلاف أصولي ناتج عن نفي الصفات عموما عن الله عزوجل ، وهذه الصفة قد دل عليها القرآن الكريم ، والسنة ، والإجماع ، وقد سبق ذكر الإجماع، وأما الأدلة من الكتاب ، والسنة على ذلك فهي كما يلي :

أولا : الأدلة من القرآن :

١ ـ قول الله تعالى :﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ [4] .

٢ ـ وقوله تعالى : ﴿وأحسنوا ان الله يحب المحسنين﴾ [5]-.

٣ ـ وقوله تعالى : ﴿أن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [6] .

---

(١) انظر مدارج السالكين لابن القيم ٦/٣ ـ ٤١ .

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية ٣٩٦/٢ .

(٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية ٣٩٦/٢ ـ ٤٠١ .

(٤) سورة آل عمران الآية ٣١ .

(٥) سورة المائدة الآية ٨٧ .

(٦) سورة البقرة الآية ١٢٢ .

٤ ــ وقوله عزوجل : ﴿فإن الله يحب المتقين﴾ [١] .

٥ ــ وقوله عزوجل : ﴿والله يحب المحسنين﴾ [٢] .

٦ ــ وقوله عزوجل : ﴿والله يحب الصابرين﴾ [٣] .

٧ ــ وقوله عزوجل : ﴿إن الله يحب المتوكلين﴾ [٤] .

٨ ــ وقوله عزوجل : ﴿إن الله يحب المقسطين﴾ [٥] .

والآيات في هذا كثيرة ويصعب حصرها .

وهناك آيات مقابلة تنفي ثبوت هذه الصفة عن جنس من المتصفين بأوصاف تنافي أوامر الله وشرعه ودينه يقول الله تعالى :

١ ــ قوله تعالى ﴿إن الله لا يحب الخائنين﴾ [٦] .

٢ ــ وقوله تعالى ﴿إن الله لا يحب المستكبرين﴾ [٧] .

٣ ــ وقوله تعالى ﴿إن الله لا يحب المفسدين﴾ [٨] .

٤ ــ وقوله تعالى ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم﴾ [٩] .

والمقصود هنا أن الدلالة من هذا الكتاب العزيز واضحة في هذا الشأن، ولذلك لم يظهر إنكار هذه الصفة عند السلف ، الا ما أحدثه الجعد بن درهم ، كما نقل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وسبق الإشارة إليه ، وقد كان السلف عموما مثبتي ما أثبته الله عزوجل لنفسه ، وما أثبته له رسول الله ﷺ من غير خوض في تفصيل ذلك والبحث عن كنهته ، وكيفيته .

---

(١) سورة آل عمران الآية ٧٦ .

(٢) سورة المائدة الآية ٩٣ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٤٦ .

(٤) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

(٥) سورة المائدة الآية ٤٢ .

(٦) سورة الانفال الآية ٥٩ .

(٧) سورة النحل الآية ٢٣ .

(٨) سورة القصص الآية ٧٧ .

(٩) سورة النساء الآية ١٤٨ .

ثانيا : الأدلة من السنة :

وأما الأدلة من السنة على هذه الصفة غير ما ذكر في أول المبحث من حديث أبي هريرة ، فقد ورد عن النبي ﷺ ، والذي هو أعلم الخلق بالله عزوجل ، وما يجب من الإثبات له ، وما يجب ان ينزه عنه من الصفات ـ أحاديث تثبت هذه الصفة لله عزوجل وتصفه بها ، فقد روى البخاري رحمه الله حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : ((إن الله قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب . وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما أفترضته عليه . وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل **حتى أحبه** ، **فإذا أحببته** كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ولئن إستعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته)) [1] ، وهذا الحديث واضح الدلالة على ثبوت ذلك لله عزوجل وأتصافه به كما يخبر هو (عزوجل) عن نفسه بذلك ويثبت الكمال الحاصل بهذه الصفة .

الحديث الثاني حديث سهل بن سعد أنه سمع النبيﷺ يقول ((يوم خيبر لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ... إلى أن قال فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم)) [2] فأثبت الرسول هنا والذي هو أعلم الخلف بالله عزوجل وما يجب له من الكمال ـ هذه المحبة لعلي رضي الله عنه .

الحديث الثالث حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ((قال الله تعالى إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه ، واذا كره لقائي كرهت لقاءه)) [3] وهذا عام في جميع عباد الله فمن أحب لقاء الله أحب الله لقائه ومن كره ذلك كره الله لقائه ، والمقصود أثبات هذه الصفة لله عزوجل .

---

(١) أخرجه البخاري ح (٦٥٠٢) .

(٢) اخرجه البخاري ح (٢٩٤٢) ، ومسلم ح (٢٤٠٦) .

(٣) اخرجه البخاري ح (٧٥٠٤) .

والأحاديث في هذا كثيرة جدا وهي أنواع منها حـب الله لبعـض الأذكـار ومنها حبه عزوجل لبعض الأعمال ، ومنها حب الله لبعض الأماكن مثل المسـاجد ، ومنها حب الله لبعض الأزمنة وتفضيلها ، ومنها حب الله وبعض الأعمال ومنـها حبه لبعض الأشخاص كالذي كان يقرأ سورة الإخلاص ، وقول النبي له ((اخـبروه أن الله يحبه)) (١) .

والمقصود إثبات ذلك من القرآن والسنة ، وقد تركنا مـن الأدلـة الشـيء الكثير مما يطول ذكره وما ذكر يكفي ويغني عما ترك والله ولي التوفيق .

---

(١) اخرجه مسلم ح (٨١٣) .

المطلب الرابع : صفة العلو لله عزوجل :

اتفقت جميع الطوائف والفرق على إثبات علو القدر وعلو القهر لله عزوجل، وأنما حصل النزاع في تأثر المتكلمين بالفلسفة إثبات علو الذات وذلك لما دخل في هذه الصفات الكثيرة من انحراف علم الكلام والفلسفة وعلوم اليونان وقراءة التوراة والإنجيل وغير ذلك من الأسباب [1] .

وأهم الأقوال في هذه الصفة هي :

١ ــ قول الجهمية والمعتزلة والفلاسفة النفاة والقرامطة الباطنية ، وهو مذهب طوائف من متأخري الأشاعرة ، وهؤلاء ينكرون العلو مطلقا ويقولون : ليس فوق العالم شيء أصلا ولا فوق العرش شيء ، وهؤلاء يقولون أنه ليس داخل العالم ولا خارجا عنه ، ولا حالا فيه وليس في مكان من الأمكنة وبهذا ينفون عنه الوصفين المتقابلين.

٢ ــ قول حلولية الجهمية ويرون أنه بذاته في كل مكان كما يقول ذلك النجاربة وغيرهم من الجهمية ، وقد ذكر شيخ الإسلام أن القول الأول هو رأي متكلميهم ونظرهم من أهل البحث والقياس والثاني يقول من طوائف من عبادتهم ومتكلميهم وصوفيتهم وعامتهم .

٣ ــ قول من يقول : (هو فوق العرش ، وهو في كل مكان ويقول : أنا أقر بهذه النصوص وبهذه لا أصرف واحدا منها عن ظاهره ، وهذا قول طوائف ذكرهم الأشعري في المقالات الإسلامية وهو موجود في كلام طائفة من السالمية والصوفية).

---

(١) انظر شرح حديث النزول لابن تيمية ص ١٣١ ــ ١٣٢ ، ومختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ص ٣٥٥ ــ ٣٥٦ .

٤ ـ قول سلف الأمة ومذهب أهل السنة والجماعة وهو : أن الله فوق سماواته مستو على العرش بائن من خلقه وهم بائنون منه وهو مع عباده بعلمه ، ومع أوليائه وأنبيائه بالنصر والتأييد (١) .

وقد أشار البخاري إلى هذه الصفة ـ إشارة عابرة ـ ففي حديث الإسراء الطويل والذي فيه قوله ﷺ «ثم عرج بنا إلى السماء» (٢) ، والعروج إنما يكون إلى الأعلى كما سوف يظهر وكما هي لغة العرب .

والحديث الثاني الذي ذكره البخاري في أثبات هذه الصفة هو حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء فيه قوله ﷺ «لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش ....» (٣) .

قال ابن القيم (فتأمل قوله فهو عنده فوق العشر هل يصح حمل الفوقية على المجاز وفوقية الرتبة والفضلية بوجه من الوجوه) (٤) .

والحديث الثالث حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقول النبي ﷺ «الملائكة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وفي صلاة العصر ثم يعرج اليه الذين كانوا فيكم ...» الحديث (٥) والشاهد قوله ثم يعرج اليه الذين كانوا فيكم والعروج لا يكون إلا من أسفل إلى أعلى (٦) .

والبخاري هنا مثبت لهذه الصفة لله عزوجل ، ففي كتاب التوحيد ذكر أدلة كثيرة في إثبات هذه الصفة لله عزوجل ، وذكر هذه الأحاديث وفسرها بالصعود بأثار عن الصحابة والتابعين وأثبت أن الصعود لا يكون إلا من الأدنى إلى الأعلى

---

(١) انظر هذه الأقوال كتاب الأسماء والصفات لابن تيمية ٩٣/٢ ـ ٩٦ ، والفتاوى ١٢٢/٥ ـ ١٢٦ ، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ١٢٣١/٣ ـ ١٢٣٢ .

(٢) أخرجه البخاري ح(٣٢٠٧) في بدء الخلق و(٣٣٩٣) و(٣٤٣٠) و(٣٨٨٧) واخرجه مسلم (١٦٢) .

(٣) اخرجه البخاري في عدة كتب ح (٣١٩٤) و(٧٤٠٤) (٧٥٥٣) (٧٥٥٤) ومسلم ح (٢٧٥١) .

(٤) مختصر الصواعق المرسلة ص ٣٥٧ .

(٥) اخرجه البخاري ح (٣٢٢٣) (٧٤٢٩) .

(٦) انظر فتح الباري ٤٢٦/١٣ .

وأن الله عالي المكان فوق جميع المخلوقات والاحاديث التي ذكر مصرحة دالة على هذا الاعتقاد [1] .

يقول الشيخ محمد خليل هراس في تعليقه على كلام ابن تيمية في إثبات العلو والاحاديث التي ذكرها شيخ الاسلام [2] ومنها حديث مسلم والذي فيه قوله للجارية (اين الله) ؟! فقالت في السماء وقال (من أنا ؟!) قالت انت رسول الله فقال النبي ﷺ «أعتقها فانها مؤمنة» [3] .

قال في دلالة هذا الحديث على هذه الصفة وأهمية هذه الصفة بين صفات الكمال (وأما هذا الحديث فقد تضمن شهادة الرسول ﷺ بالايمان للجارية التي أعترفت بعلوه تعالى على خلقه ، فدل ذلك على أن وصف العلو من أعظم أوصاف الباري جل شأنه حيث خصه بالسؤال عنه دون بقية الأوصاف ، ودل أيضا على أن الإيمان بعلوه المطلق من كل وجه هو من أصول الايمان ، فمن أنكره فقد حرم الايمان الصحيح) [4] .

وقد ذكر العلماء الاجماع على أثبات هذه الصفة لله عزوجل وحكوا الأدلة الكثيرة عليها ، فمن ذلك ما حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : (قد وصف الله تعالى نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله بالعلو والاستواء على العرش ، والفوقية في كتابه بآيات كثيرة حتى قال بعض اكابر الشافعي في القرآن ألف دليل أو يزيد تدل على أن الله تعالى عالي على الخلق وانه فوق عباده . وقال غيره فيه ثلاثمائة دليل تدل على ذلك) [5] .

---

(١) انظر كتاب التوحيد باب مع الفتح ٤٢٦/١٣ .

(٢) شرح العقيدة الواسطية ص ١٧٤ ـ ١٧٥ .

(٣) اخرجه مسلم ح (٥٣٧) ومالك في الموطأ ١٤٠/٢ كتاب العتق والولاء .

(٤) شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس ص ١٧٧ .

(٥) كتاب الاسماء والصفات لابن تيمية ٩٣/٢ .

وقال في موضع آخر حين سؤاله عن تنازع رجلين في العلو وأثباته.

فأجاب بقوله (هذا معلوم بالاضطرار من دين الاسلام ولا يحتاج تقريرة هنا إلى زيادة تفصيل وهو مما جاء به الكتاب والسنة وحكى الاجماع عليه ..) [1] .

وحكى الامام ابن القيم كثير من هذا الاجماع عن السلف منها ما حكاه عن الشافعي بقوله : (السنة التي انا عليها ورأيت أهل الحديث عليها مثل سفيان ومالك، وغيرهما الاقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله إلى أن قال وأن الله فوق العرش في سمائه يقرب من خلقه كيف يشاء وينزل إلى السماء الدنيا كيف يشاء ...) [1] ، وقال في موضع آخر : (أجمع المسلمون من الصحابة والتابعين أن الله عالي فوق عرشه بائن من خلقه) [2] ، وأدلة هذا كثيرة ليس الكتاب والسنة فقط بل ذلك معلومة بأدلة كثيرة منها ما هو مستفاد عن الصحابة .

ويقول ابن تيمية في تأكيد هذا الاجماع : (القرآن والسنن المستفيضة المتواترة وغير المتواترة وكلام السابقين والتابعين وسائر القرون الثلاثة ، كلها تدل على أثبات العلو لله عزوجل وكتاب الله مملوء بأنواع الدلالات على اثبات ذلك وأما الاحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين ، فلا يحصاها إلا الله تعالى) [4].

ثم قال بعد هذا الكلام في الزام من نفى هذه الصفة بلازم لابد منه قال (فلا يخلو إما إن يكون ما أشتركت فيه هذه النصوص من إثبات علو الله نفسه على خلقه هو الحق أو نقيضه إذا لحق لا يخرج عن النقيضين ، إما أن يكون نفسه فوق الخلق أو لا يكون فوق الخلق كما تقول الجهمية ثم قال (فإما أن يكون الحق إثبات ذلك أو نفيه فإن كان نفي ذلك هو الحق ، فمعلوم أن القرآن لم يبين هذا قط لا نصا ولا ظاهرا ولا الرسول ولا أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أئمة المسلمين

---

(٢)مجموعة الرسائل والمسائل ١/١٩٥ ــ ١٩٩ .

(٢) انظر مختصر الصواعق ص ٣٦٠ .

(٣) مختصر الصواعق ص ٣٦١ .

(٤) كتاب الأسماء والصفات ٢/١٢٦ .

ولا أئمة المذاهب الأربعة ولا غيرهم، ولا يمكن أن ينقل عن واحد من هؤلاء أنه نفى ذلك أو اخبر به) [1] .

ثم قال (وأما ما نقل من الاثبات عن هؤلاء فأكثر من أن يحصى أو يحصر فان الحق هو الإثبات ــ دون النفي ــ والكتاب والسنة والاجماع ، إنما دل على الإثبات ولم يذكر النفي أصلا فيلزم أن يكون الرسول والمؤمنون لم ينطقوا بالحق في هذا الباب بل نطقوا بما يدل ــ إما نصا أو ظاهرا ــ على الضلال والخطأ المناقض للهدى والصواب .

ومعلوم أن من أعتقد هذا في الرسول والمؤمنين فله أوفر حظ من قوله تعالى ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾ [2] [3] .

وقد قال قبل هذا الكلام ما نصه : (ومن سمع أحاديث الرسول وكلام السلف وجد منه في أثبات الفوقية ولغلو لله مالا ينحصر) [4] .

ونقل الاجماع كذلك شارح الطحاوية حيث قال (وأثبات العلو من الأمور البديهيات الضرورية بلا ريب وأثبات صفة العلو والفوقية أثبات صفة كمال لا نقص فيه ولا يستلزم نقصا ولا يوجب محذورا ولا يخالف كتابا ولا سنة ولا إجماع) [5] ثم قال (فنفي حقيقته وعدم أثباته ــ يعني العلو ــ من الباطل والمحال الذي لا تأتي به شريعة أصلا فكيف إذا كان لا يمكن الإقرارّ بوجوده وتصديق رسله والايمان بكتابه وبما جاء به رسوله الا بذلك ! فكيف إذا انضم إلى

---

(١) كتاب الأسماء والصفات ١٢٧/٢ .

(٢) سورة النساء آية ١١٥ .

(٣) انظر الاسماء والصفات لابن تيمية ١٢٨/٢ بتصرف خفيف .

(٤) انظر الأسماء والصفات لابن تيمية ٢ /١٢٦ .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ٣٧٩/٢ ــ ٣٨٠ .

ذلك شهادة العقول السليمة والفطر المستقيمة والنصوص الواردة المتنوعة المحكمة على علو الله على خلقه وكونه فوق عباده التي تقرب من عشرين نوعا) [١] .

وقد عقد كثير من علماء السنة في كتب العقيدة كثير من الأبواب في أثبات هذه الصفة ، منها على سبيل المثال ما ذكره ابن خزيمة في كتاب التوحيد في الباب السابع والعشرين قال : (في ذكر استواء خالقنا العلي الأعلى الفعال لما يشاء على عرشه فكان فوقه وفوق كل شيء عاليا كما أخبر في كتابه) [٢] .

ثم ذكر الباب الثامن والعشرين وهو :(ذكر أن الله ـ عزوجل ـ في السماء) ثم ذكر تحته كثير من الآيات الدالة عليه وقريب من عشرين حديثا [٣] .

ثم عقد الباب التاسع والعشرين وهو : (ذكر الدليل على أن الاقرار بان الله في السماء من الايمان) ، ثم ذكر حديث الجارية وجوابها ان الله في السماء وتعليقات العلماء عليه ، ونقل اكثر من أحد عشر قولا عن كبار التابعين في أثبات ذلك [٤] .

ثم عقد الباب الثلاثون وفيه : (ذكر أخبار نزول الله عزوجل إلى السماء الدنيا كل ليلة ـ والاعراض عن كيفية النزول) [٥] ، وذكر كثير من الأحاديث والأثار التي بلغت قريب الخمسين نقلا [٦] .

وهذه النقول التي ذكرها والأدلة التي ساقها رحمه الله كلها دالة على أثبات هذه الصفة والجزم بأثباتها لله عزوجل وتوحيد الله بها باعتقادها والعمل بها .

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ٣٨٠/٢ .

(٢) كتاب التوحيد لابن خزيمة ٢٣١/١ .

(٣) انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ٢٥٤/١ ـ ٢٧٨ .

(٤) انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ٢٧٨/١ ـ ٢٨٨ .

(٥) انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ٢٨٩/١ .

(٦) انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ٢٨٩/١ ـ ٣٢٧ .

وقد عقد الامام ابو القاسم اللالكائي كذلك باب في كتابه شرح أصول أعتقاد أهل السنة والجماعة وقال فيه : (ذكر ما ورد في قوله تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [1] وان الله على عرشه في السماء ثم ساق كثير من الأدلة في أثبات هذه الصفة [2] .

وعقد الإمام البخاري كذلك في كتاب التوحيد أكثر من باب لأثبات هذه الصفة فقال رحمه الله تعالى في الباب الثاني والعشرين في قوله تعالى﴿وكان عرشه على الماء﴾ [3] ، وقوله تعالى ﴿ لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾ [4] .

ثم ذكر أثار عن التابعين في الكلام على معنى الاستواء وذكر أكثر من أحد عشر حديثا في أثبات الأستواء على العرش وأنه فوق كل شيء من مخلوقاته [5].

ثم ذكر الباب الثالث والعشرين في قوله تعالى﴿تعرج الملائكة والروح اليه﴾ [6] و﴿اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [7] ، ثم ذكر معنى العروج وذكر أحاديث وأثار يطول ذكرها هنا [8] .

وكذلك نقل هذا القول عبدالله بن الامام احمد بن حنبل في كتاب السنة له وذكر الأدلة عليه والاثار عن التابعين [9] .

وكذلك الإمام البيهقي في كتابه الاسماء والصفات عقد لاثبات هذه الصفة أربعة أبواب كل باب ذكر تحته جملة من الأحاديث ، فالباب الأول قال فيه باب (ما جاء في قوله تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾) [10] [11] .

---

(١) سورة طه الآية ٥ .

(٢) انظر المنتقى من شرح أصول السنن وأهل السنة والجماعة لمحمود الموافي ص ١٠٣ .

(٣) سورة هود الآية ٧ .

(٤) سورة المؤمنون الأية ١١٦ .

(٥) انظر فتح الباري ١٣/٤١٤ ـ ٤١٦ .

(٦) سورة المعارج الآية ٤ .

(٧) سورة فاطر الآية ١٠ .

(٨) انظر فتح الباري ١٣/٤١٦ ـ ٤٢٧ .

(٩) انظر كتاب السنة للامام عبدالله بن الإمام احمد بن حنبل ، تحقيق محمد القحطاني ١/٣٠٦ وما بعدها.

(١٠) سورة طه الآية ٥ .

(١١) انظر كتاب الأسماء والصفات للبيهقي من ص ٥١٣ ـ ٥٢٣ .

والباب الثاني باب قوله تعالى ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ (١) (٢) .

والباب الثالث باب قوله عزوجل ﴿أأمنتم ممن في السماء﴾ (٣) (٤) .

والبـــاب الرابـــع قـــول الله تعالى لعيســـى عليـــه الســـلام (انـــي متوافيك ورافعك إلي) (٥) (٦) .

ونحن هنا نشير إلى أهم الأدلة التي ذكرها هؤلاء العلماء لأثبات هذه الصفة لله عزوجل ونذكر أنواع هذه الأدلة ونختصر ذلك حتى لا نطيل هـــذه المبـــاحث ولأنه يكفي دليل واحد من القرآن أو السنة الصحيحة ، أو العقل الذي لا يخـــالف ابدا النقل ، أو الفطرة فكل دليل من هذه كافي في ثبوت هذا الأمر غير مـــا ســـبق من نقل الإجماع وهذه الأدلة كثيرة جدا كما سبق ونقلنا عن شيخ الإسلام انها اكـثر من الف دليل ، وهي أنواع وقد ذكر هذه الأنواع ابن القيم في قصيده (٧) وكذلـــك وشارح الطحاوية في شرحه (٨) .

ونحن هنا ســـوف نفرد بعض الأدلة الدالة على ذلك غير ما ســـبق ذكـــره وهـــي ما يلـــي :

أحدها : التصريح بالفوقية مقرونا بأداة (من) المعينة للفوقية بالذات وهـــي كثـــيرة جدا ومنها قوله تعالى (يخافون ربهم من فوقهم) (٩) .

---

(١) سورة الانعام الآيات ١٨ ، ٦١ .

(٢) انظر كتاب الأسماء والصفات للبيهقي من ص ٥٢٥ ــ ٥٣٠ .

(٣) سورة الملك الآية ١٦ .

(٤) انظر كتاب الأسماء والصفات للبيهقي من ص ٥٣١ ــ ٥٣٤ .

(٥) سورة آل عمران الآية ٥٥ .

(٦) انظر كتاب الأسماء والصفات للبيهقي من ص ٥٣٥ ــ ٥٤٠ .

(٧) انظر شرح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة ابن القيم ٣٩٦ ــ ٥٣٠ وقد اســـتعرض فيـــها هذه الأنواع ونقل الأدلة والاجماع والآثار وأطال في ذلك .

(٨) انظر شرح العقيدة الطحاوية ٢/٣٨٠ .

(٩) سورة النحل الآية ٥٠ .

الثـاني : ذكــر الفوقيــة مجردة عــن الأداة كقولــه تعــالى : ﴿وهـــو القـــاهر فوق عباده﴾ [1] .

الثـالث : التصريح بالعروج إليه نحو ﴿تعرج الملائكة والروح اليه﴾ [2] والآيـــات كثيرة في هذا المعنى يصعب حصرها ، ومن السنة حديث البخاري الـــذي ســبق ذكره قولـــه ﷺ ((فيعـــرج الذيــن باتوا فيكم فيسألهم الله عزوجل وهـــو أعلـــم بهـــم)) [3] .

الرابــع : التصريـــح بالصعــود إليـــه ، كقولـــه تعـــالى ﴿إليـــه يصعـــد الكلـــم الطيـــب﴾ [4] .

الخامس : التصريح برفعـــه بعض المخلوقات إليـــه ، كقوله تعالى (بل رفعـــه الله إليـــه) [5] وقوله ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ [6] .

السادس : التصريح بالعـــلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو ، ذاتا وقـــدرا وشرفا ، كقوله تعالى ﴿وهو العلي العظيم﴾ [7] ﴿وهو العلي الكبير﴾ [8] ﴿إنه علـــي حكيم﴾ [9] وهي آيات يطول حصرها والمقصود ذكر المثال فقط .

السابع : التصريح بتنزيل الكتاب منه ، كقوله تعالى (تنزيل الكتب من الله العزيـــز الحكيم) [10] ﴿تنزيـــل الكتـــب من الله العزيـــز العليـــم﴾ [11] تنزيل من الرحمن

---

(١) سورة الأنعام الآيات ١٨ و٦١ .

(٢) سورت المعارج الآية ٤ .

(٣) قطعة من حديث أخرجه البخاري ح (٥٥٥) (٣٢٢٣) (٧٤٢٩) (٧٤٨٦) ومسلم (٦٣٢) .

(٤) سورة فاطر الآية ١٠ .

(٥) سورة النساء الآية ١٥٨ .

(٦) سورة آل عمران الآية ٥٥ .

(٧) سورة البقرة الآية ٢٥٥ .

(٨) سورة سبأ الآية ٢٣ .

(٩) سورة الشورى آية ٥١ .

(١٠) سورة الزمر الآية ١ .

(١١) سورة غافر الآية ٢ .

الرحيم) [١] والآيات كثيرة في هذا الشأن ، ومعلوم أن النزول من العلو إلى السفول عند كل الناس .

الثامن : التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده ، وأن بعضها أقرب إليه من بعض ، كقوله ﴿إن الذين عند ربك﴾ [٢] ﴿وله من في السموات والأرض ومن عنده﴾ [٣] ففرق بين (من له) عموما وبين (من عنده) من ملائكته وعبيده خصوصا وقول النبي ﷺ في الكتاب الذي كتبه الرب تعالى على نفسه (أنه عنده فوق العرش فلو لم يكن لهذه العندية خصوصية وفضل لما خصها وافردها بالتفضيل والتشريف) [٤] .

التاسع : التصريح بأنه تعالى في السماء ، وهذا عند المفسرين من أهل السنة على أحد وجهين : إما أن تكون (في) بمعنى (على) ، وإما أن يراد بالسماء العلو ، لا يختلفون في ذلك ، ولا يجوز الحمل على غيره [٥] ، وقد قال تعالى مخبرا عن نفسه ﴿أأمنتم من في السماء﴾ [٦] ومعلوم أن السماء في العلو ، كما قال تعالى ﴿أو سلما في السماء﴾ [٧] ومعلوم ان السلم لا يستخدم إلا في الصعود إلى أعلى ، وقال تعالى ﴿كلما يصعد في السماء﴾ [٨] أي يصعد إلى السماء ، ودل عليه كذلك حديث الجارية الذي سبق الإشارة إليه قريبا .

---

(١) سورة فصلت الآية ٢ .
(٢) سورة الأعراف الآية ٢٠٦ .
(٣) سورة الأنبياء الآية ١٩ .
(٤) سبق تخريجه قريبا .
(٥) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٨٣ .
(٦) سورة الملك آية ١٦ .
(٧) سورة الانعام الآية ٣٥ .
(٨) سورة الانعام الآية ١٢٥ .

قال شيخ الأسلام ابن تيمية : من توهم ان كون الله في السماء ، بمعنى ان السماء تحيط به وتحويه كاذب ـ أن نقله عن غيره ، ضال إن أعتقده في ربه ـ وما سمعنا احدا يفهم هذا من اللفظ ، ولا رأينا أحدا نقله عن واحد ، ولو سئل سائر المسلمين ، هل يفهمون من قول الله ورسوله ؟ : (ان الله في السماء) أن السماء تحويه ؟ لبادر كل احد منهم إلى أن يقول : هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا. وإذا كان الامر هكذا ، فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئا وحالا لا يفهمه الناس منه ، ثم يريد أن يتأوله بل عند الناس (ان الله في السماء (وهو على العرش) واحد ، وذكر السماء انما يراد به العلو ، فالمعنى ان الله في العلو ، لا في السفل) [1] .

العاشر : التصريح بالاستواء مقرونا بأداة (على) مختصا بالعرش ، الذي هو أعلى المخلوقات ، مصاحبا في الأكثر لأداة (ثم) الدالة على الترتيب والمهلة ، وقوله تعالى (ثم استوى على العرش) [2] .

الحادي عشر : التصريح برفع الأيدي إلى الله تعالى كقوله ﷺ ((أن الله يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا)) [3] ولعل هذا يدخل تحت أدلة الفطرة التي هي في قلب كل واحد . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء ، لأن الله مستوى على العرش الذي هو فوق السماوات فلو أن الله فوق العرش وفي جهة العلو لم يرفعوا أيديهم إليه) [4].

---

(١) الفتاوى لابن تيمية ١٠٦/٥ .

(٢) سورة يونس الآية ٣ .

(٣) أخرجه من حديث سلمان ، الإمام أحمد ٤٣٨/٥ ، وأبو داود ح (١٤٨٨) ، والترمذي ح (٣٥٥١) ، وابن ماجه ح (٣٨٦٥) ، وصححه ابن حبان ح (٢٣٩٩) و (٢٤٠٠) ، والحاكم ٤٩٧/١ ، وحسنه الحافظ في الفتح ١٢١/١١ .

(٤) مجموعة الرسائل والمسائل ٢١٧/١ .

الحادي عشر : الإشارة حسا إلى العلو ، كما أشار إليه من هو أعلم به وبما يجب له ، ويمتنع عليه من جميع البشر ، لما كان بالمجمع الأعظم الذي لم يجتمع لأحد مثله ، في اليوم الأعظم ، في المكان الأعظم ، قال لهم : (أنتم مسؤولون عني ، فماذا أنتم قائلون ؟) قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فرفع أصبعه الكريمة إلى السماء ، رافعا لها إلى من هو فوقها وفوق كل شيء ، قائلا (اللهم أشهد) [1] .

الثاني عشر : شهادته ﷺ لمن قال : ((إن ربه في السماء بالإيمان في حديث الجارية)) [2] .

الثالث عشر : إخباره تعالى عن فرعون أنه رام الصعود إلى السماء ليطلع إلى إله موسى ، فيكذبه فيما أخبره من أنه سبحانه فوق السماوات ، فقال ﴿ياهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب ، أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا﴾ [3] فمن نفى العلو فهو موافق لفرعون في تكذيب المرسلين ومن أثبته فهو على سنن خاتم المرسلين فمن معنى العلو من الجهمية فهو فرعوني ، ومن أثبته فهو موسوي محمدي [4] .

الرابع عشر : إخباره ﷺ ((أنه تردد بين موسى عليه السلام وبين ربه ليلة المعراج بسبب تخفيف الصلاة ، فيصعد إلى ربه ، ثم يعود إلى موسى عدة مرات)) [5] .

هذه هي أهم الأدلة النقلية التي يقول شارح الطحاوية عنها (وهذه الأنواع من الأدلة لو بسطت أفرادها لبلغت نحو الف دليل فعلى المتأول في العلو أن يجيب عن ذلك كله !! وهيهات له بجواب صحيح عن بعض ذلك !) [6] .

---

(١) قطعة من حديث جابر المطول في حجة النبي صلى الله عليه وسلم ، أخرجه مسلم (١٢١٨) .

(٢) اخرجه مسلم ح (٥٣٧) .

(٣) سورة غافر الآيات ٣٦ ــ ٣٧ .

(٤) انظر شرح العقيدة الطحاوية ٢/٣٨٥ .

(٥) رواه البخاري (٣٢٠٧) في بدء الخلق و(٣٣٩٣) (٣٤٣٠) (٣٨٨٧) واخرجه مسلم (١٦٢) .

(٦) شرح العقيدة الطحاوية ٢/٣٨٦ .

أمـــا أهـــم الأدلـــة العقليـــة والنظريـــة في أثبات هذه الصفة لله عزوجـــل فهي كما يلي:

١ ــ العلم البديهي القاطع بأن كل موجودين ، إما أن يكون أحدهما ســــاريا فـــي الآخر ، قائما به كالصفات ، وإما أن يكون قائما بنفسه بائنـــا مـــن الآخـــر ، وإذا ثبت . أنه ليس بداخل في العالم بالأدلة التي لا تحصى ومن نفاها كفر ثبت مباينتـــه لخلقه ووجب اثبات صفة الكمال له وهو العلو .

٢ ــ يمكن أن يقال لما خلق الله العالم هل خلقه في ذاته أو خارجا عــــن ذاتـــه ، والأول باطل ، أما أولا : فبالاتفاق ، وأما ثانيا : فلأنـــه يلـــزم أن يكـــون محـــلا للخسائس والقاذورات ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وإذا ثبت مباينة الله لخلقـــه وجب ثبوت هذه المباينة وأثبات صفة العلو لانها هي الصفة اللائقة بالله تعالى .

٣ ــ أن يقال كونه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه يقتضي نفي وجوده بالكليـــة ، لأنه غير معقول ، فيكون موجودا إما داخله وإما خارجه ، والأول باطل ، فتعيـــن الثاني ، فلزمت المباينة ، وتعين العلو المطلق ، لأنه له صفات الكمال ولان العـــلم كروي الشكل والعلو المطلق فوق الكره) [١] .

٤ ــ ثبوت ذلك بالفطرة فإن الخلق جميعا بطباعهم وقلوبهم السليمة يرفعون أيديـــهم عند الدعاء ، ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله تعالى ، قال الإمام ابن حزيمة (باب ذكر البيان ان الله عزوجل في السماء) ، كما أخبرنا في محكــــم التنزيل وعلى لسان نبيه عليه السلام وكما هو مفهوم في قطر المسلمين ، علمائهم

---

(١) انظر هذه الأقوال في درء تعارض العقل والنقل ٣/٧ ــ ٥ ، وانظر الاسماء والصفـــات لابـــن تيميـــة ١٨١/٢ ــ ١٨٣ ، وشارح الطحاوية ٣٨٩/٢ ــ ٣٩٠ .

وجهالهم أحرارهم ومماليكهم ، ذكرانهم واناثهم بالغيهم وأطفالهم كل من دعاء الله ـ جل وعلا ـ فإنما يرفع رأسه إلى السماء ويمد يديه إلى الله إلى أعلى لا إلى أسفل) (١) ، وقد مر قبل قليل كلام ابن تيمية ، وقوله (وقد رأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء ، لان الله مستوى على العرش الذي هو فوق السموات فلو لم يكن الله فوق العرش وفي جهة العلو لم يرفعوا أيديهم إليه) (٢) .

ومن ذلك ما ذكره محمد بن طاهر المقدسي أن الشيخ أبا جعفر الهمداني حضر مجلس الأستاذ أبي المعالي الجويني المعروف بإمام الحرمين ، وهو يتكلم في نفي صفة العلو ، ويقول : كان الله ولا عرش وهو الآن على ما كان ! فقال الشيخ أبو جعفر : أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا ؟ فإنه ما قال عارف قط : يا الله ، إلا وجد في قلبه ضرورة تطلب العلو ، لا يتلفت يمنة ولا يسرة ، فكيف ندفع هذه الضرورة عن أنفسنا ؟ قال : فلطم أبو المعالي على رأسه ، ونزل ! وأظنه قال : وبكى ! وقال : حيرني الهمداني حيرني الهمداني ! وأراد الشيخ أبو جعفر : أن هذا أمر فطر الله عليه عباده من غير أن يتلقوه من المعلمين يجدون في قلوبهم طلبا ضروريا يتوجهون به يتوجه إلى الله ، ويطلبونه في العلو (٣) .

---

(١) كتاب التوحيد لابن حزين ١/٢٥٤ .

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل ١/٢١٧ .

(٣) انظر منهاج السنة النبوية ٢/٥١٧ ، والفتاوى ٤/٤٤ و٦١ ، وانظر شرح العقيدة الطحاوية ٢/٣٩٠ ـ ٣٩١ .

ومن عجيب ما جرى لشيخ الإسلام ابن تيمية نفسه مع هؤلاء النفاة ما حكاه بقوله (ولقد كان عندي من هؤلاء النافين لهذا من هو من مشايخهم ، وهو يطلب مني حاجة ، وأنا أخاطبه في هذا المذهب كأني غير منكر له ، وأخرت قضاء حاجته حتى ضاق صدره ، فرفع رأسه إلى السماء ، وقال : ياالله ، فقلت له : أنت محقق ، لمن ترفع طرفك ؟ وهل فوق عندك احد ؟ فقال : استغفر الله ، ورجع عن ذلك لما تبين له أن اعتقاده يخالف فطرته ، ثم بينت له فساد هذا القول ، فتاب من ذلك ، ورجع إلى قول المسلمين المستقر في فطرهم) [(١)] .

وبعد هذا العرض يتبين ثبوت هذه الصفة لله عزوجل ، بالكتاب والسنة والاجماع والعقل والفطرة وكلام السلف ، والخلف والأدلة اكثر من ان تحصى في أثبات هذه الصفة ، وما أحصي منها أكثر من الألف كما نقل عن غير واحد من العلماء ونحن ذكرنا أهمها تقريبا [(٢)] ، وما ذكر فيه كفاية ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) درء التعارض ٢٤٣/٦ ــ ٢٤٤ .

(٢) انظر تفصيل هذه الأدلة في الكتب التالية :

١ ــ درء تعارض العقل والنقل الجزء الثاني كله تقريبا والجزء السادس .

٢ ــ كتاب الاسماء والصفات لابن تيمية ٩٣/٢ ــ ١٨٠ .

٣ ــ مختصر الصواعق لابن القيم ٣٥٥ ــ ٣٩٢ .

٤ ــ قصيدة ابن القيم ٣٩٦ ــ ٥٢٧ .

٥ ــ شرح العقيد الطحاوية ٣٨٠/٢ ــ ٣٩٣ .

٦ ــ كتاب شرح حديث النزول لابن تيمية .

الفصل الثاني

القدر

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : كتابة مقادير الخلائق .

المبحث الثاني : ما كتبه الله على نفسه .

المبحث الثالث : قدرة الله وهل ينسب الشر إلى فعل الله عزوجل .

الفصل الثاني
القدر

التمهيد :

في بداية هذا المبحث ، لابد من التعرف على معنى القضاء والقدر في اللغة والإصطلاح ، حتى نتمكن من تصور أجزاء هذا المبحث كما ينبغي .

معنى القضاء لغة واصطلاحاً :

قال ابن فارس : القاف والصاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على إحكام أمر وإتقانه وانفاذه لجهته ، قال الله تعالى : ﴿فقضاهن سبع سماوات في يومين﴾ (١) أي أحكم خلقهن .

والقضاء : الحكم قال الله سبحانه وتعالى في ذكر من قال :﴿فاقض ما أنت قاض﴾ (٢) أي اصنع واحكم ، ولذلك سمى القاضي قاضياً ، لأنه يحكم الأحكام وينفذها ، وسميت المنية قضاء ، لأنه أمر ينقد في ابن آدم وغيره من الخلق (٣) .

وكل كلمة في الباب فإنها تجري على القياس الذي ذكره ابن فارس ، ويتبين من التعريف أن القضاء أتي بمعنى **إحكام الأمر** وإتقانه ، ويأتي بمعنى **الحكم** .

قال ابن الأثير (القضاء في اللغة على وجوه ، مرجعها إلى انقطاع الشي وكماله) (٤) .

---

(١) سورة فصلت الآية ١٢ .

(٢) سورة طه الآية ٧٢ .

(٣) انظر مقاييس اللغة ٥/٩٩ .

(٤) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤/٧٨ .

وقال ابن منظور : القضاء الحكم وأصله قضاي ، لأنه من قضيت إلا أن الياء لما جاءت بعد الألف همزت ، والجمع القضايا ، على فعالى وأصله فعائل [1] .

وقال في الصحاح : (ويأتي القضاء بمعنى الفراغ نقول : قضيت حاجتي وقضى عليه عهداً ، أوصاه وأنفذه ومعناه الوصية وبه يفسر قوله عزوجل : ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾ [2] أي عهدنا وهو بمعنى الأداء والإنهاء نقول قضيت ديني وهو أيضاً من قوله تعالى: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾ [3] ، وقوله ﴿وقضينا إليه ذلك الأمر﴾ [4] أي انهيناه إليه وأبلغناه ذلك وقضى أي حكم ، وقوله تعالى :﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾ [5] أي من قبل أن يبين لك بيانه [6] .

وفي تاج العروس : (قضى الشيء قضاءً : صنعه وقدره ومنه قوله تعالى : ﴿فقضاهن سبع سموات في يومين﴾ [7] أي فخلقهن وعملهن وصنعهن وقطعهن وأحكم خلقهن ، والقضاء بمعنى العمل ، ويكون بمعنى الصنع والتقدير ، وقوله تعالى : ﴿فاقض ما انت قاض﴾ [8] معناه فاعمل ما أنت عامل [9] .

---

(١) انظر لسان العرب مادة قضى ١٨٦/١٥ ، والصحاح مادة قضى ٢٤٦٣/٦ .
(٢) سورة الاسراء الآية ٤ .
(٣) سورة الاسراء الآية ٤ .
(٤) سورة الحجر الآية ٦٦ .
(٥) سورة طه الآية ١١ .
(٦) انظر الصحاح مادة قضى ٢٢٦٣/٦ .
(٧) سورة فصلت الآية ١٢ .
(٨) سورة طه الآية ٧٢ .
(٩) تاج العروس مادة قضى ٣٩٦/١٠ .

ويتبين من الأقوال السابقة أن القضاء يأتي بمعنى صنعه وقدره وعمله ويكون بمعنى الصنع والتقدير ، وقضى نحبه قضاء : مات ، ويأتي معنى الموت في قوله تعالى ﴿فوكزه موسى فقضى عليه﴾ [1] ومنه الإعلام ، ومنه قوله تعالى : ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾ [2] أي أعلمناهم إعلاماً قاطعاً ومنه القضاء للفصل في الحكم وهو قوله : ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم﴾ [3] وقضى العزيز دينه قضاءً : أداه إليه واستقصاه منه [4] .

معنى القدر لغة :

قال ابن فارس : قدر ـ القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته ، فالقدر : مبلغ كل شيء ، يقال : قدره كذا ، أي مبلغه ، وكذلك القدر ، وقدرت الشيء أي أقدره من التقدير ، وقدرته أقدره ، والقَدَرَ : قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها [5] .

وقوله تعالى : ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ [6] قال المفسرون : ما عظموا الله حق عظمته ، أي أنهم لم يصفوه بصفته التي تنبغي له تعالى ويأتي بمعنى التقدير ، وقوله تعالى :﴿ومن قدر عليه رزقه﴾ [7] فمعناه قدر، وقياسه أنه أعطى ذلك بقدر يسير ، وقدرة الله تعالى على خليقته : إتياؤهم بالمبلغ الذي يشاؤه

---

(١) سورة القصص الآية ١٥ .

(٢) سورة الاسراء الآية ٤ .

(٣) سورة الشورى الآية ١٤ .

(٤) انظر مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص ٦٩٣ .

(٥) مقاييس اللغة لابن فارس ٦٢/٥ ، وانظر لسان العرب مادة قدر ٧٤/٥ .

(٦) سورة الانعام الآية ٩١ .

(٧) سورة الطلاق الآية ٧ .

ويريده والقياس فيه وفي الذي قبله سواء ، ويقولون : رجل ذو قدرة ، وذو مقـــدرة أي يسار [1] .

ويتبين من كلامـه أن القـدر أتى بمعنـى مبلـغ الشيء وتقديـره ويـأتي بمعنى التعظيـم .

وقال في تاج العروس : القدر : القضاء والحكم ، وهو ما يقدره الله عزوجـل من القضاء ويحكم به الأمور ، وبالقدر بمعنى الحكم فسر قوله تعالى :﴿إنا أنزلنـاه في ليلة القدر﴾ [2] أي الحكم كما قال تعالى : ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ [3] وقـال القدر الشدة والعظمة والتزين وتحسين الصورة وبه فسر قوله تعالى :﴿فقدرنا فنعـم القادرون﴾ [4] [5] .

وقد أطال في ذكر معانيها اللغوية فاكتفيت هنا بذكر المعاني القريبة إلى أصل الكلمة (القدر) .

قال ابن منظور : [6] (قال الليث : الـقدر القضـاء الموفق ، يقـال : قـدر الإلـه كـذا تقديرا ، وإذا وافق الشيء الشيء قلت : جاءه قدره ، وقال ابن سـيده : القـدر والقدر القضاء والحكم ، وهو ما يقدره الله عزوجل من القضاء ويحكم به من الأمور ، قال الله عزوجل : ﴿إنا أنزلنا في ليلة القـدر﴾ [7] أي الحكـم ، والقـدر : كالقدر ، وجمعهما جميعا أقدار وقال اللحياني : القدر الاسم والقدر المصدر ، وأنشد:

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٦٣/٥ .

(٢) سورة القدر الآية ١ .

(٣) سورة الدخان الآية ٤ .

(٤) سورة المرسلات الآية ٢٣ .

(٥) انظر تاج مادة قدر ٤٨١/٣ .

(٦) انظر ابن منظور مادة قدر .

(٧) سورة القدر الآية ١ .

كـــل شـــي حتى أخيك متاع وبقـــدر تفـــرق واجتمـــاع

والقدر والقدرة والمقدار القوة وقدر عليه يقدر ويقدر وقدر ، بالكســـر قـــدرة وقدارة وقدوراً وقداراً (هذه عن اللحياني) (١) .

وفي الصحاح (قدرانا ، واقتدار وهو قادر وقدير أقدره الله عليه ، والأسم مـن كل ذلـــك المقـــدرة والمقدرة والمقـــدرة ، ويقال : مالي عليـــك مقـــدرة ومقـــدرة ومقدرة أي قـــدرة) (٢) .

ثم قال (ويأتي التقدير على وجوه من المعاني ، أحدها التروية والتفكير فـــي تسوية أمر وتهيئة والثاني تقديره بعلامات يقطعه عليها ، والثالث أن ينـــوي أمـــراً بعقدك تقول : قدرت أمر كذا وكذا ، أي نويته وعقدت عليه ، ويقال : قدرت لأمـــر كذا أقدر له وأقدر قدراً إذا نظرت فيه ودبرته وقايسته (٣) .

تعريف القضاء والقدر أصطلاحاً :

أما **تعريف القضاء اصطلاحاً** : فنكتفي فيه برأي الجرجاني الذي بين فيـــه أن القضاء : (عبارة عن الحكم الكلي الإلهي في أعيان الموجودات على ما هي عليـــه من الأحوال الجارية في الأزل إلى الأبد وفي اصطلاح الفقهاء ، القضـــاء : تســـليم مثل الواجب بالسبب ، والقضاء على الغير : إلزام أمر لم يكن لازماً قبله ، والقضاء في الخصومة : هو إظهار ما هو ثابت ، والقضاء يشبه الأداء هو الذي لا يكـون إلا بمثل معقول بحكم الاستقراء كقضاء الصوم والصلاة لأن كلّ واحد منهما مثل الآخر صورة ومعنى) (٤) .

---

(١) لسان العرب ٥/٧٦ .

(٢) الصحاح ٢/٧٨٦ .

(٣) تاجر العروس ٣/١٨٣ ـ ٤٨٤ .

(٤) انظر التعريفات للجرجاني ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

أما **تعريف القدر اصطلاحاً** : فيقول الجرجاني : (القدر تعلق الارادة الذاتية بالأشياء في أوقاتها الخاصة ، فتعليق كل حال من أحوال الأعيان بزمان معين وسبب معين عبارة عن القدر وخروج الممكنات من العدم إلى الوجود واحداً بعد واحد ، مطابقاً للقضاء) [١] .

وقال ابن تيمية : ويطلق على ما يحكم به الله من القضاء على عباده وعلى تعلق الإرادة بالأشياء في أوقاتها [٢] .

وهذا على التفريق بين القضاء والقدر ، أما من لا يرى التفريق فإنه يعرفه تعريف واحد دون تفريق وهذا هو ظاهر النصوص الشرعية والحديثين كما في حديث جبريل المشهور وتؤمن بالقدر خيره وشره) .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في تعريف القضاء والقدر : (هو تقدير الله للأشياء في القدم وعلق سبحانه بوقوعها في أوقات معلومة عنده وعلى صفات مخصوصة وكتابه سبحانه لذلك ومشيئته له ، ووقوعها على حسب ما قدرها وخلقه لها) [٣] .

ويعرف الإمام السفاريني وهو ممن يرى هذا الرأي بقوله : (هو ما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن إلى الابد ، وأنه عزوجل قدر مقادير الخلائق ، وما يكون في الأشياء قبل أن تكون في الأزل وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها) [٤] .

ونلاحظ من خلال هذين التعريفين السابقين اشتمالهم على الإيمان بمراتب الإيمان الأربعة بالقضاء والقدر ، وهي مرتبة العلم والكتابة ومرتبة الإرادة والمشيئة ومرتبة الخلق ، ولعل هذين التعريفين هما الشاملان لجميع جزئيات ومراتب الايمان بالقضاء والقدر .

---

(١) التعريفات للجرجاني ص ٢٢٠ .

(٢) القضاء والقدر لابن تيمية ص ٩ .

(٣) القضاء والقدر لابن تيمية ص ٩ .

(٤) لوامع الانوار البهية ص ٣٤٨ ، وانظر كذلك التحفة السنية في تهذيب شرح العقيدة الطحاوية لمروان القيسي ص ١٢١ .

المبحث الأول
كتابة مقادير الخلائق

من خلال التعريف السابق للقضاء والقدر أتضح أن الإيمان بالقضاء والقدر لا يمكن ألا بالإيمان بالمراتب الأربع له وهي :

الأولى : الأيمان بالعلم السابق لله عزوجل ، وأنه علم كل ما هو حاصل قبل أن يقدره ويكتب ذلك [١] .

الثانية : العلم ان الله كتب ذلك عنده في اللوح المحفوظ ، فكل ما جرى ويجري فهو عند الله عزوجل مكتوب [٢] .

هاتين المرتبتين جعلهما ابن تيمية درجة واحدة ، ولكنه قسمهما إلى هذا التقسيم الذي ذكره ابن القيم [٣] .

الثالثة : مرتبة الإرادة والمشيئة وأن كل ما يحصل ، فإنه بإرادة الله ومشيئته [٤] .

الرابعة : مرتبة الخلق وهو الإيمان بأن الله خالق كل شيء ، ومن ذلك أفعال العباد فلا يقع في هذا الكون شيء إلا والله هو الذي يخلقه [٥] .

وهذا التقسيم لم يكن موجوداً من قبل وإنما أحدث حتى يمكن فهمه وتيسيره على طلاب العلم ، قال الهراس : (هذا التقسيم بهذه الصورة وجعل القدر أربع مراتب لم يكن معروفاً من قبل ، وقد يكون أول من فصله هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ليكن من قرار كلام السلف على أنهم يعنون الإيمان بالقدر الإيماني بهذه المراتب ، فلا حرج من التقسيم والتوضيح) [٦] .

---

(١) انظر شفاء العليل لابن القيم ص ٧١ ،

(٢) نفس المرجع ص ٩٠ ـ ٩١ .

(٣) انظر شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ .

(٤) انظر شفاء العليل لابن القيم ص ٩٧ .

(٥) نفس المرجع ص ١٤٤ .

(٦) انظر شرح العقيدة الواسطية ص ٢٢١ .

ونحن سوف نتكلم على المرتبة الثانية من هذه المراتب لان البخاري لم يذكر غيرها في هذا الكتاب ، مع العلم أن الكلام عليها يشمل الكلام على غيرها ضمناً ولم يكن العلماء يعرفون هذا التفريق المعروف اليوم ، بل إن حديثهم عن مرتبة من المراتب يشمل المراتب كلها .

وقد ذكر البخاري في هذا الشأن حديثين سوف تأتي ضمناً عند مناقشة هذا المبحث من هذا الفصل ، وكلاهما يدل على مرتبة الكتابة ، وقد دل القرآن والسنة المطهرة على أن الله عزوجل قد كتب مقادير الخلائق ، وأنه عزوجل امر القلم بكتابة كل شيء مما هو حاصل إلى يوم القيامة .

فقد ذكر البخاري حديث عمران بن الحصين الطويل في وسؤال وفد تميم عن أول هذا الأمر وفيه (... ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شيء) [1] ، قال الحافظ في الفتح : (أي في محل الذكر وهو اللوح المحفوظ وقوله كل شيء مما هو كائن إلى يوم القيامة) [2] ، وقال الإمام العيني : (أي قدر كل الكائنات وأثبتها في الذكر أي اللوح المحفوظ) [3] ، وهذا الحديث صريح الدلالة في كون الله قد كتب في اللوح المحفوظ كل شيء .

وأيد هذا المذهب علماء أهل السنة والجماعة .

قال الإمام أبو حنيفة : (ولا يكون في الدنيا ولا في الآخرة شيء إلا قد كتبه الله في اللوح المحفوظ) [4] .

قال الإمام البيهقي : (باب القول في الإيمان بالقدم ؟ قال الله عزوجل﴿وكل شيء احصيناه في إمام مبين﴾ [5] ، وقال تعالى :﴿ما أصاب من مصيبة

---

(١) اخرجه البخاري ح (٣١٩٠) (٣١٩١) ، في كتاب بدء الخلق وح (٧٤١٨) (٤٣٦٥) (٤٣٨٦) .

(٢) فتح الباري ٣٣٤/٦ .

(٣)عمدة القاري ١٠٩/١٥ .

(٤) شرح الفقه الأكبر لابي حنيفة تأليف الانصاري ص ١٢٣ .

(٥) سورة يس الآية ١٢ .

فــي الأرض ولا في أنفسـكم إلا في كتــاب من قبــل أن نبرأهــا أن ذلــك علــى الله يسير﴾ [١] ، ثم ذكر أحاديث كثيرة وأدلة على هذه الكتابة وأمر الله عزوجل القلم بكتابة كل شيء [٢] .

وقال الامام الطبري في تعليقه على الآية السابقة : (هذا دليــل علــى كتابــة مقادير الخلائق في كتاب عند الله وهو اللوح المحفوظ) [٣] ، وكذلك قال قريب مــن هذا القول القرطبي رحمه الله تعالى [٤] .

وقال الطحاوي رحمه الله : (ونؤمن باللوح والقلم وبجميع ما فيه قد رقــم) [٥] ثم قال (وأنه جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة) [٦] .

ولعل مما يؤيد ما قاله الطحاوي حديث مسلم الذي رواه عن جابر بن عبــدالله قال ((جاء سراقه بن مالك بن جشعم ، فقال يارسول الله بيّن لنا ديننا كأنّا خُلقنــا الآن ففيم العمل اليوم ؟ أفيما جفّت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما يتقبل ؟ قــال : (لا بل فيما جفت به الأقلام وجرحت به المقادير) ، قال فيما العمل ؟ قال زهير ثم تكلــم أبو الزبير بشيء لم أفهمه ، فسألت ما قال ؟ فقال (أعملوا فكلّ ميسر))) [٧] .

وهــذا اللوح الذي كتــب فيــه مقادير الخلائــــق هــو المقصــود بقولــه تعالى:﴿قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى﴾ [٨] وكذلـــك قولــه تعالى: ﴿وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين﴾ [٩] .

---

(١) سورة الحديد آية ٢٢ .

(٢) الاعتقاد للبيهقي ص ١٠٥ .

(٣) تفسير الطبري ٩٩/٢٢ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/١٥ ــ ١٢ .

(٥) شرح العقيدة لطحاوية ٣٤٤/٢ .

(٦) شرح العقيدة الطحاوية ٣٤٦/٢ .

(٧) رواه مسلم ح (٢٦٤٨) .

(٨) سورة طه آية ٥٢ .

(٩) سورة النحل آية ٧٥ .

قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي : (ما من خفية أو سر من أسـرار العالم العلوي والسفلي إلا في كتاب مبين قد أحاط ذلك الكتاب بجميع ما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة فما من حادث جلي أو خفي ، إلا وهو مطابق لما كتب في اللوح المحفوظ) [١] .

وقال ابن القيم : (كلها قد كتبت وأحصيت قبل أن توجد في الكتاب الأول وهو اللوح المحفوظ) [٢] .

ويؤيد الحديث السابق حديث رواه البخاري في صحيحة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ((قلت يارسول الله إني رجل شاب ، وإني أخاف على نفسي العنت ولا أجد ما أتزوج به النساء فسكت عني ..)) وفيه ((يا أبا هريرة جف القلم بما أنت لاق فاختص على ذلك أو ذر)) [٣] ورجح الحافظ مرتبة التحديث والجزم به والاختصاء هو الشق على الأثنين وانتزاعهما [٤] .

قال الحافظ : (وجف القلم) أي نفذ المقدور بما كتب في اللوح المحفوظ فيبقى العلم الذي كتب به جافاً لا مداد فيه لفراغ ما كتب ، قال القاضي عياض كتاب الله الواحد وقلمه من علم الغيب علم الذي تؤمن به وبكل كتبه وحقيقته إلى الله) [٥] وهذا اللوح المحفوظ هو كتاب الله فيه كل شيء بعلمه .

قال شارح الطحاوية : (اللوح المذكور في الأحاديث هو الذي كتب الله فيه مقادير الخلائق والقلم المذكور هو الذي خلقه الله وكتب به في اللوح المذكور

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن سعدي ٥٩٨/٥ .

(٢) شفاء العليل لابن القيم ص ٩٣ .

(٣) اخرجه البخاري ح (٥٠٧٦) .

(٤) فتح الباري ٢٢/٩ .

(٥) انظر فتح الباري ٢٢/٩ ـ ٢٣ .

المقادير كما في سنن أبي داود عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : (سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((أول ما خلق الله تعالى القلم فقال له اكتب قال يارب وما أكتب ؟ قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة)) [1]) [2] .

قال الإمام أبو حنيفة : ((ولكن كتبه بالوصف لا بالحكم)) : يعني كتب في اللوح المحفوظ كل شيء بأوصافه من الحسن والقبح والطول والعرض والصغر والكبر والقلة والكثرة والخفة والثقل والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والطاعة والمعصية والإرادة والقدرة والكسب وغير ذلك من الأوصاف والأحوال والأخلاق ولم يكتب فيه شيء بمجرد الحكم بوقوعه بلا وصف ولا سبب ، مثلا لم يكتب فيه ليكن زيد مؤمناً وليكن عمرو كافراً ، ولو كتب كذلك لكان زيد مجبوراً على الإيمان وعمرو مجبوراً على الكفر لأن ما حكم الله تعالى بوقوعه فهو يقع البتة والله تعالى يحكم لا معقب لحكمه ، ولكن كتب فيه أن زيداً يكون مؤمناً باختياره وقدرته ويريد الإيمان ، ولا يريد الكفر وكتب فيه : إن عمراً يكون كافرا باختياره وقدرته ، ويريد الكفر ولا يريد الإيمان ، فالمراد من قول الإمام الأعظم ولكن كتبه بالوصف لا بالحكم هو : نفي الجبر في أفعال العباد وإبطال مذهب الجبرية (والقضاء والقدر والمشيئة صفاته في الأزل بلا كيف) أي بلا بيان كيفية يعني أن أصل هذه الصفات ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ، إلا أنها من المتشابهاتِ وما يعلم تأويلها إلا الله فأوصافها مجهولة لا طريق للعقل أن يدركها بالاجتهاد وكذلك كل صفة لله تعالى إذ لا يشبه صفاته صفات الخلق) [3] .

---

(١) اخرجه ابو داود (٤٧٠٠) ، والترمذي (٣٣١٩) ، والإمام احمد ٥/٣١٧) ، وهو حديث صحيح وله شواهد كثيرة كما قال شعيب الأرنؤوط ، انظر حاشية شرح العقيدة الطحاوية ٢/٣٤٤ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ٢/٣٤٤ .

(٣) شرح الفقه الأكبر من ص ٢٣ ـ ٢٥

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (فجميع الأسباب قد تقدم علم الله بها وكتابته لـــها وتقديره إياهـــا وقضـــاؤه بهـــا فكل ذلك مكتوب ومقدر معلوم مقتضي به مكتـــوب قبـــل وقوعـــه) [١] .

ونلاحظ أنه لا يمكن أن تؤمن بهذه المرتبة إلا بالإيمان ، بأن الله علـــم ذلـــك وإلا كيف قدره ؟! ونعلم كذلك أن الله شاء ذلك وقدره وخلقه للارتبـــاط بيـــن هـــذه الأشياء وهذه المراتب جميعاً .

يقول الشيخ محمد خليل هراس : (نعلم أن الله كتب كل شـــيء فـــي اللـــوح المحفوظ ، فما علم الله كونه ووقوعه من مقادير الخلائق وأصنـــاف الموجـــودات ، وما يتبـــع ذلـــك مـــن الأحوال والأوصاف والأفعال ودقيق الأمور وجعلها قد أمـــر القلم بكتابته) [٢] ، ثم قال : (وإذا كان القلم قد جرى بكل ما هو كائن إلى يوم القيامة بكل ما يقع من كائنات وأحداث فهو مطابق لما كتب فيه فما أصاب الإنسان لم يكـــن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه) [٣] ، ثم قال:(ومنكر هذه الدرجة من القدر كـــافر لأنه قد أنكر معلوماً من الدين بالضرورة ، وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع) [٤] .

هذه الكتابة أنواع منها ما هو قبل الخلق ، وهي ما كانت في اللوح المحفـــوظ كما في حديث مسلم عن عبدالله بن عمر بن العاص رضي الله عنه قـــال (ســـمعت رسول الله ﷺ يقول : (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلّـــق الســـموات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال وكان عرشه على الماء) [٥] .

---

(١) الفتاوى ٢٧٧/٨ .

(٢) شرح العقيدة الوسطية ص ٢٢١ .

(٣) انظر شرح العقيدة الوسطية ص ٢٢١ ــ ٢٢٣ .

(٤) شرح العقيدة الوسطية ص ٢٢٤ .

(٥) سبق تخريجه .

قال النووي (قال العلماء والمراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ فانها كانت قبل خلق السموات والأرض بخمسين الف سنة ، لا أصل التقدير فانه ازلي لا أول له) [1] ، لانه تابع لعلم الله وعلم الله أزلي لم يسبق بجهل تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

ومن أنواع هذه الكتابة ما يكون عند نفخ الروح في الإنسان عند خلقه ، وقد سبق الكلام عليها عند الحديث على خلق الإنسان ، وسوف يأتي الكلام عليها أيضا عند الحديث عن أعمال الملائكة بإذن الله عزوجل ، وهي أن الملك يكتب رزق الإنسان وعمله وأجله وشقي أو سعيد وهذه الكتابة ينقلها الملك من أم الكتاب كما هي بعض روايات الحديث ، قال العيني : وكل هذه الكتابة (بما سبقت كلمته ومضت حكمته وما كتبه قبل ذلك) [2] .

وهذا الحديث هو حديث عبدالله بن مسعود الذي قال فيه حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : ((إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفه ، ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا بأربع كلمات : يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح ، فوالله الذي لا إله غيره أن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وأن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)) [3].

---

(١) شرح مسلم للنووي ٢٠٣/١٦ .

(٢) عمدة القاري ١٣١/١٥ .

(٣) اخرجه البخاري ح (٣٢٠٨) في كتاب بدء الخلق وح (٣٣٣٢) و(٦٥٩٤) و(٧٤٥٤) ، ومسلم ح (٣٦٤٣) .

وهذه الكتابة هي كتابة أخرى غير الكتابة الأولى ، والظاهر أنها في صحيفة لكل انسان كتابة معينة ، كما هو رأي أكثر أهل العلم ، وكما يوضحه روايات الحديث المختلفة لكنهما لا تختلف عما هو موجود في أم الكتاب والله أعلم ، قال تعالى :﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾[1] .

(٢) انظر جامع العلوم والحكم ١٥٧/١ ــ ١٥٩ .

المبحث الثاني
ما كتبة الله على نفسه

لله عزوجل القدرة التامة والإرادة الكاملة ، فهو يخلق ما يشاء ويقدر ما يريد ومن تمام قدرته وكمال إرادته ما يقدره على نفسه العزيزة ويوجبه على ذاته الكاملة.

وقد روى البخاري في ذلك حديثا واحدا ، ونصه (عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : ((لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي)) [1] .

وفي رواية : ((لما خلق الله الخلق ... هو يكتب على نفسه ، وهو وضع عنده على العرش : إن رحمتي تغلب ...)) [2] .

وفي رواية : ((... إن رحمتي سبقت غضبي)) [3] .

وفي رواية : ((... كتب كتابا عنده : غلبت أو قال سبقت رحمتي غضبي فهو عنده فوق العرش)) [4] .

وفي رواية : ((إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق ...)) [5] .

روى في ذلك البخاري حديث وهو دال على أن الله يكتب على نفسه ما يشاء فهو صاحب القدرة الكاملة والشاملة لكل شيء وهي من تمام قدرته وحكمته قال ابن حجر وقوله (كتب في كتابه) أي أمر القلم يكتب في اللوح المحفوظ [6] وكذلك قال العيني [7] وفي هذا الحديث (أمر القلم أن يكتب في اللوح المحفوظ ، كما في حديث

---

(١) اخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ح (٣١٩٤) و(٧٤٠٤) و(٧٤٥٣) و(٧٥٥٣) و(٧٥٥٤) و(٧٤٢٢) ولخرجه مسلم (٢٧٥١) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (ويحذركم الله نفسه) ح (٧٤٠٤) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قوله تعالى (وكان عرشه على الماء ...) ح (٧٤٢٢) .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قوله تعالى (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) ح (٧٤٥٣).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قوله تعالى (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) ح (٧٥٥٣) و(٧٥٥٤) .

(٦) فتح الباري ٦/٣٣٦ .

(٧) عمدة القاري ١١١/١٥ .

عبادة بن الصامت : ((فقال للقلم أكتب ، فجرى بما هو كائن ...)) [1] يجوز أ، يكون على ظاهره كما في الآية ﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء ..﴾ [2] ويجوز أن يكون قال : كن فكانت الكتابة ولا محذور في ذلك كله [3] .

وقوله (فهو عنده فوق العرش) قيل معناه دون العرش ، وهو كقوله تعالى ﴿بعوضة فما فوقها﴾ [4] والحامل على هذا التأويل استبعاد أن يكون شيء من المخلوقات فوق العرش ، ولا محذور في إجراء ذلك على ظاهره لأن العرش خلق من خلق الله [5] قال البغوي رحمه الله : (أي فذكره عنده فوق العرش ، والأول فيه بالمرء وفي أمثالها إمرارها على ظاهرها كما جاء من غير أن يتصف فيها) [6] ومذهب أهل السنة في مثل هذا هو إثباتها كما جاءت مع التمرير وعدم التكييف والتشبيه أو التأويل والتحريف .

وقوله (غلبت) قيل معنى الغلبة الكثرة ، والشمول ، تقول : غلب على فلان الكرم أي أكثر أفعاله ، فغلبت رحمة الله غضبه ، أي سبقته وأكثرته ووسعته [7] .

وقوله (وهو يكتب على نفسه) : أي يثبته على نفسه ويخبر عنه ، والمكتوب هو أن رحمتي تغلب غضبي ، فالفعلان يعني كتب ويكتب متنازعان عليه [8] .

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب تفسير القرآن ومن سورة (ن) ٣٩٤/٥ و٣٩٥ رقم (٣٣١٩) وقال عنه (حديث حسن غريب) وصححه الألباني انظر صحيح سنن الترمذي للألباني ١٢٣/٣ برقم (٢٦٤٥) ، وأخرجه أبو داود في كتاب السنة باب في القدر ٢٢٥/٤ رقم (٤٧٠٠) وصححه كذلك الألباني ، انظر صحيح سنن أبي داود الألباني ٨٩٠/٣ رقم (٣٩٣٣).

(٢) سورة الأعراف الآية ١٤٥ .

(٣) انظر والكواكب الدراري للكرماني ١٥٣/١٣ ـ ١٥٤ ، وعمدة القاري للعيني ١١١/١٥ ، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان ٢٥٦/١.

(٤) سورة البقرة الآية ٢٦ .

(٥) انظر الكواكب الدراري للكرماني ١٥٤/١٣ ، وفتح الباري لابن حجر ٣٣٧/٦ ، وعمدة القاري للعيني ١١١/١٥ .

(٦) شرح السنة للبغوي ٢٧١/٨ .

(٧) انظر المفهم للقرطبي ٨٢/٧ .

(٨) انظر الكواكب الدراري للكرماني ١١٨/١٣ .

قال النووي (والمراد بالسبق هنا كثرة الرحمة وشمولها ، كما يقال غلب فلان على فلان الكرم والشجاعة إذا كثر منه) [1] ويؤيد هذا كذلك، مـــا فـــي كتـــاب الله العزيز قال الله تعالى : ﴿قل لمن ما في السـموات والأرض قـل لله كتـــب علـــى نفسه الرحمـــة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا أنفســـهم فـــهم لا يؤمنون﴾ [2].

وقوله تعالى : ﴿.. كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكـــم ســـوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم﴾ [3] .

قال ابن كثير : هذه رحمة أوجبها على نفسه الكريمة تفضيلا منـــه وإحســـانا وامتنانا) [4] .

ولعل ما يؤيد هذا الحديث الذي أخرجه مسلم رحمه الله تعـــالى ، عـــن أبـــي هريرة رضي الله عنه ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ((جعل الله الرحمـــة مائـــة جزء فأمسك عنده تسع وتسعين وأنزل في الأرض جزءا واحدا فمن ذلـــك الجـــزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه)) [5] .

وقال الشيخ ابن سعدي رحمه الله : (قوله : (كتب على نفسه الرحمـــة) أي : العالم العلوي والسفلي ، تحت ملكه وتدبيره وهو تعالى ، قد بســط عليـــهم رحمتـــه وإحسانه ، وتغمدهم برحمته وامتنانه ، وكتب على نفسه كتابـــا أن رحمتـــه تغلـــب غضبـــه وأن العطاء أحب إليه من المنع وأن الله قد فتح لجميع العباد أبواب الرحمة، إن لم يغلقـــوا عليهـــم أبوابهـــا بذنوبهـــم ، ودعاهم إليها ، وإن لم تمنعهم من طلبها

---

(١) شرح مسلم للنووي ٦٨/١٧ .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٢ .

(٣) سورة الأنعام الآية ٥٤ .

(٤) تفسير ابن كثير ١٢٩/٢ .

(٥) أخرجه مسلم ح (٢٧٥٢) .

معاصيهم وعيوبهم [1] ، ويؤيد هذا التفسير ما أخرجه مسلم رحمه الله تعالى وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد» [2] .

والظاهر أن كتابة هذا الشيء هو في صحيفة خاصة ، غير ما في اللوح المحفوظ ويؤيد ذلك الحديث الذي أخرجه ابن مردوية ، عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ «إذا فرغ الله من القضاء بين الخلق أخرج كتابا من تحت العرش إن رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين فيقبض قبضة أو قبضتين فيخرج من النار خلق كثير لم يعملوا خيرا مكتوب بين أعينهم عتقاء الله» [3] .

ولعل من ما يدخل تحت هذه الكتابة ما رواه معاذ ابن جبل رضى الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي : «يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟! ، فقلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا ، فقلت : يا رسول الله أفلا أبشر الناس ؟ قال : لا تبشرهم فيتكلوا» [4] .

فإن في هذا الحديث أن الله جعل على نفسه حق ، وهو لا يخلق العباد أنه لا يعذب من لا يشرك به شيئا ، وهذا مناسب لهذه الرحمة التي تكلمنا عليها في هذا المبحث .

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن سعدي ص ٢١٤ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ٤/٢١٠٩ رقم (٢٧٥٥).

(٣) بحثت فلم اجد من خرجه في الكتب المسندة ، وانظر الدر المنثور ٣/٢٥٣ ، وتفسير ابن كثير ٢/١٢٩ .

(٤) اخرجه البخاري ح (٢٨٥٦) و(٥٩٦٧) و(٦٢٦٧) و(٧٣٧٣) ، وأخرجه مسلم (٣٠) وغيرهم كثير.

ومما يدخل ضمن ما كتبه الله على نفسه أيضا تحريم الظلم على نفسه ، فانه عزوجل قد حرم الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرما، كما في حديث ابي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ في ما يرويه عن ربه تبارك وتعالى انه قال ((يا عبادي أني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرما فلا تظلموا ...)) [1] الحديث .

وقد أكد القرآن هذا المعنى في كثير من الآيات مثل قوله تعالى :﴿ولا يظلم ربك أحد﴾ [2] .

وقوله تعالى : ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما﴾ [3] .

وقوله تعالى : ﴿ولا يظلمون فتيلا﴾ [4] .

وهذا من كمال قدرة الله فإنه سبحانه يكتب ما يشاء ويحكم ما يريد ومع ذلك فلا يفعل إلا العدل والإحسان ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ومن كمال قدرة الله عزوجل أن قدرته كاملة وهو على كل شيء قدير ويدخل تحت ذلك أفعال نفسه وقد نطقت النصوص بهذا في أكثر من موضع ، ويدخل تحت ذلك ما حرمه الله على نفسه مثل الظلم) [5] .

---

(١) اخرجه مسلم ح (٢٥٧٧) .
(٢) سورة الكهف الآية ٤٩ .
(٣) سورة طه الآية ١١٢ .
(٤) سورة الاسراء الآية ٧١ .
(٥) انظر الفتاوى ٨/١١ ــ ١٢ في شرح حديث أبي ذر ، والفتاوى ١٨/١٠٥١ ــ ١٠٥٢ .

المبحث الثالث
قدرة الله وهل ينسب الشر
إلى فعل الله عزوجل

قدرة الله كبيرة لا يحدها شيء ، فأنه عزوجل هو القادر ، وهو علـــــى كــل شيء قدير ، وله القدرة التامة والحكم الكامل ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (أتفـق المسلمون وسائر أهل الملل على أن الله على كل شيء قدير كما نطق بذلك القــــرآن في مواضع كثيرة جدا) [1] .

والقـــدرة من صفـــات الله تبـــارك وتعـــالى الذاتيـــة ، ومن أسمائه القــــادر والقدير والمقتدر .

قال ابن الأثير : (القادر والمقتدر والقدير) القادر اسم فاعل من قدر يقـــــدر ، والقدير فعيل منه وهو للمبالغة ، والمقتدر مفتعل من اقتدر وهو أبلغ [2] .

وهذه الصفة وردت في القرآن بصيغ القادر والمقتدر والقدير أكثر من اثنتـــي عشـــرة مرة ، قـــال الإمام البيهقي : (هو الذي له القدرة الشاملة والقدرة له صفـــــة قائمـــة بذاتـــه) [3] .

قال ابن حجر (وقال الخطابي : القادر هو من القدرة على الشيء ، يقال قــدر يقدر قدرة فهو قادر وقدير ، كقوله : ﴿وكان الله على كل شيء قديرا﴾ [4] ووصــــف الله نفسه بأنه قادر على كل شيء أراده لا يعترضه عجز ولا فتــور ، وقـــد اتفـــق

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/٨ .

(٢) النهاية لابن الأثير ٢٢/٤ .

(٣) الاعتقاد للبيهقي ص ٦٣ .

(٤) سورة الأحزاب الآية ٢٧ .

المسلمون وأهل الملل على أن الله على كل شيء قدير ، لا يعجزه شيء ، ولا يفوته مطلوب بل له القدرة الشاملة الكاملة) [1] .

وقد أثبت البخاري هذه الصفة لله عزوجل فقد قال رحمه الله باب (قل هو القادر) (وهنا أطلق هذه الصفة ولم يعتبرها ــ رحمه الله ــ لكي تعم القدرة التي هي من صفات وصفات الفعل ، ولم يقيدها ثم أورد حديث الاستخارة وفيه (واستقدرك بقدرتك فإنك تقدر ولا أقدر) ليبين أن أسماء الله ليست جامدة بل متضمنة للصفات والمعاني التي تدل عليها ومنها القدرة فانها ثابتة لله بالتضمن ، وأدلة كثيرة سوف تطرق إلى بعضها .

وفي إثبات قدرته التامة تبارك وتعالى تنزيه له ووصف له بما يستحق من الإجلال والتعظيم وهذا معنى قوله تعالى :﴿إنه على ما يشاء قدير﴾ [2] ، وهي جزء آية تختم بها كثير من آيات القرآن ، ليبين الله بها قدرته التامة والشاملة لكل شيء وهي كما تليق بجلاله وعظمته .

ومن حد قدرة الله بشيء فقد أخطأ ولذلك فان كثير من أهل العلم يفسر القدرة هنا بالقوة وهذا خطأ لاشك فيه ، يقول الشيخ ابن عثيمين : (وهذا خلاف ظاهر الآيات لأنه يمكن تفسير القوة بأنها الفعل بلا ضعف وليست القدرة : لأن القوة الفعل بلا عجز ، يستدل بقوله تعالى ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة﴾ [3] ولم يقل ثم جعل من بعد ضعف قدرة ، وقال سبحانه : ﴿وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا﴾ [4] فقال ليعجزه ثم قال إنه كان عليما قديرا ولم يقل كان عليما قويا .

---

(١) انظر فتح الباري ١٣/٣٨٨ .

(٢) سورة التوبة الآية ٣٩ .

(٣) سورة الروم الآية ٥٤ .

(٤) سورة فاطر الآية ٤٤ .

ولأن بينهما فرقا ، فالقوة أكمل من القدرة فمن لا يستطيع حمل صخرة ، مثلا يقال له غير قادر ، ومن يحمله بمشقة يقال إنه قادر غير قوي ، ومن حمله بسهولة فهو قادر قوي [1] .

قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ في قوله تعالى : ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ (٢) قال هذه في الكفار فأما من آمن أن الله على كل شيء قدير ، فقد قدر الله حق قدره [3] .

ولما كان الحديث عن القدر ، فأن القدر فيه بعض المصائب والتي ظاهرها الشر والتي يصاب بها بعض الناس ، وتكون وبالا عليه فما موقفنا من هذه الشرور وهل الله عزوجل يخلق هذا الشر وهل هو شر !! ولذلك هل يوصف الله بأنه يخلق الشر عزوجل .

وقال بعض العلماء تعليقا على الحديث الذي رواه البخاري (خمس فواسق يقتلن في الحرم) [4] ، لماذا يخلق الله هذه الأشياء ، ثم يأمر بقتلها ، وما هي الفائدة من خلقها ؟ وهل يخلق الله عزوجل الشر ؟ وهل يخلق سبحانه وتعالى الفسق ؟ وغير ذلك من الأسئلة ، فكان مناسب في هذا المبحث التعريج على هذه المسألة المهمة ولو بشيء من الاختصار وبيان منهج أهل السنة والجماعة فيها .

وقد بين الرسول ﷺ ووضح أن الله عزوجل منزه عن الشر والعبث فقال ﷺ فيما يرويه علي بن أبي طالب قال في تعليم دعاء الاستفتاح «والخير كله بيديك والشر ليس إليك» [5] وقد روى هذا الحديث بروايات كثيرة ومتعددة ، كلها تنفي الشر عن الله عزوجل .

---

(١) انظر شرح كتاب التوحيد لابن عثيمين ص ١٩ .

(٢) سورة الحج الآية ٧٤ .

(٣) الدر المنثور للسيوطي ٣/٣١٣ .

(٤) أخرجه البخاري ح (٣٣١٥) في كتاب بدء الخلق .

(٥) انظر صحيح مسلم (٧٧١) بروايات عديدة ، والترمذي (٧٦٠) و(٣٤٢٢) وغيرهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في تعليقه على هذا الحديث : (ومما يبين هـذا أن الشر لم يرد في أسمائه ، وإنما ورد في مفعولاته ، ولم يضف إليه إلا علـى سـبيل العموم ، أو إضافته إلى السبب المخلوق أو يحذف فاعلـه ، وذلك كقولـه تعـالى : ﴿الله خالق كل شيء﴾ [١] و﴿من شر ما خلق﴾ [٢] وكاسمائه المقترنة مثل المعطـي المانع ، الضار النافع ، المعز المذل ، الخافض الرافع .

وكقوله : ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ [٣] ، وكقوله : ﴿صراط الذين أنعمـت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ [٤] وكقول الجن : ﴿وأنا لا ندري أشـر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا﴾ [٥] ؟! .

وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبيﷺ أنه كان يقول في دعـاء الاسـتفتاح «والخير بيديك والشر ليس إليك» [٦] .

وسواء أريد به : أنه لا يضاف إليك، ولا يتقرب به إليك ، أو قيل إن الشـر إما عدم وإما من لوازم العدم ، فكلاهما ليس إلى الله ، وهذا يبين أنه سـبحانه انمـا يضاف إليه الخير واسماؤه تدل على صفاته .

وذلك كله خير حسن جميل ليس فيه شر ، وإنما وقع الشر في المخلوقات .

قال تعالى : ﴿نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم﴾ [٧] وقال تعالى : ﴿ ان ربك لسريع العقاب وأنه لغفور رحيم﴾ [٨] وقال تعالى : ﴿إن ربك سريع العقـاب وانـه لغفور رحيم﴾ [٩] فجعل المغفرة والرحمة من معاني أسمائه الحسنى التي يسمى بـها نفسه ، فتكون المغفرة والرحمة من صفاته .

---

(١) سورة الزمر الآية ٦٢ .
(٢) سورة الفلق الآية ٢ .
(٣) سورة الشعراء الآية ٨٠ .
(٤) سورة الفاتحة الآيات ٥ ــ ٧ .
(٥) سورة الجن الآية ١٠ .
(٦) سبق تخريجه ، انظر صحيح مسلم (٧٧١) بروايات عديدة أنو الترمذي (٧٦٠) و(٣٤٢٢) وغيرهم .
(٧) سورة الحجر الآية ٤٩ .
(٨) سورة الأعراف الآية ١٦٧ .
(٩) سورة الأنعام الآية ١٦٥ .

وأما العقاب الذي يتصل بالعباد فهو مخلوق له ، وذلك هو الأليم ، فلم يقل وإني أنا المعذب ، ولا في أسمائه الثابتة عن النبيﷺ اسم المنتقم ، وإنما جاء المنتقم في القرآن مقيدا كقوله : ﴿إنا من المجرمين منتقمون﴾ [1] وجاء معناه مضافا إلى الله في قوله : ﴿إن الله عزيز ذو انتقام﴾ [2] وهذه نكرة في سياق الأثبات والنكرة في سياق الأثبات مطلقة ليس فيها عموم على سبيل الجمع) [3] .

ويؤكد هذه المعاني شارح الطحاوية ، حيث يقول في تعليقة على الحديث السابق (فان الله عزوجل لا يخلق شرا ، فإنك لا تخلق شرا محضا ، بل كل ما تخلقه ، نفيه حكمة ، هو باعتبارها خير ، ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس ، فهذا شر جزئي إضافي ، فأما شر كلي ، أو شر مطلق ، فالرب سبحانه وتعالى منزه عنه ، وهذا هو الشر الذي ليس إليه .

ولهذا لا يضاف الشر إليه مفردا قط ، بل إما أن يدخل في عموم المخلوقات [4] ثم ذكر الآيات التي ساقها شيخ الإسلام .

ثم ذكر أمثلة لذلك فقال (وليس إذا خلق ما يتأذى به بعض الحيوان لا يكون فيه حكمة ، بل لله من الرحمة والحكمة ما لا يقدر قدره إلا الله تعالى ، وليس إذا وقع في المخلوقات ما هو شر جزئي بالإضافة ، يكون شرا كليا عاما ، بل الأمور العامة الكلية لا تكون إلا خيرا ومصلحة للعباد ، كالمطر العام ، وكإرسال رسول عام .

---

(١) سورة السجدة الآية ٢٢ .
(٢) سورة إبراهيم الآية ٤٧ .
(٣) الفتاوى ١٧/٩٤ ــ ٩٥ .
(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص ٥١٧ .

وهذا مما يقتضي أنه لا يجوز أن يؤيد كذابا عليه بالمعجزات التي أيد بها الصادقين ، فإن هذا شر عام للناس يضلهم ، فيفسد عليهم دينهم ودنياهم وأخراهم .

وليس هذا كالملك الظالم والعدو ، فإن الملك الظالم لابد أن يدفع الله به من الشر أكثر من ظلمه ، وقد قيل : ستون سنة بإمام ظالم خير من ليلة واحدة بلا إمام ، وإذا قدر كثرة ظلمه ، فذاك خير في الدين ، كالمصائب ، تكون كفارة لذنوبهم، ويثابون على الصبر عليه ، ويرجعون فيه إلى الله ، ويستغفرونه ويتوبون إليه ، وكذلك ما يسلط عليهم من العدو ، ولهذا قد يمكن الله كثيرا من الملوك الظالمين مدة ، وأما المتنبئون الكذابون ، فلا يطيل تمكينهم ، بل لابد أن يهلكهم ، لأن فسادهم عام في الدين والدنيا والآخرة) [1] .

وكل ما يفعله الله عزوجل سواء في هذه الحياة أو في الآخرة فانه لحكمه كاملة وهذه الحكمة سواء ظهرت أدلة تظهر لنا ، فان الله عزوجل خلقها وقدرها لحكمة ، سواء عاجلة أو آجلة ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (وأما سائر الطوائف الذين يقولون بالتحليل من الفقهاء وأهل الحديث والصوفية وأهل الكلام ، كالكرامية وغيره والمتفلسفة ، فأنهم يقولون كل ما يفعله الله فانه يفعله لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى ، وقد يعلم العباد أو بعض العباد من حكمته ما يطلعهم عليه ، وقد لا يعلمون ذلك ، والأمور العامة التي يفعلها تكون لحكمة عامة ورحمة عامة ، كارسال محمدﷺ ، فانه كما قال تعالى : ﴿وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [2] فان إرساله كان من أعظم النعمة على الخلق وفيه أعظم حكمة للخالق ورحمة منه لعباده [3] .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٥١٨/٢ .
(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ .
(٣) الفتاوى ٩٢/٨ .

ثم قال : (فإذا قال قائل : فقد تضرر برسالته طائفة من الناس ، كالذين كذبوه من المشركين وأهل الكتاب كان عن هذا جوابان :

احداهما : أنه نفعهم بحسب الامكان ، فانه اضعف شرهم الذي كانوا يفعلونه لولا الرسالة باظهار الحجج والآيات التي زلزلت ما في قلوبهم ، وبالجهاد والجزية التي اخافتهم وأذلتهم حتى قل شرهم ، ومن قتله منهم مات قبل أن يطول عمره في الكفر فيعظم كفره ، فكان ذلك تقليلا لشره ، والرسل صلوات الله عليهم بعثوا بتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الامكان .

والثاني : ان ما حصل من الضرر أمر مغفور في جنب ما حصل من النفع ، كالمطر الذي عم نفعه إذا خرب به بعض البيوت أو احتبس به بعض المسافرين والمكتسبين كالقصارين ونحوهم ، وما كان نفعه ومصلحته عامة كان خيرا مقصودا ورحمة محبوبة وان تضرر به بعض الناس ، وهذا الجواب اجاب به طوائف من المسلمين وأهل الكلام والفقه وغيرهم من الحنفية والحنبلية وغيرهم ومن الكرامية والصوفية ، وهو جواب كثير من المتفلسفة) [1] .

ثم قال رحمه الله في تأكيد هذا (وقال هؤلاء : جميع ما يحدثه في الوجود من الضرر فلابد فيه من الحكمة ، قال الله تعالى :﴿صنع الله الذي اتقن كل شيء﴾[2] وقال : ﴿الذي احسن كل شيء خلقه﴾ [3] والضرر الذي يحصل به حكمة مطلوبة لا يكون شرا مطلقا ، وأن كان شرا بالنسبة إلى من تضرر به .

ولهذا لا يجيء في كلام الله تعالى ، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم اضافة الشر وحده إلى الله ، بل لا يذكر الشر إلا على أحد وجوه (ثلاثة) إما ان يدخل في عموم المخلوقات ، فانه إذا دخل في العموم افاد عموم القدرة والمشيئة والخلق ، وتضمن

---

(١) الفتاوى ٩٢/٨ ، ٩٣ ، ٩٤ .

(٢) سورة النمل الآية ٨٨ .

(٣) سورة السجدة الآية ٧ .

ما اشتمل عليه من حكمة تتعلق بالعموم ، وإما أن يضاف إلى السبب الفاعل ، وإما أن يحذف فاعله . ثم ذكر أمثلة من القرآن وأدلة تدل على ما ذهب إليه (١) .

ثم قال ابن تيمية (ولهذا ليس من أسماء الله الحسنى اسم يتضمن الشر ، وإنما يذكر الشر في مفعولاته ، كقوله ﴿نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم ، وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ (٢) ، وقوله : ﴿أن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾ (٣) ، وقوله: ﴿اعلموا أن الله شديد العقاب وإنه لغفور رحيم﴾ ، وقوله: ﴿أن بطش ربك لشديد ، انه هو يبديء ويعيد ، وهو الغفور الودود﴾ (٤) فبين سبحانه أن بطشه شديد ، وأنه هو الغفور الودود) (٥) .

وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى مثال على ما يضاف إلى الله على أنه شر وهو خير في الحقيقة ، وبين أن من نسب الشر إلى الله تعالى ، غير مدرك للفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية ، يقول : في رحمة الله تعالى في مسألة قبض الله لروح المؤمن ، وكيف تكون خيرا (والله سبحانه وتعالى قد قضى بالموت، فكل ما قضى به فهو يريده ولابد منه ، فالرب مريد لموته لما سبق به قضاؤه ، وهو مع ذلك كاره لمساءة عبده ، وهي المساءة التي تحصل له بالموت ، فصار الموت مرادا للحق من وجه مكروها له من وجه ، وهذا حقيقة التردد وهو : أن يكون الشيء الواحد مرادا من وجه مكروها من وجه وأن كان لابد من ترجح أحد الجانبين ، كما ترجح إرادة الموت ، لكن مع وجود كراهة مساءة عبده ، وليس إرادته لموت المؤمن الذي يحبه ويكره مساءته ، كارادته لموت الكافر الذي يبغضه ويريد مساءته.

---

(١) انظر الفتاوى ٨/٩٤ ــ ٩٧ .

(٢) سورة الحجر الآية ٥٠ .

(٣) سورة الأعراف الآية ١٦٧ .

(٤) سورة البروج الآية ١٤ .

(٥) الفتاوى ٨/٩٦ .

ثم قال بعد كلام سبق ذكره : ومن هذا الباب ما يقع في الوجود من الكفر والفسوق والعصيان : فان الله تعالى يبغض ذلك ويسخطه ويكرهه وينهى عنه ، وهو سبحانه قد قدره وقضاه وشاءه بارادته الكونية ، وإن لم يرده بارادة دينه ، وهذا هو فصل الخطاب فيما تنازع فيه الناس : من أنه سبحانه هل يأمر بما لا يريده) [1] .

ثم قال في إيضاح ما يقع في الوجود من الشرور والفسق والمعاصي وكيف التوفيق بين ذلك ، وبين ان الله هو المقدر لها إذا كان المقدر ؟! فكيف لا يريد ذلك وهو واضع ، قال : (فما يقع في الوجود من المنكرات هي مرادة لله إرادة كونية ، داخلة في كلماته التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، وهو سبحانه مع ذلك لم يردها إرادة دينية ولا هي موافقة لكلماته الدينية ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يأمر بالفحشاء ، فصارت له من وجه مكروهة ، ولكن هذه ليست بمنزلة قبض المؤمن فان ذلك يكرهه ، والكراهة مساءة المؤمن ، وهو يريده لما سبق في قضائه له بالموت فلابد منه ، وإرادته لعبده المؤمن خير له ورحمة به ، فإنه قد ثبت في الصحيح : ان الله تعالى لا يقضى للمؤمن قضاءا إلا كان خيرا له ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له .

وأما المنكرات فانه يبغضها ويكرهها ، فليس لها عاقبة محمودة من هذه الجهة إلا أن يتوبوا منها فيرحمون بالتوبة ، وإن كانت التوبة لابد أن تكون مسبوقة بمعصية ، ولهذا يجاب عن قضاء المعاصي على المؤمن بجوابين :

احدهما : أن هذا الحديث لم يتناولها وإنما تناول المصائب .

---

(١) الفتاوى ١٣١/١٨ .

والثاني : انه إذا تاب منها كان ما تعقبه التوبة (خيرا) فإن التوبة حسنة وهي من احب الحسنات إلى الله ، والله يفرح بتوبة عبده إذا تاب إليه أشد ما يمكن أن يكون من الفرح ، وأما المعاصي التي لا يتاب منها فهي شر على صاحبها ، والله سبحانه قدر كل شيء وقضاه ، لما له في ذلك من الحكمة ، كما قال﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾ [١] وقال تعالى : ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾ [٢] فما من مخلوق إلا ولله فيه حكمة) [٣] ، ويجيء هنا سؤال هل ما يقدره الله على الانسان من هذه المصائب أو الشرور أو المعاصي هل يمكن أن تكون ظلما من الله للعبد ـ وبعد أن عرفنا أنها لا تكون شرا نحب أن نعرف هل يمكن أن تكون ظلما تعالى الله عن ذلك ومع قدرة الله التامة فانه لا يظلم أحد أبدا ومن كمال قدرته أنه قادر على الظلم ومع هذا فانه لا يفعله وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (والله ـ سبحانه وتعالى ـ قادر على الظلم ، وإنما أستحق سبحانه الحمد والثناء لأنه ترك الظلم وهو قادر عليه ، والمدح انما يكون بترك المقدور عليه لا بترك الممتنع ، وعلى هذا فعقوبة الإنسان بذنب غيره ظلم ينزه الله عنه ، وأما إثابة المطيع ففضل منه وإحسان ، وان كان حقا واجبا بحكم وعده باتفاق المسلمين ، وبما كتبه على نفسه من الحكمة ، وبموجب أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى) [٤] .

وقد أشار الامام ابن القيم في شفاء العليل في الباب الحادي والعشرون في تنزيه القضاء الالهي عن الشر (قال الله تعالى : ﴿قل : اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾ [٥] .

---

(١) سورة النمل الآية ٨٨ .
(٢) سورة السجدة الآية ٧ .
(٣) الفتاوى ١٣٤/٨ .
(٤) انظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٢٣٦/٢ .
(٥) سورة آل عمران الآية ٢٦ .

فصدر الآية سبحانه بتفرده بالملك كله ، وأنه هو سبحانه هو الذي يؤتيه من يشاء لا غيره ، فالأول تفرده بالملك ، والثاني تفرده بالتصرف فيه ، وأنه سبحانه هو الذي يعز من يشاء بما يشاء من أنواع العز ، ويذل من يشاء بسلب ذلك العز عنه ، وأن الخير كله بيديه ليس لأحد معه منه شيء ، ثم ختمها بقوله :﴿إنك على كل شيء قدير﴾ [1] .

فتناول الآية ملكه وحده وتصرفه وعموم قدرته ، وتضمنت أن هذه التصرفات كلها بيده ، وأنها كلها خير ، فسلبه الملك عمن يشاء وإذلاله من يشاء خير ، وإن كان شرا بالنسبة إلى المسلوب الذليل ، فإن هذا التصرف دائر بين العدل والفضل والحكمة والمصلحة لا يخرج عن ذلك ، وهذا كله خير يحمد عليه الرب ويثنى عليه به كما يحمد ويثنى عليه بتنزيهه عن الشر ، وأنه ليس إليه كما ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يثني على ربه بذلك في دعاء الاستفتاح في قوله : (لبيك وسعديك ، والخير في يديك والشر ليس إليك ، أنا بك وإليك ، تباركت وتعاليت) [2] .

فتبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه ، بل كل ما نسب إليه فهو خير ، والشر إنما صار شرا لانقطاع نسبته وإضافته إليه ، فلو أضيف إليه لم يكن شرا كما سيأتي بيانه) [3] .

ثم قال (وهو سبحانه خالق الخير والشر ، فالشر في بعض مخلوقاته لا في خلقه وفعله ، وخلقه وفعله وقضاؤه وقدره خير كله ، ولهذا تنزه سبحانه عن الظلم الذي حقيقته وضع الشيء في غير موضعه فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة

---

(١) سورة آل عمران الآية ٢٦ .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) شفاء العليل ص ٣١٩ .

بها وذلك خير كله ، والشر وضع الشيء في غير محله ، فإذا وضع في محلــه لــم يكن شرا ، فعلم أن الشر ليس إليه ، وأسماؤه الحسنى تشهد بذلك ، فإن منها القدوس السلام العزيز الجبار المتكبر .

« فالقدوس » المنزه من كل شر ونقص وعيب ، كما قال أهل التفسير .

وكذلك اسمه « السلام » فإنه الذي سلم من العيــوب والنقــائص . ووصفــه بالسلام أبلغ من ذلك من وصفه بالسالم ، ومن موجبات وصفه بذلك سلامة خلقه مـن ظلمه لهم ، فسلم سبحانه من إرادة الظلم والشر ، ومن التسمية به ، ومــن فعلــه ، ومن نسبته إليه .

وكذلك « الكبير » من أسمائه ، و« المتكبر » قال قتادة وغيره : هو الذي تكبر عن السوء ، وقال مقاتل : المتعظم عن كل سوء ، وقال أبو إسحاق : الذي يكبر عن ظلم عباده .

وكذلك اسمه « العزيز » الذي له العزة التامة ، ومن تمام عزته براءته عــن كل سوء وشر وعيب ، فإن ذلك ينافي العزة التامة .

وكذلك اسمه « العلي » الذي علا عن كل عيب وسوء ونقص) [1] .

ثم ذكر أسماء كثيرة وأدلة على هذي الشيء ثم قال فــي أفعــال الله (فــهو سبحانه بهذا الجعل «المقدر» قد وضع الشيء في موضعه لما له في ذلك من الحكمــة البالغة التي يحمد عليها ، فهو خير وحكمة ومصلحة ، وإن كان وقوعه مــن العبــد عيبا ونقصا وشرا ، وهذا أمر معقول في المشاهد ، فإن الصــانع الخبــير إذا أخــذ الخشبة العوجاء والحجر المكسور واللبنة الناقصة فوضع ذلك في موضع يليــق بــه ويناســبه كان ذلك منه عدلا وصوابا يمدح بــه ، وإن كان في المحل عوج ونقص

---

(١) شفاء العليل ص ٣٢٠ .

وعيب يذم به المحل ، ومن وضع الخبائث في موضعها ومحلها اللائق بها كان ذلك منه حكمة وعدلا وصوابا ، وإنما السفه والظلم أن يضعها في غير موضعها ، فمن وضع العمامة على الرأس ، والنعل في الرجل ، والكحل في العين ، والزبالة في الكناسة ، فقد وضع الشيء موضعه ، ولم يظلم النعل والزبالة إذ هذا محلهما) [١] .

ثم قال (ومن أسمائه سبحانه « العدل » و« الحكيم » الذي لا يضع الشيء إلا في موضعه ، فهو المحسن الجواد الحكيم العدل في كل ما خلقه وفي كل ما وضعه في محله وهيأه له ، وهو سبحانه له الخلق والأمر ، فكما أنه في أمره لا يأمر إلا بأرجح الأمرين ، ويأمر بتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها ، وإذا تعارض أمران رجح أحسنهما وأصلحهما ، وليس في الشريعة أمر يفعل إلا ووجوده للمأمور خير من عدمه ، ولا نهي عن فعل إلا وعدمه خير من وجوده) [٢] ثم ذكر الإرادة الكونية والإرادة الشرعية والتفريق بينها وأنا تكمن الخطأ عدم التفريق بينهما [٣] .

وعن جوابه عن سؤال ما نرى في الوجود من شر أليس خلق الله ؟! فكيف يخلق هذا الشر ؟ أجاب بقوله : (خلقه له وفعله خير لا شر ، فإن الخلق والفعل قائم به سبحانه ، والشر يستحيل قيامه به واتصافه به ، وما كان في المخلوق من شر فلعدم إضافته ونسبته إليه ، والفعل والخلق يضاف إليه فكان خيرا ، والذي شاءه كله خير والذي لم يشأ وجوده بقي على العدم الأصلي وهو الشر فإن الشر كله عدم ، وإن سببه جهل وهو عدم العلم ، أو ظلم وهو عدم العدل ، وما يترتب على ذلك من الآلام فهو من عدم استعداد المحل وقبوله لأسباب الخيرات واللذات) [٤] ثم ذكر امثلة دعم بها هذا الجواب يطول ذكرها هنا .

---

(١) شفاء العليل ص ٣٢١ .

(٢) انظر شفاء العليل ص ٣٢١ .

(٣) انظر شفاء العليل ص ٣٢١ ــ ٣٢٢ .

(٤) شفاء العليل ص ٣٢٢ .

ومع وجود هذا الشر في الوجود وبهذا الشكل النسبي فانه لا يصح نسبته إلى الله لأنه من مخلوقاته ومفعولاته سبحانه وتعالى ومن ذلك أفعال العباد وما فيها من الشر والكفر وأنواع المعاصي فإنها لا تنسب إلى فعل الله بل هي فعل العبد من وجه وهي ـ مع ذلك ـ مخلوقه لله عزوجل ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (وأما من قال : خلق الرب تعالى لمخلوقاته ليس هو نفس مخلوقاته قال : إن أفعال العباد مخلوقة كسائر المخلوقات ، ومفعولة للرب كسائر المفعولات ، ولم يقل : أنها نفس فعل الرب وخلقه ، بل قال أنها نفس فعل العبد ، وعلى هذا تزول الشبهة : فانه يقال الكذب والظلم ونحو ذلك من القبائح يتصف بها من كانت فعلا له ، كما يفعلها العبد، وتقوم به ، ولا يتصف بها من كانت مخلوقة له إذا كان قد جعلها صفة لغيره ، كما أنه سبحانه لا يتصف بما خلقه في غير من الطعوم والألوان والروائح والأشكال والمقادير والحركات وغير ذلك ، فإذا كان قد خلق لون الإنسان لم يكن هو المتلون به ، وإذا خلق رائحة منتنة أو طعما مرا أو صورة قبيحة ونحو ذلك مما هو مكروه مذموم مستقبح لم يكن هو متصفا بهذه المخلوقات القبيحة المذمومة المكروهة والأفعال القبيحة ، ومعنى قبحها كونها ضارة لفاعلها ، وسببا لزمه وعقابه، وجالبة لألمه وعذابه ، وهذا أمر يعود على الفاعل الذي قامت به ، لا على الخالق الذي خلقها فعلا لغيره .

ثم على قول الجمهور الذين يقولون له حكمة فيما خلقه في العالم مما هو مستقبح وضارة ومؤذ يقولون : له فيما خلقه من الأمراض والغموم ، ومن يقول : لا تعلل أفعاله لا يعلل لا هذا ولا هذا) [1] .

---

(١) الفتاوى ١٢٣/٨ .

ثم قال : (يوضح ذلك أن الله تعالى إذا خلق في الإنسان عمى ومرضا وجوعا وعطشا ووصبا ونصبا ونحو ذلك ، كان العبد هو المريض الجائع العطشان المتألم ، فضرر هذه المخلوقات وما فيها من الأذى والكراهة عائد إليه ولا يعود إلى الله تعالى شيء من ذلك ، فكذلك ما خلق فيه من كذب وظلم وكفر ونحو ذلك هي أمور ضارة مكروهة مؤذية وهذا معنى كونها سيئات وقبائح ، أي أنها تسوء صاحبها وتضره ، وقد تسوء أيضا غيره وتضره ، كما أن مرضه ونتن ريحه ونحو ذلك قد يسوء غيره ويضره) [1] .

ويزيد هذه المسألة توضيحا وبيانا فيقول في منهاج السنة : (وإنما يذكر الشر في المفعولات ، كقوله تعالى: ﴿اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم﴾ [2] .

وقوله : ﴿إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾ [3] وقوله : ﴿إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾ [4] .

وقوله ﴿نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ [5] .

وقوله : ﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو﴾ [6] .

---

(١) الفتاوى ٨/١٢٣ ـ ١٢٤ .
(٢) سورة المائدة الآية ٩٨ .
(٣) سورة الانعام الآية الآية ١٦٥ .
(٤) سورة الأعراف الآية ١٦٧ .
(٥) سورة الحجرة الآيات ٤٩ ، ٥٠ .
(٦) سورة غافر الآيات ١ ـ ٣ .

وهذا لأن ما يخلقه من الأمور التي فيها شر بالنسبة إلى بعض الناس فله فيها حكمة ، وهو بخلقه لها حميد مجيد ، له الملك وله الحمد ، فليست بالإضافة إليه شرا ولا مذمومة ، فلا يضاف إليه ما يشعر بنقيض ذلك ، كما أنه سبحانه خالق الأمراض والأوجاع والروائح الكريهة والصور المستقبحة والأجسام الخبيثة كالحيات والعذرات لما له في ذلك من الحكمة البالغة) [١] .

ومن خلال ما سبق من النصوص ، يتضح مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة وهو أن الله منزه عن خلق الشر المحض وأن الشر لا ينسب إليه بوجه من الوجوه ، وما كان شرا وظاهره هذا الشر فان خلق الله له عزوجل فيه من الحكمة والخير والصلاح ما يعلمه أهل العلم ، وأن كان بعض الناس يجهل هذا الشر وقد لا تظهر له هذه الحكمة لجهله بالله وأسمائه وصفاته وما له من الإرادة والمشيئة الكونية والشرعية وعدم التفريق بينهما .

وجميع أفعال الله عزوجل منزه عن الظلم والشر وما كان ظاهره شرا ، فإنه ناشيء من عدم أدراك الإنسان لأمور كلية وسنن كونية وحكم كثيرة قد تخفى على كثير من البشر .

---

(٢) منهاج السنة النبوية ١٤٣/٣ ــ ١٤٤ .

الباب الثاني
النبوات

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : الوحي .

الفصل الثاني : معجزات وخوارق العادات في حق النبي ﷺ .

الفصل الثالث : بعض صفات الأنبياء .

الفصــــل الأول
الوحـــــي

وفيه تمهيــــد وثلاثـــة مباحث :

المبحث الأول : أنــواع الوحــــي .

المبحث الثاني : حفــظ الوحـــي .

المبحث الثالث : إنزال القرآن على سبعة أحرف .

المبحث الرابع : عموم الرســـالة .

الفصـــــل الأول
الوحـــــي

التمهيـــــــــد :

قبل الخوض في الأحاديث التي ذكرها البخاري في الوحي لابد من التعـــرف على المعنى اللغوي والشرعي (الاصطلاحي) لهذه الكلمة .

تعريف الوحي لغة :

أصل الوحي في اللغة إعلام في خفاء ، قال الجراني : (هو إلقاء المعنى فـــي النفس في خفاء) ، وقال الأزهري : (وكذلك الإشارة والإيمان يسمى وحيا والكتابـــة تسمى وحيا) [1] .

وقال في لسان العرب : (الوحي الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكـــلام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك ، يقال : أوحيت إليه الكلام وأوحيت ، ووحى إليـــه وأوحى : كلمة بكلام يخفيه من غيره ، ونقل عن ابن الأعرابي قوله : أوحى الرجـل إذا بعث برسوله ثقة إلى عبد من عبيده ثقة ، وأوحى أيضاً إذا كلم عبده بلا رسـوله) [2] .

وفي القاموس المحيط نفس المعنى تقريباً قال (الوحـــي : الإشـــارة والكتابـــة والمكتوب والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقيته إلي غـــيرك ، والصـــوت يكون في الناس وغيرهم .. وأوحى إليه بعثه وألهمه) [3] .

قال الراغب الاصفهاني : (أصل الوحي : الإشـــارة السـريعة ، ولتضمــن السرعة قيل : أمر وحي ، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض ، وقـــد يكون بصوت مجرد عن التركيـــب ، وبإشارة ببعض الجوارح وبالكتابة ، وقد حمل

---

(١) انظر تاج العروس ١٠/٢٨٥ .

(٢) لسان العرب مادة وحي ١٥/٣٧٩ ـ ٣٨٠ .

(٣) القاموس المحيط مادة وحي ص ١٧٢٩ .

على ذلك قوله تعالى عن زكريا :﴿ فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليـــهم أن سبحوا بكرة وعشيا ﴾ [1] فقد قيل : رمز ، وقيل : أشار ، وقيل : كتب) [2] .

ويقال للكلمة الإلهية التي تلقى إلى أنبيائه وأوليائه : وحي ، وذلـــك أضـــرب حسبما دل عليه قوله تعالى :﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا﴾ إلى قوله (بإذنه ما يشاء) [3] وذلك بأنواع :

١ ــ أما برسول مشاهد ترى ذاته ويمسع كلامه ، وكتبليغ جبريل عليه السلام للنبــي في صورة معينة .

٢ ــ وإما بسماع كلام من غير معاينة ، كسماع موسى كلام الله .

٣ ــ وأما بإلقاء في الروع ، كما ذكر عليه الصلاة والسلام (إن روح القدس نفـــث في روعي) .

٤ ــ وأما بإلهام نحو﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه﴾ [4] .

٥ ــ وإما بتسخير نحو قوله ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ [5] أو بمنام .

فالإلهام والتسخير والمنام دل عليه قوله﴿إلا وحيا﴾ [6] وسماع الكلام معاينـــة دل عليه قوله ﴿أو من وراء حجاب﴾ [7] ، وتبليغ جبريل في صــــورة معينـــة ، دل عليه قوله ﴿أو يرسل رسولا فيوحى﴾)[8] [9] .

---

(١) سورة مريم الآية ١١ .

(٢) المفردات للراغب الاصفهاني ص ٨٥٨ .

(٣) سورة الشورى الآية ٥١ .

(٤) سورة القصص الآية ٧ .

(٥) سورة النحل الآية ٦٨ .

(٦) سورة الشورى الآية ٥١ .

(٧) سورة الشورى الآية ٥١ .

(٨) سورة الشورى الآية ٥١ .

(٩) المفردات للراغب الأصفهاني ص ٨٥٩ .

وقال الزبيدي : أوحى إليه : كلمه بكلام يخفيه [١] ، وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى : الوحي الإعلام السريع الخفي ، إما في اليقظة وإما في المنام [٢] .

وبهذا يظهر أن الوحي في الأصل : الخفاء والسرعة ، وعلى هذا فالوحي في اللغة : الإعلام الخفي السريع الخاص ، بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره .

تعريف الوحي شرعاً :

إن المعنى الشرعي للوحي خاص بما يصدر عن الرسول من قرآن أو حديث ، وإن كان الغالب أن المراد به في لسان الشرع هو القرآن .

يقول ابن حجر (وتعريف الوحي شرعاً هو الإعلام بالشرع) [٣] .

وقد يطلق الوحي ويراد به اسم المفعول منه أي الموحي ، وهو كلام الله المنزل على النبيﷺ ، والنبي لا يصدر في أمور الشرع إلا عن وحي ، يقول أحمد عيسى في تعريف الوحي هو (كل ما صدر عن الرسول ـ صلوات الله عليه ـ وحي من عند الله أو من الله ، قرآناً أو غير قرآن ، فالقرآن الكريم وحي من عند الله إلى محمد ﷺ ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾ [٤] ، وما عدا القرآن الكريم كان بوحي من الله لمحمدﷺ ، فأحاديثه وأفعاله وتقريراته وكتبه ورسائله في شؤون الرسالة والدعوة وبناء الدولة الإسلامية ، كلها صدرت عنه بوحي من الله ، لأن الله سوغ له الإجتهاد من منطلق وحيه له) [٥].

فكل ما بلغه الله إلى الرسول ، سواء كان قرآن أو غير ذلك فانه وحي ، يقول الدكتور محمد أبو النور (وأما في الشرع فهو : إعلام الله تعالى أنبياءه بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع أو كتاب بواسطة أو بغير واسطة) [٦] .

---

(١) تاج العروس ٣٨٥/١٠ .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٩٨/١٢ .

(٣) فتح الباري ١٤/١ ـ ١٥ .

(٤) سورة الشعراء الآيات ١٩٣ ـ ١٩٥ .

(٥) كتاب الوحي لاحمد عيسى ص ٤٩ .

(٦) عصمة الانبياء والرد على الشبهة الموجهة اليهم للدكتور محمد ابو النور ص ٣٥ .

ويؤيد هذا التعريف الحسيني عبدالمجيد ، فيقول في تعريفه : (هو إعلام الله إلى أنبيائه ، فلا يكون مصدره إلا من الله العلي العظيم ، ولا يتلقاه إلا نبي لرب العالمين) [١] .

ولكن الدكتور محمد أبو شهبة كأنه يميل إلى تخصيص الوحي بالقرآن الكريم ، فيقول في تعريف الوحي هو (ما أنزله الله على أنبيائه وعرفهم به من أنباء الغيب والشرع والأحكام ، ومنهم من أعطى كتاباً ، ومنهم من لم يعطه) [٢] .

ولعل التعريف المختار للمعنى الشرعي للوحي هو (اعلام الله رسول من رسله أو نبي من أنبيائه ما يشاء من الكلام أو المعنى بطريقة تفيد النبي أو الرسول العلم اليقيني القاطع بما أعلمه الله به) [٣] .

فيشمل القرآن الكريم والسنة بجميع أنواعها أو هي ما يشرعه الله لعباده في جميع نواحي الحياة .

وبهذا التعريف يتبين أن المعنى الشرعي أخص من المعنى اللغوي فاللغوي معنى عام وهو (إعلام في خفاء) والشرعي خاص ، وهو يتناول فقط ما يبلغه الله إلى أنبيائه بأي وسيلة كان هذا الإبلاغ ، كما سوف يتضح عند استعراض أنواع الوحي الشرعي إن شاء الله تعالى .

والوحي ثابت في الكتاب والسنة والإجماع .

قال الله تعالى : ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي﴾ [٤] ، وقوله تعالى : ﴿وأتبع ما يوحى اليك من ربك﴾ ، وقوله تعالى : ﴿إن اتبع الا ما يوحى إلـي﴾ [٥] ، وقوله تعالى :﴿إن الله كان بما تعملون خبيرا﴾ [٦] .

---

(١) الوحي الالهي للحسيني عبدالمجيد .

(٢) المدخل لدراسة القرآن لمحمد ابو شهبة ص ٧٣ ـ ٧٤ .

(٣) معجم الفاظ العقيدة ص ٤٣٩ .

(٤) سورة الكهف الآية ١١٠ .

(٥) سورة يونس الآية ١٥ .

(٦) سورة الاحزاب الآية ٢ .

ومن السنة نقتصر على أحاديث كتاب بدء الخلق وفيها :

حديث عائشة في نفي رؤية النبيﷺ لربه ، وفيه ((قالت ومن حدثك ان محمدﷺ كتم شيئاً من الوحي فلا تصدقه ، لأن الله تعالى يقول ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾))[1][2] .

والحديث الثاني الذي ذكره البخاري في هذا الكتاب ، وهو حديث عائشة رضي الله عنها كذلك ، وفيه ((أن الحارث بن هشام سأل النبيﷺ كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله ﷺ أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فاعي ما يقول)) [3] أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي وكتاب بدء الخلق ، وقال أكثر شراح الحديث المناسب لهذا الحديث ان يوضع له باب بعنوان (بيان أنواع الوحي) [4] .

وأما الاجماع على ثبوت الوحي ، فقد مر حيث أن جميع المسلمين من عصر الصحابة رضي الله عنهم إلى يومنا هذا مصدقون وموقنون أن الرسول يوحى اليه من ربه ، وهذا أصل الاسلام ، وتحقيق شهادة أن محمد رسول الله ، ولا يخالف في ذلك مسلم ، ومن خالف في ذلك فهو أبعد الناس عن معرفة الاسلام ، وأضل الناس يوم القيامة [5] .

---

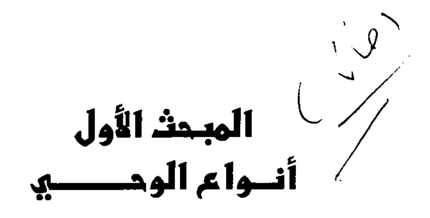
(١) سورة المائدة الآية ٦٧ .

(٢) أخرجه البخاري ح (٣٢٣٤) في كتاب بدء الخلق (٣٢٣٥) (٤٦١٢) (٤٨٥٥) (٧٣٨٠) وهذا لفظ كتاب التوحيد ورقمه (٧٥٣١) ، وأخرجه مسلم ح (١٧٧) .

(٣) اخرجه البخاري ح (٢) في كتاب بدء الخلق وح(٣٢١٥) .

(٤) انظر فتح الباري ٢٦/١ ـ ٢٧ .

(٥) انظر الفتاوى ٥٢٨/١٧ ـ ٥١٩ .



المبحث الأول
أنـواع الوحــــي

مر بنا حديث عائشة وسؤال الحارث بن هشام للرسولﷺ عن أنواع الوحــي، وهذا الحديث الذي ذكره البخاري في هذا الكتاب يدل وبدون شك أن للوحي أنـــواع كثيرة ، منها ما ذكر في هذا الحديث ، ومنها ما ذكر في أحـــاديث أخـرى سـوف نتطرق إليها من خلال هذا المبحث .

وقد اختلفت تقسيمات العلماء لهذه الأنواع بحسب ذكر اختلاف نـــوع حـــامل الوحي والمبلغ له أو بإختلاف صفة الوحي ، وقد نقل ابن حجر عن الحليمي أنه عـد ست وأربعين نوعا غالبها يرجع إلى حالتين ، هما صفة الوحــــي أو صفـــة مجيئـه وحامله المبلغ به) [1] .

قال ابن حجر في تعليقه على هذا الحديث دل الحديث على حالتين :

الأولى: صفة الوحي وهي كمجيئه مثل صلصلة الجَرس أو دوي النحل ، قال ابـــن حجر ولا خلاف بينهما فإن صلصلة الجرس للتلقي وهو خـــاص بالرســول ودوي النحل لمن سمعه غير الرسولﷺ ، مثل عمر أو النفخ فـــي الــروع أو الإلـــهام أو الرؤيا الصالحة والتكليم ليلة الإسراء بلا واسطة.

الثانية : صفة حامله وهو جبريل فانه رأه مرتين على صورته التي خلــق عليـــها ، ورأه على صورة أعرابي كما في حديث عمر ، ويأتي أحيانا على صـــورة دحيــة الكلبي ، وكل هذه الحالات جاءت في الصحيح [2] .

ونحن هنا سوف نذكر أقسام الوحي وبعض الأنواع المتفرعة عن بعض هــذه الانواع ، حتى يتم ترتيب وتفصيل هذه المسألة .

فنقول الوحي الإلهي من الله إلى الانبياء والرسل ينقسم إلى عدة أقســام هي :

---

(١) انظر فتح الباري ٢٧/١ .

(٢) انظر فتح الباري ٢٧/١ .

القسم الأول : أن يكلم الله عزوجل رسوله من وراء حجاب بلا واسطة ملك ولا غيره ، وهذه ثابتة لموسى بنص القرآن الكريم ، قال تعالى :﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال ربي أرني انظر إليك﴾ [1] ، وقوله تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ [2] .

وهي ثابتة للنبيﷺ في حديث الاسراء الطويل [3] ، وقد مر معنا الشاهد منه عند الحديث عن صفة الكلام لله عزوجل [4] .

القسم الثاني : الرؤيا في المنام : وهي خاصة للأنبياء ، وقد تكون بنا لبعض الصالحين ، ولذلك سميت جزءاً من النبوة كما سوف يأتي بعد قليل .

((والرؤيا من الأنبياء وحي من الله عزوجل إليهم وكانت هذه الرؤيا للنبيﷺ هي مبدأ وحيه فلا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، كما روت ذلك عائشة رضي الله عنها)) [5] .

وكما قال تعالى في محكم آياته : ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا﴾ [6] .

فالله عزوجل هنا صدق هذه الرؤيا وجعلها وحياً منه إلى نبيهﷺ ، وقد أخبر النبيﷺ بهذا الفتح إعتماداً على هذه الرؤيا كما قال ابن كثير [7] وابن حجر [8] .

---

(١) سورة الاعراف الآية ١٤٣ .

(٢) سورة النساء الآية ١٦٤ .

(٣) سبق تخريجه كثيراً .

(٤) انظر زاد المعاد ٨٠/١ .

(٥) اخرجه البخاري (٦٩٨٢) ومسلم ح (١٦٠) .

(٦) سورة الفتح الآية ٢٧ .

(٧) انظر تفسير ابن كثير ٢٠٢/٤ ــ ٢٠٤ .

(٨) انظر فتح الباري ٣٧٨/١٢ .

وقـد كانت هذه الرؤيا لكثير من الانبياء منهم إبراهيم عليه السلام ، فكـانت وحياً من الله لنبيه ويلزمه فعله لامر الله به ، ولو لم يكن هذا وحياً لازماً لما فعله إبراهيم ، قال تعالى : ﴿فلما بلغ معه السعي قال يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابتي أفعل ما تؤمر ستجدني انشاء الله من الصـابرين فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين وفديناه بذبح عظيم﴾ [١] ، فكان إسماعيل يعلم أن أبوه أمر بهذه الرؤيا وأنها وحـي من الله عزوجل له ، ولذلك لم يعترض عليها ولا زوجته كذلك .

يقول ابن حجر : (وأما الرؤيا فهي ما يراه الشخص في منامه) [٢] ، ثـم زاد فقال : (والرؤيا من الأنبياء حق ، ولو لم تكن كذلك لما جاز لإبراهيم عليه السـلام أن يذبح أبنه بناء عليها) [٣] .

وكذلك رؤيا يوسف عليه السلام حين قال :﴿يا أبتي إني رأيت احـد عشـر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾ ، ثم قال في آخر الآيات :﴿يا أبتي هـذا تأويل رأياي من قبل قد جعلها ربي حقا﴾ [٤] .

قال القرطبي : (والصغير لا حكم لرؤيا ، إلا أن يعقوب عليه السلام أمر أبنه أن لا يقص رؤيـاه على أخوتـه ، لأنـه توقع وقوعهـا لما كـان يأملـه فيـه لابنه من الخير) [٥] .

وهذه الرؤيا قد تكون حق وقد تكون باطل لغير الانبياء ، قال ابن حجر فـي تعليقه على حديث : ((الرؤيا الصالحة جزء من ست وأربعين جزء من النبـوة)) [٦] ، قال (والكثير منها ــ الرؤيا ــ وان كان يقع لغير النبي لكن النبي لا يخطئ أصـلاً ولغيره قد يعرض الخطأ والله أعلم) [٧] .

---

(٢) سورة الصافات الآيات ١٠٢ ــ ١٠٥ .

(٢) فتح الباري ٣٩٥/١٢ .

(٣) فتح الباري ٣٩٥/١٢ .

(٤) سورة يوسف

(٥) تفسير القرطبي ١٢٦/٩ بتصرف .

(٦) اخرجه البخاري ٦٩٨٣ و٦٩٩٤ .

(٧) الفتح ٣٨٤/١٢ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (قال بعض المفسرين : المـــراد بـــالوحي هنـــا الوحي في النام ، ولم يذكر أبو الفرج غيره ، وليس الأمر كذلك ، فإن المنام تـــارة يكون من الله ، وتارة يكون من النفس ، وتارة يكون من الشيطان ، وهكذا ما يلقـــى في اليقظة ، والأنبياء معصومون في اليقظة والمنام .

ولهذا كانت رؤيا الأنبياء وحيا ، كما قال ذلك ابن عباس ، وعبيد ابن عمير ، وقرأ قوله : (إني أرى في المنام أني أذبحك) [١] وليس كل من رأى رؤيـــا كـــانت وحيا ، فكذلك ليس كل من ألقى في قلبه شيء يكون وحيا ، والإنسان قد تكون نفســـه في يقظته أكمل منها في نومه كالمصلي الذي يناجي ربه ، فإذا جاز أن يوحى إليـــه في حال النوم ، فلماذا لا يوحى إليه في حال اليقظة ، كما أوحى إلـــى أم موســـى ، والحواريين ، وإلى النحل ؟ لكن ليس لأحد أن يطلق القول على ما يقع في نفسه أنه وحي لا في يقظة ولا في المنام إلا بدليل يدل على ذلك فان الوسواس غـــالب علـــى الناس والله أعلم) [٢] .

القسم الثالث : الالهـــــام : وهـــو : (ما يلقى في قلب النبيﷺ من جعلـــه يشـــعر شعوراً تاماً ان هذا المعنى والوحي من الله تعالى) [٣] .

وقيل هو : (القذف في القلب وهو أن يلقى الله تعالى أو جبريل عليه الســـلام في قلب النبيﷺ ما يريد مع تيقنه أنه من عند الله عزوجل) [٤] .

قال ابن كثير في تعليقه على آية الشورى في قوله تعالى : (وما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشـــاء إنـــه علي حكيم) [٥] .

---

(١) الفتاوى ٥٣٢/١٧ .

(٢) الفتاوى ٥٣٢/١٧ .

(٣) الوحي الالهي ص ١٢ .

(٤) عصمة الانبياء والرد على الشبهة الموجهة اليهم ص ٣٥ .

(٥) سورة الشورى أية ٥١ .

هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله عزوجل ، وهو أنه تبارك وتعالى تارة يقذف في روع النبيﷺ شيئاً لا يتمارى فيه أنه من الله عزوجل ، كما جاء في صحيح ابن حبان عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب)) (١) (٢) .

لكن الظاهر أن هذا القسم ليس خاصاً بالأنبياء ، بل قد يشترك معهم غيرهم ، يقول ابن تيمية : (وقال في حديثه عن الإلهام : وإذا كان الله ما يوحيه إلى أولياه تارة يكون بواسطة ملك وتارة بغير واسطة ، فهذا يكون للمؤمنين كلهم لا يختص به الانبياء ، قال تعالى : ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا : آمنا واشهد بأننا مسلمون﴾ (٤) وإذا كان قد قال : ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ (٥) الآية ، فذكر أنه يوحى إليهم ، فالى الانسان أولى ، وقال تعالى : ﴿وأوحى في كل سماء أمرها﴾ (٦) وقد قال تعالى: ﴿ونفس وما سواها ، فألهماها فجورها وتقواها﴾ (٧) فهو سبحانه يلهم الفجور والتقوى للنفس ، والفجور يكون بواسطة الشيطان ، وهو إلهام وسواس ، والتقوى بواسطة ملك ، وهو إلهام وحي ، هذا أمر بالفجور ، وهذا أمر بالتقوى ، والأمر لابد أن يقترن به خبر .

---

(١) هذا الحديث اخرجه ابن حبان ح (١٠٨٤) و(١٠٨٥) ، واخجره ابو نعيم في الحية ١٠/٢٦ وله شواهد عند الحاكم في المستدرك ٤/٢ وابن ماجه ح (٢١٤٤) وهو صحح بهذه الشواهد كما قال شعيب الأرنؤوط انظر زاد المعاد ٧٩/١ .
(٢) تفسير ابن كثير ١٢٣/٤ .
(٣) سورة القصص الآية ٧ .
(٤) سورة المائدة الآية ١١١ .
(٥) سورة النحل الآية ٦٨ .
(٦) سورة فصلت الآية ١٢ .
(٧) سورة الشمس الآيات ٧ ــ ٨ .

وقد صار في العرف لفظ الإلهام إذا أطلق لا يراد به الوسوسة ، وهذه الآية مما تدل على أنه يفرق بين إلهام الوحي ، وبين الوسوسة ، فالمأمور به إن كان تقوى الله فهو من إلهام الوحي ، وإن كان من الفجور فهو من وسوسة الشيطان .

فيكون الفرق بين الإلهام المحمود وبين الوسوسة المذمومة هو الكتاب والسنة، فان كان مما ألقي في النفس مما دل الكتاب والسنة على أنه تقوى لله فهو من الإلهام المحمود ، وأن كان مما دل على أنه فجور فهو من الوسواس المذموم ، وهذا الفرق مطرد لا ينتقض) [١] .

القسم الرابع : أن يرسل رسول من الملائكة (جبريل أو غيره) فيعلم نبيه بما يشاء والغالب أن يكون جبريل عليه السلام أو معه بعض الملائكة ، كما في قصة ضيوف إبراهيم عليه السلام ، وهذا القسم له عدة أنواع منها :

١ ـ «أن يأتي جبريل إلى الرسول على الصورة التي خلق عليها ، وهذه لم تحصل للنبيﷺ إلا مرتين ، كما خبرت بذلك عائشة رضي الله عنها في حديث نفي رؤية النبيﷺ لربه» [٢] ، وسوف يأت بيان لهذه القضية عند الحديث عن رؤية النبيﷺ للملائكة بالتفصيل .

٢ ـ «ان يأتي جبريل عليه السلام أو غيره من الملائكة على صورة رجل إما اعرابي كما في حديث عمر» [٣] ، وإما على صورة دحية الكلبي رضي الله عنه كما سوف يأتي في تشكل الملائكة ، أو على صورة ضيوف كما أتوا إلى إبراهيم عليه السلام في هذه الصورة عند إهلاك قرية لوط ، فيوحي إليه ما يشاء ، وكما دل عليه حديث الباب الذي ذكرناه سابقا .

---

(١) الفتاوى ٥٢٩/١٧ .

(٢) الحديث اخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ح (٣٢٣٤) وسبق تخريجه قبل قليل .

(٣) الحديث أخرجه مسلم ح (٨) .

٣ ــ (ان يأتيه جبريل في صورته الملائكية وطبيعته الروحانية ، وفي هذه الحالة لا يرى ولكن يصحب مجيئه صوت كصلصلة الجرس أو دوي كدوي النحل) [١] .

وهذا النوع من الوحي هو أشد عليه كقول عائشة : ((حتى أن جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد)) [٢] .

والظاهر أن هذا خاص بالقرآن الكريم لوصف الله عزوجل له بقوله تعالى : ﴿إن سنلقى عليك قولا ثقيلا﴾ [٣] ، قالت عائشة رضي الله عنها ((كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته وضعت جرانها فلم تستطع أن تتحرك) [٤] ، وفي رواية ((أن ناقته لتبرك به)) [٥] ، ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم يعرفون هذه الحالة من الحالات الخاصة بهذا النوع من الوحي للنبيﷺ ، تقول عائشة في وصفها هذا النوع في حديث الأفك حين تأخر الوحي عنه شهرا فلم ينزل عليه ، فلما أتى اليها وكلمها بالأمر وقال لها ما عندك يا عائشة ان كنت فعلت فعلا فاستغفري الله، والشاهد : ((حتى أنزل الله على نبيهﷺ فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي ، حتى إنه ليتحدر مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي أنزله عليه)) ، هذا نص صحيح مسلم [٦] ، ونص صحيح البخاري ((حتى أنزل عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء ، حتى إنه ليتحدر منه العرق مثل الجمان ، وهو في يوم شات من ثقل القول الذي أنزل عليه) وفي رواية اخرى من نقل القرآن)) [٧] .

---

(١) انظر عصمة الانبياء والرد على التهم الموجهة اليهم ص ٣٦ ــ ٣٧ .

(٢) اخرجه البخاري (٢) في بدء الخلق ، ومسلم (٢٣٣٣) .

(٣) سورة المزمل آية ٥ .

(٤) أخرجه الامام احمد ١١٨/٦ ، وله شاهد عن أسماء بنت زيد عند أحمد ٤٥٥/٦ .

(٥) اخرجه الحاكم في المستدرك وصححه ٥٠٥/٢ .

(٦) اخرجه مسلم ح (٢٧٧٠) .

(٧) أخرجه البخاري ح (٤١٤١) .

ويؤيد هذه الشدة ما روى عن زيد بن ثابت الأنصاري النجاري ، كاتب الوحي لرسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ أملى عليه ﴿لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله﴾ [1] «فجاءه ابن أم مكتوم ، وهو يملها علي ، فقال : يارسول الله ، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت ، وكان أعمى ، فأنزل الله على رسوله ، وفخذه على فخذى ، فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذى، ثم سرى عنه ، فأنزل الله : (غير أولى الضرر» ، هذا نص صحيح البخاري [2] .

وهذا النوع من الوحي ــ وحي القرآن ــ له أسلوبه الخاص وهو لا يأتي إلا بهذه الطريقة ، يقول الحسيني عبدالمجيد (ان يرسل رسول إلى النبي فيوحي إليه ما يشاء وهي الطريق الوحيد إلى وحي القرآن بمعنى أنه ليس للقرآن طريق غيره .

﴿وأنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾ [3] وليس للروح الأمين دخل في الموحى به فليس له غير التبليغ المأمور به ، انه من أمرنا وليس لك أيضا يا محمد دخل في الموحى به بل ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان الذي دعا إليه الكتاب قبل الوحي﴿وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب إلا رحمة من ربك﴾ [4] .

هذا طريق القرآن كما حددته الآيات ، أنه كما يقول العلماء الوحي الجلي أو الوحي الصريح أو إن شئت فقل الوحي المباشر يلتقي به ملك الوحي بالنبي عليه الصلاة والسلام لقاء مباشرا صريحا جليا فيبلغه ما تلقاه من الله مباشرة .

إن ظاهرة الوحي القرآني ظاهرة السمات لا لبس فيها ولا غموض ولا اختلاط فيها بعوامل النفس أو الإلهام أو الرؤيا) [5] .

---

(١) سورة النساء الآية ٩٥ .

(٢) اخرجه البخاري ح (٤٥٩٢) وح (٢٨٣٢) .

(٣) سورة الشعراء الآيات ١٩٣ ــ ١٩٥ .

(٤) سورة الدخان الآية ٦ .

(٥) الوحي الالهي ص ١٤ ــ ١٥ .

والوحي بجميع حالاته يصحبه علم يقيني ضروري لدى الموحى إليه بأنه ما ألقي إليه حق ووحي من عند الله عزوجل ليس من خطرات النفس ولا نزعات الشيطان [1] .

هذه أهم أنواع الوحي ، وإن كان بعض العلماء يذكر أنواعا أخرى مثل :

١ ـ كلام إليه كفاحا من غير حجاب .

وهي مسألة خلافية ، والراجح أنها لم تحصل للنبيﷺ [2] .

وسوف يأتي الحديث على هذه المسألة عند الكلام على رؤية النبيﷺ لربه.

٢ ـ وحي إسرافيل إلى النبي من عند الله عزوجل وهذا مروي عن الشعبي (أن النبيﷺ وكل به إسرافيل عليه السلام فكان يتراوى له ثلاث سنين ، ويأتيه بالكلمة والوحي والشيء ، ثم وكل به جبريل [3] .

٣ ـ وحي عملي ، ولم أرى من ذكر هذا النوع من الوحي ، غير أن البخاري ((ذكر حديث في كتاب بدء الخلق عن صلاة جبريل بالنبيﷺ أماما ، وهذا تعليم للنبيﷺ عملي ويمكن فيض صلوات في يومين يعلمه أوقاتها أو خاله ، ضمن أقسام الوحي)) [4] .

هذه أهم الأنواع التي ذكرها العلماء لأقسام الوحي ، وماعداها فهو إما باطل أو داخل تحته هذه الأنواع [5] .

---

(١) انظر عصمة الانبياء للدكتور محمد ابو النور ص ٣٧ .

(٢) انظر زاد المعاد في هدي خير المعاد ٨٠/١ .

(٣) انظر كتاب الوحي لاحمد عيسى ص ٥٣ .

(٤) الحديث أخرجه البخاري ح (٥٢١) في كتاب بدء الخلق (٣٢٢١) (٤٠٠٧) .

(٥) انظر مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ٣٦٣/٢ .

المبحث الثاني
حفــــظ الوحـــي

تعلق الوحي كما عرفنا ويراد به القرآن على وجه الخصوص وتدخل الســـنة بالمعنى العام ، ولم تحفظ ذاكرة التـــاريخ الإنساني كتابا أوثق من القرآن ولا أجلـــى للعمى وأنفر للشك والريب منه ولم يعرف توثيق النصوص نصا توفر له من أسـباب الرعاية والحفظ والتوثيق والنقل المتواتر تسجيلا ومشافهة ما توفر لهذا الكتاب ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ [1] .

أما مسألة حفظ الوحي وتطلق ويراد بها أحد أمرين :

حفظه في الصدر ، وحفظه بمعنى كتابته [2] .

ولقد أهتم الرسولﷺ وصحابته بهذا ، وفيما يلي تفصيل لكلا المعنيين :

أولا :حفظ الوحي في الصدر :

كـــان النبيﷺ شديد الإهتمام بحفظ القرآن الكريم حتى أنه كان مـــن شـدة إهتمام به يحرك لسانه عند نزوله عليه يردده حتى لا يضيع منه شيء ، فـــانزل الله عليه قوله تعالى : ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إنا علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأنـــاه فاتبع قرآنه ثم أنا علينا بيانه﴾ [3] فتكفل الله لنبيه أن يجمعه له وأن يعلمــــه تفســيره وبيانه ويوضحه له ويفهمه إياه .

عـــن ســعيد بن جبيــر عن ابـــن العبـــاس في قوله تعالى : ﴿لا تحرك بـــه لســـانك لتعجل بـــه﴾ قـــال ابن عبـــاس : فأنا أحركهما لكم كما كان رسول اللهﷺ

---

(١) سورة البقرة آية ٢ .

(٢) انظر فضائل القرآن لابن كثير ص ١٥ .

(٣) سورة القيامة الآيات ١٦ ــ ١٨ .

يحركهما ، وقال سعيد : أنـــا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركـــهما ــ فحــرك شــفتيه ــ فأنزل الله تعالى : ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل بـــه ، إن علينـــا جمعـــه وقرآنه﴾ (١) قال : جمعه لك في صدرك وتقرأه ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنــــه﴾(٢) قـــال فاستمع له وأنصت ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ (٣) ثم إن علينا أن تقرأه ((فكـــان رســـول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتـــاه جبريل استمع ، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قـــرأه)) (٤) .

ويقول ابن كثير في تفسيره وتعليقه على هذه الآية (فتكفل الله له بجمعه فـــي صدره والثانية تلاوته والثالثة تفسير له وايضاح معناه) (٥) .

وقـــد كــان إنزال القرآن منجمـــا بمعنى أنـــه نـــزل مفرقـــا كـــل بضـــع آيات معـــا .. وذلـــك ان الوحي كان ينزل بالقرآن مبينا للحوادث الجاريـــة التـــي تعاقبت على حياة النبي من بعثته إلى وفاته ، لقوله سبحانه وتعالى﴿إنا أنزلناه في ليلة القـــدر﴾ (٦) ﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾ (٧) .

وآيات القرآن خاصة بالنبيﷺ محمد لا بغيره من الأنبياء ، لأنها متصلة بمـــا جرى له من أحداث صاحبت دعوته ، وكان القرآن ينزل بحسب الحاجـــة ، خمـــس آيات أو عشر آيات أو أكثر أو أقل بحسب الحاجة التي تدعو إليها الحادثة وقد يتأخر عن نزوله فترات تستمر إلى شهر أو أكثر كما مر معنا في حادثة الإفك .

---

(١) سورة القيامة الآيات ١٦ ــ ١٧ .
(٢) سورة القيامة الآية ١٨ .
(٣) سورة القيامة الآية ٦٩ .
(٤) اخرجه البخاري ح (٥) و(٤٩٢٨) (٤٩٢٩) (٥٠٤٤) (٧٥٢٤) .
(٥) انظر تفسير ابن كثير ٤/٤٤٩ .
(٦) سورة القدر الآية ١ .
(٧) سورة البروج الآية ٢١ .

والحكمة في نزول الآيات قليلة العدد على هذا النحو (هي في أن يتمكن النبي من حفظها وتحفيظها لأصحابه رضوان الله عليهم ، ومن تعليمها للناس لتكون أبعث على القبول وعلى فهمه وتعرف أسراره ومراميه ولان التشريع كان يأتي بالتدريج وذلك لحكمة كبيرة لا يعلمها كثير من الناس .

وفي نزوله مفرقا رحمة بالناس ، إذ لو نزل عليهم دفعة واحدة لشق عليهم خصوصا وأنه فوق كونه دينا يتعبد به ، فهو تشريع منظم لأحكام الدنيا .

وقد وردت في القرآن آية بهذا المعنى يقول جل جلاله﴿وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا﴾ [١] [٢] .

والحديث الذي ذكره البخاري في حفظ الوحي هو حديث ابن عباس وجاء وفيه :

((كان رسول الله ﷺ اجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فإن رسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة)) [٣].

وعن أبي هريرة ، وفاطمة رضي الله عنهما عن النبيﷺ : ((أن جبريل كان يعارضه القرآن)) [٤] .

ولما كان العام الذي قبض فيه دارسه القرآن مرتين كما سوف يأتي .

---

(١) سورة الاسراء الآية ١٠٦ .

(٢) انظر تاريخ الكتاب الإسلامي لمحمود عباس حموده ص ٩٤ ــ ٩٥ .

(٣) اخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق (٣٢٢٠) واخرجه أيضا ح (٦) و(١٩٠٢) (٣٥٥٤) (٤٩٣٧).

(٤) اخرجه البخاري ح (٣٢٢٠) في كتاب بدء الخلق و(٣٣١٧) و(٤٩٩٨) .

قال البخاري حدثنا خالد بن زيد حدثنا ابو بكر عن أبي حصين عن ذكوان عن أبي هريرة قال : «كان جبريل يعرض على النبيﷺ في كل عام مرة فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه ، وكان يعتكف في كل عام عشرا فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه» [1] .

قال ابن حجر في تعليقه على هذا حديث ابن عباس في معارضة النبي ﷺ بالقرآن ، وفي هذا أن النبيﷺ كان يعرض على جبريل ، وتقدم في بدء الوحي «وكان يلقاه في كل ليلة مرة في رمضان فيدارسه القرآن» [2] فيحمل على ان كل منهما كان يعرض على الآخر ويدرسه به [3] .

ويقول ابن كثير في تعليقه على هذا الحديث وشرحه له : (والمراد من معارضته له بالقرآن كل سنة مقابلته على ما أوحاه إليه عن الله تعالى ليبقى ما بقي، ويذهب ما نسخ توكيدا واستثباتا وحفظا ، ولهذا عرضه في السنة الأخيرة من عمره عليه السلام على جبريل مرتين وعارضه به جبريل كذلك ، ولهذا فهم عليه السلام اقتراب أجله .

وعثمان رضي الله عنه جمع المصحف الإمام على العرضة الأخيرة رضي الله عنه وأرضاه ، وخص بذلك رمضان من بين الشهور ، لأن ابتداء الايحاء كان فيه ، ولهذا يستحب دراسة القرآن وتكراره فيه ، ومن ثم كثر اجتهاد الأئمة في تلاوة القرآن) [4] .

ويقول الشيخ محمد أبو شهبة في ذكر فائدة هذه المعارضة وأهميتها : (وكان من دواعي حفظ القرآن وتثبيته في قلب النبي صلوات الله وسلامه عليه معارضة

---

(١) اخرجه البخاري ح (٤٩٩٨) و (١٩٠٢) (٣٢٢٠) (٣٥٥٤) (٤٩٩٧) .

(٢) اخرجه البخاري ح (٦) وفي كتاب بدء الخلق ح (٣٢٢٠) و(١٩٠٢) (٣٥٥٤) (٤٩٣٧) .

(٣) فتح الباري ٦٦٠/٨ .

(٤) فضائل القرآن لابن كثير ص ٤٤ .

جبريل عليه السلام أتـــاه بالقرآن في رمضان من كل عام ، حتى كان العـــام الـــذي توفي فيه الرسول فعارضه مرتين ، وفهم النبي من ذلك قرب انتهاء أجله ، وكـــان القرآن شغل النبي الشاغل في سره وعلانيته ، وفي حضره وسفره ، وفـــي وحدتـــه وبين صحابته وفي عسره ويسره ، ومنشطه ومكرهه ، لا يغيب عن قلبه ، ولا يـــألو جهدا في الإئتمار بأوامره والإنتهاء عن نواهيـــه والإعتبـــار بمواعظـــه وقصصـــه والتأدب بآدابه وأخلاقه ، وتبليغه إلى الناس كافة ، فمن ثم كان النبـــي صلـــوات الله وسلامه عليه مرجع المسلمين في حفظ القرآن، وفهمه ، والوقوف علـــى أســـراره ، ومراميه) [1] .

والحديث الذي ذكره البخاري في هذا الكتاب وفيه الدلالة على أهتمام الامـــة (الصحابة) بهذا القرآن وحفظه والحرص على تلقيه من النبي بدون وسائط ، يقـــول البخاري بسنده عن علقمة بن عبدالله بن مسعود قال : (كنا مع رسول الله ﷺ فـــي غار فنزلت ﴿والمرسلات عرفا﴾ وإنا لنتلقاها من فيه إذ خرجت حية من جحرهـــا ، فابتدرناها لنقتلها فسبقتنا فدخلت جحرها ، فقال رسول الله ﷺ : ((وقيت شركم كمـــا وقيتم شرها) ، وعن إسرائيل عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمـــة عـــن عبـــدالله مثله، قال : (وإنا لنتلقاها من فيه رطبة) وتابعه أبو عوانة عن مغيرة)) [2] .

ويدل هذا على حفظ الصحابة للقرآن وإهتمامهم بذلك وحرصهم عليه لترغيب الله عزوجل لهم ثم ترغيب رسولهﷺ حيث رتب الأجر العظيم علـــى هـــذا الفعـــل العظيم ، وقد ذكر البخاري كثير من هذه الفضائل في كتاب فضـــائل القـــرآن فـــي صحيحه فلتراجع [3] .

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد ابو شهبة ص ٦٨ ــ ٦٩ .

(٢) اخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ح (٣٣١٧) و(٤٩٣٠) .

(٣) رقم الكتاب في الصحيح هو (السادس والستين)

فقد كانوا يكتبون هذا القرآن ويحفظونه غضا طريا رطبا ويتلقونه من في رسول الله ﷺ ويحرصون على حفظه وتدوينه ، كما سوف يأتي الإشارة إليه بعد قليل .

قال ابن حجر : (وقوله رطبة أي غضة طرية في أول ما تلاها ووصفت بالرطوبة ، والمراد بالرطوبة رطوبة فيه أي أنهم أخذوها عنه قبل أن يجف ريقه من تلاوتها) [(١)] .

وقال العيني (قوله رطبة) أي غضة طرية في أول ما تلاها ووصفت التلاوة بالرطوبة لسهولتها ، ويحتمل أن يكون المراد من الرطوبة رطوبة فمه ، يعني أنهم أخذوها عنه قبل أن يجف ريقه من تلاوتها ، كذا قال الشراح قال العيني هذا كناية عن سرعة أخذهم على الفور حين سمعوه وهو يقرأ من غير تأخير ولا تاذان .

وقد كان كثير من الصحابة رضي الله عنهم مشهورين بالحفظ والاتقان ، ذكر منهم ابن القيم رحمه الله اكثر من عشرين ، وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون وزيد بن ثابت وسالم مولى عثمان وغيرهم كثير [(٢)] .

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم شديدي الحرص على حفظ هذا القرآن وتلقيه من النبي ﷺ وتعلمه وتعليمه غيرهم

يقول الدكتور محمد أبو شهبة : (وأما الصحابة رضوان الله عليهم فقد جعلوا القرآن في المحل الأول ، يتنافسون في حفظ لفظه ويتسابقون في فهم معناه ، وجعلوه مسلاتهم في فراغهم ، ومتعبدهم في ليلهم ، حتى لقد كان يسمع لهم بقراءته دوي كدوي النحل ﴿كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون﴾ [(٣)].

---

(١) فتح الباري ٤١١/٦ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ١١٧/١ .

(٣) سورة الذاريات الآيات ١٧ ـــ ١٨ .

ولقد وصفهم واصف فقال : (كانوا رهبانا بالليل فرسانا بالنهار) وكان اعتمادهم في الحفظ على التلقي والسماع من الرسول ، وممن تلقاه من الصحابة من الرسول ، وما كانوا يعتمدون في حفظه على النقل من الصحف والسطور ؛ لأن الاعتماد في حفظ القرآن على الصحف والمكتوب يفوت على القارئ ركنا مهما من أركان أداء القرآن الكريم على وجهه الصحيح وهو (علم التجويد) [1] .

ومن امتنان الله عزوجل على هذه الأمة ومن خصائصها حفظها لكتاب ربها وهو القرآن ، ففي الحديث الذي رواه مسلم أن النبيﷺ قال : ((إن ربي قال لي : قم في قريش فأنذرهم ، قلت أي رب إذن يثلغوا رأسي حتى يدعوه خبزة ، فقال: إني مبتليك ومبتل بك ، ومنزل عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظان ، فابعث جندا أبعث مثلهم ، وقاتل بمن أطاعك من عصاك وأنفق ينفق عليك)) [2] .

وقال النووي : (لا يغسله الماء أي معناه محفوظ في الصدور لا يتطرق إليه الذهاب بل يبقى على مر الزمان) [3] .

وقال ابو شهبة في تعليقه على هذا الحديث : (أخبر أن القرآن لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء وإنما محله القلوب ، كما جاء في وصف هذه الأمة (أناجيلهم في صدورهم) بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا في الكتب ولا يقرؤونه كله إلا نظرا لا عن ظهر قلب .

فلا عجب والحال كما سمعت أن حفظ القرآن جم غفير من الصحابة منهم الخلفاء الأربعة ، وحذيفة ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وابن مسعود وأبو هريرة ، وابن عباس وابن الزبير ، وابن عمر ، وعبدالله بن عمرو بن العاص ، وأبوه ، وغيرهم من المهاجرين ، ومن الأنصار : أبي بن كعب وزيد بن ثابت ، ومعاذ بن

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد ابو شهبه ص ١٦٩ .

(٢) اخرجه مسلم ح (٢٨٦٥) .

(٣) انظر صحيح مسلم ٤/٢١٩٧ .

جبل ، وأبو الدرداء ، وأبو زيد ، ومهما يكن من شيء فقد حفظ القرآن الكثيرون من الصحابة في عهد النبي ، ولقد روي أنه قتل يوم بئر معونة سبعون من القراء) [١] .

ثانيا : حفظ الوحي بمعنى كتابته

حرص النبيﷺ على كتابة الوحي ، وقد كلف بذلك أناس معروفين حتى اشتهروا بعد ذلك بكتاب الوحي .

يقول مناع القطان : (اتخذ رسول الله ﷺ كتابا للوحي من أجلاء الصحابة ، كعلى ، ومعاوية ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، تنزيل الآية فيأمرهم بكتابتها، ويرشدهم إلى موضعها من سورتها ، حتى تظاهر الكتابة في السطور ، والجمع في الصدور ، كما كان بعض الصحابة يكتبون ما ينزل من القرآن ابتداء من أنفسهم ، دون أن يأمرهم النبيﷺ فيخطونه في العسب ، واللخاف ، والكرانيف ، والرقاع ، والأقتاب ، وقطع الأديم [٢] ، ولقد كان النبي ﷺ شديد الاهتمام بهذه الكتابة ولذلك وضع أناس تخصصوا بهذا الأمر واستشهدوا به .

يقول أبو شهبة:(لم يكتف النبيﷺ بحفظ القرآن وإقرائه لأصحابه وحفظهم له، بل جمع إلى ذلك كتابته وتقييده في السطور ، وكان للنبي كتاب يكتبون الوحي ، منهم أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وأبان وخالد ابنا سعيد وخالد بن الوليد ومعاوية بن أبي سفيان ، وزيد بن ثابت ، وأبي بن كعب وغيرهم ، فكان إذا نزل على النبي من الوحي شيء دعا بعض من يكتب فيأمره بكتابة ما نزل ،

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ١٧٠ .

(٢) مباحث في علوم القرآن مناع خليل القطان ص ١٢٣ ــ ١٢٤ .

وإرشاده إلى موضعه ، وكيفية كتابته على حسب ما كان يرشده إليه أمين الوحي جبريل) [1] .

إن تدوين القرآن الكريم والذي قام به النبيﷺ يعتبر أول تدوين إسلامي وما ذلك إلا لأهمية هذا التدوين وحرص النبي على حفظ الوحي وفعل الأسباب المعينة لذلك ، يقول الدكتور محمود حسن المراغي (يعتبر تدوين القرآن الكريم أول تدوين إسلامي، وقد بدأ تدوين القرآن في حياة النبيﷺ ، وكان التدوين آنذاك يتم من جانب الصحابة حفظا في الصدور ، وكتابة على عسيب النخل واللخاف (الحجارة الرقيقة) وعلى الأديم والأكتاف (عظام أكتاف الحيوان العريضة) ، وعلى الأقتاب (وهي ما يوضع على ظهور الإبل) ومما يسر حفظه وكتابته أنه أنزل على النبيﷺ منجما على مدى ثلاث وعشرين سنة ، حتى تتهيأ النفوس البشرية لتلقي الوحي الإلهي الذي نزله الله تعالى على نبيه ﴿بلسان عربي مبين﴾ [2] .

وكان النبي ﷺ يأمر بكتابة ما ينزل عليه من القرآن وقت نزوله ، وكان هو ﷺ أول الحفاظ وأجمعهم ، غير أنه لم يكتب منه شيئا لأنه النبي الأمي ، ولكنه جمع حوله نخبة من الصحابة الكاتبين الذين عرفوا بكتاب الوحي مثل علي وعثمان وزيد بن ثابت ، وأبي بن كعب ، وانطلق كثير من الصحابة الذين يعرفون الكتابة يكتبون على حفظهم للقرآن في صدورهم بعد أن يتلقوه من الرسول الأمي الذي يتلوه عليهم عقب نزوله من السماء .

ولم يكن تدوين الصحابة للقرآن الكريم في حياة النبيﷺ تدوين جمع ، إذ لم يكن التنزيل قد اكتمل بعد ، وأيضا بسبب ما كان يطرأ على بعض الآيات من نسخ .

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم .

(٢) سورة الشعراء الآية ١٩٥ .

غير أن (نصوص القرآن صريحة في أن سوره وآياته جميعا رتبت بوحي من الله إلى رسوله ، يقول جل شأنه : (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا) (أن علينا جمعه وقرآنه) ، فالرسول لم يرفع إلى الرفيق الأعلى إلا بعد ترتيب القرآن وآياته وسوره ترتيبا كاملا ، وتلقاه عنه الصحابة بهذا الترتيب) [1] .

ولم يمت النبي ﷺ حتى أتقن كثير من الصحابة القرآن وحفظوه وكتبوه كله في صحف عندهم ، حتى إذا كثر القتل فيهم (القراء الحفظة) أشار عمر على أبي بكر بالجمع في مصحف واحد يكون المرجع عند الاختلاف .

يقول القرطبي (كان القرآن في مدة النبي ﷺ قد جمع في صدور الرجال متفرقا ، قد كتب منه أناس في صحف وجريد ولخاف وظرر وخذف وغير ذلك ، فلما استمر القتل بالقراء يوم اليمامة وقتل منهم في ذلك اليوم في زمن ابي بكر اكثر من سبعمائة ، أشار عمر على أبي بكر بجمع القرآن مخافة أن يموت أشياخ القراء كأبي وابن مسعود وزيد بن ثابت وغيرهم) [2] .

يقول ابو شهبة في ذكر الكثرة التي حفظت هذا القرآن وأعتنت به حتى وقتنا الحاضر (وأما بعد وفاته ﷺ فقد أتم حفظه الألوف المؤلفة من الصحابة رجالا ونساء وبحسبك أن تعلم أن من قتل من القراء في موقعة اليمامة كانوا سبعمائة على ما قيل ، وعن الصحابة حفظ الألوف المؤلفة من التابعين ، وهكذا دواليك ، تلقته طبقة عن طبقة بالحفظ والعناية والصيانة ، حتى وصل إلينا القرآن الكريم ، من غير

---

(١) دراسات في المكتبة العربية وتدوين التراث لمحمود حسن المراغي ص ٢٨ .

(٢) انظر الجامع لاحكام القرآن ١/٤٩ ـ ٥٠ .

زيادة ولا نقصان ولا تحريف ولا تبديل فكان تصديقا لقول الله ﴿انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (١) (٢) .

ولم يكن الصحابة معتمدين على الحفظ فقط بل كانوا يكتبون ذلك ، وقد وجد أناس من الصحابة لهم مصاحف خاصة بهم ، يقول الزرقاني : (وجد أناس من الصحابة رضي الله عنهم قد جمع القرآن وكتابته كل واحد منهم على حدة منهم علي وأبن مسعود وأبي وغيرهم ، ولكن لم يكن لمصاحفهم التي جمعوها لما إلى مصحف أبي بكر من الخصائص والميزات وإجماع الصحابة عليه (٣) .

ويقول الشيخ مناع خليل القطان : (ولم تكن هذه الكتابة في عهد النبي ﷺ مجتمعة في مصحفة عام ، بل عند هذا ما ليس عند ذاك ، وقد نقل العلماء أن نفرا منهم : علي بن أبي طالب ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وعبدالله بن مسعود ـ قد جمعوا القرآن كله على عهد رسول الله ﷺ ، وذكر العلماء أن زيد بن ثابت كان عرضه متأخرا عن الجميع .

وقبض رسول الله ﷺ والقرآن محفوظ في الصدور ، ومكتوب في الصحف على نحو ما سبق ، مفرق الآيات والسور ، أو مرتب الآيات فقط وكل سورة في صحيفة على حدة ، بالأحرف السبعة الواردة ، ولم يجمع في مصحف عام ، حيث كان الوحي يتنزل تباعا فيحفظه القراء ، ويكتبه الكتبة ، ولم تدع الحاجة إلى تدوينه في مصحف واحد ، لأنه عليه الصلاة والسلام كان يترقب نزول الوحي من حين آخر ، وقد يكون منه الناسخ لشيء نزل من قبل ، وكتابة القرآن لم يكن ترتيبها بترتيب النزول بل تكتب الآية بعد نزولها حيث يشير ﷺ إلى موضع كتابتها بين آية كذا وآية كذا في سورة كذا) (٤) .

---

(١) سورة الحجر الآية ٩ .

(٢) المدخل لدراسة القرآن ص ١٧٣ .

(٣) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ص ٢٥٤ .

(٣) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ١٢٤ ـ ١٢٥ .

لما تولي أبو بكر الصديق الخلافة بعد وفاة الرسولﷺ كان أول عمل قام به محاربة أهل الردة والقضاء على هذه الفتنة ، وبذلك أقام عمود الإسلام ، وثبت دعائمه بعد أن كادت تتقوض ، ولما وقعت موقعة اليمامة سنة أثنتي عشرة للهجرة استحر القتل في الصحابة ، ومات من حفاظ القرآن خلق كثير قيل خمسمائة ، وقيل سبعمائة ، فخشي الفاروق عمر رضي الله عنه الذي جعل الله الحق على لسانه وقلبه أن يكثر القتل في القراء في بقية المواطن ، وربما كان عندهم شيء من القرآن ، فيضيع بموتهم ، فأشار على أبو بكر أن يجمع القرآن في مكان واحد ، وصحف مجموعة بدل وجوده مفرقا في العسب ، واللخاف ، والرقاع وغيرها ، فتردد أبوبكر أول الأمر ، ولكن لم يزل به الفاروق حتى وافق ، وثبت عنده أن جمع القرآن ليس من المحدثات ، وأن قواعد الدين والشريعة تدعو إليه ، فأرسل الصديق إلى زيد بن ثابت ، وندبه للقيام بهذا العمل الجليل ، فراجعهما ، ولم يزالا به حتى ظهر له الحق، وعلم أن الحق فيما أشارا به فجمعه بعد جهد جهيد (١) .

وقد روي البخاري في كتاب فضائل القرآن بسنده عن زيد بن ثابت حديث جمع القرآن وما أشار به ابوبكر وعمر رضي الله عنهم به وما كان فيه من مشقة وتعب عليه ، يقول زيد بن ثابت في وصف هذا الحديث وعنايته به ومشقته عليه «أرسل إلى أبوبكر الصديق مقتل أهل اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، قال أبو بكر رضي الله عنه : إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإن أخشى إن استحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن ، قلت لعمر : كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خير ، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر ، قال زيد قال أبوبكر : إنك رجل شاب عاقل

---

(١) انظر تفسير القرطبي الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ١/٤٩ ــ ٥٠ بتصرف ، وابن كثير في فضائل القرآن ص ١٤ .

لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، فتتبع القرآن فاجمعه ، فوالله لـــو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرني به من جمع القرآن ، قلـت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال : هو والله خير ، لم يـــزل أبوبكـر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمـــر رضـــي الله عنهما ، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال ، حتى وجـدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿لقـــد جـاءكم رســول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم﴾ [1] حتى خاتمة براءة ، فكانت الصحـــف عنـد أبي بكر حتى توفـاه الله ، ثـم عنـد عمـر حياته ، ثم عند حفصـــة بنـت عمر رضي الله عنه)) [2] ,

يقول الدكتور محمود المراغي في تعليقه على هذه المهمة الصعبة وما حصل فيها : (واستعان زيد بالحفظة المشهود لهم بالإتقان من مثل عثمان وعلي وأبي بـــن كعب وأبي هريرة، وعبدالله بن مسعود، وطلحة، وحذيفة وأبي الدرداء، وأبي موسـى الأشعري ، وزيادة في الدقة ، ومبالغة في الحيطة ، أمر أبوبكر ألا يقبل من حـــافظ شيء حتى يشهد شاهدان عدلان على صحته، وأنه كتب بين يدي رسول الله ﷺ .

وبعد أن أتم زيد بن ثابت جمع القرآن ، أودعت الصحف المكتوبة في بيـــت أبي بكر حتى مات ، ثم حفظت عند عمر بن الخطاب ، وبعد موت عمر تولت بنتـه حفصة حفظ الصحف .

وبذلك يعتبر جمع أبي بكر للقرآن ، أول جمع في صورة كتاب ، وفي ذلـــك يقول الإمام علي : ((رحمة الله على أبي بكر ، كان أول من جمع بيـــن اللوحيـن)) ويقول: ((أعظم الناس في المصاحف أبوبكر فإنه أول من جمع بين اللوحين)) [3].

---

(١) سورة التوبة الآية ١٢٨ .

(٢) اخرجه البخاري ح (٤٩٨٦) (٤٩٨٩) .

(٣) دراسات في المكتبة العربية وتدوين التراث ص ٢٩ .

ويقول مناع القطان : (وقد راعى زيد بن ثابت نهاية التثبت ، فكان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة ، وقوله في الحديث : « ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أحدها مع غيره » لا ينافى هذا ، ولا يعني أنها ليست متواترة، وإنما المراد أنه لم يجدها مكتوبة عند غيره ، وكان زيد يحفظها ، وكان كثير من الصحابة يحفظونها كذلك ، لأن زيدا كان يعتمد على الحفظ والكتابة معا ، فكانت هذه الآية محفوظة عند كثير منهم ، ويشهدون بأنها كتبت ، ولكنها لم توجد مكتوبة إلا عند أبي خزيمة الأنصاري .

يقول مناع خليل القطان في كتابه مباحث في علوم القرآن : (وقدم عمر فقال: من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئا من القرآن فليأت به ، وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعسب ، وكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شهيدان ، وهذا يدل على أن زيدا كان لا يكتفي بمجرد وجدانه مكتوبا حتى يشهد به من تلقاه سماعا ، مع كون زيد كان يحفظ ، فكان يفعل ذلك مبالغة من الاحتياط) [١] .

واما عن سبب الاختيار أي أختيار زيد لهذه المهمة العظيمة على غيره من الصحابة رضي الله عنه ، فيقول ابن الأنباري : (ولم يكن الإختيار لزيد بن ثابت من جهة ابوبكر وعمر وعثمان على عبدالله بن مسعود في جمع القرآن ، مع ان عبدالله بن مسعود أفضل من زيد وأقدم في الإسلام وأكثر سوابق وأعظم فضائل ، إلا ان زيد كان احفظ للقرآن من عبدالله إذ وعاه كله وحفظه ورسول الله ﷺ حي والذي حفظ منه عبدالله في حياة الرسول أكثر من سبعين سورة ، فتالذي حفظه القرآن وختمه ورسوله الله ﷺ حي أولى بالجمع وأحق بالإيثار والإختيار ، ولا ينبغي أن يظن جاهل أن هذا طعنا على عبدالله بن مسعود لان زيد إن كان أحفظ للقرآن منه فليس ذلك موجبا لتقدمه عليه ولا تفضيله عليه لأن أبابكر وعمر رضي الله عنهما كان زيد أحفظ منهما وليس هو خير منهما عند جميع العلماء) [٢] .

---

(١) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ١٢٧ .

(٢) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ٥٣/١ .

ويقول ابوبكر رضي الله عنه في تعليقه على فعل أبي بكر في جمع القـــرآن وحرص الصحابة على حفظ القرآن وتبليغه إلى الأمة واهتمامهم بهذا الأمر وتوفيـق الله عزوجل لأبي بكر لهذا الجمع يقول : (فلهذا نعلم بالضرورة أنه لـم يبـق مـن القرآن ما أداه الرسول ﷺ إليهم إلا وقد بلغوه إلينا ، لله الحمد والمنة .

فكان الذي فعله الشيخان أبوبكر وعمر رضي الله عنهما من أكبر المصـالح الدينية وأعظمها نفعا للأمة من حفظهما لكتاب الله في الصحف ، لئلا يذهـب منـه شيء بموت من تلقاه عن رسول الله ﷺ ثم كانت تلك الصحف عند الصديـق أيـام حياته ، ثم أخذها عمر بعده ، فكانت عنده محروسة معظمة مكرمة ، فلما مات كانت عند حفصة أم المؤمنين ، لأنها كانت وصيته من أولاده على أوقافه وتركتـه حتـى أخذها أمير المؤمنين عثمان فنقلها ثم ردها إليها ثم بعد ذلك كانت عند أخوها عبـدالله بن عمر ثم طلبها مروان بن الحكم بن عبدالملك فأحرقها حتى لا يظن الناس أن فيها شيء مخالف لما معهم من القرآن) [1] .

وقد عرفنا أن القرآن كان مكتوبا من قبل في عهد النبـي ﷺ ، ولكنـه كـان مفرقا في الرقاع والأكتاف والعسب ، فأمر أبوبكر بجمعه في مصحف واحد مرتـب الآيات والسور وأن تكون كتابته غاية من التثبيت مشتملة على الأحرف السبعة التـي نزل بها القرآن ، فكان أبوبكر رضي الله عنه أول من جمع القرآن بهذه الصفة فـي مصحف ، وإن وجدت مصاحف فردية عند بعض الصحابـة كمصحـف علـي ، ومصحف أبي ، ومصحف ابن مسعود ، فإنها لم تكن على هذا النحو ، ولـم تنـل حظها من التحري والدقة ، والجمع والترتيب ، والاقتصار على ما لم تنسخ تلاوته ، والإجماع عليها ، بمثل ما نال مصحف أبي بكر ، فهذه الخصائص تميز بها جمـع أبي بكر للقرآن [2] .

---

(١) انظر فضائل القرآن لابن كثير ص ١٧ ـــ ١٨ .

(٢) انظر وجود هذه المصاحف عند بعض الصحابة ، دراسات في المكتبة العربية وتدوين الـتراث ص ٣١ ، دراسات في علوم القرآن للقطان ص ١٢٨ .

ويعد فعل ابوبكر هذا هو أول تدوين للقرآن الكريم ، يقول محمد عباس حموده : (ومن هنا يمكن القول بأن التدوين وبدايته الحقيقية هي قيام أبي بكر الصديق بتكليف ، وأمر زيد بن ثابت كبير كتاب الوحي أن يبحث عن آيات القرآن ويجمعها في مصحف ، وهكذا يمكننا القول بأن المدينة هي التي نشأ فيها التدوين للمحافظة على كتاب الله من أن يداخله أي شيء ، أو أن ينقص منه جزء وخاصة بعد أن تفشى الموت في الصحابة في حروب الردة) [1] ، وهذا الترتيب للوحي كان عن وحي من الرسول .

(وقد روعي في هذا الجمع للقرآن الكريم ترتيب الآيات على العرض التي عرضها جبريل عليه السلام قبل موته ، فكان ترتيب الآيات أمر توقيفي ، وأما السور ففعلها عثمان رضي الله عنه) [2] ، ثم وضع الصحابة له أسم وهو المصحف فصار يعرف بذلك .

(وبعد أن تم جمع القرآن على هذا الشكل ــ جمع أبوبكر الصحابة وقال : التمسوا له أسما فقال بعضهم سموه سفرا ــ فقال أبوبكر سموه مصحفا فوافقوا على ذلك ، وقد تمت كتابة المصحف وشهدها أصحاب الرسول الكريم في عهد أبي بكر الصديق والحفاظ منهم ــ ووضع هذا المصحف عند أبي بكر .. وهو الذي أطلق عليه مصحفا) [3]

ثم حصل الجمع الثاني للقرآن الكريم في عهد عثمان رضي الله عنه ، وسبب هذا الجمع هو تفرق الصحابة عن الامصار حيث (اتسعت رقعة الدولة الإسلامية نتيجة الفتوح العظيمة ، حتى تفرق كثير من الصحابة القراء بين الأمصار ، وكان مسلمو تلك البلاد والأمصار يتعلمون القرآن على يدي الصحابي الكبير المقيم بينهم ،

---

(١) تاريخ الكتاب الإسلامي المخطوط ص ٩٧ .

(٢) انظر فضائل القرآن لابن كثير ص ٢٠ ــ ٢١ .

(٣) انظر تاريخ الكتاب الإسلامي المخطوط ص ٩٨ .

فكان أهل الكوفة يقرأون على مصحف ابن مسعود ، وأهل البصرة على مصحف أبي موسى الأشعري ، وأهل الشام على مصحف أبي بن كعب ، وأهل دمشق على مصحف المقداد بن الأسود ، فأدى ذلك إلى الاختلاف في بعض الأداء ، ولم يكن معهم جميعا مصحف أبي بكر ليرجعوا إليه ، إذ كان مصحف أبي بكر محفوظا عند حفصة بنت عمر ، فلما رأى حذيفة ما ظهر من اختلاف في أداء القرآن بين مسلمي الأمصار ــ وكان إذ ذاك يغزو في فتح أرمينية وأذربيجان ــ هرع إلى عثمان بن عفان قائلا : «إن الناس قد اختلفوا في القرآن حتى إني والله لأخشى أن يصيبهم مثل ما أصاب اليهود والنصارى من الإختلاف» فما إن سمع عثمان ذلك من حذيفة حتى عزم على أن يجمع الناس على إمام واحد ، يرجعون إليه ، فبعث إلى حفصة فأرسلت إليه مصحف أبي بكر ، فأمر زيد بن ثابت ، وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام ، وقال عثمان للرهط القرشيين ، وهم الثلاثة الأخيرون : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في كتابة شيء من القرآن ، فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم ، فنفذوا ما أمرهم به ، ثم أعاد مصحف أبي بكر إلى حفصة ، وأمر أن تكتب المصاحف من مصحفه هو ، وبعث بها إلى الأمصار ، وأمر بإحراق المصاحف الأخرى) (1) .

ويروي ابن جرير الطبري في تفسيرة أن الصحابة أنزعجوا من اختلاف القراء ، يقول ابن جرير (حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن علية ، قال : حدثنا أيوب ، عن أبي قلابة ، قال : لما كان في خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل ، والمعلم يعلم قراءة الرجل ، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون ، حتى أرتفع ذلك إلى المعلمين ــ قال أيوب : فلا أحسبه إلا قال ــ حتى كفر بعضهم بقراءة بعض ، فبلغ ذلك عثمان ، فقام خطيبا فقال : أنتم عندي

---

(1) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥٢/١ ، ودراسات في المكتبة العربية وتدوين التراث ص ٣٠ .

تختلفون فيه وتلحنون ، فمن نأى عني من أهل الأمصار أشد فيه اختلافا وأشد لحنا ، اجتمعوا يا أصحاب محمد فاكتبوا للناس إماما ، قال أبو قلابة : فحدثني أنس بن مالك قال : كنت فيمن يملى عليهم ، قال : فربما اختلفوا في الآية فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله ﷺ ، ولعله أن يكون غائبا في بعض البوادي ، فيكتبون ما قبلها وما بعدها ويعدون موضعها ، حتى يجيء أو يرسل إليه ، فلما فرغ من المصحف كتب عثمان إلى أهل الأمصار : إني قد صنعت كذا وكذا ، ومحوت ما عندي فامحوا ما عندكم) (١) .

وقد ذكر البخاري حديث مشابه لهذا الحديث في فضائل القرآن لكن مصرح بان الذي أشار بهذا الجمع هو حذيفة رضي الله عنه : ((عن انس رضي الله عنه قال: إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان رضي الله عنه ، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، فارسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف فننسخها ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت ، وعبدالله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن أي في كتابته ــ فاكتبوه بلسان قريش ، فإنمّا أنزل بلسانهم ، ففعلوا ، حتى إذا نسخوا المصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق)) (٢) .

---

(١) تفسير الطبري ١/٦١ ــ ٦٢ .

(٢) رواه البخاري ح (٤٩١٧) .

وهذا الفعل من عثمان رضي الله عنه كان محل إجماع من الصحابة ، فقد روي القرطبي عن ابن الأنباري في كتابة الرد على سويد بن غفلة قال : (سمعت علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يقول : يا معشر الناس إياكم والغلو في عثمان وقولكم حراق في المصاحف فوالله ما حرقها إلا عن ملامنا أصحاب محمدﷺ) .

وعن عمر بن سعيد قال : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لو كنت الوالي وقت عثمان لفعلت في المصاحف مثل ما فعل عثمان) (١) .

قال ابن كثير: في فضل عثمان وأتفاق الصحابة على هذا الجمع ما نصه: (وهذا أيضا من أكبر مناقب أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه «يعني الجمع» فان الشيخين سبقاه إلى حفظ القرآن أن يذهب منه شيء ، وهو جمع الناس على قراءة واحدة لكي لا يختلفوا في القرآن ، ووافقه على ذلك جميع الصحابة ، وإنما روي عن عبدالله بن مسعود شيء من التغضب ، بسبب أنه لم يكن ممن كتب المصاحف ، وأمر أصحابه بغل مصاحفهم لما أمر عثمان بحرق ما عدا المصحف الامام ، ثم رجع ابن مسعود إلى الوفاق ، حتى قال علي بن أبي طالب : لو لم يفعل ذلك عثمان لفعلته أنا ، فاتفق الأئمة الأربعة أبوبكر وعمر وعثمان وعلي على أن ذلك من مصالح الدين) (٢) .

وبهذا تم حفظ القرآن كتابة مع ما كان عليه الصحابة من الحرص على حفظه في الصدور حتى انه لا يشك كل منصف ان هذا القرآن الموجود معنا اليوم هو الذي أنزل على الرسول ﷺ لا زيادة فيه ولا نقصان ، يقول الدكتور عبدالله الصباغ : (يقول الدكتور و.. موير : إن المصحف الذي جمعه ـ نسخه ـ عثمان قد تواتر إلينا بدون أي تحريف ، ولقد حفظ بعناية شديدة بحيث لم يطرأ عليه أي تغيير يذكر ، بل نستطيع أن نقول : إنه لم يطرأ عليه أي تغيير على الإطلاق في

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/٥٤ .

(٢) فضائل القرآن لابن كثير ص ١٨ ــ ١٩ .

النسخ التي لا حصر لها والمتداولة في البلاد الإسلامية الواسعة ، فلم يوجد إلا قرآن واحد لجميع الفرق الإسلامية المتنازعة ، وهذا الإستعمال الإجتماعي لنفس النص المقبول من الجميع حتى اليوم ، هو أكبر حجة ودليل على صحة النص المنزل الموجود معنا) .

كما يؤكد هذا المعنى « شفالي » فيقرر بأنه (أكمل وأدق مما يتوقعه أي إنسان ، ولا غرو فهو كتاب الله الذي تكفل رب العزة بحفظه والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) [١] .

---

(١) القراءات القرآنية وملاحظات على منهج الدرس للدكتور عبدالله توفيق الصباغ ص ٩ ــ ١٠ .

المبحث الثالث
انزال القرآن على سبعة أحرف

من رحمة الله عزوجل بهذه الأمة أن أنزل عليها هذا القرآن العظيم وجعله من أكبر الآيات الدالة على صدق الرسول محمدﷺ ، ولقد تحدى الله به أمة العرب، قال تعالى : ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ (١) ومن رحمة الله بهذه الأمة أن أنزل هذا القرآن عليها على سبعة أحرف تيسيراً عليها ورفعاً للحرج الذي قد يصيب بعض أفرادها ، ولعل ذلك يتضح من خلال عرض هذا المبحث إن شاء الله تعالى .

ساق البخاري حديث إنزال القرآن على سبعة أحرف في كتابه بدء الخلق باسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول اللهﷺ قال : «أقرأني جبريل على حرف ، فلم ازل استزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف» (٢) .

وروى هذا الحديث كذلك في كتاب فضائل القرآن (٣) ، وأخرجه عن عمر بن الخطاب في نفس الكتاب في حديث طويل (٤) ، وأحاديث إنزال القرآن على سبعة احرف أحاديث كثيرة تبلغ بمجموعها حد التواتر القطعي الذي لا شك فيه (٥).

وقال النووي : (وهذه الأحرف السبع كلها مستفيضة عن النبيﷺ ضبطها عند الأمة ، ولا يدري بها كان الأخير عرضاً على النبيﷺ) (٦) .

---

(١) سورة الإسراء الآية ٨٨ .

(٢) اخرجه البخاري ح (٣٢١٩) في كتاب بدء الخلق (٤٩٩١) ، وأخرجه مسلم (٨١٩) .

(٣) اخرجه البخاري ح (٤٩٩١) ، واخرجه مسلم (٨١٩) ، وأخرج مسلم مثله عن ابي بن كعب ح (٨٢٠) (٨٢١) .

(٤) اخرجه البخاري ح (٤٩٩٢) ، واخرجه مسلم ح (٨١٨) .

(٥) شرح مسلم للنووي ٦/١٠٠ .

(٦) شرح مسلم للنووي ٦/١٠٠ .

وقال ابن كثير وابن حجر : (بل الأخير عرضاً هو ما أثبته عثمان رضي الله عنه في الجمع الذي جمعه في عهده وسمي الجمع الثالث ، فإنه جمعهم على آخر عرضه عرضها عليه جبريل عليه السلام [١] .

وقد اختلف العلماء في المراد بالاحرف السبعة على أقوال كثيرة جداً حتى عد منها ابن حبان أكثر من خمس وثلاثين قولاً في صحيحه [٢] ، قال ابن حجر وقد تتبعت مظانها في الصحيح فلم أجدها [٣] .

وقال المنذري في تعليقه على كلام ابن حبان هذا : (وأكثر هذه الأقوال غير مختار ولم يذكر القرطبي منها سوى خمسة فقط) [٤] .

وكذلك لم يذكر ابن كثير في فضائل القرآن إلا خمسة أقوال فقط وأعرض عن الباقي[٥] .

ونشير هنا إلى ملاحظة مهمة وهي أن هذه التوسعة على الأمة لم تأتي إلا بعد الهجرة النبوية وبعد دخول أكثر قبائل العرب في الإسلام مما أحتاج الناس معه إلى التوسيع والرحمة ، فأنزل الله هذا التخفيف وأباح للأمة أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف أنزلها الله على نبيه ، ويشهد لهذا حديث مسلم عن ابي بن كعب : أن النبيﷺ كان عنده أضاه بني غفار ، قال فاتاه جبريل عليه السلام فقال : أن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف ، فقال (أسأل الله معافاته ومغفرته ، وأن أمتي لا تطيق ذلك) ثم أتاه ثانية ، فقال : ان الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين ، فقال (أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك) ، ثم جاءه

---

(١) فضائل القرآن لابن كثير ص ٣٧ ، وانظر فتح الباري ٦٤٧/٨ .

(٢) انظر الجامع لاحكام القرآن ٤٢/١ .

(٣) فتح الباري ص ٦٤٠ .

(٤) فتح الباري ٦٤٠/٨ .

(٢) انظر فضائل القرآن لابن كثير ص ٣٦ ــ ٣٨ .

الثالثة فقال : أن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة احرف ، فقال (أسأل الله معافاته ومغفرته وأن أمتي لا تطيق ذلك) ، ثم جاءه الرابعة فقال : أن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فايما حرف قرأوا عليه ، فقد أصـــابوا) (١) ، وهذا المكان الذي ذكره الحديث هو مكان ماء وغدير قرب المدينة كانت تنزل فيــه بنو غفار ، ولهذا استدل العلماء به على أن التخفيف كان بعد الهجرة النبوية وزمانــه متأخر كذلك (٢) والحديث ينص على ذلك .

يقول ابن حجر (فقد ثبت أن ورود التخفيف بذلك كان بعد الهجرة ويدل عليــه حديث مسلم ثم ساقه) (٣) .

ويقول الدكتور فتحي فريد بعد أن ساق الأحاديث الواردة في إنــزال القــرآن على ســبعة أحرف قال بعد الإنتهاء من عرضها : (ونرى أتفاق الروايات الســابقة فيما بينهــا على :

١ ـ أن نزوله في الأصل كان على أصل واحد .

٢ ـ أن نزوله على سبعة أحرف جاء بعد سؤال الرسول التيسير والتخفيــف علــى أمته في المدينة لما كثر الناس ودخلوا في دين الله أفواجاً) (٤) .

ويقول الدكتور محمد أبو شهبة : (أن التوسعة على الأمة لم تكن فـــي مبــدأ الدعوة ، بل كانت بعد الهجرة وبعد أن دخل في الإسلام كثير مـــن القبــائل غــير قريش، فكانت الحاجــة ماســة إلى هذا التسهيل ، وتلك التوسعة ، يشهد لهذا حديث مسلم : « أن النبي كان عند أضاة بني غفار ... » الحديث ، وهي بالمدينة النبويــة ، كما ذكرنا آنفا) (٥) .

---

(١) اخرجه مسلم ح (٨٢١) .

(٢) انظر شرح مسلم للنووي ١٠٤/٦ .

(٣) فتح الباري ٦٤٥/٨ ، المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ١٥٨ .

(٤) الاعجاز والقرآن لفتحي عبدالقادر فريد ص ٢٩ .

(٥) المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٢٥٨ .

أقوال العلماء في المراد بالأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن :

وأهم هذه الأقوال التي أشار إليها العلماء وذكروها هي ما يلي :

القول الأول : ذهب جماهير العلماء إلى أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد ، على معنى أنه حيث تختلف لغات العرب في التعبير عن معنى من المعاني يأتي القرآن منزلاً بألفاظ على قدر هذه اللغات لهذا المعنى الواحد، وحيث لا يكون هناك اختلاف فإنه يأتي بلفظ واحد أو أكثر ، قال القرطبي (وهذا هو قول سفيان بن عيينه وعبدالله بن وهب والطبري والطحاوي وغيرهم كثير) (١) .

واختلفوا في تحديد اللغات السبع .

فقيل : هي لغات : قريش ، وهذيل ، وثقيف ، وهوازن ، وكنانة ، وتميم ، واليمن .

وقال أبو حاتم السجستاني : نزل بلغة قريش ، وهذيل ، وتميم ، والأزد ، وربيعة ، وهوازن ، وسعد بن بكر .

وروى غير ذلك ، يقول ابو شهبة (ولم يثبت في تعيين هذه اللغات حديث صحيح وقد إختلف فيها اختلافاً كبيرا) (٢) .

القول الثاني : إن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب نزل عليها القرآن ، على معنى أنه في جملته لا يخرج في كلماته عن سبع لغات هي أفصح لغاتهم ، فأكثره بلغة قريش ، ومنه ما هو بلغة هذيل ، أو ثقيف ، أو هوازن ، أو كنانة ، أو تميم ، أو اليمن ، فهو يشتمل في مجموعة على اللغات السبع ، وضعف القرطبي هذا القول (٣) .

وهذا الرأي يختلف عن سابقه ، لأنه يعني أن الأحرف السبعة إنما هي أحرف سبعة متفرقة في سور القرآن ، لا أنها لغات مختلفة في كلمة واحدة باتفاق المعاني.

---

(١) الجامع لاحكام القرآن ١/٤٢ .

(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ١٦٦ .

(٣) انظر الجامع لاحكام القرآن ١/٤٣ .

قال أبو عبيد : (ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات ، بل اللغات السبع مفرقة فيه ، فبعضه بلغة قريش ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة هوازن ، وبعضه بلغة اليمن ، وغيرهم ، قال : وبعض اللغات أسعد به من بعض وأكثر نصيباً) ، وإلى هذا القول ذهب القاسم بن سلام وأختاره ابن عطية) [1] وقد ضعف القرطبي هذا القول .

القول الثالث : ذهب إلى أن المراد بالأحرف السبعة أوجه سبعة : من الأمر والنهي، والوعيد ، والوعيد ، والجدل ، والقصص ، والمثل ، أو من : الأمر والنهي ، والحلال ، والحرام ، والمحكم ، والمتشابه ، والأمثال ، قال ابن كثير (قال ابن عطية: وهذا ضعيف لأن هذه لا تسمى حروفاً ، وأيضاً فالإجماع أن التوسعة لم نقع في تحليل حلال ، ولا في تغيير شيء من المعاني ، وقد أورد القاضي الباقلاني في هذا حديثاً ، ثم قال : وليست هذه هي التي أجاز لهم القراءة بها) [2] .

القول الرابع : أن المراد بالأحرف السبعة ، وجوه التغاير السبعة التي يقع فيها الاختلاف وهي :

١ ــ إختلاف الأسماء بالافراد والتذكير وفروعهما : (التثنية ، والجمع ، والتأنيث) .

٢ ــ الإختلاف في وجوه الإعراب للكلمة وموقعها .

٣ ــ الإختلاف في التصريف بحث يصرف كلمة أو تمنع صرفها .

٤ ــ الإختلاف بالتقديم والتأخير : إما في الحرف كقوله تعالى :﴿أفلم يايئس﴾ [3] وقرئ (أفلم يأيس) وإما في الكلمة كقوله تعالى : ﴿فيقتلون ويقتلون﴾ [4] بالبناء للفاعل في الأول ، وللمفعول في الثاني ، وقرئ بالعكس ، أي بالبناء للمفعول في

---

(١) الجامع لاحكام القرآ، للقرطبي ١/٤٣ ــ ٤٤ ، وانظر فضائل القرآن لابن كثير ص ٣٧ ــ ٣٨ .

(٢) فضائل القرآن لابن كثير ص ٣٨ ــ ٣٩ .

(٣) سورة الرعد الآية ٣١ .

(٤) سورة التوبة الآية ١١١ .

الأول ، وللفاعل في الثاني . أما قراءة (وجاءت سكرة الحق بالموت) بدلاً من قوله تعالى : ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ (١) فقراءة أحادية أو شاذة ، لم تبلغ درجة التواتر .

٥ ـ الإختلاف بالإبدال : سواء أكان إبدال حرف بحرف كقوله تعالى : ﴿وانظر إلى العظام كيف ننشزها﴾ (٢) قرئ بالزاى المعجمة مع ضم النون ، وقرئ بالراء المهملة مع فتح النون ، أو إبدال لفظ بلفظ ، كقوله تعالى ﴿كالعهن المنفوش﴾ (٣) قرأ ابن مسعود وغيره (كالصوف المنفوش) وقد يكون هذا الإبدال مع التقارب في المخارج كقوله تعالى : ﴿وطلح منضود﴾ (٤) قرئ (طلع) ومخرج الحاء والعين واحد ، فهما من حروف الحق .

٦ ـ الاختلاف بالزيادة والنقص : فالزيادة كقوله تعالى : ﴿وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار﴾ (٥) قرئ (من تحتها الأنهار) بزيادة (من) وهما قراءتان متواترتان ، والنقصان كقوله تعالى : ﴿قالوا اتخذ الله ولداً﴾ (٦) بدون واو ، وقراءة الجمهور : ﴿وقالوا اتخذ الله ولداً﴾ (٧) وبالواو .

٧ ـ اختلاف اللهجات بالتفخيم والترقيق ، والفتح والإمالة ، والإظهار والإدغام ، والهمز والتسهيل والإشمام ونحو ذلك ، وهذا هو رأي أبي الفضل الرازي وقد مال ابن الجزري إليه (وسبب تخصيص العدد بسبعة أحرف دون غيرها بأن وجوه القراءات لا تخرج عن سبعة أوجه) (٨) .

---

(١) سورة ق الآية ١٩ .
(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٩ .
(٣) سورة القارعة الآية ٥ .
(٤) سورة الواقعة الآية ٢٩ .
(٥) سورة التوبة الآية ١٠٠ .
(٦) سورة البقرة الآية ١١٦ .
(٧) سورة البقرة الآية ١١٦ .
(٨) الاعجاز والتراث لفتحي فريد ص ٣١ ـ ٣٣ .

يقول الدكتور فتحي فريد بعد ما حكى هذا القول : (هذا ويـــرى البــاحث أن الوجوه السبعة التي يرجع اختلاف القراءات إليها ، كما استخلص ذلك ابن الجــزري أو التي ينحصر اختلاف الكلام العربي فيها ، كما وجد ابن الجزري عند أبي الفضل الرازي ، إنما هي أمر حادث بعد نزول القرآن وناتج عن اجتهاد بشري لا يخلو مـن الخطــأ ولا يعلو على النســيان ، فلا ينبغي التعليــل بـــه للقرآن الكريم الذي نــزل من عند الله) [١] .

القول الخامس : أن العدد سبعة لا مفهوم له ، وإنما هو رمز إلى ما ألفه العرب مـن معنى الكمال في هذا العدد ، فهو إشارة إلى القرآن في لغته وتركيبه كأنـــــه حــدود وأبواب لكلام العرب كله مع بلوغه الذروة في الكمال ، فلفظ السبعة يطلــــق علـــى إرادة الكثرة والكمال في الآحاد ، كما يطلق السبعون في العشرات، والسبعمائة فـــي المئتين ، ولا يراد العدد المعين .

القول السادس : قال جماعة : إن المراد بـــالأحرف الســبعة ، القــراءات الســبع المعروفة الآن وهي ما يقرأ بها أئمة القراء السبعة وتنسب اليـــهم ، وســوف يــأتي تضعيف هذا القول ان شاء الله تعالى .

والراجح من هذه الآراء جميعها هو الرأي الأول ، وأن المــــراد بــالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد ، نحو : أقبل وتعال ، وهلــم ، وعجل ، وأسرع ، فهي ألفاظ مختلفة لمعنى واحد ، وإليه ذهب سفيان بن عيينة وابن جرير ، وابن وهب ، وخلائق ، ونسبه ابن عبدالبر لأكثر العلماء [٢] .

والقول الأول هو الراجح وقد اختاره ورجحه اكثر من عالم ، قـــال الامــام القرطبي رحمه الله : (هو قول جماهير العلماء وهو الراجح [٣] .

---

(١) الإعجاز والقراءات للدكتور فتحي فريد ص ٣٣ ــ ٣٤ .

(٢) انظر مباحث في علوم القرآن للقطان ص ١٦٢ .

(٣) فتح الباري ٨/٦٤٣ .

وأختار ابن حجر كذلك هذا الرأي واستدل على ترجحه بحادثة عمر بن الخطاب مع هشام بن الحكم وإنكار عمر لقرأته [1] ، ثم قال : (والمراد بالاحرف السبعة تأدية المعنى باللفظ المراد ، فهو ولو كان من لغة واحدة لأن لغة هشام بلسان قريش وكذلك عمر ، ومع ذلك فقد اختلفت قرائتهما نبه على ذلك ابن عبدالبر ، ونقل عن اكثر أهل العلم أن هذا هو المراد) [2] .

ثم نقل قول عن أبي شامة في تأييد هذا الرأي فقال : (ونقل ابو شامة عن بعض الشيوخ أنه قال : أنزل القرآن أولاً بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء ، ثم أبيح للعرب أن يقرءوه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم في الألفاظ والأعراف ، ولم يكلف أحد منهم الانتقال من لغته إلى لغة اخرى للمشقة ، ولما كان فيهم من الحمية ولطلب تسهيل فهم المراد كل ذلك مع اتفاق المعنى ، وعلى هذا يتنزل اختلافهم في القراءة كما تقدم وتصويب ﷺ كلا منهم، قلت (ابن حجر) : وتتمة ذلك أن يقال : إن الإباحة المذكورة لم تقع بالتشهي ، أي أن كل احد يغير الكلمة بمراد منها في لغته بل المراعى في ذلك السماع من النبي ﷺ) [3] ، وهذا يعتبر تأييد اخر من ابن حجر لهذا القول الذي ذهب إليه أكثر أهل العلم .

ويقول أبو شهبة في تأييد هذا القول كذلك: (أن المراد سبعة أوجه من المعاني المتفقة بألفاظ مختلفة وإن شئت فقل : سبع لغات من لغات العرب المشهورة في كلمة واحدة ، تختلف فيها الألفاظ والمباني مع اتفاق المعاني ، أو تقاربها ، وعدم اختلافها وتناقضها ، وذلك مثل : هلم ، وأقبل ، وتعال ، وإلى ، ونحوي ، وقصدي، وقربي ، فإن هذه ألفاظ سبعة مختلفة يعبر بها عن معنى واحد ، وهو طلب الإقبال.

---

(١) هذه الحادثة والحديث أخرجها البخاري ح (٤٩٩٢) .
(٢) فتح الباري ٦٤٣/٨ .
(٣) فتح الباري ٦٤٤/٨ .

وليس معنى هذا أن كل كلمة كانت تقرأ بسبعة ألفاظ من سبع لغات ، بل المراد : أن غاية ما ينتهي إليه الاختلاف في تأدية المعنى هو سبع ، فالمعنى الذي تتفق فيه اللغات في التعبير عنه بلفظ واحد يعبر عنه بهذا اللفظ فحسب ، والذي يختلف التعبير عنه بلفظين ، وتدعو الضرورة إلى التوسعة يعبر عنه بلفظين وهكذا إلى السبع) (١) .

ثم قال : (وإلى هذا الرأي ذهب الجماهير من سلف الأمة وخلفها فذهب إليه الأئمة سفيان بن عيينة وابن جرير الطبري ، ودافع عنه دفاعا حارا في مقدمة تفسيره والطحاوي وابن وهب وخلائق كثيرون ، واختاره القرطبي ، ونسبه ابن عبدالبر لأكثر العلماء ، وهذا الرأي هو الذي اختاره وأميل إليه) (٢) ، ومال إلى هذا القول وأيده كذلك السيد محمد البيلاوي يقول بعد عرض الأقوال : (القول الثالث وهو المختار أن معنى نزول القرآن على سبعة أحرف هو اشتمال القرآن على سبعة أوجه بقراءة القارئ على أي وجه منها) (٣) .

وهناك نقطة لابد من الإشارة إليها هنا ، وهي هل استمرت القراءة بالاحرف السبعة المنزلة ، أم أنها محيت وزالت وأنتهى العمل بها ؟! وهل القراءات الموجودة الآن (السبع قرءات) أو العشر ، وهي هذه الأحرف السبع أم لا ؟

يقول النووي : (قال الداودي وهذه القراءات الموجودة السبع التي يقرأ بها الناس اليوم ليس كل حرف منها هو أحد تلك السبعة بل تكون مفرقة فيها ، وقال أبو عبيدالله بن أبي صفرة هذه القراءات السبع إنما شرعت من حرف واحد من

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم لابو شهبة ص ١٦٠ .

(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم لابو شهبة ص ١٦٢ .

(٣) مجلة لواء الإسلام ص ١٩ العدد ٩ جمادى الأولى ١٣٦٧هـ مارس ١٩٤٨م .

السبعة المذكورة في الحديث وهو الذي صحح عليه عثمان رضي الله عنه المصحف) [1] ، وحكى مثل هذا القول القرطبي فقال : (قال كثير من علمائنا كالداودي وابن أبي صخرة وغيرهما هذه القراءات السبع التي تنسب لهؤلاء القراء السبعة ، ليست هي الأحرف السبعة التي استعمل الصحابة القراءة بها ، وانما هي راجعة إلى حرف واحد من تلك السبعة ، وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف، ذكره ابن النجاس وغيره وهذه القراءات المشهورة السبع هي اختيارات أولئك الأئمة القراء ، وذلك أن كل واحد منهم اختار فيما روى وعلم وجهه من القراءات ما هو الأحسن عنده والأولى فالتزمه طريقه ورواه وأقرأ به وأشتهر عنه) [2] ، ثم قال : (وقد أجمع المسلمون في هذه الاعصار على الاعتماد على ما صح عن هؤلاء الأئمة مما رووه ورأوه من القراءات وكتبوا في ذلك مصنفات ، فاستمر الإجماع على الصواب وحصل ما وعد الله به من حفظ الكتاب، وعلى هذا الأئمة المتقدمون والفضلاء المحققون كالقاضي ابي بكر بن الطيب والطبري وغيرهما) [3] .

ويقول ابن كثير في مثل هذا المعنى (ثم لما رأى الإمام أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه اختلاف الناس في القراءة خاف من تفرق كلمتهم ، جمعهم على حرف واحد ، وهو هذا المصحف الامام ، واستوقفت له الأمة على ذلك ، بل أطاعت ورأت أن فيما فعله الرشد والهداية ، وتركت القراءة بالأحرف الستة ، التي عزم عليها إمامها العادل في تركها طاعة منها له ، ونظراً منها لأنفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها ، حتى درست من الأمة معرفتها ، وعفت آثارها ، فلا سبيل

---

(١) شرح مسلم للنووي ١٠٠/٦ .

(٢) الجامع لاحكام البرآن ٤٦/١ .

(٣) الجامع لاحكام القرآن ٤٦/١ ــ ٤٧ .

اليوم لأحد إلى القراءة بها ، لدثورها وعفو آثارها ، فإن قال من ضعفت معرفته : وكيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهموها رسول الله ﷺ وأمرهم بقراءتها ؟ قيل : إن أمره إياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض ، وإنما كان أمر إباحة ورخصة ، لأن القراءة بها لو كانت فرضا عليهم لوجب أن يكون العمل بكل حرف من تلك الأحرف السبعة عند من تقوم بنقله الحجة ، ويقطع خبره العذر ويزيل الشك من قراءة الأمة ، وفي تركهم نقل ذلك كذلك أوضح الدليل على أنهم كانوا في القراءة بها مخيرين [1] .

ويقول مناع خليل القطان : (القراءات السبع غير الأحرف السبع فإن القرآن غير القراءات ، فالقرآن : هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز والقراءات : هي إختلاف في كيفية النطق بألفاظ الوحي من تخفيف أو تشغيل أو مد أو نحو ذلك ، قال ابو شامة : ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الان هي التي أريدت في الحديث وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة ، وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل) [2] .

الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف :

وأما الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف ، فقد تطرق لها العلماء بشيء من التفصيل ، منها ما حكاه الإمام النوري رحمه الله بقوله : (فأن الأحرف السبعة كانت في أول الأمر خاصة للضرورة لاختلاف لغة العرب ومشقة أخذ جميع الطوائف بلغة فلما كثر الناس والكتاب ، وارتفعت الضرورة كانت قراءة واحدة) [3] .

---

(١) فضائل القرآن لابن كثير ص ٣٥ .

(٢) مباحث في علوم القرآن للقطان ص ١٦٧ ، وانظر نفس المعنى في المدخل لدراسة القرآن ص ١٦٢.

(٣) شرح مسلم للنووي ٦/١٠٠ .

وقد أشار الإمام ابن حجر إلى هذه الحكمة فقال في تعليقه على حديث عمر المتقدم واختلافه مع هشام بن الحكم قوله : (فاقرءوا ما تيسر منه) ، أي المنزل وفيه أشارة إلى الحكمة في التعدد المذكور وأنه للتيسير على القارئ [1] .

ويقول ابن حجر في موضع آخر : (ويدل على ما قرؤوه ـ يقصد في الأحرف السبعة ، وأنها الأوجه السبعة التي سبقت ـ أنه أنزل أولا بلغة قريش ، ثم سهل على الأمة أن يقرؤه بغير لسان قريش ، وذلك بعد أن دخل كثير من الناس في الإسلام ، فقد ثبت ان ورود التخفيف في ذلك كان بعد الهجرة ، ويدل عليه حديث مسلم وفيه لقيا النبي لجبريل عند إضاه بني غفار) [2] .

وأشار ابن كثير إلى هذه الحكمة فقال : (قال الطحاوي وغيره : وإنما كان ذلك رخصة أن يقرأ الناس القرآن على سبع لغات ، وذلك لما كان يتعسر على كثير من الناس التلاوة على لغة قريش وقراءة رسول الله ﷺ لعدم علمهم بالكتابة والضبط وإتقان الحفظ ، وقد ادعى الطحاوي والقاضي الباقلاني والشيخ أبو عمر بن عبدالبر أن ذلك كان رخصة في أول الأمر ، ثم نسخ بزوال العذر وتيسر الحفظ وكثرة الضبط وتعلم الكتابة .

قلت (ابن كثير) وقال بعضهم : إنما كان الذي جمعهم على قراءة واحدة أمير المؤمنين عثمان بن عفان أحد الخلفاء الراشدين المهديين المأمور باتباعهم ، وإنما جمعهم عليها لما رأى من اختلافهم في القراءة المفضية إلى تفرق الأمة وتكفير بعضهم بعضا ، فرتب لهم المصاحف الأئمة على العرضة الأخيرة التي عارض بها جبريل رسول الله ﷺ في آخر رمضان كان من عمره عليه السلام وعزم عليهم أن لا يقرءوا بغيرها) [3] .

---

(١) ابن حجر ٨/٦٤٣ .

(٢) انظر فتح الباري ٨/٦٤٥ .

(٣) فضائل القرآن ص ٣٧ .

ويقول محمد أبو شهبة في ذكر هذه الحكمة (فالغرض من النزول على سبعة أحرف التيسير ، ورفع الحرج عن الأمة بالتوسعة في الألفاظ مادام المعنى واحد ، فقد كانوا أمة أمية ، وكانت لغاتهم متعددة ، وكان يشق على كل ذي لغة أن يتحول إلى غيرها من اللغات ، ولو رام ذلك لم يتهيأ له إلا بمشقة عظيمة ، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة ، وتذليل للسان ، وتغيير للعادة ، فمن ثم جعل الله لهم متسعا في اللغات بقراءة المعنى الواحد بألفاظ مختلفة .

وقد استمر الأمر على هذا حتى كثر فيهم من يقرأ ويكتب ، وعادت لغاتهم إلى لسان رسول الله ﷺ وهو لسان قريش ، ولاسيما بعد أن صارت لقريش السيادة الدينية والدنيوية معا ، وقدروا على النطق بلغة قريش ، التي هي أعذب اللغات وأسهلها وأطوعها للألسنة ، فلم يسعهم أن يقرأوا بخلافها ، ولاسيما وقد زالت الضرورة وأصبحت التوسعة في القراءة بالأحرف السبعة مثار اختلاف وتنازع ، فردهم عثمان إلى حرف واحد) [(١)] .

ويقول الدكتور إبراهيم عوض في تلمس هذه الحكمة كذلك (ولقد تواترت الأحاديث في إنزال القرآن على سبعة أحرف ، وتشعب التفسير فيها ، والواقع أن القرآن الكريم كان ينزل معظمه بلغة قريش ، أي على حرف واحد إلى أن فتحت مكة ، وبدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، وأخذت وفود القبائل العربية المختلفة تتوافد ، فأذن الله ــ سبحانه وتعالى ــ على لسان نبيّهﷺ أن يقرءوه على لغاتهم ولهجاتهم تيسيرا لهم لصعوبة تحولهم من لغتهم إلى لغة النبيﷺ بمرة واحدة، فمن كانت لغته نطق الحاء عينا مثلا ــ لا يحمل على نطقها حاء كالأصل ، والأمثال كثيرة جدا [(٢)] .

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ١٦١ ، وانظر إلى هذه الحكم في مجلة دعوة الحق العدد ٣٢ .

(٢) مجلة الأزهر ، عدد ربيع الآخر ، ١٤٠٩ ، ص ٤١٣ ، الشيخ ابراهيم عطوه عوض .

ولأجل ذلك فإن إذن النبي ﷺ المستند على التيسير في القراءة على سبعة أحرف متعلق بالشروط الآتية:

ـ عدم الخروج على قواعد فصاحة اللغة العربية ، وعدم تغيير المعنى وصدور القراءة من النبي ﷺ ، وليس المراد بنزول القرآن على سبعة أحرف ، هذه القراءات السبعة المشهورة ، كما يظن بعض العوام) [1] ، ويشير الدكتور محمد مختار ولد اباه إلى هذه الحكمة بقوله : (أما فيما يتعلق بفائدة الاختلاف فيكرر أن سببه التهوين والتسهيل على الأمة ، وبيان أسرار البلاغة وكمال الإعجاز ، وغاية الاختصار وجمال الإيجاز ، وتسهيل حفظه وتيسير نقله ، وإعظام أجور الأمة في تتبع معانيه ، واستخراج كمين أسراره والبحث عن ألفاظة وصيغة وإتقان تجويده ، وظهور سر الله تعالى في تولي حفظه وصيانته) [2] .

ولعلنا نختم بكلام السيد البيلاوي يقول : (والإذن للنبيﷺ في أن يقرئ أمته القرآن على سبعة أحرف كان بعد الهجرة ، وأما قبل الهجرة فكان القرآن لا يقرأ إلا بلغة قريش ، فلما كثر دخول العرب في الإسلام بعد الهجرة أذن له أن يقرئهم بغير لسان المفطور عليها من طفولته إلى شيخوخته إذا لو كلف القراءة بلسان قريش عسر عليه التحول عما ألف من لغته .

وليس من المعقول أن يكلفهم النبيﷺ النطق بلغته (لغة قريش) وهم لا يحسنون النطق بها ، فكان من الحكمة الإلهية التيسير عليهم ، وتأليف قلوبهم ، خصوصا وأن الدعوة إلى الإسلام كانت دعوة سلمية أساسها الإقناع وتوجيه الفكر والنظر في ملكوت السماوات والأرض ، ليتوصل من ذلك إلى اعتقاد وحدانية الله وانفراده بالخلق والتقدير ، فأباح الله لنبيه في أول الأمر أن يقرئ الناس القرآن على ما ألفوا ، مما لم يغير معنى ، ولم يخرج من دائرة الفصيح في العربية ، ولا يفهم

---

(١) مجلة الأزهر ، عدد ذي القعدة ١٤١٧هـ ص ١٦٣٥ ، إسماعيل فراجام .

(١) مجلة دعوة الحق ص ٥٤ ، العدد ٣٢٢ ، السنة السابعة والثلاثون ، جمادى الأولى ١٤١٧هـ.

من إباحة القراءة على هذه الأحرف ، وأبدال كلمة بمرادفها أو إعرابها بـإعراب لا يناقض معنى القرآن أن للقارئ أن يأتي بكلمة من لغته ترادف كلمة من لسان قريش محض إختياره وإرادته ، فذلك لا يقع بالإختيار والتشهي ، بل لابد في ذلك من السماع من النبيﷺ أو السماع ممن سمع منه ، كما يدل على ذلك الأحاديث الكثيرة [١] .

ولم يكن هذا الأمر وهو القراءة على سبعة أحرف أمرا مباحا لكل واحد على ما يريد بل لابد من السماع من الرسولﷺ أو أحد الصحابة ، ممن سمع ذلك من النبي عليه السلام.

يقول ابن حجر في تأكيد ذلك هذا المعنى : (ان الاباحة في القراءة على سبعة احرف لم تكن بالتشهي أي ان كل واحد له أن يغير الكلمة بمرادفها في لغته ، بل المراعى في ذلك السماع من النبيﷺ) [٢] .

ويقول القرطبي في تعليقه على قول الرسول ، فاقروا ما تيسر منه ، وبيان أن ذلك مما سمع من النبي ﷺ أو رواه أحد الصحابة عنه : (أباح الله تعالى لنبيه علسه السلام هذه الحروف السبعة ، وعارضه بها جبريل عليه السلام في عرضاته على الوجه الذي فيه الاعجاز وجوده الرصف ، ولم تقع الاباحة في قوله عليه السلام ﴿فأقرعوا ما تيسر منه﴾ [٣] بأن يكون كل واحد من الصحابة إذا أراد أن يبدل اللفظة من بعض هذه اللغات جعلها تلقاء نفسه ، ولو كان هذا لذهب أعجاز القرآن وكان معرضا أن يبدل هذا وهذا حتى يكون غير الذي نزل مّن عندالله ، وإنما وقعت الاباحة في الحروف السبعة للنبي ﷺ ليوسع بها على أمته ، فأقرأ مرة لأبي بما عارضه به جبريل ، ومرة لابن مسعود بما عارضه به أيضا وعلى هذا تجيء قراءة عمر بن الخطاب لسورة (الفرقان) وقراءة هشام

---

(١) مجلة لواء الإسلام للسيد محمد البيلاوي ص ٢١ العدد ٩ جمادى الأولى ١٣٦٧هـ مارس ١٩٤٨م.

(٢) فتح الباري ٦٤٤/٨ ، وانظر شرح مسلم للنووي ص ١٠١ .

(٣) سورة المزمل الآية ٢٠ .

ابن حكيم لها ، وإلا فكيف يستقيم أن ، يقول النبي ﷺ في كل قراءة منـــهما ، وقــد اختلفا : (هكذا أقرأني جبريل) ، هل ذلك إلا أنه أقرأه مرة بهذه ومرة بهذه) [1] .

ولعلنا نختم بكلام الدكتور عبدالله الصباغ لأهميته ، ولأنه ذكر الأدلة النقليـــة والعقلية على ذلك يقول : (وليس معنى هذه الرخصة والإباحة أن يقرأ كل فريق بمــا شاء مما يوافق لغته من غير توقيف ، بل كل هذه الحروف منصوصة وكلها كــــلام الله عزوجل لا مدخل لبشر فيها ، قد تلقيت عن رسول الله ﷺ يدل على ذلك قــــول الرسول الأعظم : (أن هذا القرآن انزل على سبعة أحرف) فجعل الأحــــرف كلـــها منزلة كما أن الأحاديث الشريفة التي وردت في هذه القضية تفيــد بـــأن الصحابــة رضوان الله عليهم ، كانوا يرجعون فيما يقرؤون إلى رسول الله ﷺ يأخذون عنــــه، ويتلقون منه كل حرف يقرؤون به لقوله ﷺ في قراءة كل من المتخلفيــــن : (هكــذا أنزلت) ، وقول المخالف لصاحبة (أقرأنيها رسول الله ﷺ) ، ثم أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا متيقظين لكل من يحدث في القرآن حدثا ولو كان عن طريــق الأداء وأختلاف اللهجات مبالغين في هذه اليقظة حتى ليأخذون في هذا الباب بالظنة) [2] .

ثم قال في الاستشهاد بالأدلة العقلية ما يلي : (أضف إلى ذلك لو صح لأحــــد أن يغير ما شاء من القرآن بمرادفه أو غير مرادفه من عند نفســـه لبطلـــت قرآنيــة القرآن وأنه كلام الله ، ولذهب الاعجاز ولما تحقق قوله سبحانه:﴿انا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون﴾ [3] ثم إن التبديل والتغيير مردود من اساســـه بصريــح القــرآن الكريم من سورة يونس ﴿وإذا تتلى عليهم ءاياتنا بينات قال الذين لا يرجــون لقاءنــا آئت بقرءان غيـــر هذا أو بدلـــه قل ما يكون لي ان ابدلـــه من تلقاء نفسي إن اتبع

---

(١) الجامع لاحكام القرآن ١/٤٧ ــ ٤٨ .

(٢) القراءات القرآنية لعبدالله توفيق الصباغ ص ٣٢ .

(٣) سورة الحجر الآية ٩ .

الا ما يوحى إلي أني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل لو شــــاء الله مــا تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون﴾ [1] .

فإذا كان افضل الخلق محمد ﷺ قد تحرج من تبديل القرآن أو شــــيء منــه، فكيف يسوغ لأحد مهما نبه شأنه وعلا قدره أن يبدل فيه ويغــير مــرادف أو غــير مرادف ؟! هذا مرفوض بداهة بل هو إفك وبهتان عظيم) [2] .

---

(١) سورة يونس الآيتان ١٥ ــ ١٦ .

(٢) القراءات القرآنية لعبدالله توفيق الصباغ ص ٣٢ ــ ٣٤ .

المبحث الرابع
عمـــــوم الرســـالة

ان الدين حاجة روحية وضرورية لصلاح البشر فلا يختص بها فريـــق مـــن الناس ، دون باقي البشر ، لذلك كانت الحاجة ماسة إلى دين عالمي ، يكون دعـــوة إلى جميع شعوب الأرض قاطبة ، أبيضها وأسودها ، وأحمرها عربيها وعجميـــها ، هكذا لابد أن يكون الدين الجديد عقيدة تصلح للبشر ، العامة منهم والخاصة ، تشـعر كلا منهم أن له عقيدة يطمئن إليها وأن هذه العقيدة رباطه بالدنيا والآخـــرة ، بـالله وبالإنسان ، فالناس أمة واحدة في هذا الدين الجديد .

ثم لابد أن يكون هذا الدين دينا عالميا لا يختص بجنس من الأجناس البشرية، ولا ينحصر تطبيقه في إقليم خاص ، أو بيئة معينة ، بل يكون عالميا بامتداد هدايتـه أزمانا طويلة تتجاوز العصر الذي بدأت فيه ، وأن يكون الدين صالحا لكـــل جيـل ولكل زمان ومكان ، وأن تكون شريعته للإنســـان من حيث هـــو إنســـان بغـض النظر عن العوامل والفوارق العارضة ، التي لا تدخـــل فـــي ماهيـــة الإنســـان كانســـان ، وبـــدون ذلـــك لا يتحقـــق معنى العالمية في أي دين [1] .

ومن هذا المنطلق كان دين الإسلام دين عالمي ، وكانت رســـالة النبـــي ﷺ رسالة عامة إلى جميع البشرية والأدلة ، على هذا العموم كثيرة سوف نتطرق إلـــى بعضها في هذا المبحث .

وقـــد ذكـــر البخـــاري في كتاب بدء الخلق ما يدل علـــى عمـــوم رســـالة النبي ﷺ ، وإنها عامة إلى الجن والإنس ، فقد عقد البخاري الباب الثاني عشر مـــن كتاب بدء الخلق ، وذكر فيه ثواب الجن وعقابهم ووجوب الإيمان عليهم ، وذكر فيـه آيات كثيرة وحديث واحد .

---

(١) انظر كتاب هذا هو الإسلام سماحته وحاجته الإنسانية إليه ، احمد السايح ص ١٣١ .

أما الباب الثالث عشر ، فقد ذكر فيه قوله تعالى﴿وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين * قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم * يا قومنا أجيبوا داعى الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم * ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين﴾ (١) .

ولم يذكر البخاري في هذا الباب حديث قال ابن حجر (واللائق به حديث ابن عباس الذي تقدم في صفة الصلاة في توجه النبيﷺ إلى عكاظ واستماع الجن إلى القرآن وقد أشار إليه المصنف بالآية التي صدر بها هذا الباب) (٢) .

ونحن هنا سوف نذكر أهم الأدلة على عموم رسالة النبي ﷺ ونبين أنها عامة للأنس والجن كما قال البخاري رحمه الله تعالى وتبين أن هذا هو الواجب على المسلم وأنه من مقتضيات الإيمان بشهادة أن محمد رسول الله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (يجب على الانسان أن يعلم أن الله عزوجل أرسل محمدا ﷺ إلى جميع الثقلين : الانس والجن ، وأوجب عليهم الإيمان به وبما جاء به وطاعته ، وأن يحللوا ما حلل الله ورسوله ويحرموا ما حرم الله ورسوله ، وأن يوجبوا ما أوجبه الله ورسوله ، ويحبوا ما أحبه الله ورسوله ، ويكرهوا ما كرهه الله ورسوله ، وأن كل من قامت عليه الحجة برسالة محمدﷺ من الانس والجن فلم يؤمن به استحق عقاب الله تعالى كما يستحقه أمثاله من الكافرين الذين بعث إليهم الرسول .

وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة المسلمين وسائر طوائف المسلمين : أهل السنة والجماعة ، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين (٣) .

---

(١) سورة الأحقاف الآيات ٢٩ ـ ٣٢ .

(٢) فتح الباري ٣٩٩/٦ .

(٣) الفتاوى ٩/١٩ ـ ١٠ .

وقال في موضع آخر في تأكيد عموم رسالة النبيﷺ وأنها أصل من أصول الدين (فلابد من الايمان ان محمدﷺ خاتم النبيين لا نبي بعده وأن الله أرسله إلى جميع الثقلين الجن والانس فكل من لم يؤمن بما جاء به فليس بمؤمن ... وهو كافر من أولياء الشيطان) (١) .

وقد دل على هذا العموم الاجماع ، وقد نقل كثير من السلف والخلف هذا الاجماع ، يقول السبكي في نقل هذا الاجماع : (وكونهﷺ مبعوثا إلى الانس والجن كافة ، وأن رسالته شاملة للثقلين ، فلم أرى فيه خلافا ، ونقل جماعة كثيرة من العلماء الاجماع عليه) (٢) .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (وقد أخبر الرسول ﷺ أن رسالته عامة إلى أهل الأرض من المشركين وأهل الكتاب ، وانه لم يكن مرسلا إلى بعض الناس دون بعض ، وهذا معلوم بالضرورة والنقل المتواتر والدلائل القطعية) (٣) .

ويقول شارح الطحاوية ابن أبي العز رحمه الله تعالى (وكونه صلى الله عليه وعلى آله وسلم مبعوثا إلى الناس كافة معلوم من دين الإسلام بالضرورة ، وأما قول النصارى إنه رسول إلى العرب خاصة فظاهره البطلان ، فإنهم لما صدقوا بالرسالة لزمهم تصديقه في كل ما يخبر به ، وقد قال إنه رسول الله إلى الناس عامة والرسول لا يكذب ، فلزم تصديقه حتما فقد أرسل رسله وبعث كتبه في أقطار الأرض إلى كسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس وسائر ملوك الأطراف يدعوهم إلى الإسلام) (٤) .

---

(١) الفتاوى ١١/١٧٠ .

(٢) فتاوي السبكي تأليف علي بن عبدالكافي ص ٥٩٤ .

(٣)

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ١/١٧٠ .

ثم قال : (وقوله : يعني الطحاوي ((بالحق والهدى وبالنور والضياء)) ، هذه أوصاف ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الدين والشرع المؤيد بالبراهين الباهرة من القرآن وسائر الأدلة والضياء أكمل من النور ، قال تعالى: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا﴾ [1] [2] .

ونقل هذا الاجماع ـ على عموم رسالة النبيﷺ وأنه عام إلى الجن والانس والعرب والعجم ـ السفاريني في نقل هذا الاجماع كذلك : (إنه سبحانه وتعالى خص نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ببعثته نبيا ورسولا إلى جميع الخلق من الإنس والجن بالإجماع ، واختلف في إرساله إلى الملائكة على قولين :

أحدهما : أنه لم يكن مرسلا إليهم ، وبهذا جزم محققون وهو ظاهر كلام علمائنا ، قال ابن حمدان في نهاية المبتدين : ونجزم بأن محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم رسول الله حقا إلى الإنس والجن كافة ، قال القاضي أبو يعلى : وإنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم خاتم الأنبياء وأفضلهم نص عليه الإمام أحمد ، انتهى، ونقل الإجماع على ذلك غير واحد .

والقول الثاني : أنه مبعوث إلى الملائكة أيضا ، ورجحه الجلال السيوطي في الخصائص والسبكي قبله وزاد أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم مرسل إلى جميع الأنبياء والأمم السابقة ، وزعم أنه قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : (بعثت للناس كافة) شامل لهم من لدن آدم إلى قيام الساعة ، ورجح هذا القول البارزي وزاد أنه مرسل إلى جميع الحيوانات ، واستدل على ذلك بشهادة الضب له بالرسالة وشهادة الحجر والشجر له أيضا بذلك ، قال الحافظ السيوطي : وأزيد إلى ذلك أنه مرسل إلى نفسه) [3] .

---

(١) سورة يونس الآية ٥ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ١/١٧٠ .

(٣) لوامع الأنوار البهية ٢/٢٧٩ .

وأما الأدلة على عموم رسالة النبيﷺ فكثيرة جدا منها ما يلي :

* قوله تعالى ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا﴾ [(١)].

قال ابن كثير رحمه الله : (يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم : (قل) يا محمد : ﴿يا أيها الناس﴾ [(٢)] هذا خطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي ﴿إني رسول الله إليكم جميعا﴾ [(٣)] أي جميعكم ، وهذا من شرفه وعظمه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه خاتم النبيين ، وأنه مبعوث إلى الناس كافة ، كما قال الله تعالى ﴿قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾ [(٤)] .

وقال تعالى : ﴿وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ، فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ﴾ [(٥)] .

والآيات في هذا كثيرة ، كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصى ، وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى الناس كلهم) [(٦)] .

وقال الشيخ محمد رشيد رضا في تعليقه على هذه الآية : (هذا خطاب عام لجميع البشر من العرب والعجم وجهه محمد بن عبدالله النبي العربي الهاشمي بأمر الله تعالى ، فينبئهم به أنه رسول الله تعالى إليهم كافة ، لا إلى قومه العرب خاصة كما زعمت العيسوية من اليهود ، فهو كقوله تعالى﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾ [(٧)] ، وقوله ﴿وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾ [(٨)] أي وأنذر به كل من بلغه من الثقلين فمن قال أنه يؤمن برسالته مما جاء به ، وما في

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٨ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٨ .

(٣) سورة الأعراف الآية ١٥٨ .

(٤) سورة الانعام الآية ١٩ .

(٥) سورة آل عمران الآية ٢٠ .

(٦) تفسير ابن كثير ٢/٢٥٤ ـ ٢٥٥ .

(٧) سورة سبأ الآية ٢٨ .

(٨) سورة الأنعام الآية ١٩ .

معناه كقوله تعالى: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيـــرا﴾[1]، وقوله : ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [2] ، وهو يشمل عقلاء الجن وفي هـــذا المعنى أحاديث صحيحة ناطقة باختصاصه صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالرســالة العامة) [3] .

* ومن الأدلة كذلك قوله تعالى :﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيــرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [4] .

قال ابن جرير رحمه الله في تعليقه على هذه الآية وبيان وجه الدلالـــة منـــها على عموم رسالة النبيﷺ قال : (يقول تعالى ذكره : وما أرسلناك يا محمـــد إلـــى هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة ، ولكنا أرسلناك كافة للناس أجمعين العـــرب منهم والعجم والأحمر والأسود ، بشيرا لمن أطاعك ونذيرا لمن كذبك ، ولكن أكـــثر الناس لا يعلمون أن الله أرسلك كذلك إلى جميع البشر ، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، ثم أسند عن قتادة قوله : ﴿وما أرسلناك إلا كافة للنـــاس﴾ [5] قـــال : أرسل الله محمدا إلى العرب والعجم ، فأكرمهم على الله أطوعهم له وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال (أنا سابق العرب ، وصهيب سابق الـــروم ، وبلال سابق الحبشة ، وسلمان سابق فارس ، ومن ذلك قوله تعالى﴿وما أرســلناك إلا رحمة للعالمين﴾) [6] [7] .

---

(١) سورة الفرقان الآية ١ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ .

(٣) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ٣٠/٩ .

(٤) سورة سبأ الآية ٢٨ .

(٥) سورة سبأ الآية ٢٨ .

(٦) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ .

(٧) تفسير الطبري ٢٦/١٤ .

قال الاستاذ سيد قطب في تعليقه على هذه الآية : (ومعنى من كان حيا : كل من ثبتت له الحياة وهذه الآية تبين وظيفة القرآن بأنه نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم لينذر به من به حياة) [1] .

* ومنها قوله تعالى ﴿قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾ [2] .

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي في استنباط عموم الرسالة من هذه الآية الكريمة : (صرح في هذه الآية بأنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم منذر لكل من بلغه هذا القرآن كائنا من كان ، ويفهم من الآية أنه الإنذار به عام لكل من بلغه ، وأن كل من بلغه ولم يؤمن به فهو في النار، وهو كذلك .

أما عموم إنذاره لكل من بلغه ، فقد دلت عليه آيات أخر أيضا كقوله :﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا﴾ [3] .

وقوله : ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾ [4] .

وقوله ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾[5] .

وأما دخول من لم يؤمن به النار فقد صرح به تعالى في قوله﴿ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده﴾ [6] .

وأما من لم تبلغه دعوة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم فله حكم أهل الفترة الذين لم يأتهم رسول الله تعالى والله أعلم) [7] .

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ٢٩٧٥/٥ .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٩ .

(٣) سورة الأعراف الآية ١٥٨ .

(٤) سورة سبأ الآية ٢٨ .

(٥) سورة الفرقان الآية ١ .

(٦) سورة هود الآية ١٧ .

(٧) اضواء البيان للشنقيطي ١٦٨/٢ .

وقال صاحب المنار في تفسير هذه الآية : (هذه الآية نص على عموم بعثة خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام ، أي لانذركم به يا أهل مكة أو يا معشر قريش والعرب وجميع من بلغه ووصلت إليه دعوته من العرب والعجم ، في كل مكان وزمان إلى يوم القيامة) [1] .

ومن هذه الأدلة كذلك ما ورد في بعثة النبيﷺ إلى اليهود والنصارى .

قال الله تعالى ﴿فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا﴾ [2] .

يقول احمد فريد : (وقد ادعى بعض اليهود أن محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم نبي ولكنه أرسل إلى الأميين والعرب وحدهم ، ولم يرسل إلى اليهود والنصارى ، ومما يدحض هذه الشبهة ما يعترف به اليهود أنفسهم من أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قاتلهم ، فإن كان هذا ظلما فكيف يسفك النبي الدماء ، وإن كان مشروعا فقد أقر الخصم وارتفع النزاع .

وثبت بالتواتر الذي لا يستطيع أحد إنكاره أن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم دعا اليهود والنصارى إلى الإسلام ، ولا يزال بعض كتبه الشريفة محفوظا إلى اليوم ، وإذا سلم رسالته فهل يدعو إلى الإسلام من لم يبعثه الله إليه .

ومما يدل كذلك على عموم الرسالة بالنسبة لليهود والنصارى الإخبار بنسخ الشرائع السابقة ، وبأن الله عزوجل لا يقبل بعد بعثة النبي صّلى الله عليه وعلى آله وسلم إلا الإسلام ، كما قال تعالى : ﴿إن الدين عند الله الإسلام ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ [3] [4] .

---

(١) تفسير المنار ٣٤١/٧ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٢٠ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٩ .

(٤) تقريب الوصول إلى معرفة الرسول ﷺ ص ١٢٣ .

ومما يدل على عموم رسالته هذا دعوة جميع الناس إلى الايمان به ، وأرسال الكتب اليهم ودعوتهم إلى الاسلام ، ومحاربة اليهود وغيرهم في أكثر من معركة وأجلاهم ، كما في سورة الحشر وغيرها .

وحارب النصارى في غزوة تبوك وسار على هذا المنهج خلفائه من بعده ، وقد أخبر الرسول اصحابه بهذه الفتوح وبظهور الدين ، وأنه لن يبقى بيت إلا وسيدخله هذا الدين بأذن الله عزوجل .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا المعنى : (وهذا القدر (أي ان النبي صادق وانه نبي حق) يعترف به كل عاقل ــ من اليهود والنصارى ــ يعترفون بأن دين المسلمين حق ، وأن محمدا رسول الله ﷺ وأن من أطاعه منهم دخل الجنة ، بل يعترفون بأن دين الإسلام خير من دينهم ، كما أطبقت على ذلك الفلاسفة ، كما قال ابن سينا وغيره : أجمع فلاسفة العالم على أنه لا يقرع العالم ناموس أعظم من هذا الناموس ، لكن من لم يتبعه يعلل نفسه بأنه لا يجب عليه اتباعه ، لأنه رسول إلى العرب الأميين دون أهل الكتاب ، لأنه إن كان دينه حقا فديننا أيضا حق ، والطريق إلى الله تعالى متنوعة ، ويشبهون ذلك بمذاهب الأئمة ، فإنه وأن كان أحد المذاهب يرجح على الآخر ، فأهل المذاهب الأخرى ليسوا كفارا ولا من أهل الكتاب) (١) .

ويجيب شيخ الاسلام على الشبه المنازعة في عموم رسالته والمدعية خصوصية رسالته صلى الله عليه وسلم فقط بالعرب كما ادعاه بعض النصارى يجيب عن ذلك بقوله : (هذه الشبهة التي يضل بها المتكايسون من أهل الكتاب ، والمتفلسفة ونحوهم ، وبطلانها ظاهر ، فإنه كما علم علما ضروريا متواترا أنه دعا المشركين إلى الإيمان ، فقد علم بمثل ذلك أنه دعا أهل الكتاب إلى الإيمان به ، وأنه جاهد أهل الكتاب كما جاهد المشركين ، فجاهد بني قينقاع ، وبني النضير ، وقريظة، وأهل خيبر ، وهؤلاء كلهم يهود ، وسبى ذريتهم ونساءهم ، وغنم

---

(١) الفتاوى ٢٠٣/٤ .

أموالهم ، وأنه غزا النصارى عام تبوك بنفسه وبسراياه ، حتى قتل في محاربتهم زيد بن محمد (ابن حارثة) مولاه الذي كان تبناه ، وجعفر وغيرهما من أهله ، وأنه ضرب الجزية على نصارى نجران .

وكذلك خلفاؤه الراشدون من بعده : جاهدوا أهل الكتاب ، وقاتلوا من قاتلهم ، وضربوا الجزية على من أعطاها منهم عن يد وهم صاغرون) [١] .

ثم ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية دلالة القرآن على عموم رسالته وخاصة إلى أهل الكتاب فقال : (وهذا القرآن الذي يعرف كل أحد أنه الكتاب الذي جاء به : مملوء من دعوة أهل الكتاب إلى اتباعه ، ويكفر من لم يتبعه منهم ، ويذمه ويلعنه والوعيد له كما في تكفير من لم يتبعه من المشركين وذمه ، والوعيد كما قال تعالى: ﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم﴾ [٢] ، وفي القرآن من قوله يا أهل الكتاب ! يا بني اسرائيل : مالا يحصى إلا بكلفة .

وقال تعالى : ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين﴾ [٣] إلى قوله : ﴿خير البرية﴾ [٤] ومثل هذا في القرآن كثير جدا ، وقد قال تعالى ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض﴾ [٥]، وقال تعالى ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾) [٦] [٧].

ثم ذكر الاحاديث الدالة على عموم رسالته والتي سوف نذكر جزء منها ونخرجه هنا يقول :(واستفاض عنه ﷺ (فضلت على الأنبياء بخمس) ، ذكر فيها أنه قال : (كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة) ، بل تواتر عنهﷺ أنه بعث إلى الجن والإنس، فإذا علم بالاضطرار بالنقل المتواتر ــ الذي تواتر كما

---

(١) الفتاوى ٤/ ٢٠٣ ــ ٢٠٤ .

(٢) سورة النساء الآية ٤٧ .

(٣) سورة البينة الآية ١ .

(٤) سورة البينة الآية ٧ .

(٥) سورة الأعراف الآية ١٥٨ .

(٦) سورة سبأ الآية ٢٨ .

(٧) الفتاوى ٤/٢٠٤ .

تواتر ظهور دعوته ــ أنه دعا أهل الكتاب إلى الإيمان به ، وأنه حكم بكفر من لـــم يؤمن به منهم ، وأنه أمر بقتالهم حتى يسلموا ، أو يعطوا الجزيـــة عـــن يـــد وهـــم صاغرون ، وأنه قاتلهم بنفسه وسراياه ، وأنه ضرب الجزية عليهم ، وقتل مقاتلتـــهم ، وسبى ذراريهم ، وغنم أموالهم ، فحاصر بني قينقاع ، ثم أجلاهم إلى أذرعـــات ، وحاصر بني النضير ، ثم أجلاهم إلى خيبر ، وفي ذلك أنزل الله سورة الحشر .

ثم حاضر بني قريظة لما نقضوا العهد ، وقتل رجالهم ، وســبى حريمـــهم ، وأخذ أموالهم ، وقد ذكره الله تعالى في سورة الأحزاب ، وقاتل أهل خيـــبر حتـــى فتحها ، وقتل من قتل من رجالهم ، وسبى من سبى من حريمهم ، وقسم أرضهم بين المؤمنين ، وقد ذكرها الله تعالى في سورة الفتح ، وضرب الجزية على النصـــارى ، وفيهم أنزل الله سورة آل عمران ، وغزا النصارى عام تبـــوك ، وفيـــها أنـــزل الله سورة براءة) [١] .

ثم قال : (وفي عامة السور المدنية ، مثـــل البقـــرة وآل عمـــران والنســـاء والمائدة، وغير ذلك من السور المدنية من دعوة أهل الكتاب وخطابهم مالا تتسع هذه الفتوى لعشره) [٢] .

ثم ذكر كذلك سيرة خلفاءه الراشدين رضي الله عنهم وهم من امر المســـلمين بأتباعهم والاقتداء بهم يقول : (ثم خلفاؤهم بعده أبو بكر وعمر ، ومن معـــهما مـــن المهاجرين والأنصار ، الذي يعلم أنهم كانوا أتبع الناس لـــه ، وأطوعـــهم لأمـــره ، وأحفظهم لعهده ، وقد غزوا الروم كما غزوا فارس ، وقاتلوا أهل الكتاب كما قـــاتلوا المجوس ، فقاتلوا من قاتلهم، وضربوا الجزية على من أداهـــا منـــهم عـــن يدوهـــم صاغرون .

ومن الأحاديث الصحيحة عنه قوله ﷺ : ((والذي نفسي بيده لا يسمع بي مـــن هذه الأمة يهودي ولا نصراني ، ثم لا يؤمن بي : إلا دخل النار)) [٣] .

---

(١) الفتاوى ٢٠٤/٤ ــ ٢٠٥ .

(٢) مجموع الفتاوى ٢٠٥/٤ .

(٣) اخرجه مسلم ح (١٥٣ .

قال سعيد بن جبير : تصديق ذلك في كتاب الله تعالى ﴿ومن يكفر بـــه مــن الأحزاب فالنار موعده﴾ [١] ومعنى الحديث متواتر عنه ، معلوم بالإضطرار ، فـإذا كان الأمر كذلك : لزم بأنه رسول الله إلى كل الطوائف ، فإنه يقرر بأنه رســول الله إلى أهل الكتاب وغيرهم ، فإن رسول الله لا يكذب ، ولا يقاتل الناس على طاعتــه بغير أمر الله ، ولا يستحل دمائهم ، وأموالهم ، وديارهم بغير إذن الله) [٢] .

ثم الزم من لا يعترف بعموم رسالة محمد ﷺ بدليل عقلي ظاهر فقال (فمــن قال : أن الله أمره بذلك وفعله ، ولم يكن الله أمره بذلك : كان كاذبا مفتريا ظالمــا : ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ، أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شــيء﴾ [٣] وكان مع كونه ظالما مفتريا : من أعظم المريدين علوا في الأرض وفسادا ، وكــان أشر من الملوك الجبابرة الظالمين ، فإن الملوك الجبابرة الذين يقاتلون الناس علــى طاعتهم : لا يقولون انا رسل الله اليكم ، ومن أطاعنا دخل الجنة ، ومن عصانا دخل النار ، بل فرعون وأمثاله لا يدخلون في مثل هذا ولا يدخل في هذا الا نبي صادق ، أو متنبئ كذاب ، كمسيلمة والأسود وأمثالهما) [٤] .

فإذا علم انه نبي لان الله نصره وأيده وأظهر دينه على كل الأديــان وصــار أتباعه أكثر الأمم فأذا لزم ذلك فانها تجب الطاعة أو يكون الكفر والتكذيب لابد مــن ذلك يقول شيخ الإسلام (فأذا علم أنه نبي كيف ما كان : لزم أن يكون ما أخبر بــه عن الله حقا ، وإذا كان رسول الله وجبت طاعته في كل ما يأمر به ، كما قال تعـالى ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله﴾ [٥] وإذا أخبر أنه رسول الله إلى أهــل الكتاب ، وأنه تجب عليهم طاعته : كان ذلك حقا ، ومن أقرّ بأنه رسول الله ، وأنكـر أن يكــون مرسلا إلى أهل الكتاب ، بمنزلة من يقول : أن موسى كان رسولا ، ولم

---

(١) سورة هود الآية ١٧ .

(٢) الفتاوى ٤/ ٤٠٥ ــ ٤٠٦ .

(٣) سورة الأنعام الآية ٩٣ .

(٤) الفتاوى ٤/٢٠٦ ــ ٢٠٧ .

(٥) سورة النساء الآية ٦٤ .

يكن يجب أن يدخل أرض الشام ، ولا يخرج بني اسرائيل من مصر ، وأن الله لم يأمره بذلك ، وأن الله لم يأمره بالسبت ، ولا أنزل عليه التوراة ، ولا كلمه على الطور ، ومن يقول إن عيسى كان رسول الله ، لم يبعث إلى بني اسرائيل ، ولا كان يجب على بني اسرائيل طاعته ، وأنه ظلم اليهود ، وأمثال ذلك من المقالات التي هي أكفر المقالات) [1] .

ومن أدلة القرآن ما ذكره البخاري رحمه الله تعالى من مخاطبة القرآن للجن ودعوتهم إلى الايمان والإسلام يقول تعالى : ﴿وإذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض ولي سله من دونه أوليا أولئك في ضلال مبين﴾ [3] .

قال السبكي في تعليقه على هذه الآية : (أجمع المفسرون على دخول الجن في قوله تعالى ﴿ليكون للعالمين نذيرا﴾) [3] [4] .

ثم قال ومما يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين﴾ [5] والمنذرين هم المخوفون مما يلحق بمخالفته لوم ولو لم يكن مبعوثا اليهم لما كان القرآن الذي أتى به لازما لهم ولا خوفوا به ، ومنها قولهم فيها ﴿اجيبوا داعي الله﴾ [6] فأمر بعضهم بعضا باجابته دليل على أنه داع لهم ، وهو معنى بعثه اليهم ومنها قولهم : ﴿وآمنوا به يغفر لكم ــ الآية﴾ [7] ، وذلك يقتضي ترتيب المغفرة على الايمان به ، وأن الايمان به شرط فيها ، وإنما يكون كذلك اذا تعلق حكم رسالته بهم ، وهو معنى كونه مبعوثا اليهم ، ومنها قولهم:﴿ومن لا

---

(١) الفتاوى ٤/٢٠٦ ــ ٢٠٧ .

(٢) سورة الأحقاف الآيات ٢٩ ــ ٣٢ .

(٣) سورة الفرقان الآية ١ .

(٤) فتاوى السبكي ص ٥٩٤ .

(٥) سورة الأحقاف الآية ٢٩ .

(٦) سورة الأحقاف الآية ٣٢ .

(٧) سورة الأحقاف الآية ٣١ .

يجب داعي الله ــ الآية﴾ [1] فعدم إعجازهم وأوليائهم وكونهم في ضلال مرتب على عدم إجابته وذلك أدل دليل على بعثته اليهم ، ومنها قوله تعالى :﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾ [2] ، فهذا تهديد ووعيد شامل لهم وارد على لسان رسوله ﷺ عن الله ، وهو يقتضي كونه مرسلا اليهم وأي معنى للرسالة غير ذلك ، وكذلك مخاطبتهم في بقية السورة بقوله : ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [3] وغير ذلك من الآيات التي تضمنتها هذه السورة، ومنها قوله تعالى في سورة الجن : ﴿فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا﴾ [4] ، فان قوة هذا الكلام تقتضي أنهم انقادوا له وآمنوا بعد شركهم ، وذلك يقتضي أنهم فهموا أنهم مكلفون به ، وكذلك كثير من الآيات التي في هذه السورة التي خاطبوا بها قومهم ومنها قولهم فيها:﴿وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به﴾ [5] وكذا قولهم : ﴿فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا﴾ [6] ، إلى آخر الآيات) [7] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (والمقصود أن محمدا ﷺ بعث إلى الثقلين ، واستمع الجن لقراءته وولوا إلى قومهم منذرين ، كما أخبر الله عزوجل ، وهذا متفق عليه بين المسلمين ، ثم أكثر المسلمين من الصحابة والتابعين وغيرهم ، يقولون : أنهم جاؤوه بعد هذا ، وانه قرأ عليهم القرآن وبايعوه) [8] .

وقال ابن كثير في تعليقه على هذه الآيات رحمه الله : (فيه دلالة على أنه تعالى أرسل محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى الثقلين الجن والإنس ، حيث دعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم الآيات التي فيها خطاب الفريقين وتكليفهم ووعدهم ووعيدهم ، وهي سورة الرحمن ولهذا قال :﴿أجيبوا داعي الله وآمنوا به﴾ [9] .

---

(١) سورة الأحقاف الآية ٣٢ .

(٢) سورة الرحمن الآية ٣١ .

(٣) سورة الرحمن الآية ٤٦ .

(٤) سورة الجن الآية ١ ــ ٣ .

(٥) سورة الجن الآية ١٣ .

(٦) سورة الجن الآية ١٤ .

(٧) فتاوى السبكي ص ٥٩٤ ــ ٥٩٥ .

(٨) الفتاوى لابن تيمية ٣٥/١٩ .

(٩) سورة الأحقاف الآية ٣١ .

ويؤكد ذلك قوله عزوجل : ﴿قل اوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنـا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وأنه تعـالى جـد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا﴾ (١) (٢) .

وأما الأدلة على عموم رسالته من السنة فكثيرة أيضا منها ما يلي :

عن جابر بن عبدالله الانصاري رضي الله عنه قـال قـال رسـول الله ﷺ «أعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي ، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصـة وبعثـت إلى الناس كافة واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي ، وجعلت لـي الارض طيبـة طهورا ومسجدا فايما رجل ادركته الصلاة صلى حيث كان ، ونصرت بالرعب بيـن يدي مسيرة شهر واعطيت الشفاعة» (٣) ، فقوله ﷺ إلى الناس كافة دليـل واضـح على العموم ، وهذا يفهمه كل من يعرف كلام العرب ولغتـهم ولذلـك فـهم منـه الصحابة ، ومن بعدهم من السلف هذا الفهم .

الحديث الثاني : عن أبي هريرة رضي الله عنـه أن رسـول الله ﷺ قـال «فضلت على الانبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، واحلت لـي الغنائم ، وجعلت لي الارض طهورا ومسجدا ، وارسلت الى الخلق كافة وختم بـي النبيون» (٤) .

قال النووي في تعليقه على هذا الحديث : (باب وجوب الايمان بنبينا محمـد صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته .

وقال رحمه الله : (فيه نسخ الملل كلها برسالة نبينا صلى الله عليه وعلى آلـه وسلم وفي مفهومه دلالة على أن من لم تبلغه دعوة الإسلام ؛ فهو معذور وهذا جـار على ما تـقدم في الأصـول أنـه لا حكـم قبـل ورود الشـرع علـى الصحيـح والله أعلم) (٥) .

---

(١) سورة الجن الآية ٣ .

(٢) تفسير ابن كثير ١٧٣/٤ .

(٣) اخرجه البخاري ح (٣٣٥) (٤٣٨) (٣١٢٢) ، ومسلم ح(٥٢١) الا انه قال (الى كل احمر وأسود) .

(٤) اخرجه مسلم ح(٤٢٣) .

(٥) شرح مسلم للنووي ١٨٦/٢ .

الحديث الثالث : وفي البخاري عن أبي الدرداء قال : ((كانت بين ابـــي بكـــر وعمر محاورة فأغضب ابو بكر عمر فانصرف عنه عمر مغضبا ، فاتبعه ابو بكـــر يسأله ان يستغفر له ، فلم يفعل ، حتى اغلق بابه في وجهه فاقبل ابو بكر إلى رسـول الله ﷺ ، فقال ابو الدرداء : ونحن عنده فقال رسول الله ﷺ اما صاحبكم هـــذا فقـد غامر ، قال وندم عمر على ما كان منه فاقبل حتى سلم وجلس الى النبي ﷺ وقـــص على رسول الله ﷺ الخبر ، قال ابو الدرداء : أأنتم تاركوا لي صاحبي ، هل انتـــم تاركو لي صاحبي ؟ اني قلت يا ايها الناس اني رسول الله اليكـــم جميعـــا ، فقلتـم كذبت، وقال ابو بكر صدقت)) [(١)] ، فقوله ﷺ في هذا الحديث جميعـــا إلـــى جميـع الناس وهذا ظاهر بين .

الحديث الرابع : عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ انه قال : ((والذي نفـــس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمـــن بالذي أرسلت به ، إلا كان من أصحاب النار)) [(٢)] .

وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (لا يسمع بي أحد من هذه الأمـــة) أي ممن هو موجود في زمني وبعدي إلى يوم القيامة ، فكلهم يجب عليهم الدخول فـــي طاعته ، وإنما ذكر اليهود والنصارى تنبيها على من سواهما ، وذلـــك لأن اليـــهود والنصارى لهم كتاب ، فإذ كان هذا شأنهم مع أن لهم كتابا فغيرهم ممن لا كتاب لـــه أولى والله أعلم) [(٣)] .

الحديث الخامس : عن صالح بن صالح الهمداني رضي الله عنه تعالى قـــال: رأيت رجلا من أهل خراسان سأل الشعبي فقال : يا أبا عمرو إن من قبلنا من أهـــل خراسان يقولون في الرجل إذا اعتق أمته ثم تزوجها فـــهو كـــالراكب بدنتـــه فقـــال الشعبي حدثني ابو برده ابن أبي موسى عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال ((ثلاثة يؤتون

---

(١) أخرجه البخاري ح (٣٦٦١) ح (٣٦٤٠) .

(٢) رواه مسلم ح (١٥٣) .

(٣) شرح مسلم للنووي ١٨٨/٢ .

أجرهم مرتين ، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ ، فآمن به واتبعه وصدقه ، فله أجران ، وعبد مملوك أدى حق الله تعالى وحق سيده ، فله أجران، ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاءها ثم أدبها فأحسن أدبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران) ، ثم قال الشعبي للخراساني خذ هذا الحديث بغير شيء فقد كان الرجل يرحل فيما دون هذا إلى المدينة» [1] ، فهذا دال على وجوب إيمان أهل الكتاب، ومن عداهم ممن ليس عنده كتاب من باب أولى .

وجميع هذه الأحاديث مفسرة للآيات السابقة ودالة عليها ، وقد استشهد بها جميع من فسر الآيات السابقة .

---

(١) رواه مسلم ح (١٥٤) .

الفصل الثاني
المعجزات وخوارق العادات في حق النبي ﷺ

وفيه مقدمة ومبحثان :

المبحث الأول : حادثة الإسراء والمعراج ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : رؤية النبي ﷺ للأنبياء والملائكة .

المطلب الثاني : رؤية النبي ﷺ لربه .

المبحث الثاني : سحر النبي ﷺ .

الفصل الثاني
المعجزات وخوارق العادات في حق النبي ﷺ

التمهيـــــد :

سوف نتكلم في هذا الفصل على بعض معجزات النبيﷺ ، وخوارق العادات التي حصلت له أو عليه ، فمن المعجزات رؤاية النبي لله عزوجل ، وحادثة الاسراء والمعراج ، وما حصل فيها من خوارق ، وأحداث وأبرزها رؤيته للأنبياء والملائكة كذلــك .

ثم بعد ذلك نتكلم على حادثة سحر النبيﷺ ، وحيث أن السحر خـــارق مـــن الخوارق ، التي لم يبالغها الناس فانا أدخلناه في هذا الفصل ، ولكن قبل الحديث عـن مباحث هذا الفصل ، والخوض فيها نحـــب أن نتعــرف علـــى المعـــاني اللغويـــة، والإصطلاحية للمعجزة ، ثم للخوارق وهي مقدمة لابد منها .

أولاً معنـــــى المعجزة في اللغــة :

المعجزة : مأخوذة من العجز .

والعجز أصله التأخير عن الشيء ، وحصوله عند عجز الأمر ، أي مؤخـــره وصار في التعارف إسماً للقصور عن فعل الشيء ، وهو نقيض الحزم والقدرة .

وعجز من باب ضرب .

وعجز عجزاً من باب تعب [1] .

وعجز عن الأمر : يعجز ، وعجز ، عجزاً والمعجزة والمعجز : العجز قـــال سيبوية : هو المعجز والمعجز ، الكسر على النادر ، والفتح علـــى القيـــاس ، لأنـــه مصدر ، والعجز الضعف ، تقول عجزت عن كذا ، أعجز .

---

(١) المصباح المنير للفيومي ٢/٢٩٣ .

والتعجيز : التنبيط .

ومعنى الإعجاز : الفوت والسبق ، فأعجز الشيء أي فاته ، ويقال أعجزني فلان : أي فاتني .

وأعجزه تعجيزاً : جعله عاجزاً ، وثبطه ، ونسبه إلى العجز وقال الليث : أعجزني فلان : إذا عجزت عن طلبه وإدراكه .

ويقال : عجز عن الأمر : إذا قصر عنه .

يقول تعالى حكاية عن ابن آدم : ﴿أعجزت أن أكون﴾ (١) ويقول أيضاً : ﴿وأعلموا أنكم غير معجزي الله﴾ (٢) ، ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض﴾ (٣) .

والمعجزة بفتح الجيم وكسرها : مفعلة ، من العجز وعدم القدرة ، والمعجزة: واحدة معجزات الأنبياء عليهم السلام (٤) .

والمعجز في الحقيقة : فاعل العجز في غيره ، وهو الله تعالى ، كما أنه هو المقدر ، لانه فاعل القدرة في غيره ، وإنما قيل لأعلام الرسل عليهم السلام معجزات : لظهور عجز المرسل إليهم عن معارضتهم بأمثالها ، وزيدت الهاء فيها : فقيل معجزة للمبالغة في الخبر عن عجز المرسل إليهم عن المعارضة فيها ، كما وقعت المبالغة بالهاء في قولهم : علامة ونسابة وروابة (٥) .

وأما معنى المعجزة في الاصطلاح : فنرى شيخ الإسلام ابن تيمية : أن (اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة وعرف الأئمة المتقدمين ، كالإمام أحمد بن حنبل وغيره ، ويسمونها : الآيات ــ لكنّ كثير من المتأخرين

---

(١) سورة المائدة الآية ٣١ .

(٢) سورة التوبة الآية ٢ .

(٣) سورة الشورى الآية ٣١ .

(٤) انظر لسان العرب ٣٦٩/٥ ــ ٣٧٠ ، وانظر المفردات للراغب الاصفهاني ص ٣٠٢ .

(٥) انظر أصول الدين للبغدادي ص ١٧٠ .

يفرق في اللفظ بينهما ، فيجعل المعجزة للنبي والكرامة للولـــي ، وجماعـــها الأمـــر الخارق للعادة) [1] .

ويعرفها القاضي عبدالجبار من المعتزلة ، بقوله (هي الفعل الذي يدل علـــى صدق المدعي للنبوة) [2] .

ويعرفها الرازي بأنها : (أمر خارق للعادة مقـــرون ، بـــالتحدي مـــع عـــدم المعارضة [3] .

وشيخ الإســـلام يطلق على المعجزة ألفاظ : الآية أو البرهـــــان ، ويقـــول : (آيات الأنبياء وبراهينهم هي الأدلة ، والعلامات المستلزمة لصدقـــهم ، فمعجـــزات الأنبياء هي آياتهم وبراهينهم ، كما سماها الله بذلك ، لأن الدليل لا يكون إلا مستلزما ، للمدلول عليه ، مختصا به ، ولا يكن مشتركا بينه وبين غيره ، بل إما أن يكـــون مساويا له في العموم والخصوص ، أو يكون اخص منه) [4] .

وقال في موضع آخر : (أما استخدام لفظ المعجزة ، وتعليق الحكم بوصفـــها بأنها أمر خارق للعادة ، بشرط الإحتجاج على النبوة والتحدي بمثله ، فهذا الاستخدام بهذه الألفاظ ، وبهذه الأوصاف ، لم يرد في القرآن ، أو في السنة ، ولم يقـــل بـــه السلف ، وإنما الذي ورد ألفاظ : الآية ، والبرهان والبينة) [5] .

فيعرف المعجزة بقوله : (المعجزة هي أمر خارق للعادة ، ومقرون بـــالتحدي سالم عن المعارضة ، وعلى ذلك فإن الأمور التالية، لا تعد من باب المعجزات [6].

هذا عن المعجـــزة .

---

(١) الفتاوى ٣١١/١١ .

(٢) المغني في ابواب العدل والتوحيد للقاضي عبدالجبار ١٤٧/١٥ .

(٣) محصل أذكار المتقدمين والمتأخرين ص ٣٠٠ .

(٤) النبوات للامام ابن تيمية ص ٢ .

(٥) انظرالجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٦٧/٤ ــ ٦٩ .

(٦) معجم الفاظ العقيدة ص ٣٧٨ .

أما الخوارق في اللغة : فانها تأتي على بعدة معاني ، منها :

١ ـ الخرق : الفرجة والشق في الحائط ، والثوب ونحوه أي ما انخرق من الشيء وبان عنه .

٢ ـ وانخرقت الريح : هبت على غير استقامة ، وريح خريقة شديدة ، وقيل : لينة سهلة ، فهو ضد ، وقيل راجعه غير مستمرة ، وقيل طويلة الهبوب .

٣ ـ الخرق : الأرض البعيدة البعيدة ، مستوية كانت أو غير مستوية ، يقال قطعنا لكم أرضاً خرقاً وخروقاً .

٤ ـ والخرق : الفلاة الواسعة ، سميت بذلك ، لانخراق الريح فيها .

٥ ـ خرق الأرض يخرقها : قطعها حتى بلغ أقصاها [١] .

٦ ـ التخرق : لغة في التخلق من الكذب ، وخرق الكذب وتخرقه ، وخرقه كله : أختلفه ، ويقال : خلق الكلمة واختلقها ، وخرقها واخترقها : إذا ابتدعها كذباً وتخوق الكذب وتخلقه [٢] .

٧ ـ والخرق بالتحريك : الدهش من الفزع أو الحياء ، وقد اخرقته : أي أدهشته ، وقد خرق بالكسر خرقاً ، فهو خرق : أي دهش [٣] .

أما الخوارق اصطلاحاً :

فهي كل ما خالف العادة فهو خارق ، ويطلق الخارق على ما يخرق نظام الطبيعة ، كالمعجزات والكرامات والإرهاصات ، فهي خارقة للنظام الطبيعي المعلوم .

---

(١) وفي التنزيل قوله تعالى : (إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا) سورة الإسراء الآية ٣٧ .

(٢) وفي التنزيل قوله تعالى : (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه) سورة الأنعام آية ١٠٠ .

(٣) انظر جميع هذه المعاني في لسان العرب ٧٣/١٠ ـ ٧٨ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان هذه المعاني ، للخوارق: (وحينئذ فإن جنس الأنبياء متميزون عن غيرهم بالآيات ، والدلائل الدالة على صدقهم ، التي يعلم العقلاء أنها لم توجد لغيرهم ، فيعلمون أنها ليست لغيرهم لاعادة ، ولا خرق عادة ، بل إذا عبر عنها بأنها خرق عادة ، وبأنها من العجائب ، فالأمر العجيب هو الخارج عن نظائره ، وخارق العادة ما خرج عن الأمر المعتاد ، فالمراد بذلك : أنها خارجة عن الأمر المعتاد لغير الأنبياء ، وأنها من العجائب الخارجة عن النظائر ، فلا يوجد نظيرها لغير الأنبياء ، وإذا وجد نظيرها سواء كان أعظم منها ، أو دونها لنبي ، فذلك توكيد لها أنها من خصائص الأنبياء ، فإن الأنبياء يصدق بعضهم بعضا ، فآية كل نبي آية لجميع الأنبياء ، كما أن آيات أتباعهم آيات لهم أيضاً ، وهذا أيضاً من آيات الأنبياء ، وهو تصديق بعضهم لبعض) (١) .

ولكن الخارق قد يطلق على ما يجاوز قدرة الانسان ، لا على ما يجاوز نظام الطبيعة ، فكل ما جاوز قدرة الإنسان ، فهو خارق لطبيعته ، وكل ما كان متعلقاً بقدرته ، فهو طبيعي له .

والخارق للطبيعة لا يخرج عن كونه مراداً لله ، لأن كل ما يجري في الملك والملكوت ، فهو خلق لله تعالى ، وإذا قلت إن الله قادر على كل شيء ، فلابد لك من القول ، أنه تعالى قادر على خرق العادات .

والخوارق على أنواع يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (المعجزة للنبي والكرامة للولي ، وجماعهما الأمر الخارق للعادة .

وتأتي الخوارق من باب العلم ، فتارة بأن يسمع العبد مالا يسمعه غيره ، وتارة بأن يرى مالا يراه غيره يقظة ومناماً ، وتارة بأن يعلم مالا يعلم غيره وحياً وإلهاما، أو إنزال علم ضروري أو فراسة صادقة ، ويسمى كشفاً ومشاهدات , ومكاشفات ومخاطبات : فالسماع مخاطبات ، والرؤية مشاهدات ، والعلم مكاشفة ، ويسمى ذلك كله كشفاً ، ومكاشفة أي كشف له عنه (٢) ,

---

(١) النبوات لابن تيمية ص ١١٢ .

(٢) الفتاوى ٣١٣/١١ .

ثم قال (وقد تكون هذه الخوارق همة وصدقاً ودعوة مجابة ، وقد يكون من فعل الله الذي لا تأثير له فيه بحال ، مثل هلاك عدوه بغير أثر منه ، كقوله (من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة) [1] ومثل تذليل النفوس له ، ومحاربتها أياه ونحو ذلك) .

وتأتي كذلك ما كان من باب العلم والكشف ، قد يكشف لغيره من حاله بعض أمور ، كما قال النبيﷺ في المبشرات : هي الرؤيا الصالحة يراها ، الرجل الصالح أو ترى له ، وكما قال النبيﷺ انتم شهداء الله في الأرض) [2] .

ثم قال (وقد جمع لنبينا محمد ﷺ جميع أنواع المعجزات ، والخوارق ، أما العلم والأخبار الغيبية والسماع والرؤية فمثل إخبار نبينا ﷺ عن الأنبياء المتقدمين وأممهم ، ومخاطباته لهم وأحواله معهم ، وغير الأنبياء من الأولياء وغيرهم ، بما يوافق ما عند أهل الكتاب الذين ورثوه بالتواتر ، أو بغيره من غير تعلم له منهم ، وكذلك اخباره عن أمور الربوبية والملائكة ، والجنة والنار بما يوافق الأنبياء قبله من غير تعلم منهم ، ويعلم أن ذلك موافق لنقول الأنبياء ، تارة بما في أيديهم من الكتب الظاهرة ونحو ذلك ، من النقل المتواتر ، وتارة بما يعلمه الخاصة من علمائهم ، وفي مثل هذا قد يستشهد أهل الكتاب ، وهو من حكمة إبقائهم بالجزية، وتفصيل ذلك ليس هذا موضعه) [3] .

ثم قال (فإخباره عن الأمور الغائبة ماضيها وحاضرها ، هو من باب العلم الخارق وكذلك إخباره عن الأمور المستقبلة مثل مملكة أمته ، وزوال مملكة فارس والروم وقتال الترك وألوف مألفة من الأخبار التي أخبر بها ، مذكور بعضها في كتب دلائل النبوة ، وسيرة الرسول وفضائله وكتب التفسير ، والحديث والمغازي وغيرها) [4] .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) الفتاوى ٣١٤/١١ .

(٣) الفتاوى ٣١٤/١١ ـ ٣١٥ .

(٤) الفتاوى ٣١٥/١١ .

ويعرف بعضهم الخوارق بقوله : الخوارق التي تعطى للأنبياء ، وليس مقصود بها التحدي ، كنبع الماء من بين أصابعه الشريفةﷺ ، وتكثير الطعام القليل وتسبيح الحصى بين يديه ، وأتيان الشجر إليه وبكاء الجزع عند فراقه وغيرها [١].

فأن هذه الأشياء لم يقصد بها التحدي ، وهي خارقة للعادة فتسمى بذلك ، ويقول صاحب معجم الفاظ العقيدة (هي ما أعطي لغير الانبياء ويسميها بعضهم كرامات) [٢] .

ونلاحظ التداخل بين هذه المعاني ، وهي على العموم معاني محدثة أحدثها العلماء ، وتعارفوا عليها كما يقول شيخ الإسلام [٣] ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية (فصار كثير من الناس لا يعرف ما للصالحين من الآيات الخارقة وما لأولياء الشيطان من ذلك من السحرة ، والكهان والكفار من المشركين وأهل الكتاب وأهل البدع والضلال ، فجعلوا الخوارق جنساً واحداً ، وقالوا كلها يمكن أن تكون معجزة إذا اقترنت بدعوى النبوة .. وأنكروا أن يكون السحر والكهانة الا من جنس الشعوذة والحيل ، ولم يعلموا أن الشياطين تعين على ذلك ..) [٤] .

فنلاحظ تداخل هذه المعاني بعضها مع بعض ولذلك يعتبر اكثر العلماء خوارق العادات مصطلح عام ، يدخل تحته المعجزة والكرامة والسحر والكهانة والتنجيم وغيرها ، من الأمور التي تعتبر أو خارق للعادة ، وبعد هذا القدر يمكن الدخول إلى مباحث هذا الفصل .

---

(١) انظر معجم الفاظ العقيدة ص ٣٧٨ .

(٢) انظر معجم الفاظ العقيدة ص ٣٧٨ .

(٣) انظر الفتاوى ٨٩/١٣ ــ ٩٠ ، وانظر كذلك منهاج السنة النبوية ٣٩٦/٢ ــ ٤٠١ .

(٤) انظر الفتاوى ٩٠/١٣ .

المبحث الأول
حادثة الإسراء والمعراج

ذكر البخاري عرضا قصة الإسراء والمعراج ، في كتاب بدء الخلق عند حديثه عن أعمال الملائكة عليهم السلام ، في كتاب بدء الخلق ثم ذكر حديث آخر في كتاب بدء الخلق عن ما رأه الرسول في هذه الليلة ، و سوف نقتصر هنا على ما أورده البخاري في كتاب بدء الخلق ، مع العلم أن البخاري رحمه الله ، قد ذكر لكل من الإسراء والمعراج باب مستقل ، في كتاب المناقب في مناقب الأنصار ، ورقم البابان هما ٤١ ــ ٤٢ (١) .

وقد ذكر هذه القصة أيضا ، كذلك في كتاب التفسير في موضعين ، وأطال في ذكرها في أول تفسير سورة الإسراء (٢) وفي تفسير سورة النجم ، عند قوله تعالى ﴿ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى﴾) (٣) (٤).

ونحن هنا سوف نذكر مقدمة لابد منها وهي تعريف الإسراء والمعراج ، ثم ذكر متى كان ذلك ؟ ثم هل كان ذلك يقظة ، أم مناما وهل كان ذلك بالجسم أم بالروح فقط ؟ ثم بعد ذلك نتكلم عن المطالب الموجودة هنا .

إن الإسراء كما هو معروف (هو ذهاب الله بنبيه محمد ﷺ من المسجد الحرام بمكة ، إلى المسجد الأقصى بإلياء ــ مدينة القدس في جزء من الليل ثم رجوعه من ليلته .

أما المعراج فهو صعوده ﷺ من بيت المقدس إلى السّماوات السبع وما فوق السبع ، ثم رجوعه إلى بيت المقدس في جزء من الليل) (٤) .

---

(١) فتح الباري ٢٣٦/٧ ــ ٢٥٩ .

(٢) انظر فتح الباري ٣٤٣/٨ ــ ٣٥١ .

(٣) سورة النجم آية ١٣ .

(٤) انظر فتح الباري ٤٧١/٨ ــ ٤٧٧ .

(٥) الإسراء والمعراج للدكتور الشيخ محمد بن محمد ابو شهبة ص ٢٥ .

ولعل التعريف الأجمل والأشمل هو تعريف سعيد محمد حسن حيث قال (هي رحلة بدأت من مكة إلى بيت المقدس ، ومن هناك إلى السماوات ، وفي بيت المقدس كان لقاء ، وأحداث وفي المساء أيضاً كانت لقاءات وأحداث) [١] .

أما هل كان الإسراء بالجسد والروح ، أم هو بالروح فقط ، وهل كان يقظة أم منام ، فيقول الدكتور فضل حسن عباس : (والذي يرجحه جمهور العلماء ، ان الإسراء كان بالروح والجسد كليهما ، وبرهان ذلك الكتاب والسنة والعقل ، ثم قال وجماهير العلماء يذهبون إلى أن الإسراء ، كان يقظة فلو كان مناما لم تنكره قريش، ولم يكن في ذلك فتنة لهم ولبعض المسلمين) [٢] وذهب إلى تأييد هذا ، الدكتور محمد أبوشهبة وذكر الأدلة عليه ، وسوف نعرضها بعد قليل ، وذكر انه قول أكثر العلماء [٣] وأيده كذلك الدكتور محمد عبدالقادر ابو فادي [٤] ، وكذلك أيد هذا القول الدكتور سعيد محمد حسن [٥] .

وقد ذكر ابن كثير هذه الأقوال ، والاختلاف ثم أيد هذا القول ، وهو أنه كان يقظة وانه بالجسد والروح وذكر الأدلة ، وأطال في ذلك [٦] .

ومال إلى هذا القول ابن حجر رحمه الله تعالى فقال (ذهب الجمهور والمحدثين والفقهاء والمتكلمين إلى أن الإسراء ، كان يقظة بجسده وروحه ، وهو الذي تواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة ، ولا ينبغي العدول عن ذلك إذ ليس ما يحيله حتى نحتاج إلى تأويل) [٧] .

---

(١) حقائق الإسراء والمعراج تأليف سعيد بن محمد حسن ص ٣٨ .

(٢) المنهاج نفحات من الإسراء والمعراج ص ١٦ .

(٣) الإسراء والمعراج للشيخ محمد أبوشهبة ص ٣٧ .

(٤) انظر في ظلال السيرة النبوية (الإسراء والمعراج) ص ٢٢ .

(٥) حقائق الإسراء والمعراج ص ٤٠ .

(٦) تفسير ابن كثير ٣/٣ ــ ٢٤ .

(٧) فتح الباري ٧/٢٣٧ .

وقال ذو النسبين أبو الخطاب بن دحّيه ، بعد ذكر الأقوال قال المقالة الثالثة (ذهب معظم السلف والمسلمين من الفقهاء والمحدثين والمفسرين والمتكلمين ، وهو مذهب أهل السنة أجمعين ، إلى أن الإسراء بالجسد وفي اليقظة ، وهذا هو الحق فإن الدواب لا تحمل الأرواح ، وإنما تحمل الأجسام) [١] .

وأما ابن القيم فقد أنكر ان يكون أحد ، قال ان الرسول أسرى به في المنام وأنما نقل عن بعض الصحابة ، أنه قال أسرى بالروح فقط ، ثم بين ضعف هذا القول ثم قال والصحيح أنه أسرى به بروحه وجسده [٢] .

وإن أدلة هؤلاء العلماء ، كثيرة جداً ويصعب حصرها ، ولكن يمن أن نلخصها فيما يلي :

١ ــ إن الله عزوجل بدأ الحديث عن الإسراء والمعراج ، في مطلع سورة الإسراء بقوله : (سبحان الذي أسرى بعبده) والعرب حين تعجب من شيء ، وتندهش لوقوعه أو منه تقول : سبحان الله ، وحين تبدأ السورة بالتسبيح ، تدل على أن هنلك أمراً متعجباً منه ، جاء ذكره مباشرة بعد التعجب ، وهو الإسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم وعروجه جسماً وروحاً ، وهذا الذي يتعجب منه ، أما الرؤيا في المنام، فلا يتعجب منها أصلاً .

٢ ــ لقد جاء في الآية الكريمة التعبير عن الإسراء والمعراج ، بقوله سبحانه (سبحان الذي أسرى بعبده) وكلمة عبد ، كما هو معلوم تطلق على الإنسان روحاً وجسماً ، ولا تطلق على الروح وحدها .

٣ ــ لو كان الإسراء والمعراج بروحه ﷺ ، لما حدثت فتنة في الصف المسلم حيث ارتد بعض المسلمين في مكة إذ ، لم يصدق ما أخبر به الرسولﷺ من الإسراء والمعراج ، وما حدث له فيهما من آيات . قال سبحانه وتعالى ﴿وما جعلنا الرؤيا

---

(٢) الابتهاج في أحاديث المعراج تأليف ابو الخطاب بن دحّيه ص ١٧ .

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ٣٤/٤ ــ ٤٢ .

التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ [1] ولو كانت بالروح لما وقف المشركون يكذبونها [2].

٤ ـ ولو كان الإسراء والمعراج بالروح فقط ، أي في المنام لما كانت معجزة ولما استهجنت ، إذ الإنسان العادي قد يرى في منامه أشياء لا يراها في اليقظة ، وقد تصدر عنه تصرفات لا يقدر على عشر معاشرها في اليقظة ، كالطيران في الهواء والمشي على الماء .

٥ ـ قوله تعالى ﴿ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ فالآيات تنص بصراحة ، على أن المعراج كان رؤية عين ، وليس مناماً .

٦ ـ لقد صرحت الأحاديث الصحيحة ، أن الرسول ﷺ قد ركب دابة يقال لها البراق ، والإنسان بجسمه وروحه يركب الدابة وغيرها ، فهل يقال للروح تركب البراق ، وهل يصح نسبة الركوب إلى الروح [3] .

هذه أهم تلك الأدلة بعد الجمع والإختصار ، ومن أراد الاستزادة فليراجع المصادر السابقة .

وبعد هذه المقدمة الضرورية ، لهذا المبحث يحسن بنا الدخول إلى مطالب هذا المبحث ، وهما مطلبان :

---

(١) سورة الإسراء آية ٦٠ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢٦٢/٤ .

(٣) أنظر في ذلك في ظلال السيرة النبوية (الإسراء والمعراج) ص ٢٣ ـ ٢٤ .

المطلب الأول : رؤية النبي ﷺ للأنبياء والملائكة :

أما الخبر الأول لهذا المطلب وهي رؤيته صلى الله عليه وسلم للأنبياء

فنقول: ورد ذلك عن النبي ﷺ ، في الحديث الذي رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، وهو حديث الإسراء والمعراج المشهور ، وهو حديث طويل جداً ، وقد صرح فيه الرسول ، برؤية الأنبياء في هذا الحديث(1) .

وقد روى البخاري ، كذلك حديث آخر في كتاب بدء الخلق ، فيه التصريح في الرؤية وهو حديث ابن عباس ((عن ابن عباس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: (رأيت ليلة أسرى بي موسى رجلاً آدم طوالاً جعداً ، كأنه من رجال شنوءه ، ورأيت عيسى رجلاً مربوعاً ، مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض ، بسط الرأس ، ورأيت مالكاً خازن النار ، والدجال في آيات أراهن الله إياه ، فلا تكن في مرية من لقائه ، قال أنس وأبوبكره عن النبي ﷺ تحرس الملائكة المدينة من الدجال)) (2).

فهذه الاحاديث والتي جاءت في كتاب بدء الخلق ، قد صرحت بأن الرسول ﷺ قد رأى هؤلاء الأنبياء وذكر من صفاتهم أشياء كثيرة ، وشبههم بأناس من العرب، وقد رجعت إلى أكثر شراح هذه الأحاديث ، فلم أرى لهم كلام في معنى هذه الرؤية، وكيفيتها ولعل سكوتهم عنها من باب الإيمان بالغيب ، وإن لم نعلم الكيفية فيه ، ومن تكلم فيها فلا تعدوا إشارات بسيطة جداً ، ويكفينا الحديث فإنه صرح بأنه رآهم ﷺ حين الإسراء ولعل هذه الرؤية هي رؤية لأرواحهم عليهم السلام .

---

(1) الحديث قد أخرجه البخاري في عدة مواضع من كتابه منها ح (٣٤٢) (٣٢٠٧) (٣٣٩٣) (٣٤٣٠) وأخرجه مسلم ح (١٦٢) عن انس بطرق كثيرة وح (١٦٣) عن ابي ذر (١٦٤) بطرق كذلك مع أختلاف في بعض الألفاظ .

(2) هذا الحديث أخرجه البخاري ح (٣٢٣٩) غب كتاب بدء الخلق (٣٣٩٦) في كتاب الانبياء وأخرجه مسلم ايضا ح (١٦٥) بروايته عن ابن عباس (١٦٨) عن ابي هريرة (١٧١) عن عمر بن الخطاب وح (١٧٢) عن ابي هريرة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، (وأما رؤيته موسى ورؤية غيره من الأنبياء، ليلة المعراج في السماء لما رآى آدم في السماء الدنيا ، ورآى يحيى وعيسى في السماء الثانية ، ويوسف في الثالثة ، وإدريس في الرابعة، وهارون في الخامسة ، وموسى في السادسة ، وإبراهيم في السابعة ، أو بالعكس فهذا رآى أرواحهم مصورة في صور أبدانهم ، وقد قال بعض الناس لعله ، رأى نفس الأجساد المدفونة في القبور ، وهذا ليس بشيء ، لكن عيسى صعد إلى السماء بروحه وجسده، وكذلك قد قيل في إدريس ، وأما إبراهيم وموسى وغيرهما ، فهم مدفونون في الأرض) [1] .

وقال في موضع آخر : (عيسى عليه السلام حي ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : «ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، وإماما مقسطا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية» [2] وثبت في الصحيح عنه (أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق ، وانه يقتل الدجال) ومن فارقت روحه جسده لم ينزل جسده من السماء ، وإذا أحيى فإنه يقوم من قبره ، ولو كان قد فارقت روحه جسده ، لكان بدنه في الأرض كبدن سائر الأنبياء، أو غيره من الأنبياء) [3] .

وقال ابن حجر لما ذكر رؤية الإمام أحمد رحمه الله والتي فيها «فصلى بالملائكة في بيت المقدس» [4] قال (وقد أستشكل رؤية الأنبياء في السماوات والصلاة بهم ، في بيت المقدس وأجيب عن ذلك ، بأن أرواحهم تشكلت بصور

---

(١) الفتاوى ٣٢٨/٤ .

(٢) اخرجه البخاري ح (٣٤٢٨ (٣٤٤٩) .

(٣) الفتاوى ٣٢٢/٤ ـ ٣٢٣ .

(٤) اخرجه الإمام احمد عن أنس بن مالك (١٢٠/٣ ، ١٨٠ ، ٢٣٩) .

أجسادهم أو أحضرت أجسادهم لملاقاة النبي ﷺ تلك الليلة ، تشريفاً له وتكريماً قال ويؤيده حديث عبدالرحمن بن هشام عن أنس ففيه ، (وبعث له آدم ، فمن دونه من الانبياء) [١] .

وقال في موضع آخر له (في محاولة الجمع ، وتأيد أن ذلك خاص بأرواح الأنبياء في حديث أبي هريرة عند البزار ، والحاكم (أنه صلى ببيت المقدس مع الملائكة ، وأنه أوتي هناك بأرواح الأنبياء ، فأثنوا على الله ...) الحديث [٢] .

ويؤيد هذا الرأي وهي أن الرسول رأى أرواح الأنبياء ، رواية مسلم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه ، وفيها أن رسول الله ﷺ «عرض على الانبياء فإذا موسى ضرب من الرجال كانه من رجال شنودة» ... الحديث [٣] .

ولم أر من تعرض لهذه الفظة بشرح ، وهي قوله عرض على الأنبياء ، ولعل هذا العرض عرض لأرواحهم ، يقول الامام النووي عند سياقه هذه الأحاديث في وصف الأنبياء وتشبهم بالناس وذكر لبعض أعمالهم ، وما أورده الامام مسلم في ذلك قال النووي : (قال القاضي عياض رحمه الله تعالى ، أكثر الروايات في وضعهم تدل على أنه ﷺ رأى ذلك ليلة أسرى به ، ثم قال (وأما كيفية ذلك من أن أجسادهم في الأرض لله عدة احتمالات : أحدها أنهم كالشهداء ، بل هم أفضل منهم والشهداء أحياء عند ربهم فلا يبعد أن يحجوا ويصلوا كما ورد في الحديث الآخر وأن يتقربوا إلى الله تعالى بما استطاعوا ، لأنهم وأن كانوا قد توفوا فهم في هذه الدنيا التي هي دار العمل ، حتى إذا فنيت مدتها وتعقبتها الآخرة التي هي دار

---

(١) فتح الباري ٧/٢٥٠ .

(٢) فتح الباري ٧/٢٤٠ .

(٣) اخرجه مسلم ح (١٦٧) وأخرجه الترمزي ح (٣٦٤٩) كتاب المناقب عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال حديثه حسن صحيح غريب .

الجزاء انقطع العمل ، والوجه الثاني أن عمل الآخرة ذكر ودعاء ، قال الله تعالى: ﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام﴾ ومعنا تصريح بهذا العمل ، والوجه الثالث أنه ﷺ أرى أحوالهم التي كانت في حياتهم ، ومثلوا له في حال حياتهم كيف كانوا وما هي أعمالهم ، كما قال ﷺ «كأني انظر إلى موسى وكأني انظر إلى عيسى ، وكأني انظر إلى يونس عليهم السلام» ، والوجه الرابع أن يكون أخبر عما أوحى إليه ﷺ من أمرهم ، وما كان منهم وأن لم يرهم رؤية عين هذا آخر كلام القاضي عياض رحمه الله والله أعلم) [1] .

ويقول الدكتور محمد أبو زهرة في تأيد أن ذلك كان بالأرواح (ذكر صلى الله عليه وسلم في المعراج ، أنه التقى بالأنبياء والباقي منهم أرواحهم ، أما أجسادهم فيبعثها الله تعالى يوم القيامة ، ولم يرد خبر ولو ضعيفاً أن الله بعثها ، ثم أفناها بعد الصلاة والسلام على الرسول ﷺ ثم استدل على ذلك بقوله تعالى ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ [2] فاسند الرؤية هنا إلى الفؤاد وهي مخالفة لرؤية العين) [3] .

ويشكل عليه ما أورده ابن حجر من حديث : (وبعث الله له من آدم إلى من دونه من الأنبياء) وكذلك وصفهم بأجسادهم ، وتشبيه النبي لهم مما يشعر بأن ذلك كان حقيقة وبالأجساد والأرواح .

ولعل هذه الأرواح تشكل بأشكال أجسامها ، عند مفارقة هذه الأجسام في هذه الحياة الدنيا والله أعلم في الآخرة ، كما قال النووي .

أو نقول ان ذلك عالم آخر خارج عن التصور، وهو عالم فوق هذا العالم

---

(١) انظر شرح مسلم للنووي ٢/٢١٨ ــ ٢١٩ .

(٢) سورة النجم آية ١٣ .

(٣) الإسراء والمعراج لمحمد سعيد مبيض ص ٥٧ ــ ٥٨ .

المحســوس ، وله أحواله الخاصة به ، فان العروج إلى السماء وما فيه من أحــداث كلهــا غير خاضعة للعقل ، وما يدركه وفوق تصوره ، فنؤمــن بذلــك وأن جــهلنا كيفيتــه .

ويرى الإمام البيهقي ان هذه حياة حقيقية للأجساد ، وقال قد ألفت فــي ذلــك كتاب اثبت فيه حياتهم ، يقول (والانبياء عليهم الصلاة والسلام بعدما قبضـــوا ردت اليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم كالشهداء ، وقد رأى نبينا جماعـــة منــهم ليلــة المعراج وأمر بالصلاة عليهم وأخبر وخبره الصادق ، أن صلاتنا معروضة عليـــه، وأن سلامنا يبلغــه وأن الله حرم على الأرض ، أن تأكل أجســاد الأنبيـــاء ، وقــد أفردنا لإثبات ذلك كتاباً) [١] .

وأيد هذا القول الدكتور فضل سعيد مبيض ، يقول (أمـــا دعــوى أن أجســاد الأنبياء تبلى ، والباقي منهم أرواحهم ، فيدحضه حديث رسول الله الذي أخرجه أحمد في مسنده (إن الله حرم على الأرض ، أجساد الأنبياء عليهم السلام) [٢] .

ويؤيد هذا المذهب الإمام ابن القيم ، ويستدل له بما روي ان النبي عند السلام عليه تعود إليه روحه ، فيرد السلام وأثبت أن الأرواح لها تعلق كبـــير ، بـــالأبدان يقول (بأن لروح النبي ﷺ إشراف وتعلق بالجسد إلى يوم القيامة بحيـــث إذا ســـلم المسلم على رسول الله رد الله إليه روحه ، حتى يرد السلام على من سلم عليه ثـــم تفارقه وتعود إلى إشرافها فما المانع إذاً من إعادة الأرواح ة إلى الأنبياء ليصلي بـهم محمد رسول الله وليتعرف إليهم ويسلموا عليه ثم تفارقهم أرواحهم ، بعد ذلك أليـــس الله على كل شيء قدير) [٣] .

---

(١) الاعتقاد للبيهقي ص ٢٣٧ .

(٢) الاسراء والمعراج لمحمد سعيد مبيض ص ٥٦ .

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/٤٠ ـ ٤١ .

ويرد الشيخ محمد سعيد مبيض ، على من انكر ان يكون النبي رأى أحد من الأنبياء ولماذا لم يذكر القرآن ذلك ، فيقول : (ما هي الضرورة حتى يشير القرآن إلى ذلك ، أو يرد في ذلك حديث شريف ما دامت الرحلة كلها خارقة للعادة ، وما دام الحديث بصدد الإسراء والمعراج ، فلا حاجة للدخول في تفصيل الفرعيات ، لأن قدرة الله على إحيائهم تحصيل حاصل مادام قد ثبت بالحديث الصحيح سلامة وصلاته بهم إماما.

وليس في الآية الكريمة ﴿ما كذب الفؤاد ، ما رأى﴾ [١] دليل إثبات رؤية الفؤاد فهي حين تثبت رؤية الفؤاد لا يعني ذلك نفيها لرؤية العين ، لما بينهما من مشاركة في الرؤية البصرية ، كما وأن الآية في آخرها ، تؤيد الرؤية البصرية ﴿ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ [٢] .

ويرى بعض العلماء أن الرؤية للأنبياء وغيرهم ، في تلك الرحلة كانت للأرواح .

يقول الدكتور فضل حسن عباس عند كلامه عن قوله تعالى : ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ [٣] بصبغة المضارع ، وقوله تعالى : ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ [٤] بصفة الماضي [٥].

يجيب بعض الكاتبين المحدثين عن هذا السؤال ، فيذكر كلاماً كثيراً خلاصته أن النبي في الأرض كان بشراً ، وقانون الرؤية للبشر معروف ، وقانون الإبصار فيه خاضع لقانون الضوء ، أما في السماء فقد أخذ وضع آخر ، هذا الوضع الآخر أخذ بذاته وفوائده يرى ، لأنه إنتقل من صفات البشرية إلى صفات أخرى ، تشبه صفات الملائكة والأرواح ، وأصبحت هذه القوة هي المسيطرة عليه هناك) [٦] .

---

(١) سورة النجم آية ١٣ .

(٢) الإسراء والمعراج لمحمد سعيد مبيض ص ٥٨ ، ٥٩ .

(٣) سورة النجم آية ١١ .

(٤) سورة النجم آية ١٨ .

(٥) الإسراء والمعراج لمحمد سعيد مبيض ص ٥٧ ــ ٥٨ .

(٦) المنهاج نفحات من الإسراء والمعراج ص ٤٣ ــ ٤٤ بتصرف .

يقول شيخ الإسلام في تأيد أن ذلك كان بالروح ، وأن للروح أحوال وأمور لا يعلمها إلا الله ، وانها مخالفة لما نراه في هذه الدنيا ، يقول (وقد عرف ان ابداناً كثيرة لا يأكلها التراب ، كأبدان الأنبياء وغير الأنبياء من الصديقين ، وشهداء أحد ، وغير شهداء أحد ، والأخبار بذلك متواترة ، ومما يشبه هذا إخباره ﷺ بما رآه ليلة المعراج من الأنبياء في السماوات ، وأنه رأى آدم وعيسى ويحيى ويوسف وإدريس وهارون وموسى وإبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم ، وأخبر أيضاً أنه رأى موسى قائماً يصلي في قبره ، وقد رآه ايضاً في السماوات ، ومعلوم أن ابدان الأنبياء في القبور إلا عيسى وإدريس ، وإذا كان موسى قائماً يصلي في قبره ، ثم رآه في السماء السادسة مع قرب الزمان ، فهذا أمر لا يحصل للجسد ومن هذا الباب أيضاً نزول الملائكة صلوات الله عليهم وسلامه جبريل وغيره .

فاذا عرف أن ما وصفت به الملائكة وأرواح الآدميين ، من جنس الحركة والصعود والنزول وغير ذلك ، لا يماثل حركة أجسام الآدميين ، وغيرها مما تشاهده بالأبصار في الدنيا ، وأنه يمكن فيها مالا يمكن في أجسام الآدميين) [1] .

ونحن هنا نقول أن هذا من علم الغيب الذي ربما يكون من أمتحان الله لعباده المؤمنين بالغيب وينظر من يؤمن ومن يكفر ، ويكذب ذلك ولذلك أرتد كثير من المسلمين بعد هذه الحادثة ، ولما أخبرهم الرسول بما رأي أرتد بعضهم وأزداد إيمانا منهم الصديق ، وسمي به يومها بالصديق الأكبر .

وهذا لا يستبعده الإنسان ، فان الإنسان قد يرى في النوم قريباً ، له لم يره في حياته الدنيا ثم يراه في النوم ، ويصفه إلى من رأه فيكون وصفه حقيقي ، لا يختلف فيه شيء ، وهذا مثال مقرب فقط .

---

(١) الفتاوى ٥/٥٢٦ ، ٥٢٧ .

ولعل من ذلك ما قاله ﷺ : ((من رآني في النوم فقد رآنـــي حقيقـة ، فـان الشيطان لا يتمثل بي)) [1] فإنه من رأى الرسول ﷺ فإنه رآه حقيقة بجسـمه الـذي خلقه الله وصفاته الحقيقة ، التي رآها من عايشه من الصحابة ووصفوه بها .

وقـد تكـون هـذه الرؤيـة خاصـة بالنبـي فقط ، فإنه يرى ما لا يـرى غيره كما ثبت عن عائشة رضي الله عنها ، وقولها له عند سـلام جـبريل عليـها وإخبار النبي لها بذلك ((ترى مالا أرى يارسـول الله)) [2] وسـبحان الله الـذي عنـده علـم كـل شـيء ، وما أوتينـا من العلم إلا قليلاً !! .

وأما الشـق الثاني من هذا المبحث وهو الخاص برؤية الملائكة فنقول قـد أخبر الرسول ﷺ بأحاديث كثيرة عن رؤية الملائكة ، ولعل أشهرها حديث جـبريل وسؤاله عن الإسلام والإيمان والإحسان ، وقول النبي ﷺ ((هـذا جـبريل أتـاكم ، ليعلمكم دينكم)) [3] .

ونحن هنا سوف نذكر الأحاديث التي ذكرها البخاري ، عن الرسول ﷺ فـي كتاب بدء الخلق فقط ، وشواهدها فنقول :

قد ذكر البخاري أحاديث كثيرة في هذا الباب ، عن رؤية النبي ﷺ للملائكـة وتكليمه لهم ، منها أحاديث مرت بنا سواء في الكلام علـى التصويـر والسـحر أو حديث الإسراء الذي مر قبل قليل ، وقد ذكر البخاري ، كذلك أحاديث غـير هـذه منهـا حديث عائشة رضي الله عنها ، في كيفية أتيان الوحي فقال ﷺ ((ويتمثل لـي الملك أحياناً رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول)) ، وفي رواية ابن سـعد ((ويتمثـل لـي جبريل)) [4] .

---

(1) أخرجه مسلم ح (٢٢٦٦) (٢٢٦٨) .

(2) أخرجه البخاري ح (٣٢١٧) في كتاب بدل الخلق (٣٧٦٨) (٦٢٠١) (٦١٥٣) (٦٢٤٩) ، واخرجه مسلم (٢٤٤٧) .

(3) اخرجه البخاري ح (٢) و(٣٢١٥) في كتاب بدء الخلق .

(4) اخرجه البخاري ح (٢) (٣٢١٥) في كتاب بدء الخلق .

وأنا هنا سوف اذكر الشواهد من الأحاديث فقط لعدم ، الإطالة .

منها حديث عائشة أيضا ، وقول النبي لها (وهذا جسبريل يقرئك السلام ، فقالت وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، ترى مالا أرى تريد النبي ﷺ) [(١)] .

قال العيني في تعليقه عليه : (وفيه أن النبي ﷺ يرى الملك ، ولا يراه من معه) [(٢)] .

ومنها حديث ابن عباس : «في لقاء جبريل كل ليلة من رمضان» [(٣)] ومنها حديث عروة بن الزبير «ونزول جبريل وصلاته بالنبي ﷺ يومين في كل يوم خمس صلوات» [(٤)] .

ومنها «حديث عائشة وسؤالها النبي ما هو أشد يوم كان عليه وأخبارها أنه يوم العقبة ، ثم خروجه إلى الطائف وما لقيا فيها ، ونزول جبريل وملك الجبال وسلامهم على النبي ﷺ وأخبراهم أن الله بعثهم اليه ليأمرهم بما شاء الله» [(٥)] .

وهذا ليس خاص بالنبي ، بل أنه عام للانبياء والصحابة ، كذلك فان الله أخبر عن إبراهيم عليه السلام حيث جاءه الضيوف ، وهم الملائكة حين أرسالهم إلى قوم لوط قال تعالى : ﴿هل اتاك حديث إبراهيم المكرمين ...﴾ [(٦)] ، فقرب اليهم العجل، وأخبروه الخبر .

وكذلك ما سبق من حديث عمر بن الخطاب وقول النبي صلوات الله وسلامه عليه «أنه جبريل آتاكم يعلمكم أمور دينكم» [(٧)] .

---

(١) تقدم تخريجه قريبا .

(٢) عمدة القاري ١٣٥/١٥ .

(٣) اخرجه البخاري ح (٦) و(٣٢٢٠) في كتاب بدء الخلق (١٩٠٢) (٣٥٥٤) (٤٩٩٧) .

(٤) اخرجه البخاري ح (٣٢٢١) في كتاب بدء الخلق.

(٥) اخرجه البخاري ح (٣٢٣١) في بدء كتاب الخلق و (٧٣٨٩) ، واخرجه مسلم (١٧٩٥) .

(٦) سورة الذاريات الآيات ٢٤ ــ ٣٤ .

(٧) سبق تخريجه .

((وكان جبريل عليه السلام ، كثير ما يتصور بصورة دحيه الكلبي رضي الله عنه ويظن الصحابة انه دحيه الكلبي وهي أحاديث كثيرة)) [1] .

قال ابن حجر في تعليقه على حديث البخاري : (وكان دحيه موصوفا بالجمال وكان جبريل يأتي النبي ﷺ غالبا على صورته) [2] .

ثم قال (قال القاضي عياض وغيره ، وفي هذا الحديث أن للملك أن يتصور على صورة الآدمي ، وأن له هو في ذاته صورة لا يستطيع الآدمي أن يراه فيها، لضعف القوى البشرية عنها ، الا من يشاء أن يقويه الله عزوجل على ذلك ، ولهذا كان غالب ما يأتي جبريل النبي ﷺ في صورة الرجل) [3] .

وهناك رؤية أخرى اختص بها الرسول ﷺ وهي رؤيته جبريل عليه السلام على الصورة التي خلقه الله عليها مرتين ، وقد ذكر الله ذلك في كتابه ، وامتن به على رسول الله ﷺ قال عزوجل : ﴿علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى﴾ [4] ورواه مرة أخرى قال تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى عن سدرة المنتهى) [5] .

وقد فسرت عائشة رضي الله عنها هذه الآية ، برؤيه النبي لجبريل على صورته عن سروق قال : ((قلت لعائشة فاين قوله ﴿ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ [6] قالت ذلك جبريل كان ياتي في صورة الرجل ، وإنما أتى هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد الافق)) [7] .

---

(١) اخرجه البخاري ح (٤٩٨٠) ، واخرجه مسلم ح (١٦٧) .
(٢) فتح الباري ٦٢١/٨ .
(٣) فتح الباري ٦٢٢/٨ .
(٤) سورة النجم آية ٦ .
(٥) سورة النجم آية ١٣ ــ ١٤ .
(٦) سورة النجم آية ٨ ــ ٩ .
(٧) خارجه البخاري ح (٣٢٣٥) .

ولعل ما يؤكد ذلك تصريح النبي بهذه الرؤية ، فعن عائشة رضي الله عنها انها سألت النبي عن هذه الآية فأجابها بأنها رواية جبريل عليه السلام ، وأنها أول من سأل النبي وعن ذلك ، عن معنى هذه الآيات من سورة النجم فقال النبي : ((ذلك أنما هو جبريل لم أره على صورته ، التي خلق عليها غير هاتين المرتين ـ رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ، ما بين السماء والأرض)) ... الحديث [(1)] .

هذا هو تفسير النبي ﷺ لهذه الآية ، ولا حاجة لنا بقول اخر وتفسير آخر وتفسيره ، وقوله المقدم على غيره ﷺ .

قال ابن كثير : ﴿ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى﴾ [(2)] قال عكرمة ومجاهد والحسن وقتادة ، والربيع بن أنس هو جبريل يعني استوى بالافق الأعلى [(3)] قال ابن كثير وقوله : ﴿ولقد رأه نزلة أخرى﴾ [(4)] هي ليلة الاسراء وقد قال النبي فيما روى عبدالله بن مسعود (هو جبريل رأيت له ستمائة جناح) [(5)] ، والحديث الذ رواه ابن كثير أخرجه مسلم ، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وقال فيه لما سأله رز بن حبيش عن قوله تعالى: ﴿فكان قاب قوسين أو ادنى﴾ [(6)] قال ابن مسعود فانه رسول الله ﷺ ((رأى جبريل له ستمائة جناح)) [(7)] .

وفسر هذه الاية ، كذلك ((أبو هريرة رضي الله عنه ، فقال : هو جبريل رأه النبي ﷺ)) [(8)] .

هذه بعض الأحاديث المذكورة في هذا الباب ، واتفاق الصحابة رضي الله عنهم أنه رأى جبريل على صورته ، وقد نقل الاجماع على ذلك محمد بن نصر المروزي كما مر معنا ، ونقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم .

---

(١) اخرجه مسلم ح (١٧٧) .
(٢) سورة النجم آية ٦ .
(٣) تفسير ابن كثير ٤/٢٤٩ .
(٤) سورة النجم آية ١٣ .
(٥) تفسير ابن كثير ٤/٢٥١ .
(٦) سورة النجم آية ٩ .
(٧) رواه مسلم ح (١٧٤) بروايات كثيرة .
(٨) اخرجه مسلم ح (١٧٥) .

ونحن هنا سوف نذكر كلام أهل العلم على هذه الحالة ، بإختصار فنقول :

يكاد ينعقد الإجماع على أن الرسول رأى جبريل ، والملائكة يوم الإسراء وغيرها من المرات ، قال النووي : (في تعليقه على حديث أبي هريرة السابق، ومعنى قوله تعالى : ﴿ولقد رأه نزلة أخرى﴾ قال أكثر العلماء ، وهو (جبريل) ونقل ذلك الواحدي وأنه رأى جبريل على صورته له ستمائة جناح) [١] .

وأحيانا بل كثيرا وهو الغالب يتصور الملك ، أو يتشكل بشكل إنسان قال ابن حجر عن معنى ذلك بعد سياق الأقوال ، (والحق أن يتمثل الملك رجلا ، ليس معناه ذاته انقلبت رجلا بل معنا أنه ظهر بتلك الصورة ، كأنسان لمن يخاطبه والظاهر ايضا أن القدر الزائد لا يزول ، ولا يفنى بل يخفى على الرائي فقط) [٢] .

والظاهر ((أن للملائكة قدرة على التشكل ، بما يريدون ولذلك في حديث فتور الوحي عن الرسول في أو البعثة ثم نزوله عليه الظاهر ، من الرواية انه تحول الملك الى صورته التي خلق الله ، ثم نزل على صورته بشر)) [٣] وسوف يأتي زيادة ببيان لهذه الجزئية عند الحديث عن صفات الملائكة ، وتشكلهم في الباب الثالث .

يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين : (ونؤمن بملائكة الله تعالى ، وأنهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول ، وهم بأمره يعملون حجبهم الله عنا فلا نراهم ، وربما كشفهم لبعض عباده ، فقد رأى النبي ﷺ جبريل على صورته ، له ستمائة جناح قد سد الأفق ، وتمثل جبريل لمريم بشرا سويا ، فخاطبته وخاطبها ، وأتى إلى النبي ﷺ وعنده الصحابة بصورة رجل ، لا يعرف ولا

---

(١) شرح مسلم للنووي ٧/٣ .

(٢) فتح الباري ٢٩/١ .

(٣) اخرجه البخاري كتاب بد الخلق (٣٢٣٨) .

يرى عليـــه أثر السفر شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، فجلس إلى النبيﷺ فأسند ركبته إلى ركبتي النبي ﷺ ووضع كفيه على فخديــــه وخـــاطب النبـــي ﷺ وخاطبه النبي ﷺ واخبر النبي ﷺ أصحابه أنه جبريل) (١) .

وفي حديث الاسراء «فانطلق به جبريل حتى اتى السماء الدنيا ، فستفتح فقبـل من هذا لقال جبريل ، وفيه أنه رأى مالك خازن النار» (٢) .

وهذه الرؤية للملائكة هي رؤية حقيقية سواء تمثل الملـــك ، أو هــو علــى صورته التي خلق الله ، وقد سبق لنا أن الرسول رأى الأنبياء عليهم الســـلام ليلـة الإسراء فرؤية الملائكة أقرب ، والايمان بها أوجب ، يقول الإلمام البيهقي (ثم عرج برسول الله إلى سدرة المنتهى ، وكان ذلك في اليقظة ، وكل ما أخبر عنه من رؤيـة من رآه تلك الليلـــة من الملائكـــة والنبيين ، والجنـــة والنـــار وغير ذلك من آيـات ربه ، كله رؤية عينية) (٣) .

وأيد البخاري هذا الرأي ، وهو رؤية النبي ﷺ ، للملائكة ورؤيــــة جـبريل عليه السلام على صورته مرتين ، رأه النبي ﷺ روية عين وان المقصود ، بقولـــه تعالى ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ (٤) هم الملائكة وجبريل عليـــهم الســـلام ، ونقـــل ذلـــك ابن حجر قـــال : (ومال البخـــاري في ترجمة الباب ان المـــراد بـــه جبريـــل) (٥) .

يقول شارح الطحاوية في بيانة أن رؤية الملك على صورته التي خلق الله من

---

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة للشيخ محمد العثيمين ص ٢٠ ــ ٢١ .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) الاعتقاد للبيهقي ص ٢٣٦ .

(٤) سورة النجم آية ١٨ .

(٥) فتح الباري ٤٧٧/٨ .

خصائص النبي ﷺ (ولهذا كان البشر يعجزون عن رؤية الملك في صورته إلا من أيده الله ، كما أيد نبينا ﷺ قال تعالى ﴿وقالوا لو لا نزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر﴾ [1] .

قال غير واحد من السلف ، لا يطيقون ان يروا الملك في صورته ، فلو أنزلنا إليهم ملكا لجعلناه في صورة بشر ، وحينئذ يشتبه عليهم هل هو بشر أو ملك ؟ ومن تمام نعمة الله علينا ، أن بعث فينا رسولا منا) [2] .

---

(١) سورة الانعام آية ٨ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ١/٢٢٠ .

المطلب الثاني : رؤية النبي ﷺ لربه :

سبق أن تحدثنا عن مسألة رؤية الرسول ﷺ حديثاً عاماً في الباب الأول بالفصل الأول ونتحدث هنا عن المسألة الخاصة برؤية النبي لربه .

اختلف أهل العلم رحمهم الله تعالى ، في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لله عزوجل ، عندما عرج به إلى السماء ، هل رأى الله عزوجل أم لم يره ؟ على أقوال ، حكاها النووي ، وابن حجر وغيرهم ، ونحن هنا سوف نحكي أقوالهم في هذه المسألة ، ثم نذكر القول الراجح مع الدليل وذلك لأن الكلام في هذه المسألة ليس فيه دليل واضح وصريح [(١)] إلا ما سوف نذكره إن شاء الله .

القول الأول : إثبات الرؤية :

وهو المشهور عن ابن عباس ، وأبو ذر وكعب الأحبار والحسن البصري، وكان يحلف على ذلك ، وحكي عن الإمام أحمد هذا القول .

وقد حكى النووي الأقوال والأدلة ، ولم يذكر لأصحاب هذا القول دليل ، إلا قول ابن عباس : «أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد» [(٢)] .

ثم ذكر قول آخر لابن عباس وأنس رضي الله عنه ، ثم ذكر قول الحسن البصري ، وعلق على ذلك [(٣)] .

قال الطحاوي : (والقول أن الرسول رأى ربه بعينه ، فليس فيه قاطع ولا نص يعول عليه ، والمعمول فيه على آيه النجم والتنازع فيها ، مأثور والاحتمال لها ممكن) [(٤)] .

---

(١) انظر شرح مسلم للنووي ٤/٣ .

(٢) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧٩/١ قال وفيه ضعف .

(٣) انظر شرح مسلم للنووي ٥/٣ .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ٢٢٣/١ ـ ٢٢٤ .

واختار النووي هذا القول ، وهو جواز رؤيته النبي ﷺ ، وقال مؤيـــداً لـــه وارداً قول عائشة (ولا يقدح في هذا حديث عائشة رضي الله عنها ، لأنها في نفـس الرؤية لم تخبر أنها سمعت النبي ﷺ يقول لم أر ربي ، وإنما ذكـــرت مـــا ذكـــرت متأولة ، لقول الله تعالى : ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا﴾ (١) ، ولقول الله تعالى :﴿لا تدركه الأبصار﴾ (٢) ، والصحـــابي إذا قال قولا وخالفه غيره ، منهم لم يكن قول حجة ، وإذا صحت الروايات عـــن ابـــن عباس في إثبات الرؤية ، وجب المصير إلى إثباتها فإنها ليست مما يـــدرك بـــالعقل ويؤخذ بالظن ، وإنما يتلقى بالسماع ولا يستجيز أحد أن يظن بابن عباس ، أنه تكلـــم في هذه المسألة بالظن والإجتهاد .

وقد قال معمر بن راشد ، حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس مـــا عائشـــة عندنا بأعلم من ابن عباس ، ثم أن ابن عباس أثبت شيئاً نفاه غيره ، والمثبت مقـــدم على النافي هذا كلام صاحب التحرير ، فالحاصل أن الراجح عند اكثر العلمـــاء ، أن رسول الله ﷺ رأى ربه بعيني رأسه ليلة الإسراء ، لحديث ابن عباس وغيره ممـــا تقدم وإثبات هذا لا يأخذونه الا بالسماع من رسول الله ﷺ ، هذا مما لا ينبغـــي أن تشكك فيه ، ثم إن عائشة رضي الله عنها ، لم تنف الرؤية بحديث عن رســـول الله ﷺ ولو كان معها فيه حديث لذكرته ، وإنما إعتمدت الإستنباط من الآيات) (٣) .

وأيد هذا القول كذلك الامام ابن خزيمة رحمه الله تعالى فإنه عقد بابـــاً فـــي كتـــاب التوحيد عنوانـــه خصوصية الله لنبينا بالرؤية، كما خص موسى بالكلام ، ثم

---

(١) سورة الشورى الآية ٥١ .

(٢) سورة الانعام الآية ١٠٣ .

(٣) شرح مسلم للنووي ٥/٣ .

ساق أحاديث ، وآثار عن الصحابة والتابعين وأطال في عرضها ، ورجح الرؤية فيقول (ومن خلال هذه الأدلة يكون الواجب عن طريق العلم ، قبول خبر من أخبر أن النبي ﷺ ، رأى ربه [1] .

وهذا الرأي هو الذي مال إليه ، كذلك العيني رحمه الله ، فانه لما ساق الأقوال في ذلك انتصر إلى رأي ابن عباس رضي الله عنه ، وأكثر من ذكر الروايات عنه ثم قال (وليس في الشرع دليل قاطع على نفي الرؤية ، ولا أمتناعها اذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة ، وهذا الذي نقول به) [2] .

وممن رجح كذلك هذا القول كذلك صاحب كتاب عون الباري ، أبو الطيب البخاري فانه رجح ان النبي ﷺ ، قد رأى ربه قال : (والجمهور على ثبوت رؤيته عليه السلام لربه بعين رأسه ، ولا يقدح في ذلك حديث عائشة رضي الله عنها ، إذ لم تخبر أنها سمعته عليه السلام ، يقول لم أرى ربي ، وإنما ذكرت متأولة بعض الآيات) [3] ، هذا هو رأي أصحاب القول الأول .

القول الثاني : نفي الرؤية :

وهو نفي رؤية النبي لله عزوجل بعيني رأسه ، وإن كان رأه بفؤاده أو رأه في المنام وهو قول عائشة وأبو هريرة وهو المشهور عن ابن مسعود ، وإليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين ، كما قال النووي [4] .

وهذا القول هو ظاهر إختيار البخاري ، فإنه ساق أحايث عائشة في نفي الرؤية في كتاب بدء الخلق عند الحديث عن الملائكة ، وفي كتاب التفسير فإنه لما ذكر الأقوال في تفسير سورة النجم ، والخلاف فيها وأعقبها بذكر حديث عائشة رضي الله عنها ، ومنها يفهم ميله إلى هذا الرأي [5] .

---

(١) انظر التوحيد وأثبات صفات الرب عزوجل لابن حزيمة ٥٦٣/٢) .
(٢) عمدة القاري ١٤٣/١٥ ـ ١٤٤ .
(٣) عون الباري لحل أدلة البخاري ٣٥/٤ .
(٤) شرح مسلم للنووي ٤/٣.
(٥) فتح الباري ٤٧٢/٨ .

وأدلة هذا القول ما يلي :

حديث عائشة رضي الله عنها ، في كتاب بدء الخلق قالت : ((من زعم إن محمد رأى ربه ، فقد أعظم ولكن قد رأى جبريل في صورته ، وخلقه ساداً ما بين الأفق)) [1] .

وفي رواية أخرى عن مسروق قلت لعائشة ، فأين قوله ((ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) قالت ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل ، وإنما أتى هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد الأفق)) [2] .

وفي رواية لمسلم قالت عائشة ، ونسوقها بلفظها لأن فيها زيادة مهمة وهي تصريحها ، أنها سألت الرسول عن معنى هذه الآية ، فأجابها ﷺ عنها (عن مسروق قال كنت متكئاً عند عائشة ، فقالت يا أبا عائشة : ثلاث من تكلم بواحدة منهن ، فقد أعظم على الله الفرية قلت ما هن ؟ قالت : من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه ، فقد أعظم على الله الفرية ، قال : وكنت متكئاً فجلست فقلت : يا أم المؤمنين انظريني ، ولا تعجليني ألم يقل الله عزوجل ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾ [3] ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ [4] فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ ، فقال: إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خُلق عليها ، غير هاتين المرتين ، رأيته منهبطاً من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض ، قالت : أو لم تسمع أن الله يقول : ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ [5]

---

(١) رواه البخاري ح (٣٢٣٤) في كتاب بدء الخلق وح (٤٦١٢) (٤٨٥٥) (٣٢٣٥) (٧٣٨٠) (٧٥٣١) واخرجه مسلم (١٧٧) .

(٢) رواه البخاري ح (٣٢٣٥) في كتاب بدء الخلق و (٧٣٨٠) (٧٥٣١) .

(٣) سورة التكوير آية ٢٣ .

(٤) سورة النجم آية ١٣ .

(٥) سورة الانعام آية ١٠٣ .

أو لم تسمع ، أن الله يقول ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا ، فيوحى بإذنه ما يشاء إنه على حكيم﴾ [(1)] [(2)].

فهذه الرواية لمسلم فيها تصريح بسؤال عائشة ، ورد على النووي قوله السابق في انه لم يرد عن رسول الله ، ما يدل على شيء من نفي الرؤية ، ولعل ما يؤيد ذلك ما ((روى عن أبي ذر رضي الله عنه ، قال سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك ، فقال : نور أني أراه)) [(3)] .

ومن الأدلة كذلك ما رواه مسلم عن أبي هريرة ، قال : (حدثنا أبو بكر بن أبي شيبه ، حدثنا علي بن مسهر عن عبدالملك ، عن عطاء عن أبي هريرة في قوله تعالى ((﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ [(4)] قال : رأى جبريل)) [(5)] .

وكذلك ورد عن ابن مسعود كذلك من طرق كثيرة في تأييد هذا القول، رواها مسلم رحمه الله ، قال [(6)] ثم إن ابن عباس رحمه الله روى مسلم عنه ، كذلك تصريحه بأن الرسول إنما رآه بقلبه ، قال مسلم : (حدثنا أبو بكر بن أبي شيبه، حدثنا حفص عن عبدالملك عن عطاء عن ابن عباس قال : رآه بقلبه) .

وفي طريق آخر (عن أبي العالية عن ابن عباس ، قال : (ما كذب الفؤاد ما رأى) [(7)] ((﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ (8) قال : رآه بفؤاده مرتين)) [(9)] .

وقد قال ابن حجر بعد ذكر الروايات عن ابن عباس ، وتصريحه بأنه رآه بقلبه قال إنه يجب حمل هذه الأحاديث ، لابن عباس على التقييد قال (وعلى هذا

---

(1) سورة الشورى آية ٥١ .
(2) أخرجه مسلم ح (١٧٧) .
(3) اخرجه مسلم ح (١٧٨) .
(4) سورة النجم آية ١٣ .
(5) رواه مسلم ح (١٧٥) .
(6) أنظر صحيح مسلم (١/١٥٨) .
(7) سورة النجم آية ١١ .
(8) سورة النجم آية ١٣ .
(9) رواها مسلم ح (١٧٦) ١/١٥٨ .

يمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ولفظ عائشة بأنه يحمل نفيها على رؤية البصر ، وإثباته على رؤية القلب) وقال أيضا : (جاءت أخبار عن ابن عباس مطلقة وأخرى مقيدة فيجب حمل مطلقها على مقيدها) (١) .

وذهب إلى هذا الجمع ابن تيمية حيث قال : (ولم يثبت عن ابن عباس ، ولا عن الإمام أحمد وأمثالهما : أنهم قالوا إن محمداً رأى ربه بعينه ، بل الثابت عنهم إما اطلاق الرؤية ، وإما تقييدها بالفؤاد ، وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة أنه رآه بعينه .

وجميع الأحاديث التي فيها رؤيته لربه ، إنما كانت بالمدينة ، كما جاء مفسراً في الأحاديث ، والمعراج كان بمكة ، كما قال تعالى : ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ (٢) (٣) .

ونقل ابن القيم رحمه الله هذا القول عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية ، ووافقه عليه قال ابن القيم سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول (وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب (الرد له) إجماع الصحابة على أنه ﷺ لم ير ربه ليلة المعراج ، وبعضهم استثنى ابن عباس من ذلك ، وشيخنا يقول : ليس ذلك بخلاف في الحقيقة فان ابن عباس لم يقل رآه بعيني رأسه ، وعليه اعتمد أحمد في إحدى الروايتين ، حيث قال : أنه رآه ولم يقل بعيني رأسه) (٤) .

ثم قال ابن القيم : (ويدل على صحة ما قال شيخنا في معنى حديث ابي ذر : قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر ، (حجابه النور) فهذا النور هو ــ والله أعلم ــ النور المذكور في حديث أبي ذر (رأيت نوراً)) (٥) .

---

(١) فتح الباري ٨/٤٧٤ .
(٢) سورة الاسراء آية ١ .
(٣) انظر الفتاوى ص ٢/٣٣٥ ــ ٣٣٦ .
(٤) الفتاوى ٦/٥٠٧ .
(٥) الفتاوى ٦/٥٠٧ ، ٥٠٨ .

ولفظ حديث أبي ذر هو (عن أبي ذر قال : سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك ؟ قال «نور أنى أراه») [(١)] .

وفي رواية أخرى لمسلم : (عن قتادة عن عبدالله بن شقيق ، قال : قلت لأبي ذر : لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته ، فقال : عن أي شيء كنت تسأله ؟ قال : كنت أسأله هل رأيت ربك ؟ قال أبو ذر : قد سألته فقال «رأيت نوراً» [(٢)] .

قال النووي هكذا رواه جميع الرواه في جميع الأصول ، والروايات ومعناه حجابه نور فكيف أراه ؟ قال المازري : معناه النور منعني من الرؤية ، كما جرت العادة بذلك ، ومنعها الإبصار من الرؤية وحلولها دون ذلك [(٣)] .

وقال ابن تيمية في موضع آخر ما نصه (واما الرؤية فالذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس ، أنه قال : (رأى محمد ربه بفؤاده مرتين) وعائشة انكرت الرؤية فمن الناس من جمع بينهما ، فقال : عائشة أنكرت رؤية العين ، وابن عباس اثبت رؤية الفؤاد .

والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة ، أو مقيدة بالفؤاد تارة ، يقول : رأى محمد ربه ، وتارة يقول رأى محمد ربه بفوائده : ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح ، بأنه رآه بعينه .

وكذلك الإمام أحمد تارة يطلق الرؤية ، وتارة يقول : رآه بفؤاده : ولم يقل أحد أنه سمع أحمد يقول رآه بعينه : لكن طائفة من أصحابه سمعوا بعض كلامه المطلق ففهموا منه رؤية العين : كما سمع بعض الناس مطلقّ كلام ، ابن عباس ففهم منه رؤية العين .

وليس في الأدلة ما يقتضي انه رآه بعينه ، ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك ، بل النصوص الصحيحة على نفيه

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) رواه مسلم ح (١٧٨) ١٦١/١ .

(٣) شرح مسلم للنووي ١٢/٣ .

أدل : كما في صحيح مسلم عن أبي ذر قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك ؟ فقال ((نور أنى اراه)) [١] .

وقد قال تعالى : ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا﴾ [٢] ولو كان قد أراه نفسه بعينه، لكان ذكر ذلك أولى .

وكذلك قوله : ﴿أتمارونه على ما يرى﴾ [٣] ﴿ولقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ [٤] ولو كان رآه بعينه لكان ذكر ذلك أولى) [٥] .

ثم قال ابن تيمية : (وفي الصحيحين عن ابن عباس في قوله : ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس ، والشجرة الملعونة في القرآن﴾ [٦] قال هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به ، وهذه رؤيا الآيات لأنه أخبر الناس بما رآه بعينه ليلة المعراج ، فكان ذلك فتنة لهم ، حيث صدقه قوم وكذبه قوم ، ولم يخبرهم بأنه رأى ربه بعينه ، وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة ذكر ذلك ، ولو كان قد وقع ذلك لذكره ، كما ذكر ما دونه .

وقد ثبت بالنصوص الصحيحة ، واتفاق سلف الأمة أنه لا يرى الله أحد في الدنيا بعينه ، إلا ما نازع فيه بعضهم من رؤية محمد ﷺ خاصة ، واتفقوا على أن المؤمنين يرون الله يوم القيامة عيانا ، كما يرون الشمس والقمر)[٧] .

وممن مال إلى ترجيح عدم رؤية الرسول لله عزوجل ، الإمام أبو القاسم اللالكائي ، فقد عقد بابا بعنوان : (سياق ما روي عن النبي ﷺ ، أنه رأى ربه) ، وبعد أن أنتهى من سرد الأدلة وأقوال الطرفين عقب بقوله تعالى في

---

(١) سبق تخريجه قريبا .
(٢) سورة الاسراء آية ١ .
(٣) سورة النجم الآية ١٢ .
(٤) انظر الفتاوى ٥٠٥/٦ ـ ٥٠٦ .
(٥) سورة النجم آية ١٨ .
(٦) سورة الاسراء آية ٦٠ .
(٧) الفتاوى ٥١٠/٦ .

سورة الأنعام ﴿لا تدركه الأبصار﴾ [1] ثم أعقبها بأقوال النافين لها : بأن معنى الآية نفي وقوع الرؤية في الدنيا) [2] .

وممن أيد هذا القول ، كذلك الإمام ابن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية ، فإنه لما ساق الخلاف ، وذكر الأدلة أعقبها بحديث أبي ذر السابق ، ثم قال : (وقد روى مسلم أيضا عن ابي موسى الأشعري رضي الله عنه ، انه قال : قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات ، فقال «إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور ـ وفي رواية : النار ـ لو كشفه ، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» [3] .

فيكون والله أعلم معنى قوله لأبي ذر (رأيت نورا) أنه رأى الحجاب ، ومعنى قوله (نور أني أراه) النور الذي هو الحجاب يمنع من رؤيته ، فأنى أراه أي فكيف أراه والنور حجاب بيني وبينه يمنعني من رؤيته ، فهذا صريح في نفي الرؤية ، والله أعلم ، وحكى عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة على ذلك) [4] .

ثم قال : (ونحن إلى تقرير رؤيته لجبريل أحوج منا إلى تقرير رؤيته لربه تعالى ، وإن كانت رؤية الرب تعالى أعظم وأعلى ، فإن النبوة لا يتوقف ثبوتها عليها ألبتة) [5] .

والحديث الذي ذكره شارح الطحاوية ، وهو في مسلم حديث والله أعلم عام وصريح في نفي الرؤية ، وفي وجود الحجاب له عزوجل ، وأنه لو كشفه في هذه الحياة الدنيا لأحرق كل شيء .

---

(١) سورة الانعام آية ١٠٣ .

(٢) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٥١٣/٣ .

(٣) اخرجه مسلم (١٧٨) وابن منده في الايمان (٧٧٠) ، واخرجه احمد ١٤٧/٥ بلفظ (وقد رأيته نورا أني أراه) .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ٢٢٥/١ .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٢٢٤ .

فالراجح والله أعلم أن الرؤية البصرية ، لا تكون لأحد في هذه الحياة الدنيا وإنما يمكن للإنسان رؤيته بالقلب ، كما ورد ذلك في الحديث الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية ، وهو عند الترمذي .

ورؤية القلب هذه أثبتها ابن حزم ، كذلك يقول رحمه الله (ورؤية الله يوم القيامة كرامة للمؤمنين لاحرمنا الله ذلك ومحال أن تكون هذه الرؤية رؤية القلب، لأن العارفين به تعالى يرونه في الدنيا بقلوبهم) [١] وهذه الرؤية تقع لكثير من المؤمنين في الحياة الدنيا ، وقد ذكرها ابن القيم في حادي الأرواح وغيره من كتبه رحمه الله تعالى [٢] .

وقد انكر ابن حجر من نسب هذا القول إلى الإمام أحمد رحمه الله ، وبين بروايات كثيرة تفسير هذه الرؤية بالفؤاد ، وأيد هذا الرأي [٣] ، وقد مال القرطبي في الظاهر إلى هذا القول ، ولم يجزم به لكنه لما ذكر قول ابن عباس أعقبه بذكر رواية مسلم ، وهو أنه رأه بفؤاده ثم ذكر الأدلة المانعة من الرؤية [٤] .

القول الثالث : التوقف وعدم الخوض :

وهو ما ذهب إليه القاضي عياض كما نقله عن ابن حجر والطحاوي [٥] .

وتوقف كثير من أصحاب مالك ، كما نقل ذلك النووي عنهم [٦] .

وقد رجح القرطبي كذلك التوقف في هذه المسألة في كتابه المفهم، وعزاه إلى

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/٣٦ .

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ٣٢٦ .

(٣) فتح الباري ٨/٤٧٥ .

(٤) تفسير القرطبي ١٧/٩٢ .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ١/٢٢٢ .

(٦) شرح مسلم للنووي ٣/٤ .

كثيـــر من أهــل العــلم والمحققيــن ، وقـــال ليـــس في الباب دليل قـــاطع يشـــار إليه في ذلك (١) .

ومن الذين توقفوا في ذلك الامام البيهقي رحمه الله ، فإنه لما ذكــــر القوليــن السابقين وذكر الأدلة والأقوال ثم قال ، والله أعلم بالصواب (٢) وفي كتاب الاســـماء والصفات مال إلى ترجيح عدم الرؤية ، وضعف حديث ابن عباس لانه من روايـــــة محمد بن اسحاق وساق الأحاديث عنه برؤية القلب ، وإثباتها ثم ساق الأحاديث فــــي رؤيته بقلبه وأثباتها ومال إلى ذلك في ما ظهر لي ، وقد أطال فيها كثيرا (٣) .

وبعد عرض هذه الأقوال يتبين رجحان القول الثاني ، وهو إختيار البخـــاري وابن تيمية وابن القيم وابن حجر وابن ابي العز وغيرهم ، من المحققين مــــن أهــل العلم وهو الذي عليـــه الدليل وفيـــه الإجماع الذي حكاه الدارمي ، كما نقلـــه عنـــه شارح الطحاوية وغيـــره .

---

(١) فتح الباري ٨/٤٧٤ .
(٢) انظر كتاب الاعتقاد للبيهقي ص ٢٣٦ ــ ٢٣٧ .
(٣) راجع كتاب الأسماء والصفات للبيهقي ص ٥٤٧ ــ ٥٧٩ .

المبحث الثاني

سحر النبي ﷺ

سبق الحديث عن السحر وتعريفه في الباب الأول ، ونحن في هذا الباب سوف نتكلم عن سحر النبي ﷺ وما يتعلق فيه من مباحث مثل حقيقة السحر ووقوع التأثير على المسحور وأنواع السحر ، لأنها داخلة في مباحث هذا الحديث .

وقد روى البخاري رحمه الله تعالى ، حديث سحر النبي ﷺ في كتاب بدء الخلق ، وهذا الحديث نصه في كتاب بدء الخلق ، ما يلي : ((عن عائشة رضي الله عنها قالت : سحر رسول الله ﷺ رجل من بني زريق ، يقال له لبيد بن الأعصم ، حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء ، وما فعله ، حتى إذا كان ذات يوم ــ أو ذات ليلة ــ وهو عندي ، لكنه دعا ودعا ثم قال : يا عائشة ، أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه ؟ أتاني رجلان ، فقعد أحدهما عند رأسي ، والآخر عند رجلي ، فقال أحدهما لصاحبه : ما وجع الرجل ؟ فقال : مطبوب ، قال: من طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم ، قال : في أي شيء ؟ قال : في مشط ومشاطة ، وجف طلع نخلة ذكر ، قال : وأين هو ؟ قال : في بئر ذروان ، فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه ، فجاء فقالِ : يا عائشة ، كان ماؤها نقاعة الحناء ، وكأن رؤوس نخلها رءوس الشياطين ، قلت ، يا رسول الله أفلا استخرجته؟ قال : قد عافاني الله ، فكرهت أن أثير على الناس فيه شراً ، فأمر بها فدفنت))تابعه أبو أسامة وأبو ضمرة وابن أبي الزناد عن هشام ، وقال الليث وابن عيينة عن هشام ((في مشط ومشاطة)) ، ويقال : المشاطة ما يخرج من الشعر إذا مشط ، والمشاطة من مشاطة الكتان [1] .

---

(١) أخرجه البخاري ح (٣٢٦٨) في كتاب بدء الخلق و(٥٧٦٣) (٥٧٦٥) (٥٧٦٦) ، وأخرجه مسلم ح(٢١٨٩) .

وهذا الحديث حديث ثابت لا مطعن فيه كما يقول بعض أهل الكلام ، أنه حديث أحاد وممن لا يوجب حقيقة للسحر ، أو ممن يتوهم المعارضة بين الحديث وقوله تعالى: ﴿ والله يعصمك من الناس﴾ أو غيرها من الشبه التي قد تكون عائشة من قبول هذا الحديث ، وسوف يأتي شيء منها ضمن الحديث عن حقيقة السحر ، إن شاء الله تعالى .

يقول ابن القيم في تأكيد ثبوت هذا الحديث ، والرد على من زعم ضعيف (هذا الحديث ثابت عند أهل العلم ، بالحديث متلقى بالقبول بينهم ، لا يختلفون في صحته وقد أعترض على كثير من أهل الكلام وغيرهم ، وأنكروه أشد الإنكار وقابلوه بالتكذيب وصنف بعضهم فيه مصنفاً مفرداً ، حمل فيه على هشام وكان غاية ما أحسن القول فيه أن قال غلط واشتبه عليه الأمر ، ولم يكن من هذا شيء وهذا مردود عند أهل العلم ، فإن هشاما من أوثق الناس وأعلمهم ولم يقدح فيه أحد من الأئمة ، بما يوجب رد حديثه فما للمتكلمين ، وما لهذا الشأن وقد رواه غير هشام عن عائشة ، وقد اتفق أصحاب الصحيحين على تصحيح هذا الحديث ، ولم يتكلم فيه أحد من أهل الحديث بكلمة واحدة والقصة مشهورة عند أهل التفسير والسنن) [١].

ويقول الدكتور عمر بن سليمان الأشقر ، في تأكيد ثبوت الحديث والرد على من ضعفه (أما دعواهم بأن الحديث مكذوب من وضع الملحدين ، يرد عليه أن الحديث أتفق على إخراجه البخاري ومسلم ، وإذا وجدت الحديث قد اتفق الشيخان على إخراجه ، فإنه يكون في القمة من الصحة ، وإذا وجدت الرجل يطعن في حديث رواه صاحبا الصحيح ، فاعلم أن بضاعته في علم الحديث مزجاة) [٢] ، ويؤكد شيخ الإسلام هذه المسألة ، وهي ثبوت حديث الصحيحين ، وحصيت العمل به ووجوب قبوله .

---

(١) بدائع الفوائد ص ٢٢٣ .

(٢) عالم السحر والشعوذة للدكتور عمر الأشقر ص ١٨٢ .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة : (وعلى هذا فكثير من متـــون الصحيحين متواتر اللفظ عند أهل العلم ، بالحديث وإن لم يعرف غيرهم أنه متواتـــر ولهذا كان أكثر متون الصحيحين ، مما يعلم علماء الحديث علماً قطعياً أن النبـــي ﷺ قاله تارة لتواتره عندهم ، وتارة لتلقي الأمة له بالقبول) [1] .

ويؤكد عمر الأشقر في رده على أهل الكلام ممن ضعف الحديث ، أنه يحـــث في متن الحديث ، فلم يجد شيئاً مما قالوه في دعواهم ، (دعواهم أن الحديث مقـــدوح في إســـناده دعوى ليـــس عليها دليل ، وقد نظرت في شروح الحديث أمثال: ((فتـــح الباري)) و ((شرح النووي على مسلم)) فلم ينقلوا عن عالم واحد من علماء الحديـــــث طعن في الحديث أو في رواته ، والحديث رواه عدة من الصحابة ، ورواه عن كـــل واحد منهم رواة بلغوا الغاية في الضبط والعدالة ، وليس كل من ادعى دعوى فـــــي مسألة ما مصدق ما لم يقم عليها البينات الواضحات .

أما دعواهم بأن الحديث حديث آحاد ، وأحاديث الأحاد لا تقبل في المســـــائل الإعتقادية ، فالجواب : أن الصحيح من أقوال أهل العلم أن الأحاديث الآحاد تقبل في مسائل الاعتقاد ، كما تقبل في المسائل العملية ، والذين فرقوا بينهما لم يأتوا بدليـــــل يدل على صحة هذا التفريق .

والقول بأن الحديث الآحاد لا يقبل في مسائل الإعتقاد قول محدث ، وقد بينت هذا في رسالة مستقلة بعنوان ((أصل الاعتقاد)) [2] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان حجية خبر الاحـــاد ، فـــي المســـائل الاعتقادية وأفادة الخبر اليقيني وأن خير الأحاد مقيد العلم اليقيني ، ما نصه (وخـــبر الواحد المتلقى بالقبـــول يوجب العـــلم عنـــد جمهور العلماء من أصحاب أبي حنيفة ومالـــك والشـــافعي وأحمد ، وهو قول أكثر أصحاب الأشعري، كالاسفرائيني وابن

---

(١) الفتاوى ٤٢/١٨ .

(٢) عالم السحر والشعوذة لعمر الأشعر ص ١٨٢ ــ ١٨٣ .

فورك ، فإنه وإن كان في نفسه لا يفيد إلا الظن ، لكن لما اقترن به اجماع على حكم مستندين في ذلك إلى ظاهر أو قياس أو خبر واحد ، فإن ذلك الحكم يصير قطعياً عند الجمهور ، وإن كان بدون الإجماع ليس بقطعي ، لأن الاجماع معصوم ، فأهل العلم بالاحكام الشرعية لا يجمعون على التصديق بكذب ، ولا التكذيب بصدق) [١]

وقد بين ابن القيم حديثه السابق أنه رواه عن عائشة أكثر من واحد ، وبذلك تبطل دعوى أن الحديث من أخبار الآحاد [٢] .

ويبين الأشقر بالقرائن صحة الحديث فيقول : (هذا جانب والجانب الآخر أن هذا الحديث يفيد العلم ، لأنه قد احتفت به قرائن رفعته من مرتبة الظن إلى مرتبة العلم ، فقد رواه أكثر من واحد من الصحابة ، ورواه عنهم علماء أجلاء بلغوا الغاية في الحفظ والعدالة ، وله من المتابعات والشواهد ما يجعل قلب العالم يستيقن صحة هذا الحديث ، أضف إلى هذا أن الأمة تلقته بالقبول ، ولم يطعن في صحته واحد من علماء الحديث ، والأمة لا يمكن أن تجمع على ضلالة .

وحسبنا ــ كما قلنا من قبل ــ أن البخاري ومسلم اتفقا على إخراجه في صحيحهما) .

وهذا الحديث بعد ثبوته يدل على مسألة مهمة ، وهي أن للسحر حقيقة وأثر على المسحور وقد تنازع الناس في هذه المسألة تنازعاً كبيرا .

وهذان القولان في حقيقة السحر مشهوران :

القول الأول : أن السحر ليس له حقيقة ، ولا تأثير له وانما هو تمويه وخيال .

القول الثاني : أن السحر له حقيقة وتأثير على المسحور ، ثم اختلفوا في هذا التأثير على قولين سوف نعرض لهما بعد قليل [٤] .

---

(١) الفتاوى ٤١/١٨ .

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم ٢٢٣/٢ .

(٣) عالم السحر والشعوذة لعمر الأشقر ص ١٨٣ .

(٤) انظر مقالات الاسلاميين ١٢٩/١ ، وانظر هذين القولين في أحكام القرآن للقرطبي ٤٦/٢ .

وبعض أهل العلم ينكر أثر السحر في هذا الحديث خاصة لانـــه يظــن أنـــه يعارض العصمة الواجبة للانبياء ولا ينكره في غيره وسوف يأتي بيـــان وتوضيـــح هذه المسألة كذلك من خلال العرض في آخر المبحث .

القول الأول : نسب ابن حجر القول الأول إلى أبي بكـــر الـــرازي ، وابـــن حـــزم الظاهري [١] ، والقول الثاني إلى الجمهور [٢] .

وعمـــدة أدلة القول الأول هو قوله تعالى : ﴿ يخيل اليهم من ســـحرها أنـــها تسعى ﴾ [٣] ذكر ذلك ابن حجر [٤] .

قال القرطبي في حكاية استدلالهم بهذه الآية : (ولم يقل تسعى على الحقيقة بل هي من التخيل والايهام) [٥] .

يقول الجصاص في تأييد هذا المذهب ، ومستدلاً بهذه الآية علـــى رد حقيقـــة السحر (أخبر الله تعالى أن ما ظنوه سعياً ، لم يكن سعياً وإنما كان تخييلاً .

وحقيقة ما جاء به سحرة فرعون ، أن عصيهم كانت مجوفة ، قد ملئت زئبقاً، والحبال مصنوعة من أدم محشوة زئبقاً ، وكانوا قد حفروا قبل ذلك تحـــت الأرض حفراً ، ملأوها بالنار ، فلما خرجت العصي والحبال المملوءة بالزئبق ، وحمي الزئبق حركها) [٦] .

ولاصحاب القول الأول دليل ثاني حكاه عنهم القرطبي، يقول (واستدلوا كذلك بقوله تعالى ﴿سحروا أعين الناس واسترهبوهم﴾ [٧] [٨] ، قال الجصاص في توجيه

---

(١) انظر فتح الباري ٢٣٣/١٠ ، وانظر الفصل لابن حزم ٢/٥ .

(٢) انظر فتح الباري ٢٣٣/١٠ .

(٣) سورة طه الآية ٦٦ .

(٤) انظر فتح الباري ٢٣٣/١٠ .

(٥) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ٤٦/٢ .

(٦) أحكام القرآن للجصاص ٤٣/١ .

(٧) سورة الأعراف الآية ١١٦ .

(٨) انظر الجامع لاحام القرآن للقرطبي ٤٦/٢ .

هذه الآية على مذهبه ، (يقول تعالى :﴿ سحروا أعين الناس واسترهبوهم﴾ يعني موهوا عليهم وأروهم خلاف الحقيقة ، حتى ظنوا أن حبالهم وعصيهم تسعى) [١] .

ولم أر من العلماء من ذكر لهم أدلة أخرى ، وإن كان الجصاص قد علق على أية البقرة وهي آية السحر وهي قوله تعالى :﴿واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر * وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾ [٢] .

ـ قد وجه الجصاص هذه الآية بتوجيه يخدم ما ذهب إليه ، وأنكر حقيقة السحر بتوجيه مخالف لاكثر المقربين المفسرين ، يقول : (أن اليهود الذين لم يقبلوا القرآن ، ونبذوه وراء ظهورهم ، اتبعوا ما تخبر به الشياطين عن ملك سليمان ، والمراد بالشياطين هنا شياطين الجن والإنس ، والآية تدل على أن السحر من عند الله ، وأن الملكين أنزلهما الله تعالى ، ليعرف الناس بالسحر ، ويعلموهم أنه كفر وكذب وتمويه ولا حقيقة له ، حتى يحترزوا من ضرره ، لأن تعريف الشر حسن ومنه يصح الاحتراز ، وهذا مثله مثل ما يأتي الفواحش والمحظورات التي بينها الله على لسان أنبيائه ورسله) [٣] .

القول الثاني : وهو أن للسحر حقيقة وتأثير بأذن الله ، قال تعالى :﴿وما هم بضارين به من أحد إلا بأذن الله﴾ [٤] ، فأثبت الضرر ، وقرنه بالمشيّئة له عزوجل .

وهذا هو مذهب الجمهور ، كما قال ابن حجر [٥] .

---

(١) احكام القرآن للجصاص ٤٣/١ .

(٢) سورة البقرة آية ١٠٢ .

(٣) انظر احكام القرآن للجصاص ٥٦/١ ـ ٥٧ .

(٤) سورة البقرة الآية ١٠٢ .

(٥) انظر فتح الباري ٢٣٣/١٠ .

كما قال ابن حجر ، يقول النووي في تعليقه على حديث سحر النبيﷺ (قال الإمام المازري رحمه الله ، مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر وأن له حقيقية ، كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافاً لمن أنكر ذلك ، ونفى حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيلات باطلة لا حقائق لها ، وقد ذكره الله تعالى في كتابه وذكر أنه مما يتعلم وذكر ما فيه إشارة إلى أنه مما يكفر به ، وأنه يفرق بين المرء وزوجه وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له وهذا الحديث أيضاً مصرح بإثباته، وأنه أشياء دفنت وأخرجت ، وهذا كله يبطل ما قالوه ، فاحالة كونه من الحقائق محال ولا يستنكر في العقل أن الله سبحانه وتعالى يخرق العادة ، عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو المزج بين قوى على ترتيب ، لا يعرفه إلا الساحر وإذا شاهد الإنسان بعض الأجسام منها قاتلة ، كالسموم ومنها مسقمة ، كالأدوية الحادة ومنها مضرة كالأدوية المضادة للمرض لم يستبعد عقله ، أن ينفرد الساحر بعلم قوي قتالة أو كلام مهلك أو مؤد إلى التفرقة) [1] .

ويقول القرطبي في تأكيد هذا القول ، ونقل الإجماع عليه ما نصه : (وذهب أهل السنة أن السحر ثابت ، وله حقيقة ويدل عليه آية البقرة ، فانه يتعلم ولو لم يكن له حقيقة لم يمكن تعليمه ولا أخبر ، فقال : أنه يعلمون الناس فدل على أن له حقيقة، وقوله تعالى في قص سحرة فرعون : ﴿وجاءوا بسحر عظيم﴾ [2] وسورة الفلق مع أتفاق المفسرين على أن سبب نزولها ، ما كان من سحر لبيد بن الأعصم وهو مما خرجه البخاري ومسلم عن عائشة ، الحديث وفيه : أن النبيﷺ قال لما حل السحر: ((أن الله شفاني)) والشفاء إنما يكون برفع العلة ، وزوال المرض فدل أنه له حقاً، وحقيقة فهو مقطوع به بإخبار الله تعالى ورسوله ، على وجوده ووقوعه ، وعلى هذا أهل الحل والعقد الذين ينعقد بهم الإجماع ، ولا عبرة مع أتفاقهم بحثالة

---

(١) شرح مسلم للنووي ١٤/١٧٤ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١١٦ .

المعتزلة ، ومخالفتهم أهل الحق ولقد شاع السحر ، وذاع في سابق الزمان ، وتكلم الناس فيه ولم يبدو من الصحابة ولا من التابعين إنكار لاصله ، روى سفيان عن أبي الأعور عن عكرمة عن ابن عباس قال عمّ السحر في قرية من قرى مصر ، يقال لها ((الفرما)) فمن كذب به ، فهو كافر مكذب لله ورسوله منكر لما علم مشاهدةً وعياناً) [١] .

ويقول الشيخ علي القاري في حكاية مذهب أبي حنيفة ، (ومنها : أن السحر والعين حق عندنا خلافاً للمعتزلة ، لقوله عليه الصلاة والسلام ((العين حق)) رواه أحمد والشيخان وأبو داود ، وابن ماجه عن أبي هريرة وزيد في رواية ، وأن العين لتدخل الرجل القبر ، والجمل القدر ، وجاء في رواية أن السحر حق ، ويدل عليه قوله تعالى :﴿وما أنزل على الملكين﴾ ، وقوله تعالى ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾ ، وأما قوله تعالى﴿يخيل إليه من سحرهم﴾ ، فهذا نوع من السحر ، ثم قول بعض أصحابنا أن السحر كفر مؤول ، فقد قال الشيخ أبو منصور الماتريدي القول بأن السحر كفر على الإطلاق خطأ ، بل يجب البحث عنه ، فإن كان رد ما لزمه في شرط الإيمان فهو كفر ، وإلا فلا ، فلو فعل ما فيه هلاك إنسان ، أو مرضه ، أو تفريق بينه وبين امرأته وهو غير منكر لشيء من شرائط الإيمان ، لا يكفر [٢] فهو هنا أثبت هذا التأثير من القتل وغيره ، وأوجب العقوبة عليه وذكر أنواع السحر وحقائقه وتأثيره ، وتأثير على الأجسام وغيرها .

وجزم ابن حجر بثبوت السحر ، وأن له حقيقة قال (وهذا ما يدل عليه قول جمهور العلماء ، وقطع به جميع الفقهاء ، وهو الذي يدل علّيه الكتاب والسنة) [٣] .

وقال ابن حجر في رده على المخالفين حكاية المذهب (وقال المازري : جمهور العلماء على إثبات السحر، وأن له حقيقة ، ونفى بعضهم حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة، وهو مردود لورود النقل بإثبات السحر، ولأن العقل

---

(١) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ٤٦/٢ بتصرف خفيف .

(٢) شرح كتاب الفقة الأكبر لابي حنيفة ، شرح الشيخ الملاّ علي القاري ص ٢٢٠ .

(٣) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي .

لا ينكر أن الله قد يخرق العادة عند نطق الساحر ، بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو مزج بين قوى على ترتيب مخصوص ، ونظير ذلك ما يقع من حذاق الأطباء من مزج بعض العقاقير ببعض حتى ينقلب الضار منها بمفرده فيصير بالتركيب نافعاً ، وقيل لا يزيد تأثير السحر على ما ذكر الله تعالى في قوله :﴿يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ [1] لكون المقام مقام تهويل ، فلو جاز أن يقع به أكثر من ذلك لذكره . قال المازري : والصحيح من جهة العقل ، أنه يجوز أن يقع به أكثر من ذلك، قال : والآية ليست نصاً في منع الزيادة ، ولو قلنا إنها ظاهرة في ذلك) [2].

وأختار هذا الرأي ابن القيم وقال في حكاية هذا المذهب ما نصه (وقد دل قوله تعالى﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾ وحديث عائشة المذكور على تأثير السحر ، وأن له حقيقة وقد أنكر ذلك طائفة من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم ، وقالوا أنه لا تأثير للسحر البتة لا في مرض ، ولا قتل ولا حل ولا عقد قالوا ، وإنما ذلك تخييل لأعين الناظرين لا حقيقة له سوى ذلك وهذا خلاف ما تواترت به الآثار عن الصحابة والسلف ، واتفق عليه الفقهاء وأهل التفسير والحديث وأرباب القلوب من أهل التصوف ، وما يعرفه عامة العقلاء والسحر الذي يؤثر مرضا وثقلاً وحلاً وعقدا وحبا ، وبغضا ونزيفا وغير ذلك من الآثار موجود تعرفه عامة الناس ، وكثير منهم قد علمه ذوقا بما أصيب به منه وقوله تعالى : ﴿من شر النفاثات في العقد﴾ [3] دليل على أن هذا النفث يضر المسحور ، في حال غيبته عنه ولو كان الضرر لا يحصل إلا بمباشرة البدن ظاهرا كما يقوله هؤلاء لم يكن للنفث ، ولا للنفاثات شر يستعاذ منه) [4] .

---

(١) سورة البقرة الآية ١٠٢ .
(٢) فتح الباري ٢٣٣/١٠ .
(٣) سورة الفلق الآية ٤ .
(٤) بدائع الفوائد ٢٢٧/٢ .

(ثم ذكر دليلاً عقلياً فقال (وأيضا فإذا جاز على الساحر أن يسحر ، جميع أعين الناظرين مع كثرتهم حتى يروا الشيء بخلاف ما هو به ، مع أن هذا تغير في إحساسهم ، فما الذي يحيل تأثيره في تغيير بعض أعراضهم وقواهم وطباعهم ، وما الفرق بين التغيير الواقع في الرؤية والتغيير في صفة أخرى من صفات النفس ، والبدن فإذا غير إحساسه حتى صار يرى الساكن متحركا والمتصل منفصلا والميت ، حيا فما المحيل لان يغير صفات نفسه حتى يجعل المحبوب إليه بغيضاً والبغيض محبوبا، وغير ذلك من التأثيرات) [١] .

وسوف يأتي زيادة إيضاح لهذه المسألة ، عند الحديث عن سحر النبيﷺ خاصة .

وأما الإجابة عما استدل به أصحاب القول الأول ، فأجاب العلماء على أدلتهم بما يلي :

قال القرطبي في الرد عليهم في استدلالهم بالآية الأولى ، والثانية (أن هذا لا حجة لهم به لأن لا نتذكر أن يكون التخيل وغيره ، من جملة السحر ولكن ثبت وراء ذلك أمور جوازها العقل وورد بها السمع ، وهي ثابتة بالقطع) [٢] .

ويقول ابن القيم في رد دعواهم هذه وادعاهم في هذه الآية ، أن السحرة استعملوا حيلة وهي الزئبق في تحريك الحبال ، كما قال ذلك ابو بكر الرازي والجصاص وغيرهم ، ونقل عن ابن حجر ذلك عن الرازي يقول : (قال أبو بكر الرازي في «الأحكام» : أخبر الله تعالى أن الذي ظنه موسى من أنها تسعى ، لم يكن سعيا وإنما كان تخييلاً ، وذلك أن عصيهم كانت مجوفة ، قد ملئت زئبقاً ، وكذلك الحبال كانت من أدم محشوة زئبقاً ، وقد حفروا قبل ذلك أسراباً ، وجعلوا لها آزاجاً وملأوها ناراً فلما طرحت على ذلك الموضع وحمى الزئبق حركها لأن من شأن

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم ٢/٢٢٧ .

(٢) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ٢/٤٧

الزئبق إذا أصابته النار أن يطير ، فلما أثقلته كثافة الحبال والعصى صارت تتحرك بحركته ، فظن من رآها أنها تسعى ، ولم تكن تسعى حقيقة) [1] .

ويقول ابن القيم في الرد على هؤلاء ، وهذا الاستدلال (لو كان الأمر كذلك لم يكن هذا خيالاً ، بل حركة حقيقية ، ولم يكن ذلك سحراً لأعين الناس ، ولا يسمى ذلك سحراً ، بل صناعة من الصناعات المشتركة ، وقد قال تعالى﴿فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ [2] ، ولو كانت تحركت بنوع حيلة كما يقول المنكرون ، لم يكن هذا من السحر في شيء ، ومثل هذا لا يخفى ، لو كان ذلك بحيلة كما قال هؤلاء ، لكان طريق إبطالها إخراج ما فيها من الزئبق ، وبيان المحال ، ولم يحتج إلى إلقاء العصا لابتلاعها ، مثل هذه الحيلة لا يحتاج فيها إلى الإستعانة بالسحرة ، بل يكفي فيها حذق الصناع ، ولا يحتاج في ذلك إلى تعظيم فرعون للسحرة وخضوعه لهم ، ووعدهم بالتقريب والجزاء ، وأيضاً فإنه لا يقال في ذلك﴿إنه لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ [3] فإن الصناعات يشترك الناس في تعلمها وتعليمها) [4] ، ويقول العيني في الرد عليهم في استدلالهم بهذه الآية : (لا حجة لهم في هذا ، لأن هذه الآية وردت في قصة سحرة فرعون ، وكان سحرهم كذلك ، ولا يلزم أن جميع أنواع السحر كذلك تخيل) [5] .

ويجيب كذلك الإمام ابن حجر على هذه الآية ويرد استدلالهم بقوله (وقوله:﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ [6] هذه الآية عمدة من زعم أن السحر إنما هو تخييل ، ولا حجة له بها لأن هذه وردت في قصة سحرة فرعون ، وكان سحرهم كذلك ، ولا يلزم منه أن جميع أنواع السحر تخييل) [7] .

---

(١) فتح الباري ٢٣٦/١٠ .
(٢) سورة طه الآية ٦٦ .
(٣) سورة طه الآية ٧١ .
(٤) بدائع الفوائد لابن القيم ٢٢٨/٢ .
(٥) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ٢٧٩/٢١ .
(٦) سورة طه الآية ٦٦ .
(٧) فتح الباري ٢٣٦/١٠ .

وأما استدلالهم بآية البقرة ، وقولهم (أن الآية تحذير من السحر ، وإعلام الملكين أن ذلك لا حقيقة له) فهو قول مخالف لقول جمهور المفسرين ، ومخالف لسياق الآية كذلك ، يقول ابن حجر (واختلف في المراد بالآية فقيل : أن سليمان كان جمع كتب السحر والكهانة ، فدفنها تحت كرسيه فلم يكن أحد من الشياطين ، يستطيع أن يدنو من الكرسي ، فلما مات سليمان وذهب العلماء الذين يعرفون الأمر ، جاءهم شيطان في صورة إنسان ، فقال لليهود : هل أدلكم على كنز لا نظير له ؟ قالوا : نعم قال : فاحفروا تحت الكرسي ، فحفروا ـ وهو متنح عنهم ـ فوجدوا تلك الكتب ، فقال لهم : إن سليمان كان يضبط الإنس ، والجن بهذا ، ففشا فيهم أن سليمان كان ساحراً ، فلما نزل القرآن بذكر سليمان في الأنبياء ، أنكرت اليهود ذلك، وقالوا إنما كان ساحراً ، فنزلت هذه الآية ، أخرجه الطبري وغيره ، وأخرج الطبري من طريق الربيع بن أنس نحوه ، ولكن قال : إن الشياطين هي التي كتبت كتب السحر ودفنتها تحت كرسيه ، ثم لما مات سليمان ، استخرجته وقالوا : هذا العلم الذي كان سليمان يكتمه الناس) [1] .

ونقل ابن كثير (أن الله أنزل هذين الملكين ابتلاء للناس ، وعقاباً لهم لما عابوا على الناس فعل المعاصي) [2] .

وقال في تعليقه على قوله﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون بين المرء وزوجه﴾ أي يتعلم الناس من هاروت وماروت من علم السحر ، ما يتصرفون به فيما يتصرفون من الأفاعيل المذمومة ، ما أنهم ليفرقون به بين المرء وزوجه) [3] ، إذاً لا حجة لهم في هذه الآية ، بل هي من أقوى الأدلة على ثبوت السحر ، وحقيقته وتأثيره كما نقل ذلك النووي وابن حجر وغيرهم .

---

(١) فتح الباري ١٠/٣٣٤ ، وانظر تفسير ابن كثير نفس القولين ١/١٢٩ .
(٢) تفسير ابن كثير ١/١٣٦ .
(٣) تفسير ابن كثير ١/١٣٧ .

الحديث الثابت في سحر الرسولﷺ .

والكلام على حديث سحر النبيﷺ هو حديث صحيح لا مطعن فيه أبداً ، وأما مدة مكوث تأثير السحر عليهﷺ فقد ذكر ابن حجر الخلاف الوارد فيه ، فقال : ((وفي رواية أنها أربعون ليلة ، ورواية أنها ستة أشهر ، ويمكن الجمع بأن تكون الستة أشهر من ابتداء تغير مزاجه ، والأربعين يوماً من استحكامه ، وقال السهلي: لم أقف في شيء من الأحاديث المشهورة على قدر المدة ، التي مكث النبيﷺ فيها في السحر ، حتى ظفرت به في ((جامع معمر)) عن الزهري أنه لبث ستة أشهر ، كذا قال ، وقد وجدناه موصولا ، بإسناد الصحيح فهو المعتمد)) [1] فتكون مدة مكوث السحر ستة أشهر [2] [3] .

الاختلاف في موقع تأثير السحر على الرسولﷺ :

هذه المسألة هي مدار الخلاف بين مثبتي الحديث ، ومنكريه ، فإن من أنكر الحديث قال : (إن تأثير السحر وقع على عقله وروحهﷺ ، فيلزم من هذا أن يعدم الثقة بالشرع ، إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه ، أنه يرى جبريل وليس هو ثم ، وأنه يوحى إليه بشيء ولم يوح إليه بشيء) [4] .

ويقول الإمام ابن القيم في حكاية مذهب هؤلاء القوم: (قالوا لأن النبيﷺ لا يجوز أن يسحر ، فإنه يكون تصديقا لقول الكفار: ﴿إن تتبعون إلا رجلا مسحورا﴾ [5] قالوا ، وهذا كما قال فرعون لموسى :﴿وإني لأظنك يا موسى مسحورا﴾ [6] وقال قوم صالح له : ﴿إنما أنت من المسحرين﴾ [7] وقال قوم

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ٥٧/٦ ، وأخرجه غيرهم من علماء الأمة ، وانظر فتح الباري لابن حجر ٢٣٧/١٠ .

(٢) انظر مسند الإمام أحمد ٦٣/٦ .

(٣) فتح الباري ٢٣٧/١٠ .

(٤) فتح الباري لابن حجر ٢٣٧/١٠ .

(٥) سورة الاسراء الآية ٤٧ .

(٦) سورة الشعراء الآية ١٥٣ .

(٧) سورة الشعراء الآية ١٨٥ .

شـعيب له ﴿إنما أنت من المسحورين﴾ [1] قـالوا فالأنبيـاء لا يجـوز عليـهم أن يسحروا ، فإن ذلك ينافى حماية الله لهم ، وعصمتهم من الشياطين) [2] .

وممن ذهب إلى هذا الجصاص رحمه الله تعالى ، فقد قال : (زعموا أن النبي ﷺ سحر ، وأن السـحر عمل فيه ، حتى قال فيه : إنه يتخيل لي أني أقول الشـيء وأفعله ، ولم أقله ولم أفعله ، وقد قال الله تعالى مكذباً للكفار ، فيما ادعوه من ذلـك للنبيﷺ فقال جل من قائل ﴿وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا﴾ [3] ومثل هذه الأخبار من وضع الملحدين تلاعباً بالحشو الطغام ، واستجراء لهم إلـى القـول بإبطال معجزات الأنبياء عليهم السلام ، والقدح فيها) [4] .

ونقل الجصاص عن أبوبكر الأصم ، (إن حديث سـحره ﷺ المـروي هنـا متروك لما يلزمه من صدق قول الكفرة ، أنه مسحور ، وهو مخالف لنص القـرآن حيث أكذبهم الله فيه ، ونقل الرازي عن القاضي أنه قال : هـذه الروايـة باطلـة ، وكيـف يمكن القول بصحتها ، والله يقول ﴿والله يعصمك من النـاس﴾ [5] وقـال : ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ [6] .

ولأن تجويزه يفضي إلى القدح في النبوة ، ولأنه لو صح ذلـك لكـان مـن الواجب أن يصلوا إلى ضرر جميع الأنبياء والصالحين ، ولقدروا علـى تحصيـل الملك العظيم لأنفسهم ، وكل ذلك باطل ، وكان الكفار يعيرونه بأنه مسحور ، فلـو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين في تلك الدعوى ، ولحصل فيه عليه السـلام ذلك العيب ومعلوم أنه غير جائز) [7] .

---

(١) سورة الشعراء الآية ١٥٣ .
(٢) بدائع الفوائد ٢/٢٢٣ .
(٣) سورة الفرقان الآية ٨ .
(٤) احكام القرآن للجصاص ١/٤٩ .
(٥) سورة المائدة الآية ٦٧ .
(٦) سورة طه الآية ٦٩ .
(٧) محاسن التأويل للقاسمي ١٠/٣٠٤ .

ومنهم الشيخ القاسمي رحمه الله تعالى ، الذي قال : (ولا غرابة في أن لا يقبل هذا الخبر ، لما برهن عليه أبوبكر الأصم ، وإن كان مخرجا في الصحاح ، وذلك لأنه ليس كل مخرج فيها سالما من النقد سندا أو معنى ، كما يعرفه الراسخون) [١] .

وممن ذهب من المحدثين في هذا العصر ، إلى نفي ذلك محمد عبده ، الذي قال: (ولا يخفى أن تأثير السحر في نفسهﷺ ، حتى يصل به الأمر إلى أن يظن أنه يفعل شيئا ، وهو لا يفعله ، ليس من قبيل تأثير الأمراض في الأبدان ، ولا من قبيل عروض السهو والنسيان في بعض الأمور العادية ، بل هو ماس بالعقل آخذ بالروح.

ثم قال : وهو مما يصدق في المشركون:﴿إن تتبعون إلا رجلا مسحورا﴾ [٢] وليس المسحور عندهم إلا من خولط في عقله ، وخيل له أن شيئا يقع وهو لا يقع ، فيخيل إليه ولا يوحى إليه ، وقد ذهب كثير من المقلدين الذين لا يعقلون ما النبوة ، ولا ما ينبغي لها إلى أن الخبر بتأثير السحر قد صح ، فيلزم الإعتقاد به وعدم التصديق به من المبتدعين ، لأنه ضرب من إنكار السحر ، وقد جاء القرآن بصحة السحر) [٣] .

وذهب المفكر الإسلامي سيد قطب رحمه الله إلى إنكار الحديث ، فقد قال : (وقد وردت روايات ــ بعضها صحيح ، ولكنه غير متواتر ــ أن لبيد بن الأعصم سحر الرسول ﷺ في المدينة .. ولكن هذه الروايات تخالف أصل العصمة النبوية في الفعل والتبليغ ، ولا تستقيم مع الإعتقاد بأن كل فعل من أفعالهﷺ ، وكل قول من أقواله سنة وشريعة .

كما أنها تصطدم بنفي القرآن عن الرسولﷺ أنه مسحور ، وتكذيب المشركين فيما كانوا يدعونه من هذا الإفك ، ومن ثم تستبعد هذه الروايات ، وأحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في أمر العقيدة) [٤] .

---

(١) المرجع السابق ٣٠٤/١٠ .
(٢) سورة الفرقان الآية ٨ .
(٣) تمر عالم السحر والشعوذة لعمر الأشقر ص ١٨٠ ــ ١٨١ .
(٤) في ظلال القرآن لسيد قطب ٤٠٠٨/٦ .

وقد رد الإمام ابن القيم على جميع هذه الدعاوي ، وبين أن الحديث لا ينافي العصمة ولا يقدم في الشريعة ، ولا يلزم منه تصديق المشركين ، فقال : (قد أنكر هذا طائفة من الناس ، وقالوا : لا يجوز هذا عليه ، وظنوه نقصا وعيبا ، وليس الأمر كما زعموا ، بل هو من جنس ما كان يعتريه ﷺ من الأسقام والأوجاع ، وهو مرض من الأمراض ، وإصابته به كإصابته بالسم لا فرق بينهما ، وقد ثبت في «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها ، أنها قالت : سحر رسول الله ﷺ حتى إن كان ليخيل إليه أنه يأتي نساءه ، ولم يأتهن ، وذلك أشد ما يكون من السحر .

قال القاضي عياض : والسحر مرض من الأمراض ، وعارض من العلل يجوز عليه ﷺ ، كأنواع الأمراض مما لا ينكر ، ولا يقدح في نبوته ، وأما كونه يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله ، فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من صدقة ، لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا ، وإنما هذا فيما يجوز طروه عليه في أمر دنياه التي لم يبعث لسببها ، ولا فضل من أجلها ، وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر ، فغير بعيد أنه يخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له ، ثم ينجلي عنه كما كان) [1] .

ويقول ابن القيم في موضع آخر في الرد على من أنكر الحديث : (هذا الحديث ثابت عند أهل العلم بالحديث ، متلقى بالقبول بينهم لا يختلفون في صحته ، القصة مشهورة عند أهل التفسير ، والسنن ، والحديث، والتاريخ ، والفقهاء ، وهؤلاء أعلم بأحوال الرسول ﷺ ، وأيامه من المتكلمين) [2] .

هذا عن ثبوت الحديث ، وأما عن وقوع تأثير السحر على الرسول ﷺ فقد قال المازري في بيان وجه الحق ، والرد على من أنكر ذلك : (لقد قام الدليل على صدق النبي ﷺ فيما يبلغه عن الله تعالى ، وعلى عصمته في التبليغ ، والمعجزات شاهدات بتصديقه ، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل ، وأما ما يتعلق ببعض

---

(١) زاد المعاد لابن القيم ٤/١٢٤ .

(٢) بدائع الفوائد ٢/٢٢٣ ــ ٢٢٤ .

أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ، ولا كانت الرسالة من أجلها ، فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمراض ، فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ، مالا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين .

ثم قال : إن المراد بالحديث أنهﷺ كان يخيل إليه أنه وطئ زوجاته ، ولم يكن وطأهن ، وهذا كثيرا ما يقع تخيله للإنسان في المنام ، فلا يبعد أن يخيل إليه في اليقظة، قال ابن حجر: وهذا قد ورد صريحا في رواية ابن عيينة ، ولفظه ((حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن)) وفي رواية ((أنه يأتي أهله ولا يأتيهم)) [1] .

ويقول الإمام النووي في رده على من أنكر الحديث ، وفي بيان عدم المعارضة بين ثبوت الحديث والعصمة لهﷺ وكيفية الجمع (قال وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث ، بسبب آخر فزعم أنه يحط منصب النبوة ، ويشكك فيها وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع ، وهذا الذي ادعاه هؤلاء المبتدعة باطل ، لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته وعصمته ، فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك ، وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل فأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث بسببها ، ولا كان مفضلا من أجلها ، وهو مما يعرض للبشر ، فغير بعيد أن يخيل إليه من أمور الدنيا مالا حقيقة له وقد قيل أنه إنما كان يتخيل إليه أنه وطئ زوجاته ، وليس بواطئ وقد يتخيل الإنسان مثل هذا في المنام فلا يبعد تخيله في اليقظة ولا حقيقة له ، وقيل أنه يخيل إليه أنه فعله وما فعله ولكن لا يعتقد صحة ما يتخيله ، فتكون إعتقاداته على السداد ، قال القاضي عياض وقد جاءت روايات هذا الحديث مبينة ، أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على عقله، وقلبه واعتقاده ويكون معنى قوله في الحديث حتى يظن أنه يأتي أهله ولا يأتيهن، ويرى ((يخيل إليه)) أي يظهر له من نشاطه ، ومتقدم عادته القدرة عليهن فإذا دنى منهن أخذته أخذ السحر ، فلم يأتهن ولم يتمكن من ذلك كما يعترى المسحور ، وكل

(١) انظر فتح الباري لابن حجر ٢٣٧/١٠ .

ما جاء في الروايات من أنه يخيل إليه فعل شـــــيء ولم ونحـــوه فمحمـــول علـــى التخيل بالبصر ، لا لخلل تطرق إلى العقل ، وليس في ذلك ما يدخـــل لبســـا علـــى الرسالة ولا طعنا لأهل الضلالة والله أعلم) [١] .

ويقول القاضي عياض في نفي هذه الشبهة : (فلما كان يخيل إليه أنـــه فعــل الشيء ولا يفعله ، (فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه ، أو يقدح في صدقه ، لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا .. وقد قال سفيان : وهـــذا أشد ما يكون من السحر ، ولم يأت في خبر منها ، أنه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان أخبر أنه فعل ولم يفعله ، وإنما كانت خواطر وتخيلات) [٢] .

فيكون السحر الواقع على الرسولﷺ كان تأثيره بجسده لا بعقله ، وروحـــه ﷺ ولقد ورد من روايات الحديث (أن الرسولﷺ كاد أن ينكر بصره ، ثم دلـــه الله على ما صنعوا فاستخرجه من البئر) [٣] ، وكذلك ورد : (أن الرسولﷺ حبس عـــن النساء والطعام والشراب ، فهبط عليه ملكان ..) [٤] .

فبهذا يستبين من مضمون الروايات أن السحر (إنما تســـلط علـــى ظـــاهره وجوارحه ، لا على قلبه واعتقاده وعقله ، وأنه إنما أثر في بصره ، وحبســـه عـــن وطئ نسائه وطعامه ، وأضعف جسمه وأمرضه ، ويكون معنى قوله : (يخيل إليـــه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن) أي ظهر له من نشاطه ، ومتقدم عادته القدرة على النســـاء ، فإذا دنـــا منهن أصابتـــه أخـــذة الســـحر ، فلـــم يقـــدر علـــى إتيانـــهن ، كمـــا يعترض من أخـــذ واعتـــرض ، ولعلـــه لمثـــل هـــذا أشـــار ســـفيان بقوله : وهذا أشد ما يكون من السحر) [٥].

---

(١) شرح مسلم للنووي ١٧٤/١٤ ــ ١٧٥ .

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ٨٦٦/٢ .

(٣) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ١٩٧/٢ .

(٤) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ١٩٨/٢ .

(٥) الشفا للقاضي عياض ٨٦٨/٢ .

وقال الإمام ابن القيم : (والسحر الذي أصابه كان مرضا من الأمراض، عارضا شفاه الله منه ولا نقص في ذلك ولا عيب ، بوجه ما فإن المرض يجوز على الأنبياء وكذلك الإغماء ، فقد أغمى عليهﷺ في مرضه ووقع حين انفكت قدمه وجحش شقه ، وهذا من البلاء الذي يزيده الله به رفعة في درجاته ، ونيل كرامته وأشد الناس بلاء الأنبياء فابتلوا من أممهم مما ابتلوا به من القتل والضرب ، والشتم والحبس فليس ببدع أن يبتلى النبيﷺ من بعض أعدائه بنوع من السحر ، كما ابتلى بالذي رماه فشجه وابتلى بالذي ألقى على ظهره السلا ، وهو ساجد وغير ذلك فلا نقص عليهم ولا عار في ذلك ، بل هذا من كما لهم وعلو درجاتهم عند الله) [١] .

وفي هذا دليل على أن ما أصابهﷺ مرض ووجع في جسمه ، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام يعتريهم من الأمراض والآلام ما يعتري البشر ، قال تعالى: ﴿قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده﴾ [٢] فهو بشر ، وقد قال تعالى عن أيوبﷺ ﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسنى الشيطان بنصب وعذاب﴾ إلى قوله :﴿إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب﴾ [٣] .

ثم يقال : إن الحديث ثابت لا مطعن فيه ، فهل يعقل أن الوحي ينقطع عن الرسول ﷺ لمدة ستة أشهر ، ولم ينزل عليه شيء ؟ وخلال هذه المدة لم يأت في خبر منها أنه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان أخبر أنه فعله ولم يفعله ، وإنما كانت خواطر وتخيلات ، فيلزم من هذا أن نسلم بهذا التوجيه للحديث ، وبخاصة الأدلة قد دلت على صحته وقوته [٤] .

---

(١) بدائع الفوائد ٢/٢٢٤ .
(٢) سورة إبراهيم الآية ١١ .
(٣) سورة ص الآيات ٤٠ ــ ٤٤ .
(٤) انظر بدائع الفوائد لابن القيم ٢/٢٢٦

ودعوى من أنكر الحديث ، بأن السحر من عمل الشيطان ، والشيطان لا سلطان له على عباد الله ، فنقول : (إن المراد بقوله﴿إن عبادي ليس لك عليهم لسلطان﴾ [1] أي في الإغواء والإضلال ، فهذه الآية كقوله تعالى حكاية عن الشيطان في مخاطبته لرب العزة : ﴿لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين﴾ [2] .

أما إصابة الشيطان العبد الصالح في بدنه فالآيات لا تنفيها ، وقد جاء في القرآن ما يدل على إمكان وقوعها ، ومن ذلك قول أيوب في دعائه :﴿أني مسنى الشيطان بنصب وعذاب﴾ [3] وقول موسى ﷺ بعد قتله القبطي : ﴿هذا من عمل الشيطان﴾) [4] [5] .

وقد أنكر الحديث ادعى أنه مناقض للقرآن ، ومصدق لمزاعم المشركين الذين زعموا أن الرسول ﷺ رجل مسحور ، فأكذبهم القرآن في ذلك .

فالجواب عن هذا الزعم : (إن الحديث موافق للقرآن ، لو تدبروا فموسى ﷺ من أولى العزم من الرسل ، وقد خيل إليه عندما ألقى السحرة عصيهم ، أنها تسعى﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى﴾ [6] فهذا النص يدل صراحة على أن السحر ، قد يؤثر في الأنبياء .

فإن قالوا : إن هذا التأثير وصل إلى عقل الرسول ﷺ فلنا : يأبى هذا ، وتأثير السحر لم يصل إلى هذا الحد ، وقد علمنا من قبل أن تأثير السحر، لا يمكن أن

---

(١) سورة الحجر الآية ٤٣ .

(٢) سورة ص الآية ٨٣ .

(٣) صورة ص الآية ٤١ .

(٤) سورة القصص الآية ١٥ .

(٥) انظر عالم السحر والشعوذة لعمر الأشقر ص ١٨٧ .

(٦) سورة طه الآية ٦٧ .

يصل إلى حد الإخلال في تلقي الوحي والعمل به وتبليغه ، لأن النصوص قد دلت على عصمته ﷺ في ذلك ، وسوف يأتي ايضاح هذه المسألة عند الحديث عن عصمت الأنبياء إن شاء الله .

ثم إن مراد المشركين من قولهم :﴿إن تتبعون إلا رجلا مسحورا﴾ [1] أن الرسول ﷺ إنما كان يصدر عن جنون وخيال في كل ما يقول ويفعل وفيما يذر ، وأنه ليس برسول ، وأنه لم يوح إليه شيء وأن القرآن ليس من عند ربه ، وإنما هو خيال وسحر [2] .

ويقول ابن القيم في رد على من استدل بالآيات السابقة ، التي زعم أصحابها موافقة المشركين في دعواهم أن الرسول ﷺ قد سحر ، (وأما الآيات التي استدللتم بها لا حجة لكم فيها أما قوله تعالى عن الكفار ، أنهم قالوا﴿ان تتبعون الا رجلا مسحورا﴾ [3] وقول قوم صالح له ، إنما أنت من المسحرين فقيل المراد به من له سحر ، وهي الرئة أي أنه بشر مثلهم يأكل ويشرب ليس بملك ليس المراد به السحر وهذا جواب غير مرضي ، وهو في غاية البعد) [4] ثم ذكر أوجه متعددة .

ثم قال : (وأجابت طائفة منهم ابن جرير ، وغيره بأن المسحور هنا هو معلم السحر الذي قد علمه إياه غيره ، فالمسحور عنده بمعنى ساحر ، أي عالم بالسحر وهذا جيد إن ساعدت عليه اللغة ، وهو أن من علم السحر يقال له مسحور ، ولا يكاد هذا يعرف في الإستعمال ، ولا في اللغة وإنما المسحور من سحره غيره، كالمطبوب والمضروب والمنقول (وبابه) وأما من علم السحر ، فإنه يقال له ساحر بمعنى أنه عالم بالسحر ، وإن لم يسحر غيره كما قال قوم فرعون لموسى: ﴿إن هذا لساحر عليم﴾ [5] ففرعون قذفه بكونه مسحورا ، وقومه قذفوه

---

(١) سورة الاسراء الآية ٤٧ .

(٢) انظر بدائع الفوائد لابن القيم ٢/٢٢٥ ــ ٢٢٦ .

(٣) سورة الاسراء الآية ٤٧ ، وسورة الفرقان الآية ٨ .

(٤) انظر بدائع الفوائد ٢/٢٢٥ .

(٥) سورة الشعراء الآية ٣٤ .

بكونه ساحرا فالصواب هو الجواب الثالث وهو جواب صاحب الكشاف وغيره ، أن المسحور على بابه ، وهو من سحر حتى جن فقالوا مسحور مثل مجنون زائل العقل لا يعقل ما يقول ، فان المسحور الذي لا يتبع هو الذي فسد عقله بحيث لا يدري ما يقول ، فهو كالمجنون ولهذا قالوا فيه ﴿معلم مجنون﴾ [1] .

فإما من أصيب في بدنه بمرض من الأمراض ، يصاب به الناس فإنه لا يمنع ذلك من اتباعه وأعداء الرسل لم يقذفوهم بأمراض الأبدان ، وإنما قذفوهم بما يحذرون به سفهاءهم من ابتاعهم، وهو أنهم قد سحروا حتى صاروا لا يعلمون ما يقولون بمنزلة المجانين ، ولهذا قال تعالى : ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا﴾ [2] مثلوك بالشاعر مرة والساحر أخرى ، والمجنون مرة والمسحور أخرى فضلوا في جميع ذلك ، ضلال من يطلب في تيهه وتحيره طريقا يسلكه فلا يقدر عليه ، فإنه أي طريق أخذها فهي طريق ضلال ، وحيرة فهو متحير في أمره لا يهتدي سبيلا ، ولا يقدر على سلوكها فهكذا حال أعداء رسول الله ﷺ معه حتى ضربوا له أمثالا برأه الله منها ، وهو أبعد خلق الله منها ، وقد علم كل عاقل أنها كذب وافتراء وبهتان، وأما قولكم أن سحر الأنبياء ينافى حماية الله لهم ، فإنه سبحانه كما يحميهم ويصونهم ويحفظهم ويتولاهم ، فيبتليهم بما شاء من أذى الكفار لهم ليستوجبوا كمال كرامته وليتسلى بهم من بعدهم من أممهم ، وخلفائهم إذا أوذوا من الناس فرأوا ما جرى على الرسل والأنبياء صبروا ورضوا ، وتأسوا بهم ولتمتلئ صاع الكفار فيستوجبون ما أعد لهم من النكال العاجل والعقوبة الأجلة فيمحقهم بسبب بغيهم وعداوتهم ، فيعجل تطهير الأرض منهم ، فهذا من بعض حكمته تعالى في ابتلاء انبيائه ورسله بايذاء قومهم ، وله الحكمة البالغة والنعمة السابغة لا إله غيره ولا رب سواه) [3] .

---

(١) سورة الدخان الآية ١٤ .

(٢) سورة الفرقان الآية ٩ .

(٣) انظر بدائع الفوائد ص ٢٢٥ ــ ٢٢٦ .

ويقول الدكتور الأشقر في إيضاح عدم منافة السحر ، الذي أصابه ﷺ مع وجود عصمته ما نصه : (أما إدعاؤهم أن هذا الحديث ، يقدح في مقام النبوة ، وينافي العصمة فهو غير صحيح ، لأن الرسول ﷺ معصوم بالإجماع من كل ما يؤثر خللا في التبليغ والتشريع ، وأما بالنسبة إلى الأعراض البشرية ، كأنواع الأمراض والآلام ونحو ذلك ، فالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يعتريهم من ذلك ما يعتري البشر ، لأنهم بشر كما قال تعالى عنهم : ﴿قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده﴾ [٢] .

وقد أجاب كثير من العلماء عن هذه الشبهة ، وبينوا زيفها) [٣] ، يقول المازري فيما نقله عنه ابن حجر العسقلاني : (أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث ، وزعموا أنه يحط منصب النبوة ، ويشكك فيها ، وقالوا : وكل ما ادى إلى ذلك فهو باطل) .

وسئل الشيخ محمد العثيمين : هل ثبت أن النبي ﷺ سحر ؟

فأجاب بقوله : (نعم ثبت في الصحيحين وغيرهما ، أن النبي ﷺ سحر ، لكن لم يؤثر عليه من الناحية التشريعية أو الوحي ، إنما غاية ما هنالك أنه وصل إلى درجة يخيل إليه أنه فعل الشيء ، ولم يكن فعله ، وهذا السحر كان من وضع يهودي يقال له لبيد بن الأعصم وضعه له ، ولكن الله تعالى أنجاه منه حتى جاءه الوحي بذلك ، وعوذ بالمعوذتين عليه الصلاة والسلام ، ولا يؤثر هذا السحر على مقام النبوة لأنه لم يؤثر في تصرف النبي ﷺ ، فيما يتعلق بالوحي والعبادات .

وقد أنكر بعض الناس أن يكون النبي ﷺ سحر ، بحجة أن هذا القول يستلزم تصديق الظالمين الذين قالوا : ﴿إن تتبعون إلا رجلا مسحورا﴾ ولكن هذا لاشك أنه لا يستلزم موافقة هؤلاء الظالمين، بما وصفوا به النبي ﷺ لأن أولئك يدعون أن

---

(١) انظر بدائع الفوائد ص ٢٢٥ ــ ٢٢٦ .

(٢) سورة إبراهيم الآية ١١ .

(٣) عالم السحر والشعوذة ص ١٨٣ .

الرسول ﷺ مسحور فيما يتكلم به من الوحي ، وأن ما جـاء بـه هذيـان كـهذيان المسحور ، وأما السحر الذي وقع للرسولﷺ ، فلم يؤثر عليه في شيء من الوحـي ولا في شيء من العبادات ، ولا يجوز لنا أن نكذب الأخبار الصحيحة ، بمجرد فـهم سيء فهمه من فهمه) [1] .

وبهذا التوجيه يزول الاشكال الحاصل لمن رد الحديث ، وبهذا الجمع يمكـن قبول هذا الخبر ، والذي هو من اصح الأخبار مع تأكيد أن هذا السحر إنما أثر علـى بدنـه فقط وأمر ضمن جسـمه ، ولم يصل إلى عقلـه وإلى شيء عما كان يتكلـم به أو بقوله [2] .

ومـن الأمـور المتعلقـة بتأثيـر السـحر وحقيقة ذلك ، هل يقدر علـى قلب الإيمان أم لا ؟

اختلف المشتبهون لأثر السحر على المسحور ، في استطاعة السـاحر قلـب الأعيان أم لا مثل قلب الإنسان حمارا أو حجرا أو غير ذلك .

وقد اختلف الناس في هذه المسألة على قولين :

القول الأول : يرى أصحابه أن بإستطاعة الساحر قلب الأعيـان فيصـير الإنسـان حمارا أو حجرا ، وهو قول طائفة قليلة كما قال ابن حجر [3] .

ونقل هذا القول الأشعري في إختلاف الناس في السحر ، ما هو حقيقة فقال : (وقال قائلون يجوز أن يقلب الساحر بسحره الإنسان حمارا ، وأن تذهب المردة إلـى الهند في ليلة وترجع) [4] .

ويقول الإمام الفخر الرازي في حكاية هذا القول : (أما أهل السنة فقد جـوزوا أن يقدر الساحر ، على أن يطير في الهواء ، ويقلب الإنسـان حمـارا ، والحمـار إنسانا، بقدرة الله تعالى الخالق لهذه الأشياء ، عندما يقرأ السّاحر رقي مخصوصـة ، وكلمات معينة ، وليس المؤثر الفلك والنجوم) [5] .

---

(١) فتاوي العقيدة لمحمد العثيمين ص ٣٣٠ .

(٢) انظر فتح الباري ٢٣٩/١٠ .

(٣) فتح الباري ٢٣٣/١٠ .

(٤) مقالات الاسلاميين ١٢٩/٢ .

(٥) التفسير الكبير للرازي ٢٣٠/٣ .

ونسبة هذا القول إلى أهل السنة فيه نظر بل أهل السنة يثبتون التأثير المحدود دون قلب الاعيان ، كما سوف يظهر بعد قليل ، وقد نسب الإمام ابن حزم هذا القول إلى الحشوية [1] .

قال ابن حجر في رده على أصحاب هذا القول ، وعدم استطاعتهم إقامة برهان عليه ، (وذهب طائفة إلى القول بإستطاعة الساحر قلب الأعيان فإن كان بالنظر إلى القدرة الإلاهية فمسلم ، وان كان بالنظر إلى الواقع فهو محل الخلاف، فإن كثيرا مما يدعي ذلك لا يستطيع إقامة البراهين عليه) [2] .

القول الثاني : القول بتأثير السحر حقيقيا من قلب مزاج أو إحداث مرض ، أو غيره ذلك بقدرة الله ، ولكن يمنع أصحاب هذا القول قلب الأعيان وهذا هو قول الجمهور كما قال ابن حجر [3] .

ويقول ابن حجر في نقله عن القرطبي ، في إنكار قلب الأعيان : (وقال القرطبي : السحر حيل صناعية يتوصل إليها بإلاكتساب ، غير أنها لدقتها لا يتوصل إليها إلا آحاد الناس ، ومادته الوقوف على خواص الأشياء ، والعلم بوجوه تركيبها وأوقاته ، وأكثرها تخييلات بغير حقيقة وإيهامات بغير ثبوت ، فيعظم عند من لا يعرف ذلك ، ثم قال : والحق أن لبعض أصناف السحر تأثيرا في القلوب ، كالحب والبغض وإلقاء الخير والشر ، وفي الأبدان بالألم والسقم ، وإنما المنكور أن الجماد ينقلب حيوانا أو عكسه بسحر الساحر ونحو ذلك) [4] .

---

(١) انظر الفصل لابن حزم ٢/٥ .
(٢) فتح الباري ٢٣٣/١٠ .
(٣) فتح الباري ٢٣٣،١٠ .
(٤) انظر فتح الباري ٢٣٣/١٠ .

وقد رد الإمام ابن حزم على من يقول ، بهذا القول بعدة ردود نقلية وعقلية منها قوله تعالى : ﴿وجاءوا بسحر عظيم﴾ [1] قال : (ولو جاز لسحرة فرعون أن يقلبوا عصيهم وحبالهم إلى حيات ، كما فعل سيدنا موسى عليه السلام عندما ألقى عصاه امتثالا لأمر الله تعالى ، فانقلبت حية بفعل الله ، وكان كلا الأمرين حقيقة عندها يمكن أن يصدق فرعون في دعواه ، بأن موسى ساحر مثله مثل باقي السحرة ، وكل ما يتميز به هو أنه فقط أعلم منهم بالسحر ، وحاشا لله من هذا ، بل ما كان فعل السحرة إلا مثل حيل العجائبي)) [2] .

وقد رد ابن حزم على هؤلاء القوم ، بأدلة عقلية منها :

١ ـ أن نقول بمنع الطبائع وتغييرها عما خلق الله ، إلا حيث قام البرهان على تبدله وهذه لا يكون إلا في حالتين :

الحالة الأولى : استحالة معهودة للبشر تجري على نمط واحد ، وعلى حسب ما خلق الله العالم ، وبناه عليه ، مثل تحول البذرة والنوى إلى شجرة ونبات ، وتحول المني إلى حيوان ، وتحول الطفل إلى شيخ .

الحالة الثانية : تحول وتبديل لم يعهد فقط ، ولا بني الله عليه العالم ، ولا يجري على سنن ولا قانون معلوم ، وهذا التحول والتبديل يكون على وجه الإعجاز ، وبالتالي فهو لا يكون ولا يصح إلا للأنبياء فقط ، سواء تحدوا بذلك أم لا ، وهذا التحول جعله الله دليلا على صحة نبوة الأنبياء ، وقد شاهده وعاينه خلق كثير ونقل إلينا بالتواتر الموجب للعلم الضروري ، فوجب الإقرار بذلك والإيمان به [3] .

٢ ـ أنه لو جاز تغيير وتحويل الطبائع وتبدلها على يد الساحر ، لتساوى الممكن مع الممتنع مع الواجب ، ولبطلت الحقائق كلها [4] .

---

(١) سورة الأعراف الآية ١١٦ .

(٢) الفصل في الملل والاهواء والنحل ٥/٦ .

(٣) انظر الفصل في الملل والاهواء والنحل ٥/٢ .

(٤) انظر الفصل في الملل والأواء والنحل ٥/٣ .

وشواهد هذه الأدلة العقلية من القرآن ، قوله تعالى :

أ ـ قوله تعالى : ﴿وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا * لا مبدل لكلماته﴾ [1] .

ب ـ قوله تعالى : ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ [2] .

ج ـ قوله تعالى : ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ [3] .

فصح أن كل ما في العالم قد رتبه الله عزوجل الرتب التي لا تتبدل ، وصح أن الله عزوجل أوقع كل إسم على مسماه ، فلا يجوز أن يوقع اسم من تلك الأسماء على غير مسماه الذي أوقعه الله عليه ، لأن في ذلك تبديلا لكلمات الله تعالى ، التي أبطل الله عزوجل تبديلها ، والله تعالى لما خلق آدم عليه السلام ، علمه أسماء جميع المخلوقات ، فصح أنه تعالى قد أطلع على كل مخلوق أسمه ، فلا يجوز بالتالي أن يوقع أسم من تلك الأسماء على غير مسماه ، فالله كما أطلق مسمى الإنسان على الإنسان ، لا يجوز أن نوقع عليه إسم الحمار مثلا ، وكما سمى الله الحبل حبلا ، فلا يجوز أن نوقع عليه مسمى ثعبان ، لأنه سيكون استحالة في صفات ذلك المسمى ، ولو حصل ذلك فمعناه تبديل وتغيير في كلمات الله ، التي أتمها ومنع أن يكون لها مبدل [4] .

وبهذا نعلم رجاحة القول الثاني ، وهو عدم استطاعة الساحر قلب الأعيان ولو كانوا يستطيعون ذلك لقلبوا أعلاهم ، أو لقلبوا الحجارة ذهبا وفضة ولاستخدمهم الحكام للحصول على الثروة ، ولدفع الأعداء وقلب الأشياء !

وقد نقل الجن لهم بعض الخوارق مثل الطيران في الهواء أو المشي على الماء أو أحضار الذهب والفضة ، أو أخبارهم ببعض المغيبات مما استرقته الجن من السماء ويكون هذا عند الجهال من قلب الأعيان ، والقدرة على أشياء هي في

---

(١) سورة الأنعام الآية ١١٥ .

(٢) سورة البقرة الآية ٣١ .

(٣) سورة يس الآية ٨٢ .

(٤) الفصل في الملل والاهواء والنحل ٣/٥ ـ ٥ .

الحقيقة استعانة بقدرات غيرهم في حدود طاقتهم ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (والجن تقدر على الطيران في الهواء ، والطيور كذلك ، تطير في الهواء ، فهو فعل في مقدور الجن والحيوان ، والإنس كذلك ، لكن يختلف المحل بإن هؤلاء سيرهم في الهواء ، والإنس على الأرض ، وكذلك المسير على الماء ، وطي الأرض هو مما تفعله الجن ببعض الإنس ، وهو من هذا الجنس ، فالشياطين تحمل الساحر من مكان لمكان ، وقد تري أحدهم بما يركبه ، إما فرس وإما غيره ، وهو شيطان تصور له في صورة مركب ، وقد يرى أنه يمشي في الهواء من غير مركوب ، والشيطان قد حمله ، وقد يجعل له الجن ما يمشي به على الماء ، وقد يخيلون إليه أنه التقى طرفا النهر ليعبر ، والنهر لم يتغير في نفسه [١] .

ويقول شيخ الإسلام في موضع آخر (ولذلك قد يفعل الساحر مثل هذه الأمور ويثبته على الناس أن هذا الساحر ، تحصل له الخوارق بفعل السحر والحقيقة أنها أستعانة بالشياطين والجن والشياطين يحملونهم إلى المكان الذي يريدونه ، ويأتونهم بذهب وفضة وطعام ولباس وسلاح وغير ذلك ، أو يأتونهم أيضا بمن يطلبونه ، مثل من يكون له رغبة في امرأة أو صبي ، فيأتونه بذلك ، إما محمولا في الهواء ، وإما بسعي شديد ، ويخبر أنه وجد في نفسه من الباعث القوي ما لم يمكنه المقام معه ، أو يخبر أنه سمع خطابا ، وقد يقتلون له من يريد قتله من أعدائه ، أو يمرضونه ، فهذا كله موجود بكثرة ، لكن من الناس من يعلم أن هذا من الشيطان ، وأنه من السحر ، وأن ذلك حصل بما قاله ويعلمه من السحر) [٢] .

وبعد هذا البحث المتواضع ، فإنا نقول أن السحر أنواع منه ما هو تخيل ، وهذا لا حقيقة له ومنه ما يكون بعمل حركات فيها من خفية اليد ، وسرعة الحركة بحيث يخفى عمل هذا الشخص خفيف اليد ، ويسميه بعضهم سحرا ، ومنه ما هو

(١) النبوات لابن تيمية ص ٥ ــ ٦ .

(٢) انظر الفتاوى ٧٧/١٣ .

حقيقة يكون له تأثير من مرض وغيره ، مثل ما وقع من سحر الرسول ، ومنها ما يكون من الإستعانة بالشياطين وأستغلال قدراتهم في أعمال الساحر ، وقد سبق الإشاره إلى بعض ذلك عند الحديث على المعاني اللغوية للسحر .

يقول ابن حجر : (السحر يطلق على معان :

أحدها : ما لطف ودق ، ومنه سحرت الصبي خادعته واستملته ، وكل من استمال شيئا فقد سحره ، ومنه إطلاق الشعراء سحر العيون لاستمالتها النفوس ، ومنه قول الأطباء : الطبيعة ساحرة ، ومنه قوله تعالى ﴿بل نحن قوم مسحورون﴾ [١] أي مصرفون عن المعرفة ، ومنه حديث ((إن من البيان لسحرا)) [٢] .

الثاني : ما يقع بخداع وتخييلات لا حقيقة لها ، نحو ما يفعله المشعوذ من صرف الأبصار عما يتعطاه بخفة يده ، وقد يستعين في ذلك بما يكون فيه خاصية كالحجر الذي يجذب الحديد المسمى المغنطيس .

الثالث : ما يحصل بمعاونة الشياطين بضرب من التقرب إليهم ، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : ﴿ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾ .

الرابع : ما يحصل بمخاطبة الكواكب ، واستنزال روحانياتها بزعمهم ، قال ابن حزم: ومنه ما يوجب من الطلسمات كالطابع المنقوش فيه صورة عقرب في وقت ، كون القمر في العقرب فينفع إمساكه من لدغة العقرب ، وكالمشاهد ببعض بلاد الغرب ــ وهي سرقسطة ــ فإنها لا يدخلها ثعبان قط إلا إن كان بغير إرادته ، وقد يجمع بعضهم بين الأمرين الأخيرين ، كالإستعانة بالشياطين ومخاطبة الكواكب، فيكون ذلك أقوى بزعمهم) [٣] .

فنلخص هنا أن الكل يطلق عليه سحر ، وهو في الحقيقة ليس هو كذلك في العرف الشرعي ، الذي يوجب على فاعله الكفر .

---

(١) سورة الحجر الآية ٥ .

(٢) سبخ تخريجه .

(٣) فتح الباري ٢٣٢/١٠ .

ويذكر الرازي أنواعا للسحر وأنواعا كثيرة ، يعدها بعض الناس من السحر وهي ليست كذلك ، يقول نحو بيان أقسام السحر عند تعليقه على أية البقرة من أنواعه ما يلي :

١ ــ الاستعانة بالكواكب ، ودعاها واستنزال روحانيتها .

٢ ــ سحر الأوهام وتسلط النفوس القوية على النفوس الضعيفة وهو أنواع كثيرة .

٣ ــ سحر الاستعانة بالأرواح الأرضية ، وأعلم أن القول بالجن مما أنكره بعض المتأخرين من الفلاسفة والمعتزلة ، وأنكر قدراتهم العجيبة .

٤ ــ سحر التخيلات بالأخذ بالعيون .

٥ ــ سحر الاعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الالات المركبة على النسب الهندسية .

٦ ــ سحر الإستعانة بخواص الأدوية ومنه المغناطيس .

٧ ــ سحر تعليق القلب وهو أن يدعي الساحر أنه عرف الإسم الإعظم للجن وأنهم (الجن) يطعونه فيما يريد وما يأمر .

٨ ــ النميمة فإنها أنواع من السحر .

ثم ذكر لكل واحد من هذه الأنواع أمثلة [١] ، وقد ذكر ابن كثير بعض هذه الأنواع [٢] .

ولذلك نقول عن السحر منه هو حقيقي ، ومنه ما هو غير حقيقي ، بل هو أحد الأنواع السابقة ، ويستطيع الإنسان به أن يتخيل على العامة ، ويوهمهم أنه سحرهم ولذلك وجد آلات حديثة الان لو قيل لأحد الأباء أنها ستوجد بعد خمسين سنة ، لادعاء أن ذلك سحر ولا يمكن وجوده ، إلا بالسحر ومن هذا المنطلق قد توهم بعض الناس أن ما يفعله السحرة ، إنما هو من أحد الأنواع غير الحقيقة وأنكو حقيقة السحر .

---

(١) انظر التفسير الكبير للرازي ١٨٧/٣ ــ ١٩٣ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ١٣٨/١ ــ ١٣٩ .

يقول بعض العلماء : (ولو شاء علماء الطبيعة والكيمياء في هذا العصر أن يجعلوا أنفسهم سحرة في بلاد أفريقية الهمجية ، وأمثالها من البلاد الجاهلة التي يروج فيها السحر العتيق لأروهم من عجائب الكهرباء وغيرها ، ما يخضعونهم به لعبادتهم لو أدعوا الألوهية فيهم ، دع دعوى النبوة أو الولاية ، وقد اجتمع السحرة في بعض هذه البلاد على بعض السياح الغربيين ليرهبوهم بسحرهم ، وكانوا في مكان بارد والفصل شتاء فأخذ بعض هؤلاء السياح قطعة من الجليد ، وجعلها بشكل عدسي بقدر ما يرى من قرص الشمس ، وقال لهم إنني أعلم منكم بالسحر ، وأنني أقدر به أن أجعل في يدي شمسا كشمس السماء ، ثم وجه عدسيته إلى الشمس عند بزوغها ، واكتمال ضوئها ، فصارت بانعكاس النور فيها ، كالشمس لم يستطيع السحرة أن يثبتوا نظرهم اليها فخضعوا له ولمن معه وكفوا شرهم منهم ومن أنواعها الشعوذة التي مدار البراعة فيها على خفة اليدين في إخفاء بعض الأشياء، وإظهار بعض ، وأراء بعضها بغير صورها ، وغير ذلك مما هو معروف في بلاد الحضارة ، بكثرة المكتسبين بها من الوطنيين والغرباء ، ولم يبق أحد في هذه البلاد يسميها سحرا ، ومن أنواعها كذلك ما مداره على تأثير الأنفس ذوات الإرادة القوية، في الأنفس الضعيفة ذات الأمزجة العصبية القابلة للأوهام والإنفعالات التي تسمى في عرف علماء هذا العصر بالهستيرية ، وهذا النوع هو الذي قيل أن أصحابه، يستعينون على أعمالهم بأرواح الشياطين ، ومنهم الذين يكتبون الأوفاق وغير ذلك، ومن يقول أن للحروف خواص وتأثيرات) [(١)] .

وهذه الأنواع التي يذكرها العلماء منهم من يعدها سحرا ، ومنهم من لا يعدها سحرا ، وكذلك منهم من يفكر حقيقة السحر ووقوعه مثل المعتزلة ، ومنهم من يؤمن بذلك ويعتقده فكل واحد من أصحاب هذه المقالات يذكر الأنواع التي تناسب مذهبه في السحر ، لكن مع هذا فان للسحر حقيقة وبعض أنواعه حقيقي يقع به تأثير على

---

(١) انظر مجلة المنار م ٢٥ ج ٣ جمادى الآخرة ١٣٤٣هـ ص ١٧١ .

المسحور ولا يمكن أن يكون هذا ، وهما لإجماع الناس عليه ، ولأن النبي ﷺ قـــال فيه (أن الله شفاني) ولزوال العارض الذي كان عليه وغيرها ، من الأدلـــة الســابقة التي ذكرها العلماء وما يطول هنا .

وبهذا القدر ننتهي من الحديث على سحر النبي ﷺ ، وبه يتبين أن سحره كـان حقيقي وان للسحر حقيقة ، وتأثير وهو أنواع منه ما يقتل ومنه ما دون ذلـــك ، ولا يستطيع الساحر قلب الأعيان إلا ما يخلده الجن للناظر ، وايهامهم أنهم غير صـــورة فلان أو قلبوا عينه ، وإلا فهو في الحقيقة غير واقع لما أسلفنا من الأدلـــة الســابقة، وبهذا القدر ننتهي من الحديث على هذا الفصل .

الفصل الثالث
صفات الأنبياء عليهم الصلاة وأفضل السلام

وفيه تمهيد وأربع مباحث :

المبحث الأول : بشريتهم وبعض أخلاقهم .

المبحث الثاني : عصمة الأنبياء .

المبحث الثالث : أمانة التبليغ وقوة الحجة .

المبحث الرابع : بعض معجزات الأنبياء .

الفصل الثالث
صفات الأنبياء عليهم الصلاة وأفضل السلام

التمهيـــــــد :

ذكر البخاري في كتاب بدء الخلق بعضاً من صفات الأنبياء والرسل عليهم أفضل الصلاة ، وأتم التسليم إلا أن عرضه لها كان عرضاً جانبياً ، وذلك عند حديثه عن مباحث أخرى [1] وقبل الحديث على هذه المسائل المذكورة في هذه المباحث لابد من بيان معنى النبوة والرسالة وما المقصود بالنبي والرسول وتعريف كل واحد منهما وهل هناك فرق بينهما ؟!

تعريف النبوة والنبي في اللغة :

النبوة في اللغة : مشتقة من النبأ بمعنى الخبر ، قال الله تعالى : ﴿نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿... فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير﴾ [3] .

قال ابن فارس (النبي في لغة العرب مشتق من واحد من ثلاثة أشياء :

أولاً : إما مشتق من النبأ وهو : الخبر ، قال تعالى :﴿عم يتساءلون ؟ عن النبأ العظيم﴾ [4] ، وإنما سمي النبي نبياً، لأنه مُخبرُ مُخبِر ـ أي ـ أن الله أخبره وأوحى إليه ﴿قالت من أنبأك هذا ؟ قال نبأني العليم الخبير﴾ [5] ، وهو مخبر عن الله تعالى أمره ووحيه : ﴿نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم﴾ [6] .

---

(١) انظر الصفدية لشيخ الإسلام ابن تيمية ١/٥ ـ ٦ .

(٢) سورة الحجر الآية ٤٩ .

(٣) سورة التحريم الآية ٣ .

(٤) سورة النبأ الآيتان ١ ، ٢ .

(٥) سورة التحريم الآية ٣ .

(٦) سورة الحجر الآية ٤٩ .

ثانياً : وإما أن يكون النبي مشتقاً من النبوة ، وهو : الإرتفاع ، وذلك لارتفاع قدره ومنزلته [1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (والتحقيق أن هذا المعنى ، داخل في الأول ، فمن أنبأه الله وجعله عنه فلا يكون إلا رفيع القدر عليا) [2] .

ثالثاً : وأما أن يكون مأخوذاً من النبي ، بمعنى : الطريق وإنما أخذ عن ذلك ، لأن النبي هو طرق الهدى والله يهدي به من يشاء .

وقال الراغب : (والنبوة والنباوة : الارتفاع ، ومنه قيل : نبا بفلان مكانه ، كقولهم : قض عليه مضجعه ، ونبا السيف عن الضريبة : إذا ارتد عنه ، ولم يمض فيه ونبا بصره عن كذا ، تشبيهاً بذلك) [3] .

وجاء في لسان العرب : (النبأ : الخبر ... والنبئ المخبر عن الله عزوجل ، لأنه أنبأ عنه ، وهو فعيل بمعنى فاعل .

وقال الفراء : النبي : هو من أنبا عن الله فترك همزه .

قال : وأن أخذ من النبوة والنباوة ، وهي الارتفاع عن الأرض ـ أي أنه شرف على سائر الخلق ـ فأصله غير الهمزة) [4] ، وعلى ذلك ، فالنبوة في الأصل مشتقة من النبأ ، وأصلها الهمز ، لكن لما كثر استعمالها خفف بإسقاط الهمز ، أما اشتقاقه من النبوة والنباوة ، فهو ضعيف من ناحية اللغة [5] .

قال ابن تيمية (وهو «أي لفظ النبي» من النبأ ، وأصله الهمزة وقد قرئ به ، وهي قراءة نافع يقرأ النبئ ، لكن لما كثر استعماله لينت همزته ، كما فعل مثل ذلك في الذرية ، وفي البرية ، وقد قيل هو من النبوة ، وهي العلو فمعنى النبي المعلّى

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٥/٣٨٥) والصحاح للجوهري (٦/٢٥٠٠) , وانظر كذلك المفردات للراغب ص ٧٨٨ ـ ٧٨٩ .

(٢) النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٣٧ .

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني ص ٧٩٠ .

(٤) لسان العرب ، مادة نبأ ، ١/١٦٢ ـ ١٦٣ .

(٥) انظر لسان العرب ١/١٦٤ .

الرفيع المنزلة ، والتحقيق أن هذا المعنى داخل في الأول ، فمن أنبأه الله وجعله منبئاً عنه ، فلا يكون إلا رفيع القدر علياً ، وأما لفظ العلو والرفعة ، فلا يدل على خصوص النبوة إذ كان هذا يوصف به من ليس بنبي ، بل يوصف بأنه الأعلى كما قال تعالى: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون﴾ [1] [2] .

وقراءة الهمزة قاطعة بأنه مهموز ... وأيضاً فإن تصريفه أنبأ ، ونبأ يُنبئ ويُنبيء بالهمزة ، ولم يستعمل فيه نبا ينبو ، وفي فلان نبوة عنا أي مجانبة ، فيجب القطع بأن النبي مأخوذ من الإنباء لا من النبوة) [3] .

تعريف الرسالة والرسول في اللغة :

الرسول في اللغة مأخوذ من الإرسال ، بمعنى التوجيه ، أو من الرسل بمعنى التتابع أخذاً من قولهم : رسل اللبن إذا تتابع دره .

قال ابن منظور : (... والارسال : التوجيه ، وقد أرسل إليه ، والاسم الرِسالة والرَسالة والرسول .. والرسول بمعنى الرِسالة ، يؤنث ويذكر ، والرسول المرسل .. والرسول : معناه في اللغة : هو الذي يتابع أخبار من بعثه ، أخذا من قولهم : جاءت الإبل رَسَلا أي متتابعة .. وسمي الرسول رسولا لأنه ذو رسول أي ذو رسالة ، والرسول اسم من أرسلت وكذلك الرَسالة) [4] .

هذا بالنسبة للمعنى اللغوي لمدلول النبي والرسول ، أما في الاصطلاح فللعلماء في تحديد الفرق بين النبي والرسول ، وتحديد مسمى كل منهما كلام كثير

(١) سورة آل عمران الآية ١٣٩

(٢) انظر لسان العرب مادة رسل ١١/٢٨٣ ــ ٢٨٤ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٣٩ .

(٤) النبوات لابن تيمية ص ٣٣٦ ــ ٣٣٧ .

(٥) انظر شرح العقيدة الطحاوية ١/١٥٥ .

لا يسلم من نقد ، لكن الراجح عند كثير من أهل العلم ، أن هناك فرقاً بين مسمى النبي ، ومسمى الرسول ، وإن اختلفوا في تحديد المراد بكل منهما ، وأيضاً فإن النبوة أعم من الرسالة ، فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولا (١) .

وإذا أرسلت أحداً برسالة ، فهو مرسل ورسول .

قال الأزهري : (وسمي الرسول رسولاً : لأنه ذو رسول ـ أي : رسالة .

وقال أيضا : الرسول : الذي يتابع أخبار من بعثه .

قال أبو بكر الأنباري في قول المؤذن : أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، وقال معنى أشهد أعلم وأبين ، أن محمداً متابع للإخبار عن الله عزوجل ، قال : والرسول معناه في اللغة : الذي يتابع أخبار الذي بعثه ، أخذ من قولهم : جاءت الإبل رسلا : أي متتابعة) (٢) .

تعريف النبي والرسول :

اختلف العلماء في تعريف النبي والرسول ، وفي تحديد الفرق بينهما اختلافاً كثيراً ، وهذه الأقوال هي ما يلي :

القول الأول : ذهب أصحاب هذا القول إلى أن معنى النبي هو : من أطلعه الله على غيبه ، وأعلمه أنه نبيه فيكون نبياً منبأ ، ومعنى الرسول : هو المرسل ، وإرساله أمر الله له بالإبلاغ إلى من أرسله ، فبهذا التعريف يجتمع النبي والرسول في النبوة، التي هي الاطلاع على الغيب ، والإعلام بخواص النبوة ، ويفترقا في زيادة الرسالة للرسول ، وهو الأمر بالإنذار والإعلام .

وهذا الرأي : (بأن الرسول من أوحي إليه بشرع ، وأمر بتبليغه ، والنبي من أوحي إليه ولم يؤمر بالبلاغ ، هو الشائع عند العلماء ، وعلى هذا قالوا : كل رسول نبي ، وليس كل نبي رسول) (٣) .

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ١٥٥/١ .

(٢) جمهرة اللغة ٣٩١/١٢ .

(٣) الرسل والرسالات لعمر الأشقر ص ١٤ ، وانظر هذا التعريف في : شرح العقيدة الوسطية ١٨٨/١ ، وشرح العقيدة الطحاوية ١٥٥/١ .

قال القاضي عياض (واستدلوا على هذا التعريف ، بقوله تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾ [(١)] فقالوا : (الآية ذكرت التفريق بين الاسمين ، ولو كانا شيئاً واحداً لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ ، والمعنى : ما أرسلنا من رسول إلى أمة أو نبي ليس بمرسل إلى أحد) [(٢)] .

القول الثاني : إن معنى النبي هو : من بعث لتقرير شرع من قبله ، أي من بعث بغير كتاب وأمر بالإرسال ، ومعنى الرسول هو : من بعث بشرع جديد ، أو من بعث بكتاب ، وأمر الإرسال .

وعلى هذا يكون النبي والرسول يشتركان جميعاً في التبليغ ، ويختلفان في زيادة التفضل بالنبوة ، وهي أن الرسول يدعو إلى شرع جديد ، والنبي يدعو إلى اتباع شرع من قبله .

واستدلوا بقوله تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾ [(٣)] فقالوا: (لقد أوجب للنبي الرسالة ، وأيضاً : أن معنى (نبيّ) : أنبأ عن الله عزوجل ، ومعنى أنبأ عن الله عزوجل الإرسال بعينه) [(٤)] .

القول الثالث : ليس هناك فرق بين النبي والرسول ، إلا مجرد الاسم فقط ، وهذا هو قول المعتزلة ، فقد قال القاضي عبدالجبار : (أعلم أنه لا فرق بين الرسول والنبي ، وقد خالف في ذلك بعضهم ، واستدل بقوله تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾ [(٥)] قالوا : فصل (القديم) تعالى بين الرسول والنبـيّ ، فيجب أن يكون أحدهما غير الآخر ، والذي يدل على اتفاق الكلمتين في المعنى ، هو أنهما يثبتان

---

(١) سورة الحج الآية ٥٢ .

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ للقاضي عياض ٣٤٧/١ .

(٣) سورة الحج الآية ٥٢ .

(٤) الجامع لإحكام القرآن للقرطبي ٨٠/١٢ ، وانظر الرسل والرسالات ص ١٤ .

(٥) سورة الحج الآية ٥٢ .

معاً ويزولان معاً في الاستعمال ، حتى لو أثبت أحدهما ونفي الآخر لتناقض الكلام، وهذا هو إمارة إثبات كلتا اللفظين المتفقتين في الفائدة) [1] .

والقول الأول هو أختيار شيخ الإسلام ابن تيمية يقول شيخ الإسلام : (النبي هو الذي ينبئه الله ، وهو ينبئ بما أنبأ الله به ، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه ، فهو رسول ، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ، ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله ، فهو نبي وليس برسول ، قال تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾ [2] وقوله ﴿من رسول ولا نبي﴾ [3] ذكر أرسالاً يعم النوعين ، وقد خص أحدهما بأنه رسول فإن هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته إلى من خالف الله كنوح ، وقد ثبت في الصحيح أنه هو أول رسول بعث إلى أهل الأرض ، وقد كان قبله أنبياء كشيث وإدريس ، وقبلهما آدم نبياً مكلماً.

فأولئك الأنبياء يأتيهم وحي من الله ، بما يفعلونه ويأمرون به المؤمنين ، الذين عندهم لكونهم مؤمنين بهم ، كما يكون لأهل الشريعة الواحدة ، يقبلون ما يبلغه العلماء عن الرسول .. ولكن كانوا في شرع التوراة ، كالعالم الذي يفهمه الله في قضية معنى يطابق القرآن .

فالأنبياء ينبئهم الله فيخبرهم بأمره ونهيه وخبره ، وهم ينبئون المؤمنين بهم ما أنبأهم الله به من الخبر ، والأمر والنهي ، فإن أرسلوا إلى كفار يدعونهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، ولابد أن يكذب الرسل ، كما قال تعالى:﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون﴾ [4] و﴿ما

---

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص ٥٦٨ .

(٢) سورة الحج الآية ٥٢ .

(٣) سورة الحج الآية ٥٢ .

(٤) سورة الذاريات الآية ٥٢ .

يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك﴾ [1] [2] .

وقال في موضع آخر (فالنبي هو الذي ينبئه الله ، وهو ينبئ بما أنبأ الله به ، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ، ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول ، وإما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ، ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول) [3] .

والذي يظهر ، والله أعلم أن النبي : هو من نبأه الله بشرع سابق ، ينذر به أهل ذلك الشرع ، وقد يؤمر بتبليغ بعض الأوامر ، في قضية معينة ، أو الوصايا والمواعظ وذلك كأنبياء بني اسرائيل ، إذ كانوا على شريعة التوراة ، ولم يأت أحد منهم بشرع جديد ناسخ للتوراة ، فتكون منزلته حينئذ بمنزلة المجدد ، لتعاليم الرسل السابقين .

أما الرسول فهو من بعثه الله بشرع جديد ، وأمره بتبليغه إلى من خالف أمر الله وجاء عن طريق المستقيم ، وسواء كان هذا الشرع جديداً في نفسه ، أو بالنسبة لمن بعث إليهم وربما أتى بنسخ بعض أحكام شريعة من قبلة ، مثل عيسى عليه السلام ، قال تعالى ﴿ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم ...﴾ [4] الآية .

وقد أختار هذا الرأي ، كذلك شارح الطحاوية ابن ابي العز ، فقال : (وقد ذكروا فروقاً بين النبي والرسول وأحسنها : أن نبأه الله بخبر السماء ، إن امر ان يبلغ غيره فهو نبي رسول ، وأن لم يؤمر ان يبلغ غيره ، فهو نبي وليس برسول

---

(١) سورة فصلت الآية ٤٣ .

(٢) كتاب النبوات لابن تيمية ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ .

(٣) النبوات لابن تيمية ص ١٨٤ .

(٤) سورة آل عمران الآية ٥٠ .

وكل نبي رسول ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها ، فالنبوة جزء من الرسالة ، إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها بخلاف الرسل ، فانهم لا يتناولون الأنبياء ، وغيرهم بالأمر بالعكس فالرسالة أعم من جهة نفسها ، وأخص من جهة أهلها) [١] ، واختار هذا القول البغدادي [٢] .

ولعل هذا هو الراجح ، وهو الذي يسلم من المعارضة .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ١٥٥/١ .

(٢) انظر الفرق بين الفرق ص ٢٦٤ .

المبحث الأول
بشرية الأنبياء وبعض أخلاقهم

شاء الله العليم الحكيم ، أن يكون رسله إلى الناس بشرا من جنس المرسل إليهم وبلسانهم ليبينوا لهم شرع ربهم ، ولتقوم بهم الحجة على الناس ، وتنقطع عنهم المعاذير ، ويسهل عليهم اتباع رسلهم ، والفهم عنهم ، كما قال تعالى :﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ (١) وقال تعالى : ﴿قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده﴾ (٢) .

ويوضح الله بعض جوانب هذه البشرية ، فيقول سبحانه : ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾ (٣) ، ولم يكن رسول الله ﷺ بدعا من الرسل ، بل كان بشرا كغيره من الأنبياء والرسل السابقين عليه .

قال تعالى : ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين﴾ (٤) وقال تعالى : ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي﴾ (٥) ، وهذا أبلغ تأكيد من الله على أن الرسول ﷺ بشر مثلنا له كل خصائص البشر وصفاتهم وهو مع ذلك مفضل بالوحي والرسالة .

والآيات القرآنية تثبت بشرية الرسول ﷺ في مواقف كثيرة ، وتوضح أنه بشر لم يخرج عن نطاق البشرية ، وأن ما أتى به من وحيٍ ، أو جري على يديه من آيات ، فإنما هو بقدرة الله وحده ، وأن الرسول لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا،

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٤ .
(٢) سورة إبراهيم الآية ١١ .
(٣) سورة الفرقان الآية ٢٠ .
(٤) سورة الأحقاف الآية ٩ .
(٥) سورة الكهف الآية ١١٠ .

إلا أن يشاء الله ، قال تعالى : ﴿وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾ [2] ، وكما أن الرسول لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ، فهو من باب أولى ، لا يملك لغيره الضر والنفع ، أو الهداية والصلاح ، بل كل ذلك بيد الله وحده .

قال تعالى : ﴿ليس لك من الأمر شيء ، أو يتوب عليهم ، أو يعذبهم فإنهم ظالمون ، ولله ما في السماوات وما في الأرض ، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم﴾ [3] ، وقال تعالى : ﴿قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا﴾ [4] ، وقال تعالى : ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين﴾ [5] .

ولما طالب كفار قريش الرسول ﷺ بمطالب تعجيزية ذريعة ، منهم للتكذيب والكفر ، فكان رد الله تعالى عليهم هو التأكيد على بشرية الرسول ﷺ ، قال تعالى : ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا﴾ [6] .

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٥٠ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٨٨ .

(٣) سورة آل عمران الآيات ١٢٨ ــ ١٢٩ .

(٤) سورة الجن الآية ٢١ .

(٥) سورة القصص الآية ٥٦ .

(٦) سورة الإسراء الآيات ٩٠ ــ ٩٣ .

وفي قوله تعالى : ﴿قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا﴾ تأكيد على أن الرسول بشر ، يقف عند حدود بشريته ، ولا يأتي بشيء من عنده .

ولما طالبوه أن ينزل عليهم ملك من السماء يبلغهم أمر الله عزوجل رد عليهم الله عزوجل فقال : ﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ [1] .

قال السيوطي : (والمعنى لو أرسلنا ملك لجعلناه في صورة رجل وفي خلق رجل لانهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة) [2] .

وحياة رسول الله ﷺ وسيرته توضح هذا الأمر ، أتم توضيح فقد عاش ﷺ بشرا تجرى عليه أعراض البشرية ، طيلة حياته منذ أن ولد إلى أن مات فأكل وشرب، ومشي في الأسواق ، وباع واشترى ، وتزوج وأنجب ، وحارب ، وسالم ، وغضب ، ورضي ، وفرح وحزن ، وأدركه المرض فمرض وسحر وشفى ، ومات كما يموت سائر البشر ﷺ .

وكل من عايش رسول الله ﷺ أو تتبع سيرته ، أدرك هذه الحقيقة تمام الإدراك، والرسول ﷺ بأقواله وأفعاله يؤكد هذا الأمر ، فيقول فيما رواه مسلم بسنده عن عبدالله بن مسعود وفيه «.. إنما أنا بشر مثلكم أذكر كما تذكرون وأنسى كما تنسون» [3] .

وقد أورد البخاري أحاديث كثيرة ، عن اخلاق الأنبياء وبشريتهم نقتصر منها موضع الدراسة على الأحاديث الموجودة في الكتاب .

فمن الأحاديث التي تدل على بشرية الرسل ، وأنهم بشر كسائر البشر يفرحون ويحزنون ، ويغضبون ويرضون ويأكلون ، ويمشون ،

---

(١) سورة الأنعام الآية ٩ .

(٢) الدر المنثور ٣/٢٥١ .

(٣) اخرجه مسلم ح (٥٧٢) ١/٤٠٠ بروايات كثيرة .

وهو حديث عمران بن الحصين في بدء الخلق [1] وفي هذا الحديث قال (جاء نفر من بني تميم إلى النبيﷺ فقال : يا بني تميم أبشروا ، فقالوا بشرتنا فأعطنا فتغير وجه ...) أي تغير وجه النبيﷺ من الحزن عليهم ، والاشفاق والرحمة بهم ، قال العيني : ((فتغير وجه)) إما للأسف عليهم ، كيف آثروا الدنيا ؟ واما لكونه لم يحضره ما يعطيهم، فيفيتألفهم به أو لكل منهما) [2] .

ومن الأمور التي تدل على بشرية الرسل ، الغضب الذي يصيبهم ، وهذا الغضب إذا كان من أجل الله ، فإنه محمود أما إذا كان غير ذلك ، فإنه مذموم كما في الحديث عن أبي هريرة ((أن رجلا جاء إلى النبيﷺ فقال : أوصني ، فقال : لا تغضب ! فكررها ثلاثا فقال لا تغضب)) [3] .

وقد مر معنا حديث ــ عند الحديث عن التصوير ــ وهو حديث عائشة رضي الله عنها ، وفيه فقالت : ((حشوت للنبيﷺ وسادة ، فيها تماثيل كانها نمرقة، فجاء فقام بين الناس وجعل يتغير وجهه ، فقلت : ما لنا يارسول الله ؟ فقال : ما بال هذه النمرقة ؟ قالت : وسادة جعلتها لك لتضطجع عليها ، قال : أما علمت أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة ؟...)) الحديث [4].

فالغضب هنا هو من أجل الله عزوجل ، ومن أجل انكار هذا المنكر ، الذي ينهي عنه الله ورسوله ، وعائشة وهي كانت جاهلة بالحكم فأخبرها بذلك ، وأمرها بإزالة هذه الصورة ، وقد تغير وجهه من الغضب الذي أصابه ، فهو بشر يغضب ويرضى ويحزن ويفرح ، وكل ذلك من أجل الله عزوجل .

---

(١) سبق تخريجه مرارا .
(٢) انظر عمدة القاري ١٠٨/١٥ ، وانظر كذلك فتح الباري ٣٣٣/٦ .
(٣) اخرجه البخاري ح (٦١١٦) .
(٤) اخرجه البخاري ح (٣٣٣٤) .

قال العيني : (وقول عائشة «مالنا» أي ما فعلنا من المعاصي ، حتـــى تتغــير وجهك من الغضب ، فأخبرها بما فعلت) [1] .

وقد يكون هذا الغضب غضبا طبيعيا بشريا ، يصيب الأنبياء ، ومــــن ذلــك الحديث الذي ذكره البخاري في هذا الكتاب ، وهو حديث أبي هريرة رضي الله عنـه أن رســـول الله ﷺ قـــال : «نزل نبــي من الأنبيـــاء تحت شــــجرة ، فلدغتــــه نملة فامر بجهـــازه ، فاخرج من تحتهـــا ، ثم أمر بيتها فأحرق بالنار ، فـــأوحي الله إليه فهلا نملة واحدة» ؟ [2] .

وقوله : لدغته أي قرصته .

فهذا النبي غضب من هذه النملة ، فأحرق جميع البيت الذي يســـكنه النمـــل، فوقع عليه العتب من الله ، بالزيادة على النملة الواحدة المؤذية) [3] .

ومن صفات الأنبياء الرؤيا التي يرونها في المنام ، مثل ما يحصــــل لســـائر البشر غير أن رؤيا الأنبياء حق ، كما سبق الكلام على ذلك في انواع الوحي.

فقد روي البخاري ، حديث أبي هريرة وفيه «بينما أنا نـــائم ، رأيتنـــي فـــي الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر» الحديث [4] .

ومن صفات البشرية الاصابة ببعض الأمراض ، أو السحر وقد قدمنـــا هـــذا الموضوع مستوف في سحر النبي ﷺ ، وهذه الاصابة بالسحر نوع من المـــرض ، كما تقدم ذكر ذلك هناك ، قال ابن القيم (قد أنكر هذا طائفة من الناس ، وقـــالوا : لا يجوز هذا عليه ، وظنوه نقصا وعيبا ، وليس الأمر كما زعموا ، بل هو من جنـــس ما كان يعتريه ﷺ من الأسقام والأوجاع ، وهو مرض من الأمراض ، وإصابته به

---

(١) انظر عمدة القاري ١٣٨/١٥ .

(٢) اخرجه البخاري ح (٣٣١٩) .

(٣) انظر فتح الباري ٤١٢/٦ ــ ٤١٣ .

(٤) اخرجه البخاري ح (٣٢٤٢) (٣٦٨٠) (٥٢٢٧) (٧٠٢٣) (٧٠٢٥) .

كإصابته بالسم ، لا فرق بينهما ، قال القاضي عياض : والسحر مرض من الأمراض ، وعارض من العلل يجوز عليه ﷺ كأنواع الأمراض مما لا ينكر ، ولا يقدح في نبوته) [1] .

وكل هذه تدل على بشرية هؤلاء الرسل ، عليهم الصلاة والسلام ، وبعد ذلك ننتقل إلى صفات الأنبياء ، وهي دالة أيضا على البشرية ، لأن حكمها من صفات البشر ، وهذه الصفات التي ذكرها البخاري ، فيما ظهر لي هي ما يلي :

صفات الأنبياء :

من صفات الأنبياء **الرحمة** ، وهذه الرحمة منهم رحمة عامة ، بالأمة وقد كانﷺ رحيما بأمته مشفقا عليها ، وكذلك كل نبي مع أمته ، والذي يدل على ذلك مما رواه البخاري في هذا الكتاب حديث عمران بن الحصين السابق ، وتغير وجه النبي حين أهتم هؤلاء القوم بالدنيا ، وقد كان يأمل ﷺ منهم الاهتمام، بالآخرة والحرص عليها ، وذلك لأن تغير وجهه واضطرابه ، حين تهب الرياح ، وتشتد إنما هو خوفا أن يكون ذلك مهلكا للامة .

عن عائشة رضي الله عنها قالت «كان النبيﷺ إذا رأى مخيلة في السماء أقبل وأدبر ، ودخل وخرج وتغير وجهه ، فإذا امطرت السماء سرى عنه ، فعرفته عائشة ذلك فقال النبي ﷺ وما أدري لعله كما قال قوم عاد ﴿فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم﴾ [2] » [3] .

قال ابن حجر : (في الحديث شفقتهﷺ على أمته ، ورّأفته بهم كما وصفه الله تعالى فقال : ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ [4] [5] .

---

(١) زاد المعاد ١٢٤/٤ .

(٢) سورة الاحقاف الآية ٢٤ .

(٣) أخرجه البخاري ح (٣٢٠٦) في كتاب بدء الخلق(٤٨٢٩) ومسلم ح (٨٩٩) .

(٤) سورة التوبة الآية ١٢٨ .

(٥) فتح الباري ٣٤٨/٦ .

وفي هذا الحديث كذلك خوف الأنبياء من الله عزوجل ، وشدة خوفهم وعدم الأمن من عقاب الله ، وهذه هي حال أهل الإيمان ، فمع قوة عبادتهم ، وقربهم يزداد خوفهم من الله عزوجل ، كما قال النبيﷺ لعائشة : ((﴿الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجله انهم إلى ربهم راجعون﴾ [1] ، هم الذين يزكون ويصومون ويحجون ، ومع ذلك يخافون ربهم)) [2] .

ومن الأدلة على الرحمة ، وبعد النظر ورجاحة العقل ، كذلك حديث بعث ملك الجبال اليه ﷺ ليأمره ، بما شاء من الاطباق على أهل مكة ، أو اهلاكهم فسأل النبيﷺ فقال : ((بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم ، من يعبد الله وحده ، لا يشرك به شيئا)) [3] .

قال ابن حجر : ((قوله بل أرجو) في هذا الحديث بيان شفقه النبيﷺ على قومه ومزيد صبره وحلمه ، وهو موافق لقوله تعالى :﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾ [4] وقوله: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾) [5] [6] .

ومن صفات الأنبياء التي أشار إليها الحديث ، **الصبر وقوة التحمل** في سبيل الله عزوجل ، وقد بلغ هذا الصبر أكمل معانيه ، وغايته في حياة النبيﷺ وغيره من الأنبياء ، كما حكاه الله من ذلك عن نوح عليه السلام ، قال تعالى : ﴿قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا واني كلما دعوتهم جعلوا اصابعهم في أذانهم وأستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا ثم أني دعوتهم

---

(١) سورة المؤمنون آية ٦٠ .

(٢) انظر فتح الباري ٢٩٩/٨ وهذا الحديث صححه ابن حجر .

(٣) اخرجه البخاري ح (٣٢٣١ ، ٧٣٨٩) ، واخرجه مسلم (١٧٩٥) .

(٤) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

(٥) سورة الانبياء الآية ١٠٧ .

(٦) فتح الباري ٣٦٤/٦ .

جهارا ثم اني أعلنت لهم واسررت لهم اسرارا﴾ [١] ، وقال تعالى : ﴿فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما﴾ [٢] .

وقد سبق قول ابن حجر السابق ، واستدلاله بهذا الحديث على صبره وقوة تحمله [٣] .

ومن أخلاق الأنبياء كذلك ، **لين الجانب والمودة والتواضع** ، فقد كان الأنبياء جميعا يدعون الناس سواء الرجال أو النساء ، ولم يفرقوا بين الرجال والنساء والصغار والكبار والفقراء والأغنياء ، بل هو رسول إلى جميع الثقلين ، على السواء ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا﴾ [٤] .

وقد روي البخاري تواضع النبي ، ولين جانبه في حديث ، وهذا الحديث عن سعد ابن أبي وقاص ، قال : ((استأذن عمر على رسول الله ﷺ ، وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن ، فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب ، فأذن له رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ يضحك ، فقال عمر : أضحك الله سنك يا رسول الله ، قال : عجبت من هؤلاء اللائي كن عندي ، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب ، قال عمر : فأنت يارسول الله كنت أحق أن يهبن ، ثم قال : أي عدوات أنفسهن ، أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ ؟ قلن : نعم ، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده ، ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا ، إلا سلك فجا غير فجك)) [٥] .

قال النووي رحمه الله : (وفي هذا الحديث فضل لين الجانب والحلم والرفق ما لم يفوت مقصودا شرعيا ، قال تعالى : ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾) [٦] [٧] .

---

(١) سورة نوح الآيات ٥ ــ ٩ .

(٢) سورة العنكبوت الآية ١٤ .

(٣) انظر فتح الباري ٦/٣٦٤ .

(٤) سورة الاعراف الآية ١٥٨ .

(٥) اخرجه البخاري ح (٣٢٩٤) في كتاب بدء الخلق (٣٦٨٣) (٦٠٨٥) واخرجه مسلم (٢٣٩٧) .

(٦) سورة الحجر الآية ٨٨ .

(٧) شرح مسلم ١٥/١٦١ .

وقال العيني في تعليقه على الحديث : (فضل لين الجانب ، والرفق وفيه حلم النبي ﷺ وصبره ، وهو غاية ما يكون) [1] .

فهذا الحديث يبين ما كان عليه النبي ، من لين الجانب ، والتواضع والرحمة والشفقة وتمام الخلق ، ولقد رباه الله عزوجل كما قال تعالى :﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ [2] .

ومن أخلاق الأنبياء **الكرم** ، وقد كان الانبياء في غاية الكرم في جميع أنواع الكرم ، ومن هذه الانواع : **كرم الاخلاق ، وكرم الانفاق ، وكرم النفس وعزتها** ، وقد روى البخاري ، رحمه الله حديث ابن عباس ، وتقدم في أنواع الوحي وحفظه ، وفي الحديث «فإن رسول الله حين يلقاه جبريل ، أجود بالخير من الريح المرسلة» [3] فكان رسول الله جوادا كريما ، وكان قد بلغ بهذا الخير والجود غايته، وهو القدوة ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ [4] .

وكان إبراهيم عليه السلام ــ وجميع الأنبياء ، كذلك ــ أحسن الناس خلقا ، فأنه لما نزل عليه الضيوف ، قدم لهم العجل السمين المشوي ، فلم يستشرهم هل يقدم ذلك أم لا ؟! ولكن انسل بدون أشعار لهم ، ثم قدم هذا الأكل الذي ظن أنهم سيأكلون لجهله بحالهم ، قبل أن يعرف أنهم ملائكة الله ، قال تعالى : ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تأكلون﴾ [5] .

---

(١) عمدة القاري ١٨٢/١٥ .
(٢) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .
(٣) تقدم تخريجه ، اخرجه البخاري (٣٢٢٠) في كتاب بدء الخلق .
(٤) سورة الأحزاب الآية ٢١ .
(٥) سورة الذاريات الآيات ٢٤ ــ ٢٧ .

قال ابن كثير (المكرمن الذين أرصد لهم الكرامة ، وقد ذهب أحمد وجماعة من العلماء إلى وجوب الضيافة للنزيل ، وقوله فراغ أي انسل خفية في سرعة ، وقوله بعجل سمين أي من خيار ماله فقربه اليهم أي ادناه منهم ، قال الا تأكلون تلطف في العبارة ، وعرض حسن وهذه الآية تضمنت آداب الضيافة ، فانه جاء بطعام من حيث لا يشعرون بسرعة ، ولم يمتن عليهم أولا فقال نأتيكم بطعام بل جاء به بسرعة ، وخفاء وأتى بأفضل ما وجد من ماله ، وهو عجل سمين مشوي فقربه إليهم لم يضعه وقال : اقتربوا بل وضعه بين أيديهم ، ولم يأمرهم امرا يشق عليهم، على مسامعهم بصيغة الجزم ، بل قال : (ألا تأكلون) على سبيل العرض ، والتلطف كما يقول القائل اليوم ، ان رأيتك ان تتفضل ، ونحن وتشرف فافعل) [1] . وهذا غاية الكرم والجود .

وهذه هي بعض **صفات الأنبياء** التي استقيناها من هذه الأحاديث وبها وصار الانبياء هم القدوة في جميع الاخلاق الكريمة ، ومن أراد معالي الاخلاق وكرمها ، ما عليه الا أن يتبع سننهم ، ويحاول الاقتداء بهم ، فانه لا سبيل إلى رضاء الله ، وإلى الوصول إلى معالي الأخلاق ، إلا عن طريقهم وأعظم ما يدل على ذلك ، قوله تعالى :﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾ [2] ومن أعظم من الله شهادة ، وأحسن حكما سبحانه وتعالى ، وقال تعالى :﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا﴾ [3] . فالله هنا يأمر نبيه بالاهتداء ، بهدي من سبقه من الأنبياء ، بعد ما ذكر صبرهم ، واختلافهم وكفاحهم في سبيل الدعوة .

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٣٢٦ ـ ٢٣٧ .

(٢) سورة القلم الآية ٤ .

(٣) سورة الانعام الآية ٩٠ .

وقد أوجب الله الاهتداء بهم ، ولزوم سنتهم ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيرا﴾ (١) ولعل ما نقص في هذا المبحث ، يكمله ما بعده من المباحث حيث الارتباط ، وثيق جدا بينهما ، فرأينا بالاهتداء بهديهم ، والسير على طريقتهم ، وتتبع أثارهم واخلاقهم ، ولعل المباحث القادمة توضح بعض جوانب هذا المبحث .

(١) سورة الأحزاب الآية ٢١ .

المبحث الثاني
عصمة الأنبياء

أشار البخاري إلى حديث ، يفيد فعل الأنبياء للصغائر من الذنوب أو لوقوع بعض المعاصي ، إما نسيانا أو من غير قصد لها ، وهذا الحديث تكلم عنه العلماء ، فيمن يوجب العصمة للأنبياء عليهم السلام حتى من الصغائر بشيء من التأويل ، وأختاره من يجوز وقوع الذنوب الصغيرة ، من الأنبياء دليلا على قولهم [1] .

وقد سبق الإشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال : (نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة ، فلدغته نملة فأمر جهازه فأخرج من تحتها ، ثم أمر بيتها فأحرق بالنار ، فأوحى الله إليه فهلا نملة واحدة) ؟

والأنبياء عليهم السلام معصومون في تبليغ ما نزل اليهم بلا شك ، ولا ريب وهذا هو أصل الدين وعموده ، إذا هو لم يكن ذلك لكان المدين ، الذي تدين به خاطئا أو فاسدا ، وهذا مخالف لحجج النصوص ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (وهذه العصمة الثابتة للانبياء هي التي يحصل بها مقصود النبوة والرسالة .. والعصمة في ما يبلغوه عن الله ثابتة ، فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين) [2] .

وقال الرازي : (أما فيما يتعلق بجميع الشرائع والأحكام ، التي هي من الله تعالى ، فأجمعوا على أنه لا يجوز عليهم التحريف والخيانة ، في هذا الباب لا بالعمد ولا بالسهو ، وإلا لم يبق الاعتماد على شيء من الشرائع) [3] .

---

(١) انظر فتح الباري ٦/٤١٣ .

(٢) الفتاوى ١٠/٢٩٠ ، وانظر المواقف للايجي ص ٣٥٨ .

(٣) عصمة الأنبياء لفخر الدين الرازي ص ٣٩ .

معنى العصمة :

ويقول الراغب الأصفهاني : (العصمة في اللغة معناها : المنع ، يقال عصمته عن الطعام ، أي منعته عن تناوله ، وعصمته عن الكذب ، أي منعته منه ، ومنه قوله تعالى ﴿قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء﴾ [1] أي يمنعني من الغرق ، وقوله تعالى ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾ [2] أي أمتنع امتناعا شديدا ، وجاء في الحديث الشريف قوله ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ، أن لا إله إلا الله .. فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله» [3] أي منعوا دماءهم وأموالهم .

وسميت العصمة عصمة ، لأنها تمنع من ارتكاب المعصية ، والعصمة هي : حفظ الله لأنبيائه ورسله عن الوقوع في الذنوب والمعاصي ، وارتكاب المنكرات والمحرمات) [4] .

يقول الحافظ ابن حجر ـ عند الكلام ، على باب العصمة من عصم الله من كتاب القدر ـ في البغاوي (أي من عصمة الله بأن حماه الله من الوقوع في الهلاك .

قال الحافظ ـ في الشرح : (أي من عصمة الله ، بأن حماه من الوقوع في الهلاك ، أو ما يجر إليه .

ويقال عصمه الله من المكروه ، وقاه وحفظه ، واعتصمت بالله لجأت إليه .

وعصمة الأنبياء ـ على نبينا وعليهم الصلاة والسلام : حفظهم من النقائص، وتخصيصهم بالكمالات النفسية ، والنصرة والثبات في الأمور ، وإنزال السكينة ، والفرق بينهم وبين غيرهم ، أن العصمة في حقهم بطريق الوّجوب ، وفي حق غيرهم بطريق الجواز) [5] .

---

(١) سورة هود الآية ٤٣ .

(٢) سورة يوسف الآية ٣٢ .

(٣) اخرجه البخاري ح (٢٥) ومسلم ح (٢٢) .

(٤) انظر المفردات للراغب الأصفهاني ص ٥٣٧ .

(٥) ابن حجر ٥١٠/١١ .

ويعرفها الجرجاني بقوله : (العصمة ــ ملكه اجتناب المعاصي مــع التمكــن منها) [1] ، ويعرفها شيخ الإسلام بقوله : (العصمة هي التي يحصل بها ، مقصـــود النبوة والرسالة) [2] .

ولعلنا من خلال الكلام على العصمة وأحكامها وأقوال العلماء فيها يتضح هذا المفهوم بإذن الله تعالى .

عصمة الأنبياء قبل النبوة :

اختلف العلماء في (عصمة الأنبياء) ، هل هي قبل النبوة أم بعدهــا ؟ وهـــل تكون العصمة عن الكبائر فقط أم عن الكبائر والصغائر من الذنوب ؟ ، على عـــدة أقوال نختار منها هذين القولين :

القول الأول : ذهب بعضهم إلى أن العصمة ثابتة لهم قبل النبوة ، وبعدها ، وذلـــك لأن السلوك الشخصي ، ولو قبل النبوة ــ يؤثر على مستقبل الدعوة للنبي ، فلابد لـه أن يكون إذا من ذوي السيرة العطرة ، والصفاء النفسي ، حتى لا يكون ثمة مطعــن في رسالته ودعوته .

واســتدلوا علــى ذلــك بأن الله تبارك وتعــالى ، قــد اختار أنبيـــاءه مــن صفــوة البشــر ، ورعاهــم منــذ الصغر على عينه، كما قال لموسى عليه السلام: ﴿ولتصنع على عيني﴾ [3] وجعلهم من المصطفين الأخيــار ﴿وإنــهم عندنــا لمــن المصطفين الأخيار﴾ [4] فلابد إذا أن يكونوا معصومين ، ومحفوظين قبـــل النبــوة وبعدهـــا .

---

(١) التعريفات للجرجاني ص ١٩٥ .

(٢) الفتاوى ٢٨٩/١٠ .

(٣) سورة طه الآية ٣٩ .

(٤) سورة ص الآية ٤٨ .

والقول الثاني : وهو الذي ذهب اصحابه إلى أن (عصمة الأنبياء) إنما تكـون بعد النبوة، وتكون من الصغائر والكبائر معا ، لأن البشر ليسوا مأمورين باتباعـــهم قبل النبوة ، فالاتباع والاقتداء ، إنما يكون بعد نزول الوحي عليهم ، وبعد تشـــريفهم بحمل الرسالة والأمانة ، وأما قبلها ، فانما هم كسائر البشر ، ومع ذلك فان ســيرتهم تأبي عليهم الوقوع في المعاصي والآثام ، أو الانجراف في طريق الفاحشة والرذيلــة فانهم لو كانوا قبل النبوة غير معصومين ، لكنهم محوطون بالعناية والفطرة (١) .

جاء في كتاب (النبوة والانبياء) ما نصه : (أن النبي قبل اصطفائـــه بـــالنبوة على وجهين :

١ ــ فهو أما أن يكون لم يكلف بعد مطلقا بشرع ما ، فالعصمة في حقه غـــير ذات موضوع ، لأن المعاصي والمخالفات بعد ورود الشرع والتكليف به ، والمفـــروض أنه لم يكلف ، فلا مجال لبحث العصمة أو عدمها ، لأن الذمة خالية من التكليف .

لكن علو فطرة الرسول ، وصفاء نفسه ، وسمو روحه ، وصحة عقله تقتضي أن يكون أنموذجا رفيعا بين قومه ، في أخلاقه ، ومعاملاته ، وأمانته ، وفـــي بعـده عن ارتكاب القبائح ، التي تنفر منها العقول السليمة والطباع المستقيمة .

٢ ــ وأما أن يكون قد كلف بشرع رسول سابق ، كسيدنا لوط عليه الســـلام حينمـــا كان تابعا ــ قبل نبوته ــ لعمه إبراهيم عليه السلام ، وكأنبياء بني اسرائيل من بعـــد موسى قبل أن يوحى إليهم بالنبوة ، وهذه الحالة لم يثبت في عصمة النبي فيها دليـــل قاطع ، لا عن الكبائر ، ولا عن الصغائر ، لكن سيرة الأنبياء التي أثرت عنهم قبـــل نبواتهم تشهد بأنهم من أبعد الناس عن المعاصي كبائرها وصغائرها .

---

(١) انظر في ذلك عصمة الأنبياء بين اليهودية والمسيحية والاسلام ، للدكتور محمود ماضي ص ٥ ، وانظـــر كذلك عصمة الأنبياء للرازي ص ٤١ .

ولئن وقع منهم شيء من ذلك فهفوات نادرة ، لا تطعن فيهم لعلو فطرتهم ، وصفاء نفوسهم ، وسمو أرواحهم والمهمة التي سيكلفون بها فيما بعد ، وإنما تقع منهم هذه الهفوات اثباتا لبشريتهم أمام الخلائق ، لئلا يرفعوهم فوق المستوى البشري ، ويحملوهم من صفات الألوهية ، مالا يمكن أن يتصفوا به ، فهم عبيد مخلوقون لله تعالى ، وليظهر الفرق بين أحوالهم قبل النبوة وأحوالهم بعدها) (١) .

ثم قال : (والصحيح الذي عليه المعول من أقوال العلماء ، هو : أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، معصومون عن المعاصي ، (الصغائر والكبائر) بعد النبوة باتفاق ، وأما قبل النبوة ، فيحتمل أن تقع منهم بعض المخالفات اليسيرة ، التي لا تخل بالمروءة ، ولا تقدح بالكرامة والشرف) (٢) .

وحكى الإمام الرازي هذه الأقوال : (واختلفوا أيضا في وقت وجوب هذه العصمة ، فقال بعضهم: إنها من أول الولادة إلى آخر العمر ، وقال الأكثرون : هذه العصمة إنما تجب في زمان النبوة ، فأما قبلها فهي غير واجبة ، وهو قول أكثر أصحابنا رحمهم الله تعالى) (٣) .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (قد اتفق المسلمون على أنهم معصومون، فيما يبلغونه عن الله ، وبهذا يحصل المقصود من البعثة ، وأما وجوب كونه قبل أن يبعث نبيا لا يخطيء ، أو لا يذنب فليس في النبوة ما يستلزم ذلك) (٤) .

وقال الرازي في أصول الدين المسألة الخاصة ، في وجوب عصمة الأنبياء في وقت الرسالة) (٥) مما يرجح أنه يذهب إلى انهم ، قبل الرسالة ليسوا معصومين.

---

(١) انظر النبوة والأنبياء للصابوني ص ٥٣ ـ ٥٤ .

(٢) النبوة والأنبياء للصابوني ص ٥٤

(٣) عصمة الأنبياء للرازي ص ٤١ .

(٤) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٢/٣٩٦ ـ ٣٩٧ .

(٥) أصول الدين للرازي ص ١٠٢ .

ويقول الحافظ ابن حجر : أن الخوض في هذه المسألة ، فيه نوع من السفر وعدم الفائدة .

ويقول الحافظ في رأي له ، ولعله الرأي الراجح (قد قال القاضي عياض في عصمة الأنبياء قبل النبوة ، أنها كالممتنع لأن النواهي ، انما تكون بعد تقرير الشرع والنبي ﷺ لم يكن متعبدا ، قبل أن يوحى إليه بشرع من قبلة على الصحيح ، فعلى هذا فالنواهي إذا لم تكن موجودة ، فهي غير معتبرة في حقه والله أعلم) [1] ، ويكاد القول بعض الأنبياء قبل النبوة ، أن يكون معدوما لولا انه قول الرافضة ، وهم غير معتبرين في المخالفة والله أعلم .

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية ، أن هذا القول هو قول الرافضة فهم الذين يقولون بعصمة الأنبياء والأولياء مطلقا ، قبل النبوة وعبدها) [2] .

والذي يظهر أن الأنبياء لا يفعلون الكفر ، وقبائح الذنوب المخالفة للشرف والموجبه للتقص قبل النبوة ، وهذا هو الظاهر من سيرتهم وأخبارهم ، قال القاضي عياض : (لا خلاف في عصمتهم من الكفر ، بعد النبوة وكذا قبلها على الصحيح) [3] .

وقد ذهب المعتزلة إلى عصمتهم من الكبائر قبل النبوة ، يقول ابن حزم حاكيا عنهم : قال المعتزلة بعصمة الأنبياء من الكبائر قبل النبوة وبعدها ، ويلحق به كل ما يزري بفاعله من الصغائر ، وكذا كل ما يقدح في الابلاغ من جهة القول) [4] .

وقال الابجي : (واما الكفر فقد أجمعت الأمة على عصمتهم منه ويقصد قبل النبوة) [5] .

---

(١) فتح الباري ١٣٤/٧ ــ ١٣٥ .

(٢) انظر الفتاوى ٣٢٠/٤ .

(٣) الفتح ٤٤٩/١١ .

(٤) انظر مقالات الاسلاميين ٢٣١/١ ، وانظر عصمة الأنبياء للرازي ص ٤٠ .

(٥) انظر المواقف في علم الكلام للابجي ص ٣٥٨ .

العصمـــة بعـــد النبـــوة :

وهي على ضربين :

الضرب الأول : العصمة من الكبائر : وقد اختلف الناس فيها على قولين :

القول الأول : أنهم غير معصومين من الكبائر .

القول الثاني : انهم معصومون من الكبائر .

وأجمعت المعتزلة أنه لا يجوز أن يفعل النبي الكبيرة، لأنهم يكفرون بها [١].

وقد سبق ذكر كلام القاضي عياض في هذه المسألة ، حيث منـــع الصغـــائر الفادحة فضلا عن الكبائر ، ويكاد يكون القول بعصمتهم عـــن الكبـــائر ، إجماعـــا للعلمـــــاء .

وكـــل من قال بمنع وقوع الصغائر من الأنبياء ، فانه بداهـــة يمنـــع وقـــوع الكبائر أيضا عنهم ، يقول القرطبي (أختلف العلماء هل وقع مـــن الأنبيـــاء ، مـــن صغائر الذنوب بعد اتفاقهم على أنهم معصمون من الكبائر ، ومن كل رذيلـــة فيـــها شين ونقص إجماعا عند القاضي أبي بكر ، وعند الاستاذ أبي اسحاق الاســـفرائيني وعنده أن ذلك مقتضى دليل المعجزة وعند المعتزلة أن ذلك مقتضى دليل العقل على أصولهم) [٢] .

وحكى الرازي في ذلك الاجماع ، يقول : (والأنبياء معصمون مـــن الكبـــائر بالاجماع ، وأختلف في جواز وقوع الصغائر) [٣] .

ويحكي شيخ الإسلام ابن تيمية هذا القول عن أكثر أهل العلم ، بل هو قـــول الصحابة والسلف ، يقول : (والقول بأن الأنبيـــاء معصومـــون عـــن الكبـــائر دون الصغائر، هو قول أكثـــر علماء الإسلام وجميع الطوائف ، حتى إنه قول أكثر أهل

---

(١) مقالات الاسلاميين ٢٩٧/١ .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٠٨/١ .

(٣) فتح الباري ٥٩/٨ .

الكلام ، كما ذكر أبوالحسن الآمدي ، أن هذا قول أكثر الأشعرية ، وهو أيضا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء ، بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول) [١] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ، في موضع آخر (وجمهور المسلمين على تنزيههم عن الكبائر لاسيما الفواحش ، وما ذكر الله عن نبي كبيرة فضلا عن فاحشة) [٢] .

وذكر الأيجي هذا القول ونسبه إلى الجمهور والظاهر انه لا عبرة بمن خالف لأنه لا دليل له الا جواز وقع ذلك بالعقل ، يقول : (هذا هو قول الجمهور ، (أي العصمة من الكبائر) والأكثر على امتناعه سمعا ، وقالت المعتزلة : هو ممتنع عقلا بناء على أصولهم) [٣] .

الضرب الثاني : العصمة من الصغائر :

أما الصغائر فقد اختلفت فيها أراء العلماء اختلافا كبيرا ، وتعددت مذاهبهم ، نورد هنا طائفة من هذه الآراء والأقوال :

القول الأول : جواز وقوع الصغائر من الأنبياء :

يقول الأيجي : (أما الصغائر عمدا فقد جوزها الجمهور ، الا الجبائي ، وأما وقوعها سهوا جائز بالاتفاق الا الصغائر الحسية كالسرقة وتحوها ، وقال الجاحظ بشرط أن ينبهوا عليها فينتبهوا ، وبه قال كثير من المتأخرين وبه نقول هذا كله بعد الوحي) [٤] ، وقول الجمهور هذا هو الموافق للادلة والجامع لها .

---

(١) الفتاوى ٤/٣١٩ .
(٢) منهاج السنة النبوية ٢/٤٢٦ ــ ٤٢٧ .
(٣) الفتاوى في علم الكلام ص ٣٥٩ .
(٤) المواقف في علم الكلام ص ٣٥٩ .

وهو الذي يميل إليه شيخ الإسلام ابن تيمية ، يقول شيخ الإسلام (والقول الذي عليه جمهور الناس ، وهو الموافق للاثار المنقولة عن السلف ، أثبات العصمة عـن الاقرار على الذنوب مطلقا ، والرد على من يقول بجواز اقرارهم عليها ، مع وقـوع الصغائر منهم ، واستغفارهم منها وعدم الاقرار عليها) [١] .

ويؤكد شيخ الإسلام ، ان هذا هو الموافق لما عليه الصحابة ، وتابعوهم وهـو قول أهل الكلام المتقدمين ، يقول : (والقول بانهم معصمـون عـن الكبـائر ، دون الصغائر هو قول أكثر علماء الاسلام ، وجميع الطوائف حتى أنه قول اكـثر أهـل الكلام ، بل لم ينقل عن الصحابة والتابعين ، الا ما يوافق هذا القول) [٢] .

ويشير شيخ الإسلام أن القول بعدم وقوع الصغائر ، من الأنبياء قول محـدث ناشيء في الإسلام ، ومخالف للأدلة ، يقول : (وعامة ما ينقل عن جمهور العلمـاء، هو انهم غير معصومين عن الاقرار على الصغائر ، ولا يقرون عليها ولا يقولـون انها لا تقع بحال ، وأول من نقل عنهم من طوائف الأمة ، القول بالعصمـة مطلقـا الرافضة ، فانهم يقولون بالعصمة حتى ما يقع على سبيل النسيان) [٣] .

القول الثاني : ان الانبياء معصومون من الصغائر والكبائر ، وجوز بعضهم النسيان ومنعه بعضهم .

ونسب الأشعري هذا القول إلى المعتزلة [٤] ، ونسبة الأيجي إلـى الجبـائي منـه [٥] وهو اختيار الرازي ، يقول الرازي (والذي نقـول : إن الأنبيـاء عليـهم الصلاة والسلام معصومون في زمان النبوة عن الكبائر والصغائر بالعمد ، أما علـى سبيل السهو فهو جائز) [٦] .

---

(١) انظر الفتاوى ٢٩٣/١٠ .

(٢) انظر الفتاوى ٣١٩/٤ .

(٣) انظر الفتاوى ٣٢٠/٤ .

(٤) انظر مقالات الاسلاميين ص ٢٩٧ .

(٥) المواقف في علم الكلام ص ٣٥٩ ، وانظر ذكل الفصل لابن حزم ٢/٤ .

(٦) عصمة الأنبياء للرازي ص ٤٠ .

ونسب السمرقندي هذا القول إلى أبي حنيفة ، يقول : (والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم منزهون عن الصغائر والكبائر والكفر ، والقبائح وقد كانت منهم زلات وخطايا) [١] .

ولا أدري ما هي نوع هذه الزلات ، والخطيئات فكان هذا القـــول منـــاقض، ولعله يقصد أنها وقعت منهم على سبيل النسيان ، وهذا هو مذهـــب المعتزلـــة [٢] ، وقد أختار القاضي عياض هذا القول ، ودافع عنه واستند عليـــه ، (أن أمـــة النبـــي مأمورة بالاقتداء به في أمثاله ، فلو جاز منه وقوع المعصيـــة للـــزم علـــى الأمـــر بالشيء، والنهي عنه في حالة واحدة ، وهو باطل وجميع ما ذكر من الأنبيـــاء امـــا مؤول ، أو صادر بسهو ، أو بأذن، ولا يخرج عن ذلك وهذا هو الذي مـــال اليـــه الحافظ ابن حجر أيضا) [٣] .

وحكى هذه الاختلاف القرطبي ، وتوسط بين هذه الأقـــوال بـــل أنـــه وافـــق النصوص ، ولم يقع في التأويل ، يقول عليه رحمه الله : (اختلف في هذه المســـألة فقال الطبري وغيره ، من الفقهاء والمتكلمين والمحدثين ، تقع منهم الصغائر خلافـــا، للرافضة الذين منعوا جميع ذلك .

ويرى جمهور من الفقهاء من أصحاب مالك ، وأبي حنيفة والشافعي ، انـــهم معصمون من الصغائر ، كلها كعصمتهم من الكبائر أجمعها ، وحجتهم لانـــا أمرنـــا باتباعهم في أفعالهم وآثارهم ، وسيرهم أمرا مطلقا من غير الـــتزام قرينـــة ، فلـــو جوازنا عليهم الصغائر ، لم يكن الاقتداء بهم ، إذ ليس كل فعل من أفعالهم ، يتمـــيز مقصده من القربة والاباحة أو الحظر ، أو المعصية ولا يصحح ان يؤمـــر المـــرء، بأمتثال أمر لعله معصية لاسيما على من يرى تقديم الفعل على القول ، إذا تعارضا

---

(١) انظر شروح الفقه الأكبر المنسوب لابي حنيفة ص ١٣٥ .

(٢) انظر فتح الباري ٤٤٩/١١ .

(٣) انظر فتح الباري ٤٤٩/١١ .

عن بعض الاصوليين ، وسوف نرى رأي القرطبي بعد قليل عند حكاية القول الراجح) [1] .

ويقول البغدادي في الميل إلى تأييد عصمة الأنبياء من الصغائر : (وقال أهل السنة : يعصم الانبياء عن الذنوب ، وتأولوا ما روي عن الانبياء من زلات على أنها كانت قبل النبوة ، على خلاف من أجاز عليهم الصغائر) [2] ، هذا عن وقوع الصغائر منهم .

أما وقوع النسيان منهم ، فان الجمهور على جواز وقوعه ، وهو الذي تدل عليه النصوص الكثيرة ، مثل نسيانه في السلام في الصلاة وغيرها ، قال تعالى: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما﴾ [3] ، فيكون وقوع ذلك منهم، محل اتفاق بين العلماء الا الشواذ منهم ، ومن لا يؤخذ برأيه .

يقول الأيجي (واما وقوع السهو منهم ، فهو جائز اتفاقا ، الا ما خالف فيه الروافض) [4] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (وأول من نقل عند القول بالعصمة مطلقا واعظمهم قولا ، لذلك الرافضة فانهم يقولون بالعصمة ، حتى ما يقع على سبيل السهو والتأويل) [5] ، ولا شك أن هذا قول شاذ ومخالف للنصوص الكثيرة ، وهو ناتج عن فهم خاطيء وقواعد باطلة ، يعتمدها أصحاب هذا القول .

وذهب إلى هذا الرأي بعض المحدثين ، فقال : (فإذا أردنا تصحيح عقيدتنا فعلينا أولا وقبل كل شيء ، أن نؤمن بمبدأ عصمة الرسل ، فالرسل لا يخطئون بل وليست عندهم الصلاحية للخطأ ، وقال الله تعالى عنهم في سورة الأنبياء :

---

(١) انظر الجامع لاحكام القرآن ٣٠٨/١ .
(٢) انظر الفرق بين الفرق ص ٢٦٥ .
(٣) سورة طه الآية ١١٥ .
(٤) المواقف في علم الكلام ٣٥٩ .
(٥) انظر الفتاوى ٣٢٠/٤ .

﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه ، بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول ، وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم ، وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، وهم من خشيته مشفقون﴾ [1] .

فالمولى لم يتخذ ولدا سبحانه وتعالى ، ولكنه اتخذ رسلا فهم عباد مكرمون من الله تعالى ، فوهبهم ما وهبهم من تجليات ذاتيه وقد خلقهم الله لذلك إصالة ولغيرهم تبعا لهم ووهبهم منه ألسنة صادقة .

فيؤخذ من هذا التعريف ، الذي جاءت به هذه الآية الكريمة ، أن الرسل لا يعملون عملا إلا بأمر الله تعالى ، وهم أكمل الخلق كله أدبا مع الله تعالى ، وأشدهم خشية منه وهم آمن الناس على شرائع الله تعالى ، لأنه تعالى هو الذي أدبهم ليؤدب بهم الأمم ، وما قيل في حقهم يعتبر خيانة لذلك فهم عباد مكرمون عند الله تعالى ، فمن أين تأتي لهم الذنوب والخطايا ؟) [2] ، وتفسير هذه الآية بهذا التفسير مخالف لجميع التفسير .

وهناك قول وسط وهو أن الأنبياء فعلوا الصغائر ، ولكن لم يقروا عليها بل تنبهوا فتابوا فتاب الله عليهم ، وأختار هذا القول القرطبي ، يقول (وقال بعض المتأخرين من ذهب إلى القول الأول : الذي ينبغي أن يقال ، إن الله تعالى قد أخبر بوقوع ذنوب من بعضهم ، ونسبها إليهم وعاتبهم عليها ، وأخبروا بها عن نفوسهم، وتنصلوا منها وأشفقوا منها وتابوا ، وكل ذلك ورد في مواضع كثيرة ، لا يقبل التأويل جملتها ، وإن قبل ذلك آحادها ، وكل ذلك مما لا يزرى بمناصبهم ، وإنما تلك الأمور التي وقعت منهم على جهة الندور ، وعلى جهة الخطأ والنسيان ، أو

---

(١) سورة الأنبياء الآيات ٢٦ ـ ٢٨ .

(٢) العصمة والرسل والورثة والنذر لأحمد أحمد نور ص ١٩ .

تأويل دعا إلى ذلك فهي بالنسبة إلى غيرهم حسنات ، وفي حقهم سيئات ، بالنسبة إلى مناصبهم وعلو أقدارهم ، إذ قد يؤاخذ الوزير بما يثاب عليه السائس ، فاشفقوا من ذلك في موقف القيامة مع علمهم بالأمن والأمان والسلامة ، قال : وهذا هو الحق) [(١)] .

وأختار شيخ الإسلام ابن تيمية ، هذا القول وهو الحق وهو الذي يوافق الأدلة ويجمعها يقول (وأعلم أن المنحرفين في مسألة العصمة على طرفي نقيض ، كلاهما مخالف لكتاب الله من بعض الوجوه : قوم أفرطوا في دعوى ، امتناع الذنوب حتى حرفوا نصوص القرآن المخبرة ، بما وقع منهم من التوبة من الذنوب ، ومغفرة الله لهم ، ورفع درجاتهم بذلك .

وقوم أفرطوا في أن ذكروا عنهم ، ما دل القرآن على براءتهم منه ، وأضافوا إليهم ذنوبا وعيوبا نزههم الله عنها ، وهؤلاء مخالفون للقرآن ، وهؤلاء مخالفون للقرآن ، ومن اتبع القرآن على ما هو عليه من غير تحريف كان من الأمة الوسط ، مهتديا إلى الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) [(١)] ثم اختار هذا القول ، ورجح هذا القول بقوله: (ولكن المقصود هنا أن الله لم يذكر في كتابه عن نبي من الأنبياء ذنبا إلا ذكر توبته منه ، كما ذكر في قصة آدم وموسى ، وداود وغيرهم من الأنبياء) [(٢)] .

ونحن هنا سوف نذكر أدلة السلف عن عصمة الأنبياء والتي هي أدلة واضحة وسالمة عن المعارضة ، وجامعة لجميع النصوص ، وبعد ذلك نرد على اصحاب القول الثاني ، ونبين تهافت شبههم بأذن الله تعالى .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ص ٣٠٩ .

(٢) الفتاوى ١٥٠/١٥ .

(٣) الفتاوى ١٤٨/١٥ .

أدلة السلف على عصمة الأنبياء من الكبائر فقط :

حينما يقال إن النبي ﷺ ، يقع منه الخطأ ، قد يستعظم هذا في مقام النبـــوة ، ولكن يزول هذا الاستعظام حينما يقال : أن النبيﷺ ، لا يقر على خطئـــه ، ولكـــن يعالج في الحال ، وقد وردت آيات نصت على صدور الصغائر من الأنبياء عليـــهم الصلاة والسلام ، واتخذ السلف هذه الآيات ، كأدلة على أن الأنبياء معصومون مـــن الكبائر مع جواز وقوع الصغائر منهم ، كما أنهم أوردوا بعض الأدلة العقلية لأثبـــات هذا الأمر .

الأدلـــــة النقليـــــة :

الدليـــل الأول : قال تعالى : ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ [١] فهذه الآية دالة على محل النزاع ، وقد أخبر تعالى بمعصية آدم ﷺ بأكله من الشجرة ، ثم تـــاب وتـــاب الله عليه، كما قال تعالى : ﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ [٢] .

(ولا شك أن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ، إن وقع منهم بعض الشيء، فإنهم يتداركونه ، بصدق الإنابة إلى الله حتى يبلغوا بذلك درجة ، من لم يقـــع منـــه ذلك ، كما قال هنا ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ [٣] ثم أتبع ذلك بقوله ﴿ثم اجتباه ربـــه فتاب عليه وهدى﴾ [٤] والاجتباء هو الاصطفاء والاختيار ، أي ثم بعد ما صدر مـــن آدم ﷺ ، بمهلة اصطفاه ربه ، واختاره فتاب عليه وهداه إلي ما يرضيه ، ولم يبيـــن هنا السبب لذلك ، ولكنه بين في غير هذا الموضع أنه تلقى من ربه كلمات ، فكـــانت سبب توبـــة ربـــه عليـــه ، وذلك في قوله : ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه

---

(١) سورة طه الآية ١٢١ .

(٢) سورة طه الآية ١٢٢ .

(٣) سورة طه الآية ١٢١ .

(٤) سورة طه الآية ١٢٢ .

إنه هو التواب الرحيم﴾ [1] أي بسبب تلك الكلمات ، كما تدل عليه الفاء .. والكلمات هي المذكورة في سورة الأعراف ، في قوله تعالى : ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾) [2] [3] .

الدليل الثاني : على وقوع الذنوب من الأنبياء ما ذكره الله عن داود عليه السلام :

قال تعالى : ﴿وهل اتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب ـ إلى قوله ـ وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب﴾ الآيات [4] فداود ﷺ (نبي كريم أخبر الله تعالى بأنه أناب وتاب ، وأن له يوم القيامة لقربة يقربه الله عزوجل بها ، وحسن مرجع ، وهو الدرجات العاليات في الجنة ، لتوبته وعدله التام في ملكه) [5] .

وقد نبه الشوكاني أن الأنبياء هذه حالهم ، فان الله نبههم إلى التوبة ، ويخبرهم بالخطأ حتى صدوهم ، يقول للشوكاني : (ولا ينافي هذا ـ ذنب داود ـ العصمة الكائنة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فقد نبهه الله على ذلك ، وعرض له بإرسال ملائكته إليه ليتخاصموا في مثل قصته ، حتى يستغفر لذنبه ، ويتوب منه فاستغفر وتاب) [6] .

الدليل الثالث : ما ذكره الله عن نوح وصدور الذنب عنه وأعتبار ذلك ذنبا ووجوب طلب التوبة والاستغفار :

قال تعالى : ﴿ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق

---

(١) سورة البقرة الآية ٣٧ .
(٢) سورة الأعراف الآية ٢٣ .
(٣) أضواء البيان للشنقيطي ٥٢٢/٤ ـ ٥٣٩ .
(٤) سورة ص الآيات ٢١ ـ ٢٥ .
(٥) انظر تفسير ابن كثير ٣٣/٤ .
(٦) فتح القدير ٤٢٧/٤ .

وأنت أحكم الحاكمين﴾ [1] (فطلب من الله تعالى نجاة ابنه بناء ، على ما كان من وعد الله لنبيه نوح ﷺ بنجاة أهله ، وهو قوله تعالى ﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا أحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن أمن وما آمن معه إلا قليل﴾ [2] ، فكان الجواب من الله تعالى لنوح ﷺ :﴿قال يا نوح إنه ليس من أهلك﴾ [3] أي : الذين وعدت إنجاءهم ، لأني إنما وعدتك بنجاة من آمن من أهلك ، ولهذا قال : ﴿وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم﴾ [4] فكان هذا الولد ممن سبق عليه القول بالغرق لكفره ، ومخالفته أباه نبي الله نوحا ﷺ) [5] .

فاستغفر نوح من ذنبه وتاب : ﴿قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين﴾ [6] والآية صريحة في كون ما وقع منه ﷺ ، كان ذنبا يحتاج إلى مغفرة وتوبة من الله تعالى .

هذه هي بعض الأدلة النقلية الدالة على ما ذهب إليه أهل السنة ، في هذه المسألة وحصرها وجمعها ، يحتاج إلى كتاب مستقل والغرض ، هو الإشارة والاستدلال وما ذكر كافي بأذن الله تعالى .

الأدلة العقلية :

أما الأدلة العقلية على جواز صدور الصغائر من الأنبياء فنذكر :

---

(١) سورة هود الآية ٤٥ .

(٢) سورة هود الآية ٤٠ .

(٣) سورة هود الآية ٤٦ .

(٤) سورة هود الآية ٤٠ .

(٥) تفسير ابن كثير ٢٥٩/٤ .

(٦) سورة هود الآية ٤٧ .

الدليـــل الأول :

(إن كون النبي لا يتوب إلى الله فينال محبة الله ، وفرحـــه بتوبتـــه وترتفـــع درجته بذلك ، ويكون بعد التوبة التي يحبها الله منه خيرا ، مما كان قبلها ، فهذا مـــع ما فيه من التكذيب للكتاب والسنة ، وغض من مناصب الأنبيـــاء عليـــهم الصـــلاة والسلام ، وسلبهم هذه الدرجة ، ومنع إحسان الله إليهم ، وتفضله عليـــهم بالرحمـــة والمغفرة .

ومن أعتقد أن كل من لم يكفر ، ولم يذنب أفضل من كل من آمن بعد كفـــره وتاب ، بعد ذنبه فهو مخالف لما علم بالاضطرار من دين الإسلام ، فإنه من المعلوم أن الصحابة رضي الله عنهم الذين آمنوا برسول الله ﷺ بعد كفرهم ، وهداهم الله به بعـــد ضلالهم ، وتابـــوا إلى الله بعـــد ذنوبهـــم أفضـــل من أولادهم ، الذين ولـــدوا على الإسلام [1] .

الدليل الثاني :

الذنوب إنما تضر اصحابها إذا لم يتوبوا منها ، فالجمـــهور الذيـــن يقولـــون بجواز الصغائر عليهم ، وإنهم معصومون من الإقرار عليها ، وحينئذ فما وصفوهـــم إلا بما فيه كمالهم ، فإن الأعمال بالخواتيم ، مع أن القـــرآن والحديـــث ، وإجمـــاع السلف معهم في تقرير هذا الأصل [2] .

الدليل الثالث :

لم يذكر الله عن نبي من الأنبياء ذنبا إلا ذكر معه توبته ، لينزهه عن النقـــص والعيب ، ويبين أنه ارتفعت منزلته وعظمت درجته ، وعظمت حسناته ، وقربه إليـــه بما أنعم الله عليه من التوبة والاستغفار ، والأعمال الصالحة التي فعلها بعد ذلـــك ، وليكون ذلك أسوة لمن يتبع الأنبياء ، ويقتدي بهم إلى يوم القيامة .

---

(١) انظر منهاج السنة النبوية ٢/٣٩٧ .

(٢) انظر منهاج السنة النبوية ٢/٤٠٠ .

ولهذا لما لم يذكر عن يوسف ﷺ توبة في قصة امرأة العزيز ، دل على أن يوسف ﷺ لم يذنب أصلا في تلك القصة) [1] .

الدليل الرابع :

(لم يعلم أن أحدا طعن في نبوة أحد من الأنبياء ، ولاقدح في الثقة به بما دلت عليه النصوص التي تيب منها ، ولا احتاج المسلمون إلى تأويل النصوص ، بما هو من جنس التحريف لها ، كما يفعله من يفعل ذلك ، والتوراة فيها قطعة من هذا .

وما أعلم أن بني إسرائيل قدحوا في نبي من الأنبياء ، بتوبته في أمر من الأمور ، وإنما كانوا يقدحون فيهم بالافتراء عليهم) [2] .

الدليل الخامس :

حينما ننظر إلى كتب السنة نجدها مليئة بالروايات الصحيحة ، عن الرسول ﷺ التي تخبر عن استغفاره وتوبته إلى الله تعالى ، كما قال ﷺ : «إنه ليغان على قلبي وإني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة» [3] .

وكقوله ﷺ : «يا أيها الناس توبوا إلى الله ، فإني أتوب في اليوم مائة مرة» [4] .

وكان ﷺ يدعو بهذا الدعاء «رب أغفر لي خطيئتي وجهلي ، وإسرافي في أمري كله ، وما أنت أعلم به مني ، اللهم اغفر لي خطاياي وعمدي ، وجهلي وجدي ، وكل ذلك عندي ، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، وأنت على كل شيء قدير» [5] .

---

(١) انظر الفتاوى ٢٩٦/١٠ .

(٢) انظر منهاج السنة النبوية ٤٠٩/٢ .

(٣) رواه مسلم ح (٢٧٠٢) وعند البخاري عن أبي هريرة (أني لاستغفر وأتوب إلى الله في اليوم اكثر من سبعين مرة) ، رواه البخاري (٦٣٠٧) .

(٤) رواية في الحديث السابق (٢٧٠٢) صحيح مسلم ٢٠٧٦/٤ .

(٥) رواه البخاري ح (٦٣٩٨) .

فهذه الأحاديث وغيرها كثير ، قال عنها السلف رحمهم الله تعالى : (إذا اعترف الرجل الجليل القدر ، بما هو عليه من الحاجة إلى توبته ، واستغفاره ومغفرة الله له ورحمته ، دل ذلك على صدقه وتواضعه ، وعبوديته لله وبعده عن الكبر والكذب) [1] وهي تدل على أنهم يقعون في صغائر الذنوب، التي لا يقرون عليها .

وأجابوا عن شبهة أصحاب القول الثاني بهاتين الشبهتين :

الأولى : أن الله أمرنا بأتباع الرسل ، والتأسي بهم ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ [2] وهذا شأن كل رسول والأمر بأتباع الرسول يستلزم أن تكون اعتقاداته وأفعاله ، وأقواله جميعها طاعات لا محالة ، لأنه لو جاز أن يقع من الرسول معصية لله تعالى ، لحصل تناقض في واقع الحال ، إذ يقتضي أن يجتمع في هذه المعصية التي وقعت من الرسول ، الأمر باتباعها وفعلها من حيث كوننا مأمورين بالتأسي بالرسول ﷺ ، والنهي عن موافقتها من حيث كونها معصية منهي عنها ، وهذا تناقض ، فلا يمكن أن يأمر الله عبدا بشيء في حال أنه ينهاه عنه [3] .

الثانية : أن هؤلاء توهموا أن الذنوب تنافي الكمال ، وأنها تكون نقصا إن تاب التائب منها) [4] .

وقد أجاب أصحاب القول الأول ، على هذه الشبهة بقولهم أن الحجة ، هي فيما أقر به الانبياء لا في غيره .

يقول ابن تيمية : (وبهذا يجيب من ينصر قول الجمهور ، الذين يقولون بالعصمة من الأقرار على من ينفي الذنوب مطلقا ، فان هؤلاء من أعظم حججهم ما أعتمده القاضي عياض وغيره ، حيث قالوا : نحن مأمورون بالتأسي بهم ،

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٢/٤٠٣ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٢١ .

(٣) انظر هذه الشبهة في فتح الباري ١١/١٤٩ ، وانظر كذلك الرسل والرسالات لعمر الأشقر ص ١١٠ .

(٤) الرسل والرسالات لعمر الأشقر ص ١١٠ ـ ١١١ .

في الأفعال وتجويز ذلك يقدح في التأسي : فأجيبوا بأن التأسي ، إنما هو فيما اقـــروا عليه ، كما أن النسخ جائز فيما يبلغونه من الأمر والنهي ، وليس تجويز ذلك مانعـــا من وجوب الطاعة ، لأن الطاعة تجب فيما لم ينسخ ، فعدم النسخ يقـــرر الحكـــم ، وعدم الانكار يقرر الفعل ، والأصل عدم كل منهما .

ويوسف عليه الصلاة والسلام لم يذكر الله تعالى عنه في القرآن ، انه فعل مع المرأة ما يتوب منه ، أو يستغفر منه أصلا ، وقد اتفق الناس على ، أنه لم تقع منـــه الفاحشة [1] .

والقرآن قد أخبر عن يوسف من الاستعصام والتقوى ، والصـــبر فـــي هـــذه القضية ما لم يذكر عن أحد نظيره ، فلو كان يوسف قد أذنب لكان إما مصرا وإمـــا تائبا ، والاصرار ممتنع ، فتعين ان يكون تائبا ، والله لم يذكر عنه توبة في هـــذا ولا استغفارا كما ذكر عن غيره من الأنبياء ، فدل ذلك على أن ما فعله يوسف كان مـــن الحسنات المبورة ، والمساعي المشكورة ، كما اخبر الله عنه بقوله تعالى :﴿إنه مـــن يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ [2] .

ويقول عمر الأشقر في رده ، على هذه الشبهة : (وقولهم هذا يكون صحيحـــا ، لو بقيت معصية الرسول خافية غير ظاهرة ، بحيث تختلط علينا الطاعة بالمعصية ، أما وأن الله ينبه رسله وأنبياءه إلى ما وقع منهم ، من مخالفات ويوفقهم إلى التوبة، منها من غير تأخير فإن ما أورده لا يصلح دليلا ، بل يكون التأسي بهم فـــي هـــذا منصبا على الأسراع في التوبة عند وقوع المعصية ، وعدم التسويف في هذا ، تأسيا بالرسل والأنبياء الكرام في مبادرتهم ، بالتوبة من غير تأخير) [3] .

---

(١) الفتاوى ١٥/١٤٨ ـ ١٤٩ .

(٢) سورة يوسف الآية ٩٠ .

(٣) الرسل والرسالات لعمر الأشقر ص ١١٠ .

وفي رد آخر لشيخ الإسلام ابن تيمية في موضع أخر : (وحجج النفاة لا تدل على وقوع ذنب أقر عليه الأنبياء ، فان القائلين بالعصمة احتجوا بأن التأسي بهم مشروع ، وذلك لا يجوز الا مع تجويز كون الأفعال ذنوبا ، ومعلوم أن التأسي بهم إنما هو مشروع ، فيما اقروا عليه دون ما نهوا عنه ، ورجعوا عنه ، كما أن الأمر والنهي انما تجب طاعتهم ، فيما لم ينسخ منه ، فأما ما نسخ من الأمر والنهي ، فلا يجوز جعله مأمورا به ولا منهيا عنه ، فضلا عن وجوب اتباعه والطاعة فيه) [١].

وهي ان الذنب نقص وهم مبرؤون عن النقص ، فيرد شيخ الإسلام على هذه الشبهة بقوله : (والقول الذي عليه جمهور الناس ، وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف اثبات العصمة من الاقرار على الذنوب مطلقا ، والرد على من يقول انه يجوز اقرارهم عليها ، وحجج القائلين بالعصمة إذا حررت انما تدل على هذا القول.

ثم قال : (وكذلك ما احتجوا به من أن الذنوب تنافي الكمال ، أو انها ممن عظمت عليه النعمة اقبح ، أو أنها توجب التنفير ، أو نحو ذلك من الحجج العقلية ، فهذا إنما يكون مع البقاء على ذلك وعدم الرجوع ، والا فالتوبة النصوح التي يقبلها الله يرفع بها صاحبها إلى أعظم مما كان عليه ، كما قال بعض السلف : كان داود عليه السلام بعد التوبة خيرا منه ، قبل الخطيئة ، وقال آخر : لو لم تكن التوبة احب الأشياء إليه ، لما ابتلى بالذنب اكرم الخلق عليه .

وقد قال تعالى : ﴿ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [٢] وقال تعالى : ﴿الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات﴾ [٣] .

وقال طائفة من السلف ، منهم سعيد بن جبير : إن العبد ليعمل الحسنة ، فيدخل بها النار ، وأن العبد ليعمل السيئة ، فيدخل بها الجنة ، يعمل الحسنة،

---

(١) الفتاوى ٢٩٣/١٠ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٢٢ .

(٣) سورة الفرقان الآية ٧٠ .

فيعجب بها ويفتخر بها حتى تدخله النار ، ويعمل السيئة فلا يزال خوفه منها ، وتوبته منها حتى تدخله الجنة ، وقد قال تعالى : ﴿وحملها الانسان أنه كان ظلوما جهولا ، ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ، وكان الله غفورا رحيما﴾ (١) فغاية كل انسان ان يكون من المؤمنين والمؤمنات الذين تاب الله عليهم .

وفي الكتاب والسنة الصحيحة ، والكتب التي انزلت قبل القرآن ، مما وافق هذا القول ما يتعذر إحصاؤه) (٢) .

ويلزم شيخ الإسلام أصحاب هذا القول ، بلازم وهو وجوب التأويل في نصوص الكتاب ، وإلا لا يسلم لهم هذا القول ، يقول : (والرادون لذلك تأولوا ذلك بمثل تأويلات الجهمية والقدرية والدهرية النصوص (الأسماء والصفات) ونصوص (القدر) ونصوص (المعاد) وهي من جنس تأويلات القرامطة الباطنية التي يعلم بالاضطرار انها باطلة ، وانها من باب تحريف الكلم عن مواضعه ، وهؤلاء يقصد احدهم تعظيم الأنبياء فيقع في تكذيبهم ، ويريد الايمان بهم فيقع في الكفر بهم) (٣) .

ويقول الاستاذ عمر الأشقر ، في الرد على من قال أن الذنوب تنافي الكمال في معرض رده على أصحاب هذا القول : (وهذا غير صحيح ، فإن التوبة تغفر الحوبة، ولا تنافي الكال ، ولا يتوجه إلى صاحبها اللوم ، بل إن العبد في كثير من الأحيان يكون بعد توبته من معصيته ، خيرا منه قبل وقوع المعصية ، وذلك لما يكون في قلبه من الندم والخوف ، والخشية من الله تعالى ، ولما يجهد به نفسه من الاستغفار والدعاء ، ولما يقوم به من صالح الأعمال ، يرجو بذلك أن تمحو الصالحات السيئات .

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٧٣ .

(٢) الفتاوى ٢٩٣/١٠ ــ ٢٩٤ .

(٣) الفتاوى ٢٩٥/١٠ .

ومعلوم أنه لم يقع ذنب من نبي ، إلا وقد سارع إلى التوبة والاستغفار ، يدلنا على هذا أن القرآن لم يذكر ذنوب الأنبياء إلا مقرونة بالتوبة والاستغفار ، فآدم وزوجه عصيا فبادر بالتوبة قائلين : ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ (١) وما كادت ضربة موسى تسقط القبطي قتيلا حتى سارع طالبا الغفران والرحمة ، قائلا : ﴿رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي﴾ (٢) وداود ما كاد يشعر بخطيئته حتى خر راكعا مستغفرا ﴿فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب﴾ (٣).

فالأنبياء لا يقرون على الذنب ، ولا يؤخرون التوبة ، فالله عصمهم من ذلك، وهم بعد التوبة أكمل منهم قبلها (٤) .

ويؤكد شيخ الإسلام على هذا الأمر بقوله : (والله تعالى لم يذكر في القرآن شيئا من ذلك ، عن نبي من الأنبياء الا مقرونا بالتوبة والاستغفار كقول آدم وزوجته ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ (٥) وقول نوح : ﴿رب اني أعوذ بك أن اسألك ما ليس لي به علم ، وإلا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين﴾ (٦) ، وقول الخيل عليه السلام : ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ (٧) وقوله : ﴿فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾ (٨) وقوله تعالى عن داود : ﴿فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب ، فغفرنا له ذلك وأن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ (٩) وقوله تعالى عن سليمان : ﴿رب اغفر

---

(١) سورة الأعراف الآية ٢٣ .

(٢) سورة القصص الآية ١٦ .

(٣) سورة ص الآية ٢٤ .

(٤) الرسل والرسالات لعمر الأشقر ص ١١٠ ــ ١١١ .

(٥) سورة الأعراف الآية ٢٣ .

(٦) سورة هود الآية ٤٧ .

(٧) سورة إبراهيم الآية ٤١ .

(٨) سورة الأعراف الآية ١٤٣ .

(٩) سورة ص الآية ٢٥ .

لي ، وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي انك انت الوهاب﴾ [1] [2] .

ثم قال شيخ الإسلام : (وما ذكر الله من قصة ذي النون ، مما يلام عليه كله مغفور بدله الله به حسنات ، ورفع درجاته بعد التوبة والاستغفار ، وكان بعد خروجه من بطن الحوت ، وتوبته اعظم درجة منه قبل أن يقع ما وقع ، قال تعالى ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراه وهو مذموم ، فاجتباه ربه فجعله من الصالحين﴾ [3] وهذا بخلاف حال التقام الحوت فانه قال : ﴿فالتقمه الحوت وهو مليم﴾ [4] فاخبر انه في تلك الحال مليم ، و(المليم) الذي فعل ما يلام عليه ، فالملام في تلك الحال لا في حال نبذه بالعراء وهو سقيم ، فكانت حاله بعد قوله : ﴿لا إله إلا أنت سبحانك أني كنت من الظالمين﴾ [5] ارفع من حاله قبل أن يكون ما كان ، والاعتبار بكمال النهاية لا بما جرى في البداية ، والأعمال بخواتيمها) [6] .

ثم ختم هذه المسألة بقوله : (ونصوص الكتاب والسنة في هذا الباب كثيرة متظاهرة ، والآثار في ذلك عن الصحابة والتابعين ، وعلماء المسلمين كثيرة .

لكن المنازعون يتأولون هذه النصوص ، من جنس تأويلات الجهمية، والباطنية كما فعل ذلك من صنف في هذا الباب ، وتأويلاتهم تبين لمن تدبرها ، أنها فاسدة من باب تحريف الكلم عن مواضعه) [7] .

وبذلك انهارت هاتان الشبهتان ، ولم يثبتا في مجال الحجاج والنقاش ، وحسبنا بالأدلة الواضحة البينة ، التي تهدي للتي هي أقوم .

---

(١) سورة ص الآية ٣٥ .

(٢) انظر الفتاوى ٢٩٦/١٠ .

(٣) سورة القلم الآية ٥٠ .

(٤) سورة الصافات الآية ١٤٢ .

(٥) سورة الأنبياء الآية ٨٧ .

(٦) الفتاوى ٢٩٩/١٠ .

(٧) الفتاوى ٣١٣/١٠ ـ ٣١٤ .

المبحث الثالث
أمانة التبليغ وقوة الحجة

تعد أمانة التبليغ وقوة الحجة من أعظم صفات الأنبياء ، لأن عليها مدار الرسالة وقيامها ، فأن النبي إذا لم يبلغ ولم يكن أمينا ، في تبليغه فكيف تؤخذ رسالته ، أو كيف يتم الايمان بها ، وإذا لم يكن قوي الحجة في مجابهة الخصوم ، أمكن مجابهته وغلبته والانتصار عليه ، وبطل قوله تعالى : ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾ [(١)] .

إن **أمانة التبليغ** فهي من الصفات الواجبة على الرسل جميعا قال تعالى:﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وأن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ [(٢)] .

قال الحافظ (اختلف في المراد بهذا الأمر فقيل : المراد بلغ كما انزل .. وقيل المراد بلغه ظاهرا ، ولا تخش من أحد ، فأن الله يعصمك من الناس .
والثاني اخص من الأول وعلى هذا لا يتحد الشرط والجزاء ، لكن الأول قول الأكثر لظهور العموم ، في قوله تعالى: ﴿ما انزل﴾ والأمر للوجوب فيجب عليه تبليغ ما أنزل اليه والله أعلم) [(٣)] .

وقال في موضع آخر ، في تعليقه على هذه الآية (قال الزهري من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم) [(٤)] .

قال البخاري في خلق أفعال العباد : (فذكر تبليغ ما أنزل اليه ثم وصف فعل تبليغ الرسالة ، فقال ﴿وان لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ [(٥)] فسمى تبليغه الرسالة، وتركه للتبليغ فعلا ولا يمكن لأحد أن يقول أن الرسول ، لم يبلغ ما أمر به من تبليغ الرسالة) [(٦)] .

---

(١) سورة النساء الآية ١٤١ .

(٢) سورة المائدة الآية ٦٧ .

(٣) فتح الباري ٥١٣/١٣ .

(٤) فتح الباري ٥١٣/١٣ .

(٥) سورة المائدة الآية ٦٧ .

(٦) اخرجه البخاري م (٣٢٣٤) (٣٢٣٥) (٤٦١٢) (٤٨٥٥) (٧٥٣١) (٧٣٨٠) ومسلم (١٧٧) .

وقد ذكر البخاري أحاديث ، دالة على حرص النبي على تبليغ هذا الدين وذكر كذلك أحاديث قد يستنبط منها قوة الحجة ، وقد سبق عند الحديث على العصمة الاجماع على عصمتهم ، في التبليغ وكل ما يريد الله أيصاله إلى الناس ، فانهم أدوه اكمل الأداء ولم يخالف في ذلك أحد يذكر ، وأول هذه الأحاديث حديث عائشة رضي الله عنها في رؤية النبي لربه ، وفي الحديث قولها : (ومن حدثك ان محمدﷺ قد كتم شيئا فلا تصدقه ، والله عزوجل يقول : ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك وأن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾) [1] [2] .

قال ابن حجر : (استدل السمعاني بهذا الحديث (أن النبي لم يترك شيئا من أمور الدين وأصوله وقواعده وشراعته إلا بلغه) [3] .

وكانت عائشة هنا ترد على من زعم ذلك ، ولعل ذلك حدث في زمن خلافة علي رضي الله عنه ، حيث ادعى نفر من شيعته ، أن عندهم (أهل البيت) علم لا يعلمه غيرهم ، وقد خصهم الرسول بشيء من العلم ، الذي لم يطلع عليه غيرهم ، كما في الصحيحين أن الامام علي بن أبي طالب ، سئل عن «هل خصكم الرسول بشيء ؟ فقال : لا والذي خلق الحبة وبرأ النسمة ، الا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن ، وما في هذه الصحيفة قال السائل وما في هذه الصحيفة قال العقل وفكاك الاسير وان لا يقتل مسلم بكافر وبيان حرمه المدينة ...» الحديث [4] .

وهذا رد على الرافضة ، وغيرهم ممن يدعي أن الرّسول كتم شيئا ، أو خص أحدا بشيء بل الرسول ، بلغ جميع ما أنزل اليه ، وكان حريصا ان يبلغ كل شيء ، مما ينزل عليه بأسرع وقت ، كما مر معنا عند الحديث عن حفظ

---

(١) سورة المائدة الآية ٦٧ .

(٢) الحديث سبق تخريجه قريبا .

(٣) فتح الباري ٥١٦/١٣ .

(٤) اخرجه البخاري ح (٣٠٤٧) ، ومسلم ح (١٣٧٠) بروايات .

الوحي وسرعة تلاوة الرسول لسورة المرسلات بعد نزولها عليـه مباشـرة وفـي الحديث في كتاب بدء الخلق الحديث ((وأنا لنتلقاها من فيه رطبة)) [١] .

قال الحافظ بن حجر : (رطبة أي غضة طرية ، في أول ما انزلت وتلاهـا ووصفت بالرطبة ، والمراد رطوبة فيه ، أي انهم أخذوها من قبل أن يجف ريقه من تلاوتها) [٢] .

قال العيني (هذا فيه كناية عن سرعة أخذهم لها ، حين سمعوه وهو يقرأ بـها من غير تأخير ولا توان) [٣] .

وفيها سرعة تبليغ الرسول ﷺ ما نزل إليه من ربه ، وحرصه على إيصـال هذا الابلاغ في اسرع وقت ، كما قال تعالى : ﴿ليعلم ان قد ابلغوا رسـالات ربـهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا﴾ [٤] .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية ، وبيان معناها : (قال قتادة ليعلم نبـي الله أن الرسل ، قد بلغت عن الله ، وان الملائكة حفظتها ورفعتها عند الله ، وقيل ليعلـم الناس أن الرسل ، قد بلغوا رسالات ربهم ، وقال ابـن الجـوزي المعنـى ، ان الله يحفظ رسله بملائكته حتى يتمكنوا من تبليغ رسالات الله ، ويحفظ ما ينزل اليهم مـن الوحي ليعلم أن بلغوا رسالات ربهم ، وذلك كقوله تعالى : ﴿وما جعلنا القبلـة التـي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾) [٥] [٦] .

---

(١) الحديث سبق تخريجه ، أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق (٣٣١٧) .

(٢) انظر فتح الباري ٤١١/٦ ، وانظر عمدة القاري ١٩٨/١٥ .

(٣) عمدة القاري ١٩٨/١٥ .

(٤) سورة نوح الآية ٢٨ .

(٥) سورة البقرة الآية ١٤٣ .

(٦) انظر تفسير ابن كثير ٤٣٤/٤ .

ومن الأحاديث التي ذكرها البخاري ، وتدل على حرص النبيﷺ على تبليغ ما أنزل إليه والمجاهدة في ذلك ، والصبر وقوة التحمل في سبيل هذا الأمر ، ما رواه عروة عن عائشة رضي الله عنها ، ((أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حدثته أنها قالت للنبي ﷺ : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال : لقد لقيت من قومك ما لقيت : وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أرت ، فانطلقت ، وأنا مهموم ، على وجهي ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي ، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال : يا محمد ، فقال : ذلك فيما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ، فقال النبيﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا)) (١) .

يقول الشيخ محمد العثيمين ، حفظه الله : (فهذا الحديث يبين أن الرسولﷺ حصل له أشد ما حصل يوم أحد ويبين هذا الحديث صبر النبيﷺ على الأذى وهو أشد ما يكون من الأذى لكنه صابر ، ومبلغ لما أنزل الله وحريص على ذلك ، أشد الحرص كما يدل عليه الحديث .. والشاهد أن الرسول كان يؤذي أشد الأذى ، ومع ذلك يعفو أو يصفح ، ويتأنى ويترجى فبلغه الله ، ولله الحمد مراده وحصل له النصر المبين ، وهكذا ينبغي للانسان الصبر على الأذى ، والحرص على الدعوة والقيام بأمر الله) (٢) .

فهذا الحديث يبين حرص النبي تبليغ ما أنزل إليه من ربه حتى أنه خرج إلى الطائف لما رأى من قوة الاعراض والصد عن دين الله فقال أيه الناس من يجيرني

---

(١) أخرجه البخاري ح (٣٢٣١) في كتاب بدء الخلق (٧٣٨٩) وأخرجه مسلم (١٧٩٥) .

(٢) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٣١٨/٦ ـ ٣١٩ .

حتى ابلغ امر الله ورسالاته ، وكان هذا مشهورا من سيرته ، ثـــم لمـــا رده أهـــل الطائف وخرج من عندهم مهموما حزينا ، ان لم يجد مناصر ولا معين على تبليـــغ هذا الأمر ، لم ييأس بل راجأ أن يخرج الله من أصلاب هؤلاء الكفار ، من يعبـد الله واستمر على دعوته ، وعلى تبليغ ما أنزل إليه حتى ، وفى وقام بالأمر على أكمـــل قيام وحصل له النصر والفتح ، وكمل الدين به ، قال تعالى : ﴿إذا جـــاء نصـــر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في ديـــن الله أفواجا فســبح بحمد ربـــك واستغفره أنه كان توابا﴾ (١) ، وقـــال تعالى : ﴿اليـــوم أكملت لكـــم دينكم واتممت عليكم نعمتـــي ورضيت لكم الإسلام دينـــا﴾ (٢) .

ولم يمت النبي ﷺ إلا بعد أن بلغ الرسالة ونصح الأمة وقام بـــأمر الدعـــوة اكمل قيام ولم يكتم من ذلك شيئا ومن أعتقد غير ذلك فهو ضال ضلالا مبينا مكـــذب لله وللرسول ولما اجمع عليه صحابة رسول الله ﷺ .

يقول الدكتور آدم الالوري ، في حديثه عن صفات الرسل : (الصدق : هـــو الاخبار بما يطابق الواقع في دعوى الرسالة ، وفي الأحكام التي يبلغونـــها ، وفـــي الكلام العادي ، ودليل صدقهم ، قوله تعالى : ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ (٣) . والأمانة فـــي ذلك: هي حفظ ما أودعهم الله من الأحكام، حتى يبلغوها كاملة غـــير منقوصـــة ولا مبدلة : ﴿قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي أن أتبع إلا ما يوحى إلـــي﴾ (٤) ، وقوله تعالى : ﴿وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى﴾) (٥) (٦) .

---

(١) سورة النصر .

(٢) سورة المائدة الآية ٣ .

(٣) سورة الحاقة الآية ٤٤ ـــ ٤٧ .

(٤) سورة يونس الآية ١٥ .

(٥) سورة النجم الآية ٣ ـــ ٤ .

(٦) فلسفة النبوة والانبياء في ضوء القرآن والسنة ص ١٤٢ .

ثم قال (ويستحيل على الرسل أضداد هذه الصفات ، وهي الكـذب والخيانـة والكتمان والبلادة وغيرها من صفان النقص) [1] .

أمـا قـوة الحجـة :

فان الله عزوجل ، ما أرسل الرسل ، ولا أنزل الكتـب إلا لاقامـة الحجـة والانذار ، قـال تعالى : ﴿رسـلا مبشـرين ومنذريـن لئـلا يكون للـناس علـى الله حجـة بعد الرسل﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينـا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى﴾ [3] .

وفي يوم القيامة عندما يجمع الله الناس في صعيد واحد ، يأتي الله لكل امـة برسولها يشهد عليها ، أنه بلغها رسالة ربه ، وأقام الحجة وأنذر النذير المبين ، قـال تعالى : ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يـود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوي بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا﴾ [4] .

ويقول ابن كثير : (وقد روى البخاري ، أحاديث تدل على قوة الحجة التـي اعطيها الرسل عليهم السلام ، وفي إستخدام هذه الحجة في الدعوة إلى الله عزوجـل وفي سبيل بيان أمور الدين عامة .

فقد روي البخاري في هذا الكتاب ، حديث كيفية معرفة الكهان للغيب ، وقـد سبق الحديث عنه عند الحديث عن الكهانة ، وهذا الحديث نصه ما يلي : ((عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها ، زوج النبي ﷺ أنها سمعت رسـول الله ﷺ يقول : إن الملائكـة تنـزل في العنـان ــ وهو السحاب ــ فتذكر الأمر قضى في

---

(١) فلسفة النبوة والانبياء في ضوء القرآن والسنة ص ١٤٣ .

(٢) سورة النساء الآية ١٦٥ .

(٣) سورة طه الآية ١٣٤ .

(٤) سورة النساء الآية ٤١ ــ ٤٢ .

السماء ، فتسترق الشياطين السمع ، فتسمعه فتوحيه إلى الكهان ، فيكذبون منها مائة كذبة من عند أنفسهم)) [1] .

وفي رواية ((سأل رسول الله ناس عن الكهان فقال رسول الله ﷺ (ليس بشيء) فقالوا يارسول الله أنهم يحدثوننا أحيانا بشيء فيكون حقا ، فقال رسول الله ﷺ : تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرأها في أذن وليه يخلطون معها مائة كذبة)) [2] .

وفي هذا الحديث بيان قوة حجة النبي ، والرد على من زعم أن الكهان تعلم الغيب أو من أشتبه عليه الأمر ، فنظر في الواقع فرأى ان بعض ما يخبر عنه الكهان يكون حقا فكيف يقول الرسول انهم ليسوا بشيء فاخبر النبي ﷺ أن ما يكون من كلامهم حقا انما هو استراق أسترقوه من السماء حين تبلغ الملائكة أمر الله ويتكلمون به وقد سبق الإشارة إلى ذلك في الباب الأول .

قال الكرماني : (قد بين النبي ﷺ أصابة الكاهن في بعض الأحيان ، وذلك لأنه من جهة استراق السمع ، فأزال النبي بهذا الكلام الشبه التي وردت على ذهن السامع وأزال الاشكال) [3] .

وهذه هي مهمة الرسل عليهم السلام ، فانهم بقوة حجتهم يزيلون هذه الاشكالات ويوضحون ما التبس على الناس في دينهم ، ولذلك استخدم إبراهيم عليه السلام هذا الاسلوب ، حين دعا قومه إلى عبادة الله وحده ، فانه لما كسر الاصنام، وجعل المعول في يد كبيرهم ، الذي كان عندهم اكبر الآلهة ، فلما جاء قومه يسألونه عن ذلك قال لهم : ﴿بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون﴾ [4] .

---

(١) اخرجه البخاري ح (٣٢١٠) في كتاب بدء الخلق(٨٢٨٨) (٥٧٦٢) (٦٢١٣) (٧٥٦١) ومسلم (٢٢٢٨).

(٢) اخرجه البخاري ح (٥٧٦٢) .

(٣) انظر الكواكب الدراري للكرماني ٦١/٢٢ .

(٤) سورة الانبياء الآية ٦٣ .

قال ابن كثير : (يعني الذي تركه لم يكسره ﴿فاسألوهم أن كانوا ينطقـون﴾ [1] وإنما أراد بهذا ان يبادروا من تلقاء أنفسهم ، فيعترفوا أنهم لا ينطقون ، وأن هــذا لا يصدر عن هذا الصـــنم ، لأنـــه جماد ، قال قتادة : (في قوله :﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾ [2] أدركت القوم جبرة سوء فقالوا : ﴿لقد علمت ما هــؤلاء ينطقــون﴾ [3] قال إبراهيم : ﴿افتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكـــم ولمـــا تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾ [4] ، أي إذا كانت لا تنطق ، وهـــي لا تنفـــع ولا تضر فلم تعبدونها من دون الله ، أي افلا تدبرون ما أنتم فيه من الضـــلال والكفـــر الغيظ الذي لا يروح إلا على جاهل ظالم فاجر فاقام عليهم الحجة والزمهم بها ولـــهذا قال تعالى : ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾) [5] [6] .

فهذه الفطنة والذكاء ، يحاول إبراهيم دعوة قومه إلـــى الإيمـــان ، والزمـــهم بتحديهم على قولهم ، وبين لهم عدم قطع أو مفسره هذه الأصنام ، وأنها لـــو كـــانت تجلب خير أو تدفع ضرا ، لدافعت عن انفسها ، ولما أصابها هذا الدمار .

وقد أيد الله أنبياءه بقوة الحجة ، وبمثل هذه الحجج التي كانت تزيل كثير مـــن اللبس ، وتقوي الايمان وتدحر العدو ، ومصدر هذه القوة هي العلم بالله والإيمان بـــه ولذلك كان أهل العلم من أتباع الرسل بعدهم ، اكمل الناس حجة وبحسب علمهم ومـــا ورثه من الأنبياء تكون قوة حجتهم ، ما كان من حاجة إبراهيم عليه السلام للنمـــرود حين ادعي انه يحيي ويميت ، فقال إبراهيم :﴿فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [7] .

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٦٣ .

(٢) سورة الانبياء الآية ٦٥ .

(٣) سورة الانبياء الآية ٦٥ .

(٤) سورة الأنبياء الآيات ٦٦ ــ ٦٧ .

(٥) سورة الانعام الآية ٨٣ .

(٦) تفسير ابن كثير ١٧٩/٣ .

(٧) سورة البقرة الآية ٢٥٨ .

قال ابن كثير في تعليقه على هذه الآية : (ولهذا قال له إبراهيم لما ادعى المكابرة ﴿فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتي بها من المغرب فبهت﴾ [1] أي إذا كنت كما تدعي أنك تحيي وتميت فالذي يحيي ويميت فانه يعني ، أنه يتصرف في هذا الوجود في خلق ذراته ، وتسخير كواكبه وحركاته ، فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق ، فأن كنت إلها فأت بها من المغرب ؟ فلما علم عجزه وانقطاعه ، وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام ، بهت وأخرس فلا يتكلم وقامت عليه الحجة﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [2] أي لا يلهمهم حجة ولا برهانا بل حجتهم داحضة عند ربهم) [3] .

ومن الأدلة التي ذكرها البخاري ، ويستنبط منها قوة حجة الانبياء ، حديث النبي ﷺ في الوسوسة ، وعدم التمادي فيها ، فانها مهلكة للانسان إذا تمادى فيها، وافسح للشيطان العنان يعمل ما يشاء ، ويوسوس كما يريد ، ولذلك أرشد النبي إلى الانتهاء والتعوذ بالله من الشيطان الرحيم ، وقال في الحديث فيما رواه البخاري : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : ((يأتي الشيطان أحدكم، فيقول من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول من خلق ربك ؟ فإذا بلغه ، فليتعذ بالله ولبنته)) [4] .

فأرشد النبي ﷺ في هذا الحديث إلى بطلان التسلسل ، وأن الشيطان قد يستدرج الانسان من حيث ، لا يدري فانه يأتيه أولا فيقول له من خلقك ثم من خلق كذا من مخلوقات الله ، ثم يتدرج معه فيقول للانسان من خلق الله ، فارشد النبي هنا بقوة حجته وخطته ان هذه طريقة باطلة ، وغير عقلية وإنما هي من قبيل الوسوسة التي يحدثها الشيطان .

---

(1) سورة البقرة الآية ٢٥٨ .

(2) سورة البقرة الآية ٢٥٨ .

(3) تفسير ابن كثير ٢٩٦/١ .

(4) اخرجه البخاري ح (٣٢٧٦) ، ومسلم (١٣٤) ورواه مسلم عن انس (١٣٥) بروايات كثيرة .

قال النووي : (معناه الاعراض عن هذه المخاطر العارضة ، والالتجاء إلى الله، قال المازري رحمه الله : ظاهر الحديث أنهﷺ أمرهم ، أن يدفعوا الخواطر بالاعراض عنها ، والرد لها من غير استدلال ، ولا تنظر في إبطالها والذي يقال في هذا المعنى ، أن الخاطر على قسمين ، فإما التي ليست مستقرة ، ولا اجتلبتها شبة طرأت فهي التي تدفع بالاعراض عنها ، وعلى هذا يحمل الحديث ، وعلى مثالها ينطلق اسم الوسوسة ، فكأنه لما كان أمرا طارئا ، بغير أصل دفع بغير نظر في دليل اذ لا أصل له ينظر فيه ، وأما الخواطر المستقرة التي أوجبتها الشبه ، فانها لا تندفع الا بالاستدلال والنظر في أبطالها والله أعلم) [1] .

وقال ابن حجر : (أي عن الاسترسال معه في ذلك ، بل يلجأ إلى الله في دفعه ، ويعلم أنه يريد إفساد دينه وعقله بهذه الوسوسة ، فينبغي أن يجتهد في دفعها بالاشتغال بغيرها ، قال الخطابي : وجه هذا الحديث أن الشيطان إذا وسوس بذلك فاستعاذ الشخص بالله منه ، وكف عن مطاولته في ذلك اندفع ، قال : وهذا بخلاف ما لو تعرض أحد من البشر ، بذلك فإنه يمكن قطعه بالحجة والبرهان ، قال : والفرق بينهما أن الآدمي يقع منه الكلام بالسؤال والجواب والحال معه محصور ، فإذا راعى الطريقة وأصاب الحجة انقطع ، وأما الشيطان فليس لوسوسته انتهاء ، بل كلما ألزم حجة زاغ إلى غيرها ، إلى أن يفضى بالمرء إلى الحيرة ، نعوذ بالله من ذلك ، قال الخطابي : على أن قوله من خلق ربك كلام متهافت ، ينقض آخره أوله لأن الخالق يستحيل أن يكون مخلوقا ، ثم لو كان السؤال متجها ، لاستلزم التسلسل وهو محال ، وقد أثبت العقل أن المحدثات مفتقرة إلى محدث ، فلو كان هو مفتقرا إلى محدث لكان من المحدثات ، انتهى) [2] .

---

(١) شرح مسلم للنووي ١٥٥/٢ .

(٢) فتح الباري لابن حجر ٣٩٣/٦ .

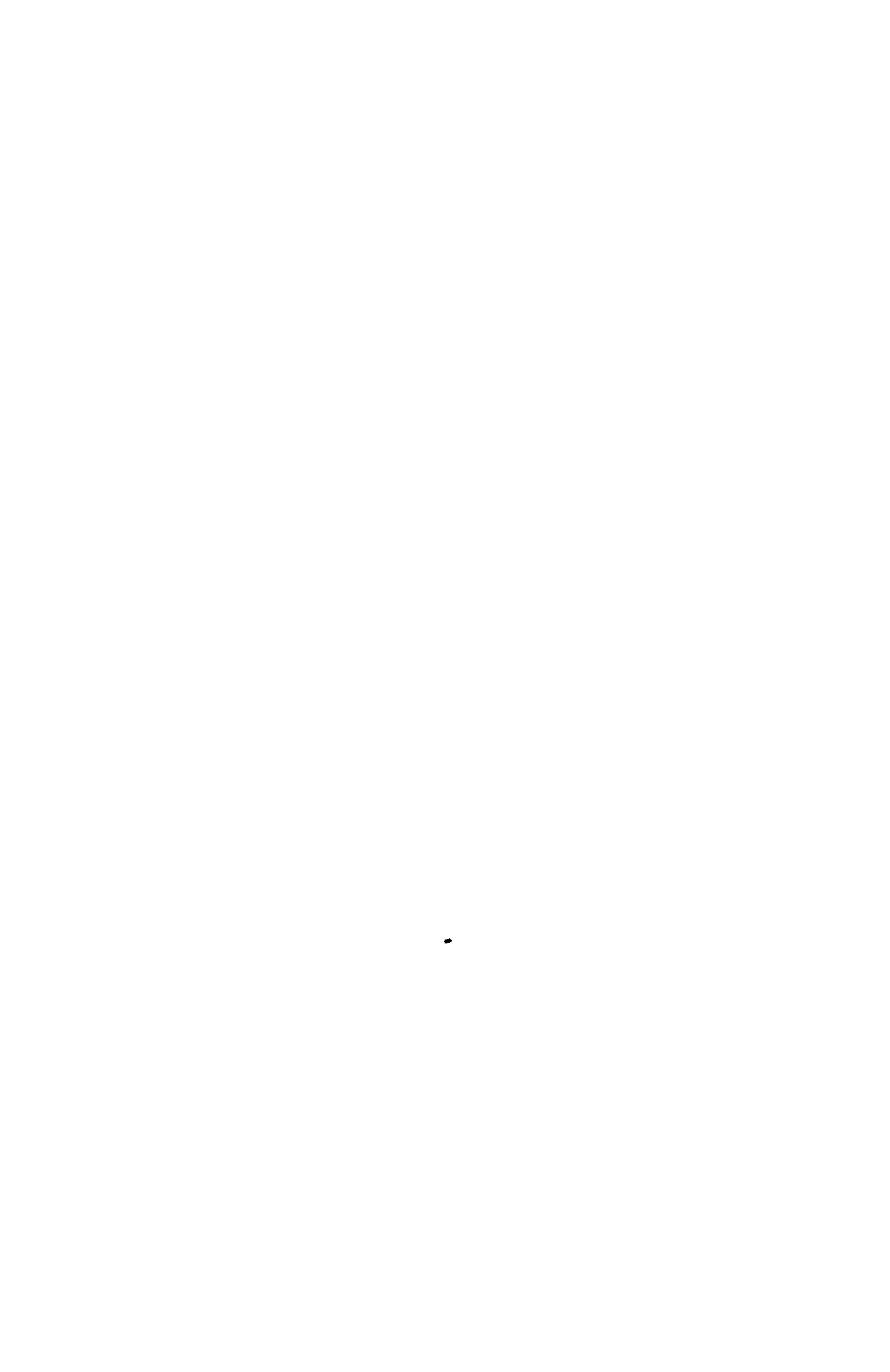
ثم قال : (والذي نحا إليه من التفرقة بين وسوسة الشيطان ، ومخاطبة البشر فيه نظر ، لأنه ثبت في مسلم من طريق هشام ابن عروة ، عن أبيه في هذا الحديث «لا يزال الناس يساءلون ، حتى يقال هذا خلق الله الخلق ، فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئا ، فليقل آمنت بالله» فسوى في الكف عن الخوض في ذلك بين كل سائل عن ذلك من بشر وغيره ، وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة ، قال : سألني عنها اثنان ، وكان السؤال عن ذلك لما كان واهيا ، لم يستحق جوابا ، أو الكف عن ذلك نظير الأمر بالكف عن الخوض في الصفات والذات ، قال المازري : الخواطر على قسمين : فالتي لا تستقر ولا يجليها شبهة ، هي التي تندفع بالإعراض عنها ، وعلى هذا ينزل الحديث ، وعلى مثلها ينطلق اسم وسوسة ، وأما الخواطر المستقرة الناشئة عن الشبهة فهي التي لا تندفع إلا بالنظر والاستدلال ، وقال الطيبي : إنما أمر بالاستعاذة والاشتغال بأمر آخر ولم يأمر بالتأمل والاحتجاج لأن العلم باستغناء الله جل وعلا عن الموجد أمر ضروري لا يقبل المناظرة ، ولأن الاسترسال في الفكرة في ذلك لا يزيد المرء إلا حيرة ، ومن هذا حاله فلا علاج له إلا الملجأ إلى الله تعالى والاعتصام به) [1] .

وأخبر النبي ﷺ فيما رواه مسلم قبل هذا الحديث أن النبي ﷺ سئل عن الوسوسة «فاخبر انها محض الايمان» [2] .

قال النووي : (من فقه الامام مسلم رحمه الله تعالى ، أنه قدم هذه الرواية على رواية (من خلق كذا) ليبين أن هذه الوسوسة هي صريح الايمان ، وقيل معناه أن الشيطان يوسوس لمن أبليس من أغواه ، فيتكرر عليه بالوسوسة لعجزه عن اغواه) [3].

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٦/٣٩٢ ــ ٣٩٣ .
(٢) اخرجه مسلم م (١٣٣) .
(٣) شرح مسلم للنووي ٢/١٥٤ .



ثم قال النووي : (ومعنى صريح الايمان فان استعظامكم هذا ، وشدة الخوف منه ومن النطق به فضلا عن اعتقاده ، انما يكون لمن استكمل الايمان ، استكمالا محققا وانتفت عنه الريبة والشكوك) [1] .

ومن الأحاديث التي قد يستنبط منها ، قوة الحجة لدى الرسل عليهم الصلاة والسلام ، حديث ابي هريرة عن النبي ﷺ قال : ((فقدت أمة من بني إسرائيل لا يدرى ما فعلت ، وأني لأراها الفأر ، إذا وضع لها ألبان الأبل لم تشرب ، وإذا وضع لها ألبان الشاء شربت ، فحدثت كعب الاحبار ، فقال : انت سمعت النبي ﷺ بقوله ؟ قلت : نعم فقال لي مرارا فقلت أفأقرأ التوراة ؟)) [2] .

وفي رواية مسلم قال ((الفارة مسخ ، وايه ذلك انه يوضع بين يديها لبن الغنم فتشربه ، ويوضع بين يديها لبن الأبل ، فلا تذوقه)) [3] .

قال النووي : (هذا دليل على أن الذي مسخت هي الفار ، لأن بني إسرائيل لم يكونوا يشربون البان الأبل ، والفار ايضا لا يشربها لانها محمرمة على بني إسرائيل) [4] .

فهذا الحديث دليل على قوة الحجة لدى النبي ﷺ حيث استدل بشيء على شيء ، والظاهر ان ذلك اجتهاد منه ﷺ في استنباط ذلك ، حيث انه ورد في حديث آخر كما قال ابن حجر ، عن ابن مسعود أن النبي قال (لم يجعل الله المسخ نسلا ولا عقبا ، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك) وعلى هذا يحمل قوله لا اراها الا الفار (كانه كان يظن ذلك ، ثم اخبر انها ليست هي ، وجزم ابن حجر بذلك وصحح هذا الحديث) [5] .

---

(١) شرح مسلم للنووي ١٥٤/٢ .

(٢) اخرجه البخاري (٣٣٠٥) واخرجه مسلم في الفاروانه مسخ ح (٢٩٩٧) .

(٣) اخرجه مسلم ح (٢٩٩٧) .

(٤) انظر النووي ١٢٤/١٨ ، وعمدة القاري ١٩٣/١٠ .

(٥) انظر فتح الباري ٤٠٧/٦ .

والظاهر ان النبي ﷺ استنبط من القرآن ، لما كان يعلم ان بني إسرائيل حرموا على انفسهم لحوم الأبل ، والبانها كما روى الترمذي وأخبر ان الله مسخ أمة من بني إسرائيل ، فطن انها الفار ثم أخبر بعد ذلك ، ان الله لم يجعل لمسخ نسلا ولا عقبا) [1] .

هذا ما أمكن استنباطه من هذه الأحاديث ، وهي مسألة أجتهاد فقد يستنبط آخر من غير ما ذكر من الأحاديث شيئا ، الزم منها وأقوى في الدلالة ، وهذه الصفات للرسل واجبة عقلا ، كذلك فأن الرسل لابد أن يبلغوا ما أنزل الله الا لبطل في العقل ، الثقة بما وصل الينا منهم ، وهذا اكثر وكذلك لابد من قوة الحجج معهم، حتى يتمكنوا من مقاومة الامم والشعوب والافراد ، التي سوف تقاوم هذا الدين الجديد كما هي سنة الله والله عزوجل ، ما أرسل الرسل وانزل الكتب الا لقيام الحجة على الناس ، فلو لم تكن هذه الحجة قائمة ، وامكن مقاومتها ودحضها فهو خلاف حكمة الله ، وتبديل لارادته وابطال لحكمته ، كما أخبر عن نفسه بذلك ﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ [2] .

يقول الدكتور آدم عبدالله الالوري : (يجب في صفات الرسل الفطانة ، وهي الذكاء ورجاحة العقل ، ويشهد لفطانة الرسل آيات كثيرة ، منها قوله تعالى:﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ [3] ومنها قوله تعالى : ﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا﴾ [4] والجدل لا يكون إلا مع كمال العقل ، وقوة الحجة) [5] .

---

(١) انظر فتح الباري ٤٠٧/٦ .

(٢) سورة النساء الآية ١٦٥ .

(٣) سورة النحل الآية ١٢٥ .

(٤) سورة هود الآية ٣٢ .

(٥) فلسفة النبوة والانبياء في ضوء القرآن والسنة لآدم الالوري ص ١٤٣ .

المبحث الرابع
بعض معجزات الأنبياء

سبق الحديث على تعريف المعجزات ، والمراد بها في التمهيد لهذا الفصل وقد ذكر البخاري بعض معجزات الانبياء ، عليهم الصلاة والسلام .

فمن هذه المعجزات ما كان يخبر عنه النبي ﷺ على الأمور التي حدثت في الماضي ، فكان خبره خبر صدق وقع كل ما أخبر به ﷺ وجاء صدقه ، بذلك فقد روي البخاري في كتاب بدء الخلق ، عن النبيﷺ عن الله عزوجل ، انه قال ((ان رحمتي سبقت غضبي)) [1] فهذا خبر حقيقي وهو خبر غيبي يخبر أن رحمة الله سبقت غضبه ، وهذا هو الشاهد في هذا الكون من رحمة الله ، بأرسال الرسل وانزال الكتب ومضاعفة الأجر ، وغير ذلك مما يؤكد صدق هذا الخبر الذي أخبر عنهﷺ .

وكذلك يأتي أخباره عن اشياء غيبية ، حدثت له مثل ما أخبر عنه في الاسراء والمعراج ، ومثل رؤية الملائكة ورؤية الانبياء ، وما أخبر به عن الاسم السابق مثل اخباره عن النبي الذي قرصته النملة ، وسبق الحديث عليه فيجب في جميع هذه الأمور تصديقه والايمان ، بما يخبر لانه ركن الايمان ، وهذا هو الايمان بالغيب الذي يمدح به عباده ﴿ويؤمنون بالغيب﴾ [2] .

ومن ذلك الأخبار عن بعض الأمور المستقبلية ، والتي هي دالة على أنه رسول من رب العالمين مثل أخباره عن اطوار الجنينّ ، وأنه يجلس في بطن امه أربعين يوما نطفة ثم اربعين يوما مضغة ، ثم أربعين يوما علقه ، ثم تنفخ فيه الروح ونص الحديث ، ما يلي : ((قال عبدالله بن مسعود : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال : إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ، ثم

---

(١) اخرجه البخاري (٣١٩٤) في كتاب بدء الخلق (٧٤٠٤) (٧٤٢٢) (٧٤٥٣) (٧٤٥٤) واخرجه مسلم ح (٢٧٥١) .

(٢) سورة البقرة الآية ٤ .

يكون علقه مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكا يؤمـــر بـــأربع كلمات ويقال له : أكتب عمله ورزقه وشقي أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الـــروح ، فـــإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع ، فيسبق عليه كتابه يعمـل بعمل أهل النار ، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النـــار إلا ذراع ، فيســبق عليـــه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة» [1] .

ففي هذا الحديث أخبار بأمر غيبي لم يعرف إلا في هذا العصر ، وقد ســـبق الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن خلق الإنسان .

ومنها أخباره عن المسيح الدجال ، وصفاته وأمتناعه من دخول مكة والمدينـة لان الملائكة تحرسها) [2] .

وقد تواتر هذا الخبر عن النبي ﷺ مما يجعل الانسان موقنا ، عين اليقيـن أن ذلك حاصل لا محالة .

ومنها الحديث الذي رواه رافع بن خديج قال سمعت النبيﷺ ، يقول «الحمى من فور جهنم ، فأبردوها عنكم بالماء» [3] فانه دواء طبي ناجح (ويعتبر أهـــم دواء طبي اكتشفتها علوم الطب العصرية بعد ١٥ قرنا من الزمان ، مما يؤكـــد صـــدق النبوة وأن هذا الطب وحي إلهي من قبل الله عزوجل) [4] .

فهذه من دلائل نبوته ، وصدقه وأخبار الله له بذلك ، والا كيف يخبر بشـــيء لا يعرفه العرب ، ولا العجم ولم يعرفه أحد إلا في هذا العصّر بعد تطـــور العلـــم، واكتشاف الأجهزة الحديثة .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) اخرجه البخاري ح (٣٢٣٩) في كتاب بدء الخلق (٣٣٩٦) واخرجه مسلم ح (١٦٥) .

(٣) اخرجه البخاري (٣٢٦٢) في كتاب بدء الخلق (٥٧٢٦) وعن عائشة (٣٢٦٣) وعن ابن عمر (٣٢٦٤).

(٤) بهجة الناظرين لسليم الهلالي ٣١٧/٣ .

ومن هذه المعجزات كذلك ، ما حدث حين الاسراء والمعراج حيث أسرى به إلى بيت المقدس ثم عرج به إلى السماء في ليلة واحدة ، ثم رجع [1] فاخبر كفار قريش ، ونعت لهم المسجد الاقصى ، وأخبرهم بعير لهم قادمة وقد سبق الحديث عن هذا عند الحديث على الاسراء والمعراج ، وفيه معجزة كبيرة وآية عظيمة ، قال تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا أنه هو السميع العليم﴾ [2] ، وفي بعض روايات الحديث (فشق الصدر إلى موضع البطن ثم غسل القلب وأفرغ فيه طست مملؤ ايمان وحكمة ثم خيط بد ذلك) [3] .

يقول القسطلاني في تعليقه على حادثة الاسراء والمعراج ، وما حدث فيها من المعجزات والخوارق : (وقد وقع في ذلك من الخوارق ، ما يدهش السامع فسبيلنا الإيمان به والتسليم من غير ، أن تتكلف إلى التوفق بين هذا المنقول والمعقول للتبرئ مما يتوهم أنه محال) [4] .

وقد أثبت العلم الحديث حدوث مثل هذا ، وتقريبه مثل اختراع الطيران والصواريخ ، واكتشاف الأجهزة الحديثة للطب والتنفس الصناعي ، والقلوب الصناعية مما اصبح اليوم من المسلمات وهو قبل ١٠٠ سنة من التسهيلات .

ومن معجزات الأنبياء كذلك رؤية الملائكة وتكليمهم وإنزال الوحي ، وهو القرآن الذي هو أكبر معجزة تحدي الله بها البشرية إلى قيام الساعة ، وسبق الحديث على هذه الأمور مستوفاة في حفظ الوحي ، وانواعه فلا حاجة إلى التكرار .

---

(١) اخرجه البخاري (٣٢٠٧) (٣٢٩٣) في كتاب بدء الخلق (٣٤٣٠) (٣٨٨٧) واخرجه مسلم (١٦٢) .

(٢) سورة الاسراء الآية ١ .

(٣) رواية في الحديث .

(٤) أراد الساري للقسطاني ٣٥٦/٨ .

ومن المعجزات كذلك ، والتي ذكرت في هذا الكتاب ، حديث النبيﷺ عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله ﷺ «أقتلوا ذا الطفيتين فانه يطمس البصر ويصيب الحمل» [١] ، وهذا الحديث من دلائل نبوته ﷺ فانه أخبر أن هذا النوع من الحيات يجب قتله ، وانه يسقط الحمل ، ويذهب البصر ، فانه فيه معجزة وقد ذكر بعض علماء العصر الحديث ، أن في هذا النوع من الحيات القدرة على إصابة العين بالسم بالقذ ، من يريد وقد رأينا فيلما وثائقيا عن قدرته هذه، وعلى قذف السم من بعد [٢] ، وهذا لا يعرفه إلا من إجرى التجارب الكثيرة ، على مثل هذه الحيوانات ، أو عنده وحي من الله عزوجل وهذا الذي أوتيﷺ وحي من الله تصل إليه البشرية بعد خمسة عشر قرنا ، ويأتي من الدهشة والحيرة ، ولا يمكن المنصف امام هذه الاشياء إلا الايمان بأن الرسول حق ، وأنه يأتيه الوحي من قبل الله عزوجل ولذلك نرى كثير من علماء هذا العصر ، ممن يحصل لهم التعرف على مثل هذه المعجزات ، فيخبر أن الرسول تحدث بها أو قالها لا يملك إلا الايمان، والتصديق بانه رسول وقد كان قبل ذلك كافر معرضا عن دين الله عزوجل .

هذه بعض المعجزات ، وبشيء من الاختصار حتى لا يطول هذا المبحث والحمد لله رب العالمين .

---

(١) الحديث اخرجه البخاري (٣٣٠٨) (٣٣٠٩) ، واخرجه مسلم (٢٢٣٢) .

(٢) حصل ذلك في معرض الحيوانات السامة المقام بمدارس التربية النموذجية في الرياض سنة ١٤١٩هـ.

الباب الثالث

السمعيات

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : الملائكة .

الفصل الثاني : الجن .

الفصل الثالث : اليوم الآخر .

الفصل الأول
الملائكـــــة

وفيه مقدمـــة وثلاثـــة مباحـث :

المبحـث الأول : أصـــل خلقهـــم .

المبحث الثاني : قدراتهـم وصفاتهـم .

المبحث الثالث : وظائفهـم وأعمالهــم .

الفصـــــل الأول
الملائكـــــة

المقدمـــــــــــة :

ورد ذكر الملائكة في أكثر آيات القرآن الحكيم ، وكثير من الأحاديث النبويـة الشريفة ، والإيمان بهم متفق به أكثر أهل الملل والمؤمنيـن بـالنبوات ، والإيمـان بالملائكة هو التصديق الجازم ، بأن لله ملائكة موجودون مخلوقون من نور ، وأنـهم كما وصفهم الله عباد مكرمون ، يسبحون الليـل والنـهار لا يفـترون ، وأنـهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وأنهم قائمون بوظائفهم التي كلفـهم الله بها ، ويجب الإيمان على التفصيل بمـن ورد باسـمه المخصـوص ، كجـبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، ومالك ، والكرام الكاتبون ، ومنكر ومكير ، ويجب الإيمـان بمن لم يرد تعينه باسمه المخصوص ، كالملائكة الذين يدخلون البيت المعمور ، كـل يوم وغيرهم .

قال الإمام محمد بن نصر المروزي رحمه الله : (وتؤمن بمن سمي لك منـهم في كتابه ، وتؤمن بأن لله ملائكته سواهم ، لا يعرف أسماءهم وعددهـم إلا الـذي خلقهم [١] ، ولقد أكد الله عزوجل ، ورسوله على هذه العقيدة وجعلوها مـن أركـان الإيمان .

قال تعالى : ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنين كل آمـن بـالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير﴾ [٢] .

---

(١) مقتبس من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ، انظر الفتاوى ٣١٢/٧ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٨٥ .

وفي حديث جبريل المشهور في تعليم الدين ((ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)) [(١)] .

المعنى اللغوي للملائكة :

الملائكة جمع ملك ــ بفتح اللام ــ قيل مخفف من مالك ، وقيل مشتق من الألوكة ، وهي الرسالة ، وهذا قول سيبويه والجمهور ، وأصله لاك .

وقيل أصله الملك ــ بفتح الميم وسكون اللام ، وهو الأخذ بقوة ، وأصل وزنه (مفعل) فتركت الهمزة ، لكثرة الاستعمال وظهرت في الجمع [(٢)] .

وواحد الملائكة ملك ، وربما همز فقيل ملأك .. واشتقاق ذلك من المألكة وهي الرسالة ، والجمع مآلك ، قال الشاعر :

أبلغ النعمان عني مألكاً أنه قد طال حبسي وأنتظاري [(٣)]

(الملأك والملأكة : الرسالة ، وألكني إلى فلان : أبلغه عني ، أصله : ألئكني حذفت الهمزة ، وألقيت حركتها على ما قبلها ، والملأك : الملك لأنه يبلغ عن الله تعالى) [(٤)] .

وتحدث الحافظ في الفتح عن هذا التعريف اللغوي ، فقال : (جمع ملك بفتح اللام ، فقيل مخفف من مالك ، وقيل مشتق من الألوكة ، وهي الرسالة وهذا قول سيبويه والجمهور ، وأصله لاك ، وقيل أصله الملك بفتح ثم سكون ، وهو الأخذ بقوة وحينئذ لا مدخل للميم فيه ، وأصل وزنه مفعل فتركت الهمزة ، لكثرة الاستعمال وظهرت في الجمع ، وزيدت الهاء إما للمبالغة وإما لتأنيث الجمع ، وجمع على القلب وإلا لقيل مالكه ، وعن أبي عبيده الميم في الملك أصلية وزنه فعل،

---

(١) رواه الإمام مسلم (٨) وجمع أهل السنة ما عداء البخاري ، انظر جامع العلوم والحكمة لابن رجب ٩٤/١.

(٢) لسان العرب مادة لاك ٤٩٦/١٠ ، والقاموس المحيط ص ١٢٣٢ .

(٣) لسان العرب مادة (لاك) ٤٨١/١٠ .

(٤) جمهرة اللغة ٩٨١/٣ ، القاموس المحيط مادة لاك ص ١٢٢٩ .

كأسد هو من الملك بالفتح وسكون اللازم وهو الأخذ بقوة ، وعلى هذا فوزن ملائكة فعائلة ، ويؤيده أنه جوزوا في جمعه أملاك ، وأفعال لا يكون جمعاً لما في أوله ميم زائدة) [١] .

وفي معنى قوله : ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً﴾ [٢] .

يقول ابن كثير : (أي رسلاً بينه وبين أنبيائه) [٣] وهذا يبين الارتباط بين المعنى اللغوي ، والمعنى الشرعي للملائكة كما سوف يظهر .

تعريف الملائكة في الاصطلاح :

أن تعريف الملائكة في الاصطلاح مختلف فيه ، فيعرفهم الحافظ ابن حجر ، بقوله : (قال جمهور أهل الكلام من المسلمين : الملائكة أجسام لطيفة ، أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة ومسكنها السموات ، وأبطل من قال إنها الكواكب ، أو أنها الأنفس الخيرة التي فارقت أجسادها وغير ذلك ، من الأقوال التي لا يوجد في الأدلة السمعية شيء منها) [٤] ، وهذا بناء على ما فهمه هؤلاء العلماء من النصوص .

وقال الجرجاني في تعريف الملائكة :(الملك جسم لطيف نوراني يتشكل بأشكال مختلفة) [٥] ، وعرفها الرازي بنفس هذا التعريف تقريباً ، فقال : (هي أجسام لطيفة ، قادرة على التشكل بأشكال مختلفة) [٦] .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر ، تعريف آخر للمتكلمين ، فقال : (الملائكة قال المتكلمون هي أجسام علوية لطيفة ، تتشكل بأي شكل ارادوا ، وزعم بعض الفلاسفة أنها جواهر روحانية) [٧] .

---

(١) فتح الباري ٣٥٣/٦ .

(٢) سورة فاطر الآية ١ .

(٣) تفسير ابن كثير ٥٢٤/٣ .

(٤) فتح الباري ٣٥٣/٦ .

(٥) التعريفات للجرجاني ص ٢٩٦ .

(٦) محصل اذكار المتقدمين والمتأخرين ص ٢٠٢ .

(٧) فتح الباري ٢٩/١ .

وقال العنيني في تعريفهم : (الملائكة أجسام لطيفة ، تقدر على التشكل بأشكال مختلفة مساكنها السماوات ، ويقال جوهر بسيط ذو نطق ، وعقل مقدس عن ظلمة الشهوة ، وكدورة الغضب ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ [1] طعامهم التسبيح ، وشرابهم التقديس ، وأنفسهم بذكر الله خلقوا على صور مختلفة ، وأقدار متفاوتة لاصلاح مصنوعاته ، وأسكان سماواته) [2] ، وهذا تعريف جيد في نظري .

ويعرفها الشيخ محمد العثيمين ، بقوله : (الملائكة عالم غيبي ، مخلوقون لله العلي، ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء ، خلقهم الله تعالى من نور ومنحهم الانقياد التام لامره ، والقدرة على تنفيذه ، قال تعالى : ﴿ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾) [3] [4].

ولعل هذا التعريف الأخير هو الأقرب إلى الحقيقة ، لأن المسألة غيبية ، ولا يمكن الجزم فيها برأي قاطع والاقتصار على الوارد ، هو الاسلم ، وما عداه يمكن الاعتراض عليه .

---

(١) سورة التحريم الآية ٦ .

(٢) عمدة القاري ١٥ /١٢٣ .

(٣) سورة الأنبياء الايتان ١٩ ـ ٢٠ .

(٤) انظر عقيدة أهل السنة والجماعة لابن عثيمين ص ٢٠ .

المبحث الأول
أصـــل خلق الملائكة وأسمائهم

روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها ، قـــالت : قـال رســول الله ﷺ : ((خلقت الملائكـــة من نـــور ، وخلق الجان من مارج من نـــار ، وخلـــق آدم ممـــا وصف لكم)) [1] .

وقـــال ابن حزم : (أن هذا النور خير كلـــه ، ولذلــك هــم لا يعصـــون الله عزوجل والملائكة بريئون من المعاصي لأنهم خلقوا من نور محض ، لا شوب فيـــه والنور خير كله ، لا كدر فيه حدثنا عبدالله بن يوسف ، حدثنا احمد بن فتـــح حدثنـــا عبدالوهاب بن عيسى ، حدثنا احمد بن محمد بن علي ، حدثنا مسلم بن الحجاج عـــن عبد بن حميد عن عبدالرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قـــالت : قال رسول الله ﷺ خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار ، وخلـــق آدم مما وصف لكم) [2].

فالملائكة خلق من خلق الله عزوجل ، ليسوا بنات الله ، ومن أدعى ذلك فقـــد كفر لأنه مكذب للقرآن ، قال تعالى : ﴿وقالوا اتخذ الله ولد سبحانه بل عباد مكرمـون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾ [3] ، ﴿وجعلوا الملائكة الذي هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم وستكتب شهادتهم ويسئلون﴾ [4] .

---

(١) اخرجه مسلم ح (٢٩٩٦) كتاب الزهد ص ٢٢٩٤ .
(٢) الفصل في الملل والاهواء والنحل لابن حزم ٣/٤ .
(٣) سورة الأنبياء الآيتان ٢٦ ــ ٢٧ .
(٤) سورة الزخرف الآية ١٩ .

وفي حديث عن النبي ﷺ ذكره البخاري في هذا الكتاب ، وقال ﷺ قـــال الله عزوجل ((يشتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني ويكذبني وما ينبعـــي لـــه ، أمـــا شتمه فقوله : أن لي ولداً وأما تكذيبه فقوله : ليس يعيدني كمـــا والمقصـــود بـــالواو يراني)) [١] .

والملائكة خلق كثير ، لا يحصى عددهم إلا الله عزوجل ، وقد ذكر البخـــاري ما يدل على كثرتهم ، وعظيم عددهم .

ففي حديث الأسراء الذي ذكره البخاري في هذا الكتاب جاء فيه : ((فرفع لـــي البيت المعمور ، فسألت جبريل فقال : هذا البيت المعمور ، يصلي فيـــه كـــل يـــوم سبعون الف ملك ، إذا خرجوا لم يعودوا إليه اخر ما عليهم ..)) الحديث [٢] .

وقد ذكر ابن كثير أحاديث في خلق الملائكة ، عند تفســـير قولـــه تعـــالى : ﴿والبيت المعمور﴾ [٣] .

منها حديث ، أن جبريل كل يوم بنغمس في نهر الحياة ، في الجنة ثم يخـــرج فينقط من جبهته سبعون الف قطرة ، فيخلق الله منها سبعون الف ملك ، قال : وقـــد أنكر مثل هذه الأحاديث جماعة من الحفاظ [٤] .

ولم أر من تعرض لهذا الخلق ، رغم رجوعي إلى اكثر كتب الشراح، غـــير ما ذكرت ، والذي نجزم به انهم خلقوا قبل آدم ، لأمر الله لهم بالسجود عند خلقـــه ، قال تعالى : ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين﴾ [٥] .

---

(١) اخرجه البخاري (٣١٩٣) في كتاب بد الخلق (٩٤٧٤) (٤٩٧٥) .

(٢) رواه البخاري (٣٢٠٧) (٣٣٩٣) (٣٤٣٠) (٣٨٨٧) وأخرجه مسلم (١٦٢) .

(٣) سورة الطور الآية ٤ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير ٤/٢٤٠ ــ ٢٤١ .

(٥) سورة البقرة الآية ٣٤ .

وأما عن صفات خلقهم ، فقد ذكر الله عزوجل من صفات خلقهم ، انهم ذو أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، قال تعالى : ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً إلى اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير﴾ [1] .

قال ابن كثير : (قوله تعالى : ﴿جاعل الملائكة رسلاً﴾ [2] أي بينه وبين أنبيائه ، ﴿أولى أجنحة﴾ [3] أي يطيرون بها ، ليبلغوا ما أمروا به سريعاً ، ﴿مثنى وثلاث ورباع﴾ [4] أي منهم من له جناحان ، ومنهم من له ثلاثة ، ومنهم من له أربعة ، ومنهم من له أكثر من ذلك كما جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ ، رأى جبريل عليه السلام ليلة الإسراء ، وله ستمائة جناح بين كل جناحين ، كما بين المشرق والمغرب ، ولهذا قال جل وعلا ﴿يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير﴾ [5] قال السدي يزيد في الأجنحة ، وخلقهم ما يشاء) [6] .

وقد ورد في حديث كتاب بدء الخلق ، رؤية النبي ﷺ جبريل على صورته التي خلق الله ساداً ، عظمة خلقته ما بين المشرق والمغرب له ستمائة جناح عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : ((من زعم أن محمداً رأى ربه ، فقد أعظم الفريه ولكن رأى جبريل في صورته ، وخلقه ساداً ما بين الافق)) [7] .

---

(١) سورة فاطر الآية ١ .
(٢) سورة فاطر الآية ١ .
(٣) سورة فاطر الآية ١ .
(٤) سورة فاكر الآية ١ .
(٥) سورة فاطر الآية ١ .
(٦) تفسير ابن كثير ٥٢٤/٣ .
(٧) اخرجه البخاري (٣٢٣٤) في كتاب بدء الخلق و(٣٢٣٥) (٤٦١٢) (٤٨٥٥))٧٣٨٠) (٧٥٣١) ومسلم (١٧٧) .

وفي حديث ابن مسعود : ((انه رأى جبريل له ستمائة جناح)) [1] .

أما عن اسماء الملائكة فقد روى البخاري في هذا الكتاب ، بعض الأسماء للملائكة سوف نتعرف اليها ، ونذكر اوصافهم وما ورد فيها ، وقد ذكر الله كذلك بعض هذه الأسماء ، وأعظم هؤلاء هو جبريل الذي وصفهم الله بصفات كثيرة ، وقال في حقه ، قال تعالى : ﴿قل من كان عدواً لله وملائكته وكتبه ورسله وجبريل وميكائيل فان الله عدو للكافرين﴾ [2] ، فقد خصه الله بعد عموم الملائكة ، بهذا الشرف .

وقد ذكر الله غيره من الملائكة ، مثل مالك خازن النار الذي ذكره البخاري أيضاً ، في هذا الكتاب ، قال تعالى : ﴿ونادوا يا ملك ليقضي علينا ربك قال انكم ماكثون﴾ [3] .

وقد أورد البخاري عدد من أسماء الملائكة ، في هذا الكتاب منهم :

جبريل : وهو من خير الملائكة ، واقربهم إلى الله عزوجل ، كما سوف يتضح ، قال ابن حجر: (فاما جبريل فقد وصفه الله تعالى ، بانه روح القدس ، وبأنه الروح الأمين وبأنه رسول كريم ذو قوة مكين مطاع أمين ، ومعنى اسمه عبدالله وهو وأن كان سريانياً لكنه وقع فيه ، موافقة من حيث المعنى للغة العرب ، لأن الجبرهو أصلاح ما وهى وجبريل موكل بالوحي الذي يحصل به الصلاح العام ، وقد قيل أنه عربي ومشتق من جبروت الله ، واستبعد للاتفاق على منع صرفه ، وفي اللفظة ثلاث عشر لغة) [4] .

---

(١) اخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق (٣٢٣٢) (٤٨٥٦) (٤٨٥٧) ومسلم ح (١٧٤) .

(٢) سورة البقرة الآية ٩٨ .

(٣) سورة الزخرف الآية ٧٧ .

(٤) فتح الباري ٣٥٤/٦ .

وقد ذكر البخاري جبريل في اكثر احاديث ، هذا الباب (الملائكة) ومنها حديث الاسراء الطويل ، وجاء فيه ((فانطلقت مع جبريل)) [1] .

ومنها حديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : ((إذا أحب الله العبد ، نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحببه ، فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء : إن الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض)) [2] ، وفي هذا مزيه لجبريل وتفضيل له على غيره من الملائكة ، وتشريفه له ، قال ابن عبدالبر : (في هذا الحديث من الفقه والعلم .. وان جبريل هو أقرب الملائكة إلى الله واحضاهم عند) [3] .

وقد سماه النبي ﷺ روح القدس ، كما روي ذلك ابو هريرة ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان : ((اجب عني ، الهم أيده بروح القدس)) [4] .

وفي حديث آخر عن البراء بن عازب ((اهجهم وجبريل معك)) [5] .

وهو الذي رأه النبي ﷺ في صورته ، التي خلق عليها مرتين ، كما سبق بيان ذلك عند الحديث عن رؤية الملائكة .

وكان جبريل كثير ما يزور النبي ، ويشتاق النبي إلى زيارته ، إذا تأخر عنه روي ان عباس : ((قال رسول الله ﷺ لجبريل الا تزورنا اكثر مما تزورنا ؟ قال نزلت قوله تعالى : ﴿وما تتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا﴾))[6] [7].

---

(١) اخرجه البخاري ح (٣٢٠٧) في كتاب بدء الخلق (٣٣٩٣) (٣٤٣٠) (٣٨٨٧) واخرجه مسلم (١٦٢).
(٢) اخرجه البخاري ح (٣٢٠٩) في كتاب بد الخلق وح (٦٠٤٠) و(٧٤٨٥) واخرجه مسلم (٢٦٣٧) ..
(٣) التمهيد لابن عبدالبر ٨٧/٢ .
(٤) اخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق (٣٣١٢) .
(٥) اخرجه البخاري (٣٢١٣) في كتاب بد الخلق (٤١٢٣) (٦١٥٣) واخرجه مسلم (٢٤٨٦) . .
(٦) سورة مريم الآية ٦٤ .
(٧) اخرجه البخاري (٣٢١٨) في كتاب بد الخلق (٤٧٣١) (٧٤٥٥) .

وكان النبي ﷺ يلقى جبريل كل ليلة من رمضان ، ((يدارسه القـــرآن)) [1] ، كما مر ذلك في حفظ الوحي .

وورد اسم مالك خازن النار عن صفوان بن يعليى عـــن ابنـــه أبيـــه قـــال : (سمعت النبي ﷺ يقرأ على المنبر ، (ونادوا يامال) قال سفيان في قراءة عبدالله بـــن مسعود : ((ونـادو مال)) [2] ولعلها من القراءة على الأحرف السبع ، التي مرت معنا) ، وسبق الحديث عليها .

قال ابن حجر في رواية الشميني ، (وناووا يا مالك) [3] ، وورد ذكر مـــالك خازن النار مع غيره ، في حديث محمد بن عبدالله ، قال النبـــيﷺ ((رأيـــت الليلـــة رجلين اتياني فقال : الذي يوقد النار مالك خازن النار ، وأنـــــا جبريـــــل وهـــذا ميكائيل)) [4] .

ميكائيل هذا هو الموكل على النبات ، والقطر كما روي ذلك ابن حجر عنـــد حديثه على بعض أعمال للملائكة [5] .

ومن الملائكة الذين ذكروا في هذا الكتاب **ملك الجبال** ، وقد جاء ذكره فـــي حديث عائشة رضي الله عنها ((أنها قالت للنبيﷺ : هل أتى عليك يوم ، كان أشـــد من يوم أحد ؟ قال : لقد لقيت من قومك ما لقيت : وكان أشد ما لقيـــت منـــهم يـــوم العقبة ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى مـــا أردت ، فانطلقت وأنا مهموم ، على وجهي ، فلم أستفق إلا ، وأنا بقرن الثعالب ، فرفعـــت رأسي ، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريلّ ، فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لـــك وما ردوا عليك ، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما

---

(١) اخرجه البخاري (٣٢٢٠) في كتاب بدء الخلق ح (٦) و(١٩٠٢) (٣٥٥٤) (٤٩٣٧) .

(٢) رواه البخاري ح (٣٢٣٠) في بدء الخلق و(٣٢٦٦) (٤٨١٩) ، واخرجه مسلم (٨٧١) .

(٣) فتح الباري ص ٣٦٣/٦ .

(٤) اخرجه البخاري في بدء الخلق (٣٢٣٦) .

(٥) فتح الباري ٣٥٥/٦ .

شئت فيهم ، فناداني ملك الجبال ، فسلم علي ثم قال : يامحمد ، فقال : ذلك فيما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ، فقال النبيﷺ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا» [1] .

ومن الملائكة المذكورين ، كذلك الملك الموكل بالرحم عند أرادة نفخ الروح، وجاء ذكره في حديث عبدالله بن مسعود في خلق الإنسان ، وفيه «ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات» [2] .

قال الإمام ابن حجر : (ولم أعثر على اسم ملك الجبال ، وكذلك الموكل بالرحم) [3] وهم ذكروا بالوصف والله أعلم .

اسرافيل : وهو من مشاهير الملائكة ، ولم يقع له ذكر في هذا الكتاب .

قال العيني : (الملائكة لا يحصى عددهم الا الله تعالى ، وساداتهم الاكابر اربعة جبريل وميكائيل ، وعزرائيل واسرافيل) [4] والملائكة أنواع .

هذا عن خلقهم وأصله ، وما يتعلق بالخلق من ذكر الاجنحة والاسماء ، ولا نريد الاستطراد في مثل هذه الأمور ، لانا اكتفينا بما يذكره البخاري في هذا الكتاب، ولعل ما سوف يأتي من الحديث على قدرات الملائكة ، وصفاتهم وأعمالهم بكل ما في هذا المبحث ، لان لحديث متصل ومرتبط بعضه ببعض ، ولا يمكن تصوره الا بشكل متكامل .

---

(١) اخرجه البخاري (٣٢٣١) (٧٣٨٩) ، وأخرجه مسلم ح (١٧٩٥) .

(٢) اخرجه البخاري (٣٢٠٨) في كتاب بدء الخلق و(٣٣٣٢) و(٦٥٩٤) (٧٤٥٤) وأخرجه مسلم ح (٢٦٤٣).

(٣) فتح الباري ٦/٣٥٥ .

(٤) عمدة القاري ١٥/١٢٩ ، وانظر كذلك العقيدة للطحاوية ٢/٤٠٨ .

المبحث الثاني
قدرات الملائكة وصفاتهم

قد ذكر الله عزوجل ورسوله عن الملائكة صفات أتصفوا بها ، ومن خـــلال استعراض صفاتهم وأعمالهم ، يتضح مدى القدرة التي أعطيت لـــهم ، وقــد ذكــر البخاري عدة أحاديث ، يمكن من خلالها استنباط هذه القدرات .

قــدرات الملائكــة :

للملائكة القدرة على التشكل بالاشكال التي يريدون ، فمرة يتشكلون بأشــكال رجال بيض الوجوه ، حسن المناظر ومرة بأشكال الأعراب ، الذين لا يرى عليــهم اثر السفر ، ومرة بأشكال ناس معينين متمــيزين بالحســن والجمــال ، وقــد أورد البخاري عدة أحاديث تثبت هذه القدرة على التشكل ، منها حديث كيفية اتيان الوحــي إليه ، وفيه ((ويتمثل لي الملك احيانا رجلا يكلمني فأعي ما يقول)) (١) .

وقــد جاء ذلك في حديث عمر بن الخطاب في قدوم الرجل ، الــــذي ســأل النبي عن أركان الإسلام والإيمان والاحسان ((عن عمر بن الخطاب قال : بينما نحـن عند النبيﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشــعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس .. ثم انطلقت فلبثت مليا ، ثــم قال : ياعمر أتدري من السائل ؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قال : فإنه جــبريل أتــاكم يعلمكم دينكم)) (٢) .

فهذا الحديث فيه تشكل جبريل بصورة هذا الرجل ، الذي لا يعرفه أحد ، وقد رأه جميع الصحابة رضي الله عنهم ، وكانوا لا يعرفونه .

---

(١) اخرجه البخاري (٣٢١٥) في كتاب بدء الخلق .

(٢) رواه مسلم (٨) ، وجمع أهل السنة كذلك ما عداء البخاري ، انظر جامع العلــوم والحكــم لابــن رجــب ٩٤/١٠ .

وكانت رؤية النبي للملائكة على اشكال مخالفة ، لصورتهم الحقيقية ولم يـــر جبريل على صورته إلا مرتين كما جاء في حديث عائشة ((ان النبي ﷺ رأى جبريل على صورته رفوفا ، اخصر سدا افق السماء)) [1] ، وفي رواية ((ذاك جبريل لم يراه على صورته الا مرتين)) [2] .

قال العيني : (رفرقا) هو ثياب تبسط ، ويحتمل ان يكون المراد من الرفــرف اجنحة جبريل عليه الصلاة والسلام بسطها ، كما تبسط الثياب وهو قول الخطــابي ، وافق السماء اطرافها) [3] .

قال العيني : (كان جبريل يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبـــي ، وتــارة ياتيه في صورة اعرابي ، وتارة يأتيه في صورته التي خلق عليها) [4] .

قلت قد روى البخاري عن اسامة بن زيد ، قال : ((أنبئت أن جـــبريل ، أتـــى النبي ﷺ وعنده أم سلمة ، فجعل يتحدث ، فقال النبي ﷺ لأم سلمة : من هـــذا ؟ أو كما قال : قالت هذا دحية فلما قام قالت : والله ما حسبته إلا إياه حتى سمعت خطبـــة النبي ﷺ يخبر خبر جبريل ، أو كما قال)) [5] .

قال ابن حجر : (وكان جبريل كثيرا ما يأتي النبي ﷺ غالبا ، على صـــورت دجيه الكلبي ، وفيه أن الملك يتصور بصورة الآدمي) [6] .

فالملائكة لهم القدرة على التصور ، بصور الآدميين كما حصل مع ضيـــوف إبراهيم عليه السلام ، وقد مر ذلك وكذلك كما تمثل جبريل لمريم عليها السلام بشـــوا سويا ، وقد سبق ذكر ذلك في أنواع الوحي فلتراجع .

---

(١) اخرجه البخاري (٣٢٣٣) في كتاب بدء الخلق (٤٨٥٨) ، واخرجه مسلم ح (١٧٤) .
(٢) اخرجه البخاري (٤٦١٢) .
(٣) انظر عمدة القاري ١٤٣/١٥ .
(٤) انظر عمدة القاري ١٤٣/١٥ .
(٥) اخرجه البخاري ح (٤٩٨٠) .
(٦) فتح الباري ٦٢١/٨ ــ ٦٢٢ .

ومن قدرات الملائكة كذلك **التصرف** في الكون بأذن الله ، وهذا واضح من خلال حديث إرسال ملك الجبال إلى النبيﷺ ، ونص الحديث كما يلي : ((عن عائشة رضي الله عنها ــ زوج النبيﷺ ــ أنها قالت للنبي ﷺ : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال : لقد لقيت من قومك ما لقيت : وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت ، وأنا مهموم ، على وجهي ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي ، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث الله إليك ملك الجبال، لتأمره بما شئت فيهم ، فناداني ملك الجبال ، فسلم علي ثم قال : يا محمد ، فقال : ذلك فيما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ، فقال النبي ﷺ : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم ، من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا)) [(١)] .

فهذا الحديث يدل على أن الملائكة هم موكلون على تصريف هذا الكون ، وأن كل ما يحدث في الكون ، إنما هو من أمر الله عزوجل للملائكة ، بذلك فهم الوسطاء المدبرون بأمر الله عزوحل ، فلهم القدرة على تحريك هذا الكون ، وعمل كل ما يأمرهم الله به ، وهذا الملك أراد من النبي أن يأذن له في اطباق جبال مكة، عليهم فلم يأذن له النبي ﷺ لرحمته بأمته .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (وهؤلاء الملائكة هم المحركون للكون، فانهم هم الوسائط في الخلق ، وقد علم بالدلائل الكثيرة ، أن الله خالق الأشياء بالاسباب فعلم أن الملائكة هم الوسطاء ، فيما يخلقه الله تعالى ، كما قال تعالى : ﴿فالمقسمات أمرا﴾ [(٢)] [(٣)] .

---

(١) أخرجه البخاري ح (٣٢٣١) في كتاب بدء الخلق و(٧٣٨٩) ، واخرجه مسلم ح (١٧٩٥) .

(٢) سورة الذاريات الآية ٤ .

(٣) العقيدة الصفدية لابن تيمية ١/١٧٥ .

ويقول شارح الطحاوية : (وأما الملائكة فهم الموكلون بالسماوات والأرض، فكل حركة في العالم فهي نائشة عن الملائكة كما قال تعالى :﴿فالمدبرات امرا﴾ [١] وهم الملائكة عند أهل الإيمان ، واتباع الرسل ، وأما المكذبون بالرسل المنكرون للصانع فيقولون هي النجوم ، وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة ، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات ، وأنه سبحانه وكل بالجبال ملائكة ، ووكل بالسحاب ملائكة ، ووكل بالرحم ملائكة تدبر امر النطفة التي يتم خلقها ، ووكل بالعبد ملائكة تحفظه) [٢] .

ومن قدرات الملائكة الطيران في الهواء ، ولذلك وصفهم الله عزوجل بأنهم أولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع ، وقد رأى النبي ﷺ جبريلا في السماء سادا معظم خلق وبأجنحته الأفق، فقد روى جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول ((ثم فتدعني الوحي فترة ، فبينما أنا امشي سمعت صوتا من السماء، فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي قد جاءني بحراء قاعدا على كرسي بين السماء والأرض فجئثت منه حتى هويت إلى الأرض ، فحدثت أهلي ..)) الحديث [٣] .

فهو في هذا الحديث ، رأى هذا الملك وهو جبريل في السماء ، وهناك أحاديث تدل على هذا المعنى تركتها للاختصار .

هذه هي أهم القدرات التي استنبطت من هذه الأحاديث ، التي ذكرها البخاري في هذا الكتاب .

وأما أهم صفات الملائكة من خلال كتاب بدء الخلق م فاهمها ما يلي :

الكلام فهم يتكلمون ، وهم رسل الله يبلغون الأنبياء ، بما يأمر الله به الله عزوجل ، وقد سبق في التعريف اللغوي وجه تسميتهم ملائكة ، وانهم رسل يبلغون رسالات الله عزوجل، واكثر الأحاديث الموجودة في الباب دالة على هذا الشيء،

---

(١) سورة النازعات الآية ٥ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ٢/٤٠٥ ـــ ٤٠٦ .

(٣) اخرجه البخاري (٣٢٣٨) في بدء الخلق .

ويبدوا أن لغتهم لغة معروفة حتى عند الجن ، فقد روت عائشة رضي الله عنها ، قالت : سمعت النبي ﷺ يقول : ((إن الملائكة تنزل في العناء ــ وهو السحاب ــ فتذكر الأمر قضى في السماء ، فتسترق الشياطين السمع ، فتسمعه فتوجهه إلى الكهان ، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم)) [(١)] .

ومن صفات الملائكة حب الخير ، والاستماع إليه ، وكان النبي ﷺ ((حين يلقى جبريل اجود بالخير من الريح المرسلة)) [(٢)] ، قال ابن حجر (وفي كثرة نزول جبريل من الخيرات ، وتوارد البركات مالا يحصى) [(٣)] .

وكان النبي ﷺ يحب مجالسة جبريل ، فقال له ((الا تزورنا اكثر مما تزورنا، فانزل الله تعالى: ﴿وما تنزل إلا بأمر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا﴾)) [(٤)] [(٥)] .

ومنه حديث ((ان أحدكم في صلاة مادامت الصلاة تحبسه ، والملائكة تقول اللهم اغفر له وارحمه ، ما لم يقم من صلاته أو يحدث)) [(٦)] ، فدعاء الملائكة له هنا بالرحمة والمغفرة دال على كريم اخلاقهم ، وحبهم الخير للمؤمنين ، وقد حببهم الله على هذه الصفة .

ومن صفات الملائكة ، انهم لا يدخول البيت الذي فيه الكلب ، أو الصور ، فقد روي البخاري في هذا الكتاب ، اكثر من حديث دال على هذا المعنى ، أولها حديث عائشة رضي الله عنها ، قالت : ((حشوت للنبيﷺ وسادة فيها تماثيل ، كأنها نمرقة فجاء فقام بين الناس ، وجعل يتغير وجهه ، فقلت : ما لنا يرسول الله ؟

---

(١) اخرجه البخاري (٣٢١٠) في كتاب بدء الخلق (٣٢٨٨) (٥٧٦٢) (٦٢١٣) (٧٥٦١) ، وأخرجه مسلم ح (٢٤٨٦) .

(٢) اخرجه البخاري (٣٢٢٠) في كتاب بدء الخلق ح (٦) (١٩٠٢) (٣٥٥٤) (٤٩٣٧) .

(٣) انظر فتح الباري ٦٦٢/٨ .

(٤) سورة مريم الآية ٦٤ .

(٥) اخرجه البخاري (٣٢١٩) في كتاب بدء الخلق (٤٩٩١) ، واخرجه مسلم (٨١٩) ..

(٦) اخرجه البخاري ح (٣٢٢٩) .

قال : ما بال هذه النمرقة ؟ قلت : وسادة جعلتها لك ، لتضطجع عليها ، قال : مـــا علمت أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة ؟ وأن من صنع الصور يعذب بها ، يــوم القيامة ، فقال احبسوا ما خلقتم)) [1] .

الحديث الثاني : عن ابن عباس رضي الله عنه ، قال سمعت أبـــا طلحـــة ، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ، ولا صـــورة تماثيل)) [2].

وهناك احاديث أخرى في نفس المعنى ، تركت للاختصار ، وهذا دال علـــى أن هذه الصفة من صفات الملائكة ، والظاهر أنها خاصة بملائكة الرحمـــة يقــول الإمام النووي في تعليقه على هذا الحديث : (وأما هؤلاء الملائكة الذين لا يدخلـــون البيت الذي فيه الكلب ، والصـــورة فـــهم ملائكـــة يصفـــون بالرحمـــة ، والبركـــة والاستغفار، وأما الحفظة فيدخلون في كل بيت ، ولا يفارقون بني آدم في كل حال ، لانهم مأمورون بإحصاد أعمالهم وكابتها) [3] .

والظاهر أن سبب دخولهم هو كراهيتم المعاصي ، وهي (المعاصي) موجبـــة للعذاب وهؤلاء الملائكة ، انما هم ملائكة رحمة لا ملائكة عذاب ولذلك يهربون مـــن كل معصية خوفا من نزول العذاب ، يقول النووي : (قال العلماء سبب امتناعهم عن دخول البيت الذي فيه صورة ، لكونها معصية فاحشة ، وفيها مضاهـــاة لخلـــق الله عزوجل وبعضها فيه صورة ما يعب من دون الله عزوجل ، وسبب امتناعهم عـــن البيت الذي فيه كلب لكثرة أكله للنجاسات ، ولأن بعض الكـــلاب يســـمى شـــيطانا، والملائكة ، ضد الشياطين ولقبح رائحة الكلب والملائكة تكره الرائحة القبيحة ولانـــها مني عن اتخاذها ، واقتناها فعوقب متخذها يحرمان دخول الملائكة بيته ، وحملاتـــها فيه واستغفارها له وتبريكها عليه ، وفي بيته ودفعها اذى الشيطان) [4] .

---

(١) اخرجه البخاري (٣٢٢٤) في بدء الخلق .

(٢) اخرجه البخاري (٣٢٢٥) في بدء الخلق (٣٢٢٦) و(٣٣٢٢) و(٤٠٠٢) و(٥٩٤٦) (٥٩٥٨) وأخرجـــه مسلم (٢١٠٦) .

(٣) شرح مسلم للنووي ١٤/٣١٠ بتصرف بسيط .

(٤) شرح مسلم للنووي ١٤/٣٠٩ ـ ٣١١ .

ومن صفاتهم طاعة أوامر الله عزوجل ، قال تعالى : ﴿بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾ [1] ، ويدل عليه حديث جبريل السابق ، وقول النبي ﷺ «الا تزورنا اكثر مما تزورنا» [2] ، فنزلت قوله تعالى : ﴿وما تتنزل إلا بأمر ربك لها ما بين ايدينا وما خلفنا﴾ [3] .

قال ابن كثير : (الملائكة عباد مكرمون عنده في منال عالية ، ومقامات سامية وهم له في غاية الطاعة قولا وفعلا ، (لا يسبقونه بالقول) أي لا يتقدمون بين يديه بأمر ، ولا يخالفونه فيما أمرهم به ، بل يبادرون إلى فعله ، وهو تعالى علمه محيط بهم لا يخفى عليه منهم خافيه) [4] .

وقد قال تعالى في وصف الملائكة وطاعتهم له : ﴿يا أيها الذين أمنوا قو أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجار عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ [5] .

ويدل عليه حديث عبدالله بن عباس في خلق الانسان ، وفيه «ثم بعث الله ملكا يؤمر بأربع كلمات» الحديث [6] ، فلابد من الأمر هنا ، وهم قائمون بهذا الأمر لا يخرجون عنه أبدا .

فالملك يؤمر في هذا الحديث ، وفي بعض الروايات «أنه يقول يارب شقي أم سعيد ، فيأمر ربك بما يشاء يارب اذكر ام انثى ، فيقول ربك ما شاء يارب ما رزقه فيأمر ربك بما يشاء ، يارب ما عمله فيأمر ربك بما يشاء ، فيقول يارب ما أجله فيقول ربك ما شاء» الحديث [7] .

فهم لا يفعلون شيئا من عند أنفسهم ، بل بأمر الله وتصريفه لهم ، وهم له في اتم الطاعة وخالص الريبة ، وعظم العبادة وهم عباد مكرمون .

---

(١) سورة الأنبياء الآيتان ٢٦ ــ ٢٧ .

(٢) اخرجه البخاري (٣٢١٨) في بدء الخلق (٤٧٣١) (٧٤٥٥) .

(٣) سورة مريم الآية ٦٤ .

(٤) تفسير ابن كثير ١٧٢/٣ .

(٥) سورة التحريم الآية ٦ .

(٦) أخرجه البخاري (٣٢٠٨) في بدء الخلق (٣٣٣٢) (٦٥٩٤) (٧٤٥٤) ومسلم (٢٦٤٣) .

(٧) اخرجه مسلم هذه الرواية ح (٢٦٤٥) .

المبحث الثالث
وظائف الملائكة وأعمالهم

دل الكتاب والسنة على أن للملائكة ، وظائف كثيرة وأن الله تعالى وكل إليهم القيام على مختلف شئون الكون مما نشاهده ، وما لا نشاهده ، يقول العيني (الملائكة كثيرون جدا منهم الحفظة ، ومنهم الملائكة الموكلون بالقطر والنبات والرياح والحساب ، ومنهم ملائكة القبور ، ومنهم سياحون في الأرض ، يبتغون مجالس الذكر، ومنهم كروبيون وروحانيون وحافون ومقربون ، ومنهم ملائكة تقذف الشياطين بالشهاب , ومنهم حملة العرش ، ومنهم موكلون بصخرة بيت المقدس ، ومنهم موكلون بالمدينة ، ومنهم موكلون بتصوير النطف ، ومنهم ملائكة يبلغون السلام إلى النبي ﷺ من أمته ، ومنهم من يشهد الحروب مع المجاهدين ، ومنهم خزان أبواب السماء ، ومنهم الموكلون بالنار ، ومنهم ملائكة يسمون الزبانية ، ومنهم من يغرسون أشجار الجنة ، ومنهم من يصوغون حلي أهل الجنة ، ومنهم خدم أهل الجنة ، ومنهم من نصفه ثلج ونصفه نار ، وقد ذكر البخاري في أحاديث الباب منهم جماعة كما ترجم) [1] .

وقد ذكر البخاري في هذا الكتاب أحاديث كثيرة في أعمال الملائكة ووظائفهم وسوف نقتصر هنا عليها ومن أعظم أعمال الملائكة **وأزكاها ، وأشرفها السفارة بين الله ورسله وتبليغ الوحي إلى الرسل** قال تعالى:﴿بأيدي سفرة كرام بررة﴾ [2].

قال البخاري (سفرة : الملائكة وأحدهم سافر ، سفرت : أصلحت بينهم وجعلت الملائكة إذا نزلت بوحي الله وتأديته كالسفير إلى يصلح بين القوم) [3] .

---

(١) عمدة القاري ١٢٩/١٥ ــ ١٣٠ .

(٢) سورة عبس الآيات ١٥ ــ ١٦ .

(٣) انظر فتح الباري ٥٦٠/٨ .

ويقول الحافظ في تعليقه على هذا الكلام للبخاري ، وهل جميع الملائكة رسل لله يبلغون إلى الانبياء ما يريـــد الله منهم ؟ قال : قد تمسك بالآية السابقة ، من قـــال أن جميع الملائكة سفره ، أي رسل وللعلماء في ذلك قولان الصحيح أن منهم الرسـل وغير الرسل ، وقد ثبت أن فيهم الساجد ، فلا يقوم والراكع فلا يعتدل واحتجوا أيضا بأن ﴿جاعل الملائكة رسلا﴾ [(١)] وأجيب عنه بقوله ﴿الله يصطفي من الملائكة رســـلا ومن الناس﴾ [(٢)] ، والظاهر ان مهمة ابلاغ الوحي ، يكاد يختص بها جـــبريل لأنـــه أفضل الملائكة ، وقد روى البخاري هذه الفضيلة ، له حيث روي حديث ((إذا أحـــب الله العبد نادى جبريل ، إن الله يحب فلانا فأحبه ، فيحبه جبريل فينادي جبريل فـــي أهل الســـماء ان الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فـــي الأرض)) [(٣)] .

فهذا الحديث فيه مزية تفضيل جبريل عليه السلام ، وتقدمـــــه علـــى جميـــع الملائكة وهو ظاهر أكثر النصوص ، ومحل أتفاق أكثر العلماء .

ويقول شارح الطحاوية : (ورؤساء الملائكـــــة ثلاثـــة ، جـــبريل وميكـــائيل وإسرافيل الموكلون بالحياة ، فجبريل موكل بالوحي ، الذي به حياة القلوب والأرواح .. فهم رسل الله في خلقه وأمره ، وسفراؤه بينه وبين عباده يـــنزلون بـــالأمر مـــن عنده، في أقطار العالم ، ويصعدون إليه بالأمر ، قد اطئت السماء منهم وحق لـــها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع ، إلا وملك ساجد أو قائم أو راكع ، ويدخل البيـــت المعمور كل يوم منهم سبعون ألف ملك) [(٤)] .

كما قال تعالى : ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين﴾ [(٥)].

---

(١) سورة فاطر الآية ١ .

(٢) سورة الحج الآية ٧٥ .

(٣) اخرجه البخاري (٣٢٠٩) في كتاب بدء الخلق (٦٠٤٠) (٧٤٨٥) ، وأخرجه مسلم (٢٦٣٧) .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ٤٠٨/٢ ـــ ٤٠٩ .

(٥) سورة الشعراء الآيتان ١٩٣ ـــ ١٩٤ .

وقد ذكر البخاري في هذا الكتاب أحاديث كثيرة ، تدل على اختصاص بـــهذه جبريل المهمة ، ومن ذلك ما يلي :

حديث عائشة رضي الله عنها ، عن كيفية نزول الوحي ، وفيه ((أن الحـــارث بن هشام سأل النبي ﷺ : كيف يأتيك الوحي ؟ قال : كل ذلك ، يأتيني الملك أحيانـــا في مثل صلصلة الجرس ، فيفصم عني وقد وعيت ما قال ، وهـــو أشـــده علـــي ، ويتمثل لي الملك أحيانا رجلا فيكلمني ، فأعي ما يقول)) (١) .

ويتصور الملك ، وتمثله بصورة الرجال اكثر ما يفعلها جبريل عليه الســـلام فقد قال النبي كما في حديث عمر بن الخطاب ((هذا جبريل اتاكم يعلمكم دينكم)) (٢).

وكان جبريل هو الذي يقرئ النبي القرآن ، وفي حديث إنزال القـــرآن علـــى سبعة أحرف ، كان جبريل هو الذي يفعل ذلك ، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((أقرأني جبريل على حـــرف ، فلـــم ازل اســـتزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف)) (٣) ، ولو لم يكن هـــو المختـــص ، بـــابلاغ القرآن وان يفعل هذا الشيء .

وكان النبي ﷺ كثيرا ما يقول ، قال لي جبريل وأخبرني جـــبريل ، ومنـــها حديث أبي ذر ((قال لي جبريل من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا ، دخل الجنـــة ولم يدخل النار ، قال وإن زنى وان سرق قال وأن)) (٤) .

يقـــول ابن حجر : (وجبريل هو الموكل بالوحي ، الذي يحصل به الإصـــلاح العام) (٥) .

---

(١) اخرجه البخاري (٣٢١٥) في كتاب بدء الخلق .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) اخرجه البخاري (٣٢١٩) (٤٩٩١) ، واخرجه مسلم (٨١٩) .

(٤) اخرجه البخاري (٣٢٢٢) في كتاب بدء الخلق .

(٥) فتح الباري ٣٥٤/٦ .

ويقول ابن كثير ، في تعليقه على قوله تعالى :﴿إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين﴾ [1] أي هذا القرآن تبلغ رسول كريم ، أي ملك حسن الخلق بهي المنظر ، وهو جبريل قاله ابن عباس وغيره ، ﴿ذي قوة﴾ [2] أي شديد الخلق شديد البطش والفعل ، ﴿عند ذي العرش مكين﴾ [3] أي له مكانة عند الله ، ومنزلة رفيعة (مطاع) أي له حاجة وهو مسموع القول في الملأ الأعلى ، وقيل مطاع في السماوات ، وهو من السادة والأشراف معتز به ، انتخب لهذه الرسالة العظيمة) [4] .

وفي بعض الأحيان قد ينزل ملك آخر في هذا الوحي ، كما روي مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : «بينما جبريل جالس عند النبي ﷺ ، إذ سمع نقيضا من فوقه ، فرفع رأسه وقال : لقد فتح باب من السماء ما فتح قط ، فأتاه ملك فقال له : أبشر بسورتين أوتيتهما لم يعطهما نبي كان قبلك ، فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ منهما حرفا إلا أعطيته» [5] .

وفي يكون تبلغ الوحي وتبليغه تبليغا عمليا ، كما فعل جبريل عليه السلام مع النبي ﷺ ، كما قال ابن مسعود : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «نزل جبريل فأمني فصليت ، من ثم صليت معه ثم صليت معه ، ثم صليت معه ثم صليت معه ، يحسب بأصابعه خمس صلوات» [6] ، وقد تقدم الحديث عن معنى الحديث في أنواع الوحي ورواياته ، قال العيني معنى (فأمني أي صار لي إماما وصلى قدامه) [7] وقد تقدم في أنواع الوحي ، أن الغرض كان تعليم النبي مواقيت الصلاة ، أولها وآخرها وأنه صلى به يومين .

---

(١) سورة التكوير الآيات ١٩ ـ ٢١ .

(٢) سورة التكوير الآيات ١٩ ـ ٢١ .

(٣) سورة التكوير الآية ٢٠ .

(٤) تفسير ابن كثير ٤/٤٨١ .

(٥) رواه مسلم (٨٥٠) .

(٦) أخرجه البخاري (٣٢٢١) في كتاب بدء الخلق .

(٧) عمدة القاري ١٥/١٣٧ .

ومن أعمال الملائكة التي ذكرها البخاري في هذا الكتاب ، **حفظ أعمال بني آدم وكتابتها** ، ويدل عليه حديث أبي هريرة : ((قال النبي ﷺ إذا كان يوم الجمعة، كان على كل باب من أبواب المسجد الملائكة ، يكتبون الأول فالأول ، فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر)) (١) .

فهذا أيضا نوع من الحفظ لهذه الأعمال ، وكتابتها لها أيضا من قبيل رفع الأعمال التي يقوم بها الملائكة عليهم السلام ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ (٢) .

ومن أعمال الملائكة التي ذكرها البخاري في هذا الكتاب ، القيام على الرحم ونفخ الروح فيها ، وذلك في ما رواه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : حدثنا رسول الله ﷺ ــ وهو الصادق المصدوق ــ قال : ((إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكا يؤمر بأربع كلمات ويقال له : اكتب عمله ورزقه ، وشقي أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح ، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع ، فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار ، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة)) (٣) .

فهؤلاء الملائكة موكلون بالأجسام ، وكتابة ما يتعلق بهذه الرحم ، وما يخلق فيها وتقدير ذلك وكتابته ، قال العيني : (قال القاضي عياض : المراد بإرسال الملك في هذه الأشياء أمره بها ، والتصرف فيها بهذه الأفعال ، وإلا فقد صرح الحديث بأنه موكل بالرحم ، وأنه يقول يارب هذه نطفة يارب هذه علقة ، وفي رواية أن ملكا موكل بالرحم ، إذا أراد أن يخلق الله شيئا) (٤) ، ولعله ما يؤيد هذا رواية مسلم السابقة في المبحث الثاني .

---

(٤) اخرجه البخاري (٣٢١١) في كتاب بدء الخلق .

(٢) سورة فاطر الآية ١٠ .

(٣) اخرجه البخاري (٣٢٠٨) في كتاب بدء الخلق (٣٣٣٢) (٦٥٩٤) (٧٤٥٤) ، ومسلم (٢٦٤٣) .

(٤) انظر عمدة القاري ٨٣٨/١٥ .

فالله عزوجل وكل بهذه الارحام ، ملائكة تتولى حفظها والقيام عليها ، قال ابن حجر : (قوله ثم يبعث الله ملكا ، ويؤمر بأربع كلمات) يعني هذا الحديث أن الملك وكل بالرحم عند تصوير الآدمي) [1] .

ومن أعمال الملائكة ، كذلك **تثبيت المؤمنين في الحروب** ، وفي غيرها من المواقف وقد أورد البخاري في هذا ثلاثة أحاديث قد يستفاد منها هذا الأمر :

الحديث الأول : عن سعيد بن المسيب قال : ((مر عمر في المسجد ، وحسان ينشد فنظر إليه عمر ، فقال: كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك ، ثم التفت إلى أبي هريرة فقال : أنشدك بالله أسمعت رسول الله ﷺ يقول : أجب عني ، اللهم أيده بروح القدس ؟ قال : نعم)) [2] .

الحديث الثاني : (عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب رضي الله عنه ، قال ((قال النبي ﷺ لحسان : اهجهم ــ أو هاجهم ــ وجبريل معك)) [3] .

قال العيني في معنى الحديث : (اهجهم امر كان ، وهو من المهاجاة ومعناه جازهم بهجوهم ، وقوله وجبريل معك ، أي يعني يؤيدك ويعينك عليهم) [4] .

وهو يدل أن فعل جبريل ، وكونه معه يمنحه القوة والتأييد والنصر ، بأذن ونؤيده وأجابة دعوة جبريل ، وهو ذو القوة المتين المطاع الأمين ، ولو لم يكن لجبريل فائدة لما ذكره النبي معه ، وقال هو معك .

والحديث الثالث الدال على هذا الشيء ، هو حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : ((كأني انظر إلى غبار ساطع في سكة بني غنيم ، زاد موسى : موكب جبريل)) [5] .

---

(١) فتح الباري ٣٥٦/٦ .

(٢) اخرجه البخاري (٣٢١٢) في كتاب بدء الخلق .

(٣) اخرجه البخاري (٣٢١٣) في كتاب بدء الخلق (٤١٢٣) (٤١٢٤) (٦١٥٣) ، ومسلم (٢٤٨٦) .

(٤) عمدة القاري ١٣٤/١٥ .

(٥) اخرجه البخاري (٣٢١٤) في بدء الخلق (٤١١٨) .

وهذا ما كان من تأييد الملائكة للمؤمنين ، في غزوة بني قريضة وفي غيرها ، ويؤيد ذلك ما رواه البخاري ، أيضا ((عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : لما رجع النبي ﷺ من الخندق ووضع السلاح وأغتسل ، أتاه جبريل عليه السلام ، فقال: قد وضعت السلاح ، والله ما وضعناه ، فاخرج اليهم ، قال : فإلى أين ؟ قال : هاهنا ، وأشار إلى قريظة ، فخرج النبي ﷺ اليهم)) (١) .

وفي رواية للحديث عن أنس رضي الله عنه ، قال ((كأني أنظر إلى الغبار ساطعا في زقاق بني عنم ، موكب جبريل حين سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة)) (٢) .

قال ابن حجر : قوله (بني غنم) بفتح المعجمة ، وسكون النون ، ووقع هذا الحديث عند ابن سعد من طريق سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال مطولا لكن ليس فيه أنس وأوله ، ((كان بين بني قريظة وبين النبي ﷺ عهد ، فلما جاءت الاحزاب نقضوه وظاهروهم ، فلما هزم الله عزوجل الأحزاب تحصنوا ، فجاء جبريل ومن معه من الملائكة فقال : يارسول الله انهض إلى بني قريظة ، فقال: إن في أصحابي جهدا قال : انهض اليهم فلأضعضعنهم ، قال فأدبر جبريل ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار في زقاق بني غنم من الأنصار)) (٣) .

وقد قاتل الملائكة مع النبي ﷺ في غزوة بدر ، وقد دل القرآن على أن الملائكة شهدوا بدرا ، وقاتلوا مع المؤمنين .

قال تعالى : ﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان﴾ (٤).

---

(١) اخرجه البخاري (٤١١٧) .

(٢) اخرجه البخاري (٤١١٨) .

(٣) فتح الباري ٧/٤٧١ .

(٤) سورة الانفال الآية ١٢ .

وقال تعالى : ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون ، إذ تقول المؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويلوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾ (1) .

وفي صحيح البخاري ، أن رسول الله ﷺ لما كان يوم بدر ، قال : ((هذا جبريل آخذ برأس به عليه أداة الحرب)) (2) .

ومن أعمال الملائكة الدعاء للمؤمنين ، كما روى ذلك أبو هريرة : حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا ابن فليح ، حدثنا أبي عن هلال بن علي عن عبدالرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال ((إن أحدكم في صلاة مادامت الصلاة تحبسه ، والملائكة تقول : اللهم اغفر له وارحمه ، ما لم يقم من صلاته أو يحدث)) (3) .

ومن أعمال الملائكة حراسة الملائكة مكة والمدينة ، من الدجال كما روى البخاري عن انس بن مالك ، وأبي بكره قال النبي ﷺ : ((تحرس الملائكة المدينة من الدجال)) (4) .

وهذا ثابت عن النبي ﷺ (روى ابن حبان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال ، إلا مكة والمدينة ، ليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها ، فينزل السبخة فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات يخرج إليه كل كافر ومنافق)) (5) .

وأخرج أيضا عن أنس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال ((المدينة يأتيها الدجال فيجد الملائكة يحرسونها ، فلا يدخلها الدجال ولا الطاعون إن شاء الله تعالى)) (6) .

---

(1) سورة آل عمران الآيات ١٢٣ ــ ١٢٥ .

(2) اخرجه البخاري ح (٣٩٩٥) .

(3) أخرجه البخاري ح (٣٢٢٩) .

(4) اخرجه البخاري (٣٢٣٩) في بدء الخلق معلقا ، واخرجه في موضع اخر موصول (١٨٨١) و(٣٣٩٦) وأخرجه مسلم (١٦٥) .

(5) اخرجه البخاري (١٨٨١) ، ومسلم (٢٨٤٣) .

(6) اخرجه البخاري (٧١٣٤) .

ومن أعمال الملائكة حفظهم للسماء ، وقد دل حديث الإسلام الطويل أن السماء ذات أبواب وأن على كل باب ملائكة يفتحون هذه الأبواب ، ولفظه «ثم انطلقنا حتى أتينا إلى السماء الدنيا ، فقيل من هذا ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد قال وقد ارسل إليه ؟ قال نعم قيل مرحبا بك» (١) وفي كل سماء هكذا مما يصرح أن السماء ذات ابواب ، وان جبريل يقف في كل سماء ، يستأذن ويدخل وفي رواية للحديث «فانطلق جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح ، فقيل من هذا ؟ قال: جبريل قيل : ومن معك قال محمد» الحديث (٢) .

قال الإمام النووي ، (قال القاضي عياذ : وفي هذا أن للسماء أبوابا حقيقية، وحفظة موكلين بها) (٣) ، ومما يدل على هذا الحفظ رمي الملائكة للشياطين ، عند استراق السمع ، وقد مر الكلام على هذا مستوفي عند الحديث على الكهانة .

ومن أعمال الملائكة التي ذكرها البخاري في هذا الكتاب ، رحمه الله **لعن الملائكة لمن عصى الله في معاصي معينة** ، مثل من أغضبت زوجها فقد روى ابو هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها ، لعنتها الملائكة حتى تصبح» (٤) .

ومن أعمال الملائكة أيضا الترحيب بالمؤمنين ، يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبي الدار﴾ (٥).

وقال تعالى : ﴿حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ (٦) .

---

(١) اخرجه البخاري (٣٢٠٧) في كتاب بدء الخلق (٣٣٩٣) (٣٤٣٠) (٣٨٨٧) وأخرجه مسلم (١٦٢) .
(٢) اخرجه البخاري (٣٨٨٧) .
(٣) شرح مسلم للنووي ٣٨٦/٢ .
(٤) اخرجه البخاري (٣٢٣٧) في بدء الخلق (٥١٩٣) (٥١٩٤) ، واخرجه مسلم (١٤٣٦) .
(٥) سورة رعد الآية ٢٤ .
(٦) سورة الزمر الآية ٧٣ .

قال ابن كثير : (أي تلتقي الملائكة الخزنة بالبشارة والسلام ، كما تلتقي خزنة النار أصحابها بالتثريب والتأنيب﴾ [1] .

وقد روى البخاري في بدء الخلق ، حديثا : عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال : سمعت النبي ﷺ يقول ((من أنفق زوجين في سبيل الله ، دعته خزنة الجنة : أي فلان هلم ، فقال أبو بكر ذاك الذي لا نوى عليه ، فقال النبي ﷺ : أرجو أن تكون منهم)) [2] .

ومن أعمالهم كذلك خزانة النار ، والايقاد لها والقيام عليها : عن سمرة بن جندب قال : ((قال ﷺ رأيت الليلة رجلين أتياني المباني ، فقال الذي يوقد النار مالك خازن النار)) الحديث [3] .

ويدل عليه من القرآن ، قوله قال تعالى : ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم حزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب﴾ [5] .

قال ابن كثير : (لما علموا أن الله عزوجل لا يستجيب منهم ، ولا يستمع لدعائهم سألوا الخزنة ، وهم السجانين لأهل النار أن يدعو الله تعالى لهم ، في أن يخفف عن الكافرين ، ولو يوما واحدا من العذاب ، فقالت لهم الخزنة رادين عليهم، ﴿أولم تكن تأتيكم رسلكم بالبينات﴾ [6] أي ما قامت عليه الحجج في الدنيا على ألسنة

---

(١) ابن كثير ٦٨/٤ .
(٢) اخرجه البخاري ح (٣٢١٦) .
(٣) اخرجه البخاري ح (٣٢٣٦) .
(٤) سورة الزمر الآية ٧١ .
(٥) سورة غافر الآية ٤٩ .
(٦) سورة غافر الآية ٥٠ .

الرسل ﴿قالوا بلى قالوا فادعوا﴾ [1] أي أنتم لأنفسكم ، فنحن لا ندعو لكم ، ولا نسمع منكم ولا نود خلاصكم ونحن منكم براء ..) [2] .

هذه هي أهم أعمال الملائكة التي ذكرها البخاري ، في كتاب بدء الخلق وأعمالهم كثيرة لا يحصيها إلا الله عزوجل ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (والملائكة التي أخبر الله ورسوله ، بها لا يعلم عددهم الا الله تعالى ليسوا عشرة ، ولا تسعة ولا غير ذلك ، وهم عباد الله أحياء ناطقون ينزلون إلى الأرض، ويصعدون إلى السماء ولا يفعلون إلا بإذن ربهم) [3].

ويقول شارح الطحاوية : فالملائكة أعظم جنود الله عزوجل ، ومنهم ملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب وملائكة ، قد وكلوا بحمل العرش وملائكة ، قد وكلوا بعمارة السماوات بالصلاة والتسبيح والتقديس إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التي لا يحصيها إلا الله تعالى) [4] .

ويقول ابن تيمية في بيان كثرة أعمال الملائكة ، وتعددها : (الذين في الكتاب والسنة من ذكر الملائكة وكثيرتهم ، أمر لا يحصى حتى قال النبي ﷺ (أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا ملك قائم ، أو قاعد أو راكع أو ساجد) ومن المعلوم أن للملائكة من العلوم والأحوال ، والإرادات والأعمال مالا يحصيه إلا ذو الجلال والإكرام) [5] .

---

(١) سورة غافر الآية ٥٠ .

(٢) تفسير ابن كثير ٦٧/٤ .

(٣) الفتاوى ٣٣٢/٣ .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ٤٠٦/٢ ـ ٤٠٧ .

(٥) الفتاوى ١٢٠ ـ ١٢١ .

الفصل الثاني

الجن

وفيه مقدمة وأربعة مباحث :

المبحث الأول : أصل خلقتهم وأصنافهم .

المبحث الثاني : تكليفهم .

المبحث الثالث : قدراتهم وأعمالهم .

المبحث الرابع : الوقاية منهم والتحرز .

الفصل الثاني
الجـــــن

مقدمــــــــــة :

الجن خلق من خلق الله عزوجل ، ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز واكـــثر من ذكرهم وقد نزلت سورة كاملة فيهم ، وهي سورة الجن ، وهؤلاء الجن قد كلفهم الله تعالى وأوجب عليهم ، كما سوف يتضح من خلال مباحث هذا الفصل بـــإذن الله تعالى ، وقد ذكرهم الرسول في كثير من الأحاديث ، وتضافرت الآثـار ودل عليه كذلك النظر وحكاه من لا يمكن تواطؤهم على الكذب .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ، في اتفاق أهل الإسلام على الإيمـــان بـالجن ووجودهم ، والرد على من ينكر ذلك : (لم يخالف أحد من طوائف المســلمين فـي وجود الجن ، وجمهور الكفار على إثبات الجن ، أما أهـــل الكتـاب مـن اليـهود والنصارى ، فهم مقرون بهم كإقرار المسلمين ، وإن وجد فيهم من ينكر ذلك ، فكما يوجد في بعض طوائف المسلمين كالجهمية والمعتزلة من ينكـــر ذلـك ، وإن مـن جمهور الطائفة وأئمتها مقرون بذلك ، وهذا لأن وجود الجن تواتـــرت بــه أخبـار الأنبياء عليهم السلام تواتـــراً معلوماً بالاضطرار ، ومعلوم بالاضطرار أنهم أحيـاء عقلاء فاعلون بالإرادة .

وقــال أيضـــا : (وجود الجن ثابـت بكتـــاب الله وســـنة رســول ﷺ ، واتفـاق ســلف الأمـــة وأئمتها ، كذلـك دخول الجني في بدن الإنســــان ثــابت ، باتفاق أهل السنة) [1] .

ولقــد آمن الكفـــار بالجـــن، لأنهـــم رأوا افعالهـــم أو تكلموا معهم يقول الله

---

(١) الفتاوى ١٩/١٠ ، وأنظر نفس المعنى في الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ص ٤٨٩ ــ ٤٩٠ .

تعالى : ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعذون برجال من الجن فزادوهم رهقـــا﴾ [1] ، قال ابن عباس : كان كفار قريش إذا نزلوا وادياً ، قالوا نعوذ بكبير هذا الوادي مـــن سفهاء قومه) فحكى الله عنهم هذا المقولة ، والمقصود أن وجود الجن ثـــــابت بقيـــد الكتاب والسنة ، بل بدلائل عقلية وحسية كثيرة .

ويقول في موضع آخر : (وجود الجن ثابت بطرق كثيرة غير دلالة الكتـــاب والسنة ، فإن من الناس من رآهم ، وفيهم من رآى من رآهم ، ويثبت ذلـــك عنـــده بالخبر واليقين ، ومن الناس من كلمهم وكلموه ، ومن الناس من يـــأمرهم وينـــهاهم ويتصرف فيهم : وهذا يكون للصالحين ولغير الصالحين ، ولو ذكرت ما جرى لـــي ولأصحابي معهم لطال الخطاب) [2] .

وقبل الخوض في مباحث هذا الفصل ، لابد من التعرف على المعنى اللغـوي والاصطلاحي لكلمة الجن .

المعنى اللغوي لكلمة الجن :

كلمة الجن ومشتقاتها في اللغة العربية ، تنطوي على معنى الاستتار والخفاء.

قال ابن منظور : (جن الشيء يجنه جنا : ستره ، وكل شيء ستر عنك فقـــد جن عنك) [3] وأجننت الشيء في صدري : أكننته [4] .

وقال الراغب الأصفهاني : (جنه الليل وأجنه وجن عليه فجنه ستره ، وأجنـــه جعل له ما يجنه .. وجن عليه كذا ستر عليه ، قال عزوجل :﴿فلما جن عليه الليـــل رءا كوكبا﴾) [5] [6] .

---

(١) سورة الجن الآية ٦ .

(٢) انظر الفتاوى ٢٣٢/٤ .

(٣) لسان العرب ٩٢/١٣ .

(٤) الصحاح للجوهري ٢٠٩٣/٥ .

(٥) سورة الأنعام الآية ٧٦ .

(٦) المفردات في غريب القرآن ص ٢٠٤ .

وجن الليل وجنونه وجنانه : شدة ظلمته وادلهمامه ، وقيل : اختلاط ظلامه لأن ذلك كله ساتر [1] .

والجنة : السترة ، والجمع الجنن ، يقال : استجن بجنة ، أي استتر بسترة [2] ، والجنة : ما استترت به من السلاح [3] .

والجنان القلب لكونه مستورا عن الحساسة ، وقال ابن منظور : (لاستتاره في الصدر ، وقيل : لوعيه الأشياء وجمعه لها) [4] .

والجنن ، بالفتح : هو القبر لسترة الميت ، والجنن أيضا : الكفن لذلك [5] .

والجنين الولد مادام في بطن أمه (لاستتاره فيه) ، وجمعه أجنة ، قال تعالى: ﴿وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم﴾ [6] ، وذلك فعيل في معنى مفعول [7] .

والجنون حائل بين النفس والعقل ، أي سمي بذلك لستره العقل وحجبه .

ومن ثم سمي الجن جنا لاستتارهم واختفائهم عن العيون ، وعدم ظهورهم للناس [8] .

يقول الجوهري : (الجن : خلاف الإنس ، والواحد : جني ، يقال : سميت بذلك لأنها تتقى ولا ترى) [9] ، والجان : الجن ، وهو اسم جمع كالجامل والباقر ، وفي التنزيل العزيز : ﴿لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾) [10] [11] .

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٩٢/١٣ .

(٢) الصحاح للجوهري ٢٠٩٣/٥ .

(٣) الصحاح للجوهري ٢٠٩٣/٥ ، وانظر المفردات للراغب ص ٢٠٤ ، واستدل بقوله تعالى ﴿اتخذوا أيمانهم جنة﴾ سورة المنافقون آية ٢ .

(٤) لسان العرب ٩٣/١٣ .

(٥) لسان العرب لابن منظور ٩٣/١٣ .

(٦) سورة النجم الآية ٣٢ .

(٧) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٢٠٤ .

(٨) المفردات في غريب القرآن للراغب ص ٢٠٦ .

(٩) الصحاح ٢٠٩٣/٥ .

(١٠) سورة الرحمن الآية ٥٦ .

(١١) لسان العرب لابن منظور ٩٦/١٣ .

ويقول الفيروز آبادي (جنه الليل وجن عليه جناً وجنوناً وأجنة : ستره ، وكل ما ستر عنك فقد جن عنك) [1] .

التعريف الاصطلاحي للجن :

أختلف العلماء في تعريف وذلك والله أعلم ــ لأن فيه من الغموض الشيء الكثير ــ فنرى الرازي يعرف الجن بقوله : (هم أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة ، وقد انكرها الفلاسفة والمعتزلة) [2] .

ويعرفها ابو اسامة محيي الدين ، بقوله : (الجن عالم آخر من عالم الغيب، غير عالم الإنسان وعالم الملائكة ــ يشترك مع الإنسان في صفات معينة وهي :

ــ الاتصاف بصفة العقل ، والإدراك والتكليف .

ــ القدرة على اختيار طريق الخير والشر .

كما أنهم يختلفون مع الإنسان في أمور ، أهمها أن أصل الجان مخالف لأصل الإنسان فالجان من أصل ناري .

قال تعالى : ﴿والجان خلقناه من قبل من نار السموم﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿وخلق الجان من مارج من نار﴾ [4] [5] .

وأيد هذا التعريف صاحب معجم الفاظ العقيدة فقال : (الجن من مخلوقات الله كالإنس والملائكة ، وهم يتصفون بالعقل والإدراك ، ولهم القدرة على اختيار الخير والشر ، لقوله تعالى: ﴿وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قدداً﴾ [6] .

---

(١) القاموس المحيط مادة (جنن) ص ١٥٣٢ .

(٢) محصل افكار المتقدمين والمتأخرين ص ٢٢ .

(٣) سورة الحجر الآية ٢٧ .

(٤) سورة الرحمن الآية ١٥ .

(٥) عالم الجن والشياطين من القرآن الكريم وسنة خاتم المرسلين لأبي اسامة محيي الدين ص ١٠ .

(٦) سورة الجن آية ١١ .

وسموا جناً لاجتنانهم أي استتارهم عن العيون ، قال تعالى :﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾ (١) وهم مخلوقون من نار ، قال تعالى : ﴿والجان خلقناه من قبل من نار السموم﴾) (٢) (٣) .

ومن أجمل التعريفات ما ذكره ابن حزم ، بقوله : (الجن أجسام رقاق صافية هوائية ، لا ألوان لها وعنصرهم النار ، كما أن عنصرنا التراب ويروننا ولا نراهم) (٤) .

ويحكي الامام ابن حجر تعريفاً عن الباذلني نقله عن المعتزلة ، وهو : (أن الجان أجسام رقيقة بسيطة . قال وهذا غير ممتنع ، ان ثبت به سمع . وقال أبو يعلي بن الفراء الجن أجسام مؤلفة ، وأشخاص ممثلة يجوز أن تكون رقيقة ، ويجوز أن تكون كثيفة خلافاً للمعتزلة في دعواهم أنها رقيقة) (٥) .

قال ابن حجر : (وامتناع رؤيتنا لهم من جهة رقتها ، هو ممنوع فإن الرقة ليست بمانعة عن الرؤية ، ويجوز أن يخفى عن رؤيتنا بعض الأجسام الكثيفة ، إذا لم يخلق الله فينا ادراكها) (٦) ، قلت ومن هذه الجهة ، فإن انكار بعض الناس للجن، لأن الإيمان بهم غير خاضع لقواعد عقلية ، بل هي فوق العقل وأن كان العقل غير مانع لذلك .

---

(١) سورة الأعراف الآية ٢٧ .

(٢) سورة الحجر الآية ٢٧ .

(٣) معجم الفاظ العقيدة ص ١٢٣ .

(٤) انظر الفصل في الملل والاهواء والنحل ١٢/٥ ــ ١٣ .

(٥) فتح الباري ٣٩٦/٦ .

(٦) فتح الباري ٣٩٦/٦ .

المبحث الأول
أصل خلق الجن وأصنافهم

ذكر البخاري أحاديث كثيرة عن أصل الجن وأصنافهم [١] ، ونحن هنا سوف نتطرق إلى هذه المسائل كلها ، ونشير إلى القول الراجح إن شاء الله تعالى .

فأما أصل خلق الجن ، فإن الآيات والأحاديث القرآنية والأحاديث النبوية ، تدل دلالة قاطعة على أن الجن خلقوا من النار ، كما خلق الإنسان من الطين ، والأدلة على ذلك كثيرة منها :

يقول الله تعالى على لسان إبليس حين أمره بالسجود لآدم عليه السلام :﴿قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ [٢] ، وإبليس كان من الجن بنص القرآن ، يقول تعالى : ﴿إلا إبليس كان من الجن﴾ [٣] ، ويقول الله تعالى : ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون ، والجان خلقناه من قبل من نار السموم﴾ [٤] .

يقول الطبري في تعليقه على هذه الآية : (وعني بالجان هنا : إبليس أبا الجن، يقول تعالى ذكره : وإبليس خلقناه من قبل الإنسان من نار السموم) [٥] .

وكذلك يقول القرطبي في تفسيرها : (أي من قبل خلق آدم ، وقال الحسن : يعني إبليس ، خلقه الله تعالى قبل آدم عليه السلام من النار) [٦] .

---

(١) فتح الباري ٣٨٥/٦ .
(٢) سورة الأعراف الآية ١٢ .
(٣) سورة الكهف الآية ٥٠ .
(٤) سورة الحجر الآيتان ٢٦ ــ ٢٧ .
(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣٠/٨ .
(٦) الجامع لأحكام القرآن ٢٣/٩ .

ويقول تعالى : ﴿وخلق الجان من مارج من نار﴾ [1] ، وقد دلت السنة كذلك على هذا الشيء ، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها ، عن النبيﷺ قال : ((خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم)) [2] .

وقال النووي في تعليقه على هذا الحديث ما نصه : (الجان هم الجن والمارج هو اللهب المختلط بسواد النار) [3] ، فهذه الآيات وهذا الحديث ، يدل دلالة واضحة على أن الجن خلقوا من النار .

وآية الحجر فيها نص صريح في أن الجان خلق قبل الإنسان ، وإذا كان الأمر كذلك يحسن بنا أن نعرج على خلق إبليس ، وهل كان أصله من الملائكة أم من غيرهم ، لأن أكثر أقوال العلماء تبين أن إبليس هو أبو الجن ، وهذه المسألة متعلقة بالأصل الذي فتحدث عنه ، يقول الإمام ابن حجر : (وإبليس هو أبو الجن على القول الراجح) [4] .

ويدل لهذا القول أدلة كثيرة منها :

١ ـ قوله تعالى : ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾ [5] .

فأطلق لفظ (الجن) هنا ، لم يجز أن يعنى به إلا الجنس المعروف لدى العرب وكل ما في القرآن من ذكر الجن مع الإنس يدل عليه ، لأن العرب لها فهم غير ذلك.

---

(١) سورة الرحمن الآية ١٥ .

(٢) اخرجه مسلم (٢٩٩٦) .

(٣) شرح مسلم للنووي ١٢٣/١٤ ـ ١٢٤ .

(٤) فتح الباري ٣٩٦/٦ .

(٥) سورة الكهف الآية ٥٠ .

فهذه دالة دلالة واضحة ، أنه كان من الجن ولم يكن من الملائكة ، وان من يتوهم انه كان من الملائكة فانه مخطيء ، وإنما أمر بالسجود مع الملائكة ، لأنه كان معهم اثناء الأمر .

يقول ابن كثير في تفسيره : (أي خانه أصله ، فإنه خلق من مارج من نار وأصل خلق الملائكة من نور ، كما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ قال : ((خلقت الملائكة من نور ، وخلق إبليس من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم)) [1] ، فعند الحاجة : نضح كل وعاء بما فيه ، وخانه الطبع عند الحاجة ، وذلك أنه كان قد توسم بأفعال الملائكة ، وتشبه بهم ، وتعبد وتنسك ، فلهذا دخل في خطابهم وعصى بالمخالفة [2] ، وقد استدل الامام الشينقيطي بهذه الآية على أن ابليس لم يكن ملك ، يقول : (هو من أظهر النصوص القرآنية الذي يؤيد حجة من قال : إنه غير ملك) [3] ، ومن الأدلة أن ابليس كان من غير جنى الملائكة ، قوله تعالى : ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ [4] .

فنفى الله عنهم المعصية نفياً تاماً ، ولكن إبليس خالف الأمر وعصى ، فوجب أن لا يكون منهم ، لأن المعصية في حقهم ممتنعة ، كما نصت هذه الآية على ذلك .

٢ ـ أن إبليس مخلوق من النار ، والملائكة خلقوا من النور ، كما سبق ذكره .

٣ ـ أن إبليس له ذرية ، والملائكة لا ذرية لهم ، إنما قلنا إن إبليس له ذرية ، لقوله تعالى في صفته : ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني﴾ [5] ، وهذا صريح في إثبات الذرية له ، وإنما قلنا إن الملائكة لا ذرية لهم ، لأنّ الذرية إنما تحصل من

---

(١) اخرجه مسلم (٢٩٩٦) .
(٢) تفسير ابن كثير ٣/٨٧ ـ ٨٨ .
(٣) انظر أضواء البيان ٤/١٢١ .
(٤) سورة التحريم الآية ٦ .
(٥) سورة الكهف الآية ٥٠ .

الذكر والأنثى والملائكة لا أنثى فيهم ، لقوله تعالى :﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم﴾ (١) ، قال الرازي في تعليقه على هذه الآية : (انكر تعالى على من حكم عليهم بالأنوثة ، فإذا انتفت الأنوثة انتفى التوالد في حقهم لا محالة ، فانتفت الذرية) (٢) .

وقال الحسن ، وقتادة (أن إبليس أبو الجن كما أن آدم أبو البشر، ولم يكن ملكاً) (٣) .

وقال ابن حجر في تأيد قول ان ابليس هو ابو الجن ، وان اصلهم مخالف لأصل الملائكة : (إذا ثبت وجودهم ، فقد اختلف في أصلهم فقيل : إن أصلهم من ولد إبليس ، فمن كان منهم كافراً سمى شيطاناً ، وقيل إن الشياطين خاصة أولاد إبليس ، ومن عداهم ليسوا من ولده ، وحديث ابن عباس الآتي في تفسير سورة الجن ، يقوى أنهم نوع واحد من أصل واحد ، واختلف صنفه فمن كان كافراً سمى شيطاناً ، وإلا قيل له جنى) (٤) .

والحديث الذي يشير إليه ابن حجر هو : عن ابن عباس قال : ((انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامرين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين ، فقالوا : ما لكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب ، قال : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث ، فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ، ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء ؟ قال : فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة ، وهو عامر إلى سوق عكاظ ، وهو يصلي

---

(١) سورة الزخرف الآية ١٩ .

(٢) التفسير الكبير ٢١٤/١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٩٤/١ .

(٤) فتح الباري ٣٩٦/٦ .

بأصحابة صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن تسمعوا له فقالوا : هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا : يا قومنا ، إنا سمعنا قرآنا عجبا، يهدي إلى الرشد فآمنا به ، ولن نشرك بربنا أحدا ، وانزل الله عزوجل على نبيه ﷺ ﴿قل اوحى إلي انه أستمع نفر من الجن﴾ [1] وانما اوحى إليه قول الجن)) [2] ، فسموا في هذا الحديث شياطين ، وهم الجن فلا خلاف بينهم الا في الصفات ، كما سوف يتضح بعد قليل .

٤ ـ ومن الأدلة على أن ابليس هو ابو الجن ، وان الملائكة مخالفين للجن ، قوله تعالى : ﴿ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ، قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾ [3] .

يقول الرازي : (هذه الآية صريحة في الفرق بين الجن والملك) [4] ، ولو كان ابليس منهم لقالوا انهم كانوا يعبدون ابليس وهو عاصي ! .

٥ ـ ومن استدل بقوله تعالى : ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس﴾ [5] ، فان الاستثناء فيها منقطع ، وهو مشهور في كلام العرب ، وقد ورد في القرآن الكريم كثير كقوله تعالى : ﴿ما لهم به من علم إلا اتباع الظن﴾)[6] [7].

قال شهر بن حوشب : كان من الجن الذين طردتهم الملائكة في الأرض ، حين أفسدوا .. والاستثناء من غير الجنس شائع في كلام العرب سائغ [8] .

---

(١) سورة الجن الآية ١ .

(٢) اخرجه البخاري (٤٩٢١) .

(٣) سورة سبأ الآيتان ٤٠ ـ ٤١ .

(٤) التفسير الكبير ٢١٣/١ .

(٥) سورة البقرة الآية ٣٤ .

(٦) سورة النساء الآية ١٥٧ .

(٧) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٩٤/١ .

(٨) انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ٤٠٤/٢ .

قال ابن عاشور : (واستثناء إبليس من ضمير الملائكة في﴿فسجدوا﴾ استثناء منقطع ، لأن إبليس لم يكن من جنس الملائكة ، قال تعالى في سورة الكهف :﴿إلا إبليس كان من الجن﴾ [1] ، ولكن الله جعل أحواله ، كأحوال النفوس الملكية ، بتوفيق غلب على جبلته ، لتتأتى معاشرته بهم ، وسيره على سيرتهم فساغ استثناء حاله من أحوالهم، في مظنة ، أن يكون مماثلاً لمن فيهم) [2] .

٦ ــ روى ابن جرير الطبري عن الحسن قال : (ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط ، وإنه لأصل الجن ، كما أن آدم أصل الإنس) [3] .

يقول القاضي عياض : (ومما يذكرونه : قصة إبليس ، وأنه كان من الملائكة ورئيساً فيهم ، ومن خزان الجنة .. إلى آخر ما حكوه ، وأنه استثناه من الملائكة بقوله : ﴿فسجدوا إلا إبليس﴾ [4] ، وهذا أيضاً لم يتفق عليه .. بل الأكثر ينفون ذلك ، وأنه أبو الجن ، كما أن آدم أبو الإنس ، وهو قول الحسن وقتادة ، وابن زيد) [5].

ويعلق شيخ الإسلام على هذه الآية ، وكيف ان ابليس استثنى منهم وتوجيه هذا الاستثناء : (أنه كان منهم باعتبار صورته ، ولي منهم باعتبار أصله ، ولا باعتبار مثاله) [6] .

وهو من أحسن الأقوال ، ومنه يفهم لماذا أمر إبليس بالسجود مع الملائكة وليس منهم ، فإنه قد شاركهم في الطاعة ، ودرجة العبودية ، فجعل منهم صورة لا حقيقة ، وهذا القول هو الراجح ، وهو الذي عليه المعول، لان أصحاب القول الآخر ليس لهم دليل واضح ، وإنما هي عمومات لا تقوم عليها حجة .

---

(١) سورة الكهف الآية ٥٠ .

(٢) التحرير والتنوير ٤٢٣/١ .

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٢٦/١ ، وتفسير القرآن العظيم ٦٦/١ ــ ٧٧.

(٤) سورة البقرة الآية ٣٤ .

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٤٠٣/٢ ــ ٤٠٤ .

(٦) مجموع الفتاوى ٣٤٦/٤ .

وأما أصناف الجن ، فقد ذكر البخاري في هذا الكتاب آثارا ، وأحاديث يستفاد منها أن الجن أصناف وأنواع .

وأول هذه الأحاديث حديث ابن عمر : ((فبينما أنا أطارد حية لأقتلها ، فناداني أبو لبابة : لا تقتلها ، فقلت : إن رسول الله ﷺ قد أمر بقتل الحيات ، فقال : إنه نهى بعد ذلك عن ذوات البيوت ، وهي العوامر)) [١] ، وهم الجن الذي يتشكلون بالهوام .

قال ابن حجر : (العوامر هي سكان البيوت من الجن ، وتسميتهن عوامر لطول لبثهن في البيوت مأخوذ من العمر ، وهو طول البقاء) [٢] .

وقال العيني : (ونهى عن قتل جيات البيوت ، لأن الجن تتمثل بها) [٣] .

ويوضح كلام ابن حجر هذا ، ويؤيده رواية مسلم رحمه الله بسنده وجا فيها : (عن أبي السائب مولى هشام بن زهرة ، أنه دخل على أبي سعيد الخدري في بيته قال : فوجده يصلى ، فجلست أنتظره حتى يقضي صلاته ، فسمعت تحريكا من عراجين [٤] في ناحية البيت ، فالتفت فإذا حية ، فوثبت لأقتلها ، فأشار إلي : أن اجلس ، فجلست ، فلما انصرف أشار إلى بيت في الدار ، فقال : أترى هذا البيت ؟ قلت : نعم ، قال : كان فيه فتى منا حديث عهد بعرس ، قال فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق ، فكان ذلك التفى يستأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار، فيرجع إلى أهله ، فاستأذنه يوما ، فقال له رسول الله ﷺ ((خذ عليك سلاحك ، فإني أخشى عليك قريظة)) فأخذ الرجل سلاحه ثم رجع، فإذا امرأته بين الجابين قائمة ، فأهوى إليها

---

(١) اخرجه البخاري ح (٣٢٩٨) في بدء الخلق (٢٣١١) (٣٣١٣) ، وأخرجه مسلم (٢٢٣٣) .

(٢) الفتح ٤٠١/٦ ، وانظر عمدة القاري ١٨٩/١٥ .

(٣) عمدة القاري ١٨٨/١٥ .

(٤) قال محمد فؤاد عبدالباقي (عراجين) أراد بها الأعواد التي في سقف البيت شبهها بالعراجين والعراجين مفردة عرجون : وهو العود الأصفر الذي في شمايخ العذق ، وهو فعلون من الانعراج والانعطاف والواو والنون زائدان .
انظر هامش صحيح مسلم ١٧٥٦/٤ .

بالرمح ليطعنها به ، وأصابته غيرة ، فقالت له : اكفف عليك رمحك ، ودخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني ، فدخل فإذا حية عظيمة منطوية على الفراش ، فأهوى إليها بالرمح فانتظمها به ثم خرج فركزه في الدار ، فاضطربت عليه ، فما يدري أيهما أسرع موتا، الحية أم الفتى ؟ قال فجئنا إلى رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له ، وقلنا : ادع الله يحييه لنا ، فقال «استغفروا لصاحبكم» ثم قال «ان بالمدينة جنا أسلموا، فإذا رأيتم منهم شيئا فأذنوه ثلاثة أيام ، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان» [1] .

قال النووي : (قال العلماء ، وقول الرسول «فأذنوا ثلاثة أيام ، فان بدا لكم فاقتلوه فانما هو شيطان» قال العلماء معناه إذا لم يذهب بالانذار ، علمتم أنه ليس من عوامر البيوت ، ولا ممن اسلم من الجن ، بل هو شيطان فلا حرمة عليكم ، فاقتلوه ولن يجعل الله له سبيلا للانتصار عليكم ، بثأره بخلاف العوامر ومن اسلم والله أعلم) [2].

وحديث مسلم السابق يصرح أن هذه الحيات ، إنما هي جن وأنها تسكن في المدينة وفي غيرها والله أعلم .

والجن يتشكلون بأشكال كثيرة ومختلفة ، يقول شيخ الإسلام معلقا على هذا الحديث : (وذلك أن قتل الجن بغير حق لا يجوز ، كما لا يجوز قتل الإنس بلا حق ، والظلم محرم في كل حال ، فلا يحل لأحد أن يظلم أحدا ، ولو كان كافرا ، بل قال تعال : ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ [3] والجن يتصورون في صور الإنس والبهائم فيتصورون في صورة الحيات والعقارب وغيرها ، وفي صور الإبل والبقر والغنم ، والخيل والبغال والحمير ، وفي صور الطير وفي صورة بني آدم ــ كما أتى الشيطان قريشا في صورة سراقة بن مالك بن جعشم لما أرادوا الخروج إلى بدر ، قل تعالى :﴿وإذ زين

---

(١) اخرجه مسلم ح (٢٢٣٦) .

(٢) شرح مسلم للنووي ١٤/٢٣٥ ــ ٢٣٦ .

(٣) سورة المائدة الآية ٨ .

لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم) [1] ، إلى قوله﴿والله شديد العقاب﴾ [2] ، وكما روى أنه تصور في صورة شيخ نجدي ، لما اجتمعوا بدار الندوة هل يقتلون الرسول أو يحبسوه أو يخرجونه ؟ كما قال تبارك وتعالى : ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ [3] ، فإذا كانت حيات البيوت قد تكون جنا ، فتؤذن ثلاثا فإن ذهبت وإلا قتلت ، فإنها إن كانت حية قتلت ، وإن كانت جنية فقد أصرت على العدوان بظهورها للإنس في صورة حية ، تفزعهم بذلك ، والعادي هو الصائل الذي يجوز دفعه بما يدفع ضرره ولو كانت قتلا ، وأما قتلهم بدون سبب يبيح ذلك فلا يجوز) [4] .

قال ابن حجر : (زعم الداودي ان الجن لا تتمثل بذي الطفيتين والابتر فلذلك أذن في قتلها) [5] ، وهذا يدل انها تتشكل بغير من الحيات ، وهو قول اكثر أهل العلم.

ثم ان الجن أجناس وهم أصناف ، كما ورد الخبر بذلك في حديث عن النبي ﷺ «الجن ثلاثة أصناف : فصنف لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء ، وصنف حيات وكلاب ، وصنف يحلون ويظعنون [6]» [7] .

قال ابن عبد البر : الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان منزلون على مراتب:

---

(١) سورة الانفال الآية ٤٨ .

(٢) سورة الأنفال الآية ٤٨ .

(٣) سورة الانفال الآية ٣ .

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ص ١٩ ، ص ٤٤ ، ص ٤٥ .

(٥) فتح الباري ٤٠٢/٦ .

(٦) الظعن : سير البادية لنجفة أو حضور ماء أو طلب مربع أو تحول من ماء إلى ماء أو من بلد إلى بلد . لسان العرب لابن منظور ٢٧١/١٣ .

(٧) اخرجه السيوطي في الجامع الصغير وقال : صحيح ١٤٥/١ ، والحاكم في المستدرك وقد صححه ووافقه الذهبي ، المستدرك على الصحيحين ٤٥٦/٢ ، والألباني في صحيح الجامع الصغير ٨٥/٣ .

١ ــ فإذا ذكروا الجن خالصا قالوا : جني .

٢ ــ فإذا أرادوا أنه ممكن يسكن مع الناس ، قالوا : عامر والجمع عمار .

٣ ــ فإذا كان ممن يعرض للصبيان ، قالوا : أرواح .

٤ ــ فإذا خبث وتعزم ، فهو شيطان .

٥ ــ فإذا زاد على ذلك وقوي أمره ، قالوا : عفريت ، وجمعه عفاريت) [1] .

وهذا كله علم غيب ، ولم يرد فيه نقل حجج ، والأولى التوقف فيها .

وسيتضح من خلال النصوص المذكورة ، فيما يأتي من أبواب والفصول توضيح ذلك ، ولعل ما تبي من الحديث عن تشكلهم .

وبهذا ينتهي الحديث عن هذا المبحث .

ومما يتعلق بالحديث عن أصلهم ، أن نذكر انهم فيهم الذكر والأنثى ، كما يدل على ذلك آيات كثيرة منها :

١ ــ قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا﴾ [2] .

هذه الآية تفيد بأن هناك رجالا من الجن ، وهو الأمر الذي يتطلب نوعا آخر منهم ، وهو الإناث ، قال القرطبي (متى كان فيهم رجال ففيهم إناث البتة [3] .

كما يدل على ذلك ، قوله تعالى : ﴿لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾ [4] ، فهو يشير إلى وجود ذكور الجن .

وقد امتن الله على الخلائق بأن جعل فيهم من كل جنس نوعين الذكر والأنثى.

---

(١) نقلا عن آكام المرجان في أحكام الجان للإمام الشبلي ص ٢٠ .

(٢) سورة الجن الآية ٦ .

(٣) تفسير القرطبي ١١/١٩ .

(٤) سورة الرحمن الآية ٥٦ .

وقال تعالى : ﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾ [1] .

يقول الطاهر ابن عاشور في تفسير هذه الآية : (الأزواج : جمع زوج ، وهو يطلق على كل من الذكر والأنثى من الحيوان ، ويطلق الزوج على معنى الصنف المتميز بخواصه من نوع الموجودات ، تشبيها له بصنف الذكر وصنف الأنثى ، كما في قوله تعالى : ﴿فاخرجنا به أزواجا من نبات شتى﴾ [2] ، ولإطلاق الأول هو الكثير ، كما يؤخذ من كلام الراغب ، وهو الذي يناسبه نقل اللفظ من الزوج الذي يكون ثانيا لآخر) [3] .

وأما السنة ، فقد ورد في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه ، قال : كان النبي ﷺ إذا دخل [4] الخلاء قال : «اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث» [5].

وقد ذكر النووي في شرح هذا الحديث ، نقلا عن الإمام أبي سليمان الخطابي: («الخبث» بضم الباء جماعة الخبيث «الخبائث» جمع الخبيثة ، قال يريد ذكران الشياطين وإناثهم) [6] .

وهذا نص في اشتمال الجن على النوعين .

وقال ابن حجر : (الخبث جمع خبيث ، والخبائث جمع خبيثة ، يريد ذكران الشياطين وإناثهم ، قاله الخطابي ، وابن حبان وغيرهما) [7] .

قال ابن الأثير : (الخبث) بضم الباء جمع الخبيث ، و(الخبائث) جمع الخبيثة، يريد ذكور الشياطين وإنائهم [8] .

---

(١) سورة يس الآية ٣٦ .

(٢) سورة طه الآية ٥٣ .

(٣) التحري والتنوير ١٥/٢٣ .

(٤) أي إذا أراد الدخول وكذا جاء مصرحا في رواية البخاري «إذا أراد أن يدخل» ح (١٤٢) وانظر الفتح ٢٩٣/١ .

(٥) صحيح البخاري (١٤٢) و(٦٣٢٢) ، وصحيح مسلم (٣٧٥) .

(٦) صحيح مسلم لشرح النووي ٧١/٤ .

(٧) فتح الباري ٢٩٣/١ ـ ٢٩٣ .

(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر ٦/٢ .

وقد روى البخاري في كتاب بدء الخلق ، حديث أبي هريرة في فضل آية الكرسي قو الشيطان له في بعض الفاظ الحديث ، ولا يقربك ذكر ولا انثى) [1].

قال ابن حجر في شرح هذا الجزء منه : (دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها)، قال : في رواية أبي المتوكل: (إذا قلتهن لم يقربك ذكر ، ولا أنثى من الجن) ، وفي رواية ابن الضريس ، من هذا الوجه : (لا يقربك من الجن ذكر ، ولا أنثى ، صغير ولا كبير) [2] .

---

(١) اخرجه البخاري (٣٢٩٦) في كتاب بدء الخلق .

(٢) فتح الباري ١٠/٥٨ ـ ٥٩ .

المبحث الثاني
تكليف الجن

عقد البخاري رحمه الله تعالى في هذا الكتاب بابا عن تكليف الجن تحت عنوان (باب ذكر الجن وثوابهم وعقابهم) ذكر فيه ، قوله تعالى : ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتيكم رسل منكم يقصون عليكم ءاياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون﴾ [1] .

ثم ذكر البخاري أحاديث تدل على تكليف الله للجن ، وأول حديث هو حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أنه قال لرجل « إني أراك تحب الغنم والبادية ، فإذا كنت في غنمك وباديتك ، فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء ، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ، ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة ، قال أبو سعيد : سمعته من رسول الله ﷺ » [2] .

ثم ذكر البخاري بعد هذا باب قوله تعالى : ﴿وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى يهدي إلى حق وإلى طريق مستقيم يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا برسوله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ومن لم يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه اولياء أولئك في ضلال مبين﴾ [3] [4] .

---

(١) سورة الانعام الآيات ١٣٠ ـ ١٣٢ .

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٩٦) في كتاب بدء الخلق .

(٣) سورة الاحقاف الآيات ٢٩ ـ ٣٢ .

(٤) فتح الباري ٣٩٩/٦ .

والقول أن الجن مكلفين ، هو القول الراجح ، وما عداه من الأقوال فانه شـــاذ ونحن هنا سوف نتطرق إلى ما قاله البخاري هنا فقط ، ثم نذكر كلام اهل العلم عليه مع العـــلم انـــه ســبق الإشـــارة إلى شــيء من ذلــك ، عند الحديث على عمــوم رسالة النبــي ﷺ .

قـــال الإمام ابـــن حجر : قولـــه (بـــاب ذكر الجـــن ، وثوابـــهم وعقابـــهم) اشـــارة بهذه الترجمـــة إلى اثبـــات وجـــود الجن ، وإلى كونـــهم مكلفيـــــن) [1] ، وكذلـــك قـــال ابن كثير عند تعليقه على هذه الآية الكريمة ، قال : يســتدل بـــها أن الجن مكلفيــن [2] .

وقـــال ابـــن حجر في معرض حديثـــه عن مســـألة هل هناك رســـل مـــن الجن أم لا ؟ مع الاتفاق على التكليف : (وإذا تقرر كونهم مكلفين ، فقد اختلفوا هـــل كان فيهم نبي منهم أم لا ؟ فروى الطبري من طريق الضحكاك بن مزاحـــم إثبـــات ذلك ، قال : ومن قال بقول الضحكاك احتج بأن الله تعالى أخبر أن من الجن والإنس رسلا ، أرسلوا إليهم ، فلو جاز أن المراد برسل الجن ، رسل الإنس لجاز عكســـه، وهو فاسد انتهى . وأجاب الجمهور عن ذلك ، بأن معنى الآية أن رسل الانس رســل من قبل الله إليهم ، ورسل الجن بثهـــم الله في الأرض ، فســـمعوا كلام الرسل مـــن الإنس وبلغوا قومهم ، ولهذا قال قائلهم ﴿إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موســـــى﴾ [3] واحتج ابن حزم بأن ﷺ بعثته محمد لعموم الجن والإنـــس باتفـــاق ، وقـــال ابـــن عبدالبـــر : (لا يختلفون أنه ﷺ بعث إلى الإنس والجن) وهذا مما فضل بـــه علـــى الأنبياء ، وقال إمام الحرمين في (الإرشاد) في أثناء الكلام مع العيسوية : وقد علمنـــا ضرورة أنـــه ﷺ ادعى كونه مبعوثا إلى الثقلين ، وقال ابن تيمية : اتفق على ذلك

---

(١) فتح الباري ٦/٣٩٥ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢/١٦٨ .

(٣) سورة الأحقاف الآية ٣٠ .

علماء السلف من الصحابة ، والتابعين وأئمة المسلمين) [١] .

ويكاد علماء المسلمين يجمعون على تكليف الجن فيقول ابن كثير في تعليقه على هذه الآية : ﴿يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم ءاياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾ [٢] ، وهذا أيضا مما يقرع الله به كافري الجن وانس يوم القيامة حيث يسألهم ، وهو أعلم هل بلغتهم الرسل رسالاته ، وهذا استفهام تقرير ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم﴾ [٣] أي من جملتكم والرسل من انس فقط ، وليس من الجن رسل ، كما نص على ذلك مجاهد وابن جريج ، وغير واحد من الأئمة من السلف والخلف ، وقال ابن عباس الرسل من بني آدم ، ومن الجن نذر ، وحكى ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم ، أنه زعم أن في الجن رسلا واحتج بهذه الآية الكريمة وفيه نظر لأنها محتملة وليست بصريحة ، وهي والله أعلم كقوله ﴿مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ [٤] إلى أن قال ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ [٥] ومعلوم أن اللؤلؤ والمرجان أنهما يستخرجان من الملح ، لا من الحلو وهذا واضح ولله الحمد وقد ذكر هذا الجواب بعينه ابن جرير ، والدليل على أن الرسل إنما هم من انس قوله تعالى ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ــ إلى قوله ــ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون على الناس على الله حجة بعد الرسل﴾ [٦] وقوله تعالى عن إبراهيم ﴿وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾ [٧] فحصر النبوة والكتاب بعد

---

(١) فتح الباري ٣٩٦/٦ ــ ٣٩٧ .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٣٠ .

(٣) سورة الأنعام الآية ١٣٠ .

(٤) سورة الرحمن الآيتان ٢٠ ــ ٢١ .

(٥) سورة الرحمن الآية ٢٢ .

(٦) سورة النساء الآية ١٦٥ .

(٧) سورة الحديد الآية ٢٦ .

إبراهيم في ذريته ، ولم يقل أحد من الناس أن النبوة كانت في الجن قبـــل إبراهيـــم الخليل ، ثم انقطعت عنهم ببعثته وقال تعالى﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنـــهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾ (١) وقال ﴿وما أرسلنا من قبلـــك إلا رجـــالا نوحي إليهم من أهل القرى﴾ (٢) ومعلوم أن الجن تبع للإنس في هذا الباب ولهذا قال تعالى إخبارا عنهم ﴿وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضـــروه قالوا انصتوا فلما قضى ولو إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا أنا سمعنا كتابا أنـــزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم يـــا قومنـــا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئـــك فـــي ضـــلال مبين﴾ (٣) (٤) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (والجن مكلفون كتكليف الانـــس ومحمـــد ﷺ مرسل إلى الثقلين الجن والانس ، وكفار الجن يدخلون النـــار بنصـــوص وإجمـــاع المسلمين ، وأما مؤمنوهم فعندنا فيهم قولان ، واكثر العلماء على انهم مثابون أيضـــا ويدخلون الجنة .

وقد ذكر الله الجن الأبرار ، والفجار في سورتي الاحقـــاف والجـــن ، قـــال تعالى: ﴿وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قردا﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن اسلم فـــأولئك تحـــروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾ (٦) .

فالجن فيهم الكفار والفساق والعصاة ، وفيهم من فيه عبادة ودين بنوع من قلة العلم، كما في الانس وكل نوع من الجن يميل إلى نظرية من الإنس ، فاليـــهود مـــع اليهـــود والنصارى مع النصارى والمسلمون مع المسلمون ، والفســـاق مع الفساق،

---

(١) سورة الفرقان الآية ٢٠ .
(٢) سورة يوسف الآية ١٠٩ .
(٣) سورة الأحقاف الآيات ٢٩ ــ ٣٢ .
(٤) تفسير ابن كثير ١٦٨/٢ ــ ١٦٩ .
(٥) سورة الجن الآية ١١ .
(٦) سورة الجن الآيتان ١٤ ــ ١٥ .

والبدع مع أهل الجهل والبدع) [١] ، فهم كالإنس في التكليف والإدراك ، وعموم الرسالة .

قال العيني : (اتفق العلماء ان كافر الجن يعذب في الآخرة ، لقوله تعالى : ﴿النار مثواكم﴾) [٢] [٣] ، وإذا كان الاتفاق على تعذيبه ، لانه كافر فانه مطلوب منه الايمان ، ولو لم يطلب منه لم يعذب .

وقال في تعليقه على الآية ، التي ذكرها البخاري : ﴿يا معشر الجن والإنس ألم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي﴾ [٤] إلى قوله : ﴿عما يعملون﴾ [٥] اللزم في لقوله للتعليل للترجمة ، لأجل الاستدلال به ووجه الاستدلال ان قوله تعالى : ﴿ينذرونكم﴾ [٦] يدل على العقاب ، وقوله: ﴿ولكل درجات مما عملوا﴾ [٧] ، يدل على الثواب وتمام الآية كذلك .

﴿بخسا نقصا﴾ اشار به إلى ما في قوله تعالى : ﴿فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا﴾ [٨] وفسر البخس بقوله نقصا ، قال الفراء البخس النقص والرهق والظلم فدلت الآية ، ان من يكفر يخاف والخوف يدل على كون الجن مكلفين لأن الآية فيهم) [٩] ، فيكون تكليف الجن ، ووجود الثواب والعقاب عليهم ، أمرا ظاهرا ، وهو صريح القرآن والسنة كذلك .

---

(١) الفرقان بين الحق والباطل لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١١٠ ــ ١١١ .
(٢) سورة الأنعام الآية ١٢٨ .
(٣) عمدة القاري ١٥/١٨٤ .
(٤) سورة الانعام الآية ١٣٠ .
(٥) سورة الأنعام الآية ١٣٢ .
(٦) سورة الانعام الآية ١٣٠ .
(٧) سورة الانعام الآية ١٣٢ .
(٨) سورة الجن الآية ١٣ .
(٩) عمدة القاري ١٥/١٩٥ .

قال ابن حجر في تعليقه على الآية ، التي ذكرها البخاري : (﴿ولكل درجات مما عملوا﴾ [1] ، أي الإنس والجن ونقل عن مالك ابن أنس ، أنه أستدل على ان عليهم العقاب ، ولهم الثواب لقوله تعالى :﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [2] ثم قال: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ [3] والخطاب للإنس والجن ، فإذا ثبت أن فيهم مؤمنين والمؤمن من شأنه ، أنه يخاف ربه ثبت المطلوب والله أعلم) [4] ، وإثبات تكليف الجن ، يدل عليه الاجماع كما نقل الرازي يقول : (اطبق الكل على أن الجن مكلفون) [5] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : (كما يجب الإيمان بوجود الجن في هذا الطلب ، وأنهم خلق من خلق الله تعالى ، وأنهم أحياء عقلاء ، ومأمورون ومنهيون ، وأن ذلك أمر متواتر معلوم بالاضطرار) [6] .

وقال أيضا في موضوع أخر : (الجن مأمورون بالأصول والفروع بحسبهم ، فإنهم ليسوا مماثلين للإنس في الحد والحقيقة ، فلا يكون ما أمروا به ، ونهوا عنه مساويا لما على الإنس في الحد ، لكنهم مشاركون للإنس في جنس التكليف ، بالأمر والنهي والتحليل والتحريم ، وهذا ما لم أعلم فيه نزاعا بين المسلمين) [7] .

وسياق البخاري لحديث ابي سعيد في باب ذكر ثواب الجن ، يؤكد أنه انما ساقه لأنه فيه قوله لا يسمع مدة صوت المؤذن جن ولا انس ، الا شهد له يوم القيامة ، قال ابن حجر : (والغرض من الحديث هنا أن الجن يحشرون يوم القيامة، يحضرون للحساب) [8] .

---

(١) سورة الانعام الآية ١٣٢ .

(٢) سورة الرحمن الآية ٤٦ .

(٣) سورة الرحمن الآية ٤٧ .

(٤) فتح الباري ٣٩٨/٦ .

(٥) التفسير الكبير ٣١٣/١٨ .

(٦) الفتاوى ١٠/١٩ .

(٧) الفتاوى ٢٣٣/٤ .

(٨) انظر فتح الباري ٣٩٩/٦ .

ومما يدل على تكليف الجن ، كذلك عموم رسالته ﷺ ولذلك ذكر البخاري الآيات الدالة على العموم في باب تكليف الجن .

وأما قوله تعالى : ﴿وإذا صرفنا اليك نفرا يسمعون القرآن﴾ (١) إلى قوله تعالى : ﴿في ضلال مبين﴾ (٢) .

قال الرازي : (هذه الآية تدل على أنه ﷺ كان مبعوثا إلى الجن ، كما كان مبعوثا إلى الإنس) (٣) ، والغرض من البحث اليهم تعليمهم دين الله ، وتكليفهم شرعه ودينه .

وقال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية : (فيه دلالة على أنه تعالى أرسل محمد ﷺ إلى الثقلين الجن والإنس ، حيث دعاهم إلى الله تعالى ، وقرأ عليهم السورة التي فيها خطاب الفريقين ، وتكليفهم ووعدهم ووعيدهم وهي سورة الرحمن ، ولهذا قال : ﴿أجيبوا داعي الله وءامنوا به﴾) (٤) (٥) .

كما استدل ابن قيم الجوزية بهذه الآية على التكليف حيث يقول : (وهذا صريح في أنهم مكلفون مأمورون ، بإجابة الرسول ، وهي تصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر) (٦) .

وقد قال بدر الدين الشبلي رحمه الله : (قول النفر الذين استمعوا القرآن لقومهم : ﴿ياقومنا أجيبوا داعي الله وءامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم﴾ (٧) صريح ظاهر في بعثته إليهم وانقيادهم للإيمان به وقول النفر :

---

(١) سورة الأحقاف الآية ٢٩ .
(٢) سورة الأحقاف الآية ٣٢ .
(٣) التفسير الكبير ٣٢/٢٨ .
(٤) سورة الأحقاف الآية ٣١ .
(٥) تفسير القرآن العظيم ١٦٩/٤ .
(٦) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٤٢١ .
(٧) سورة الأحقاف الآية ٣١ .

﴿ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين﴾ [1] صريح في أن من لم يؤمن بالنبي ﷺ من الجن فهو كافر) [2] .

وقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، أن رسالة النبي ﷺ عامة إلى جميع الثقلين الإنس والجن ، فقال : (أرسل الله محمدا ﷺ إلى جميع الثقلين الإنس والجن ، وأوجب عليهم الإيمان به ، وبما جاء به وطاعته ، وأن يحللون ما حلل الله ورسوله ﷺ ، ويحرمون ما حرم الله ورسوله ﷺ ، وأن يوجبوا ما أوجب الله ورسوله ﷺ ، ويحبوا ما أحب الله ورسوله ﷺ ، ويكرهوا ما كره الله ورسوله ﷺ ، وإن كل من قامت عليه الحجة ، برسالة محمد ﷺ من الإنس والجن، فلم يؤمن استحق عقاب الله تعالى ، كما يستحق أمثاله من الكافرين ، الذين بعث إليهم الرسل ، وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة التابعين ، وأئمة المسلمين وسائر الطوائف المسلمين أهل السنة والجماعة ، وغيرهم) [3] .

وقد سبق الحديث عن الأحاديث الدالة على عموم رسالتهﷺ ، والتعليق عليها وسياق الأقوال في هذه المسألة في مبحث عموم رسالة النبي ﷺ إلى الجن ، والإنس فنكتفي بما ذكر هناك .

---

(١) سورة الأحقاف الآية ٣٢ .

(٢) آكام المرجان في أحكام الجان ص ٥٠ .

(٣) الفتاوى ٩/١٩ .

المبحث الثالث
قدرات الجن وأعمالهم

أعطى الله الجن قدرة على التصور والتشكل ، بأي شكل أرادوا في صورة الإنس أو الحيوان ، أي كائنات أخرى على اختلافها ، يقول ابن تيمية : (والجن يتصورون في صور الإنس والبهائم ، فيتصورون في صورة الحيات والعقارب وغيرها ، وفي صور الإبل والبقر والغنم والخيل والبغال ، والحمير وفي صور الطير وفي صورة بني آدم ، كما أتى الشيطان قريشا في صورة سراقة بن مالك بن جعشم لما أرادوا الخروج إلى بدر .. وكما روي أنه تصور في صورة شيخ نجدي، لما اجتمعوا بدار الندوة هل يقتلوا الرسول ، أو يحبسوه أو يخرجوه) [1] .

وقد ذكر البخاري رحمه الله تعالى أحاديث عدة تدل على هذا المعنى ، وأن الجن يتشكلون بأشكال مختلفة ، وأن الله اعطاهم هذه القدرة ، ومن ذلك حديث أبي هريرة ونصه :

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان ، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ، فذكر الحديث فقال : إذا أويت إلى فراشك ، فاقرأ آية الكرسي ، لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فقال النبي ﷺ «صدقك وهو كذوب، ذاك شيطان» [2] .

فهذا الحديث يدل على أن أبا هريرة رضي الله عنه ، رأى الشيطان في صورة إنسان ، وكان يكلمه ويحادثه .

---

(١) مجموع الفتاوى ١٩/٤٤ ــ ٤٥ .

(٢) أخرجه البخاري ح (٣٢٧٥) في كتاب بدء الخلق .

ومما يدل على هذا أيضا ما روى البخاري في صحيحة ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((من رآني في المنام فقد رآني ، فإن الشيطان لا يتمثل بي)) (١) .

والحديث دليل على أن الشيطان يمكن أن يتمثل بأي أحد ، بحيث يلتبس على الإنسان عندما يراه ، فيعتقد أنه هو الأصل فيما عدا سيدنا محمد ﷺ ، فإن الشيطان لا يتمثل به ، ومفهوم المخالفة أن من عداه فانه يتمثل به .

ومما يتشكلون عليه الجن ، تشكلهم في صورة حيات ، فإن الجن قد تتشكل بالحيات ، وتسكن البيوت وتظهر للناس ، ولهذا نهى رسول الله ﷺ عن قتل حيات البيوت خشية ، أن يكون هذا المقتول جنيا .

وقد روى البخاري في ذلك حديث عن ابن عمر ، أنه كان يقتل الحيات قال : فلقيت أبا لبابة ، فأخبرني أن النبي ﷺ قال : ((لا تقتلوا الحيات إلا الأبتر ، وذي الطفيتين ، فإنه يسقط الولد ، ويذهب البصر فاقتلوه)) (٢) .

ومما يوضح هذا الحديث ، وبينه ما رواه مسلم في صحيحه ، عن أبي السائب مولى هشام بن زهرة ، أنه قال : دخلت على أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، في بيته فوجدته يصلي ، فجلست أنتظره حتى يقضي صلاته ، فسمعت تحريكا في عراجين ، في ناحية البيت ، فالتفت فإذا حية ، فوثبت لأقتلها ، فأشار إلي أن أجلس فجلست ، فلما انصرف أشار إلى بيت في الدار ، فقال : أترى هذا البيت ؟ فقلت : نعم ، قال : كان فيه فتى منا حديث عهد بعرس ، قال : فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق ، فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار ، فيرجع إلى أهله ، فاستأذنه يوما ، فقال له رسول الله ﷺ : ((خذ عليك سلاحك ، فإني أخشى عليك قريظة)) ، فأخذ الرجل سلاحه ثم رجع فإذا امرأته بين البابين

---

(١) صحيح البخاري ٨/٧١ – ٧٢ .

(٢) اخرجه البخاري ح (٣٣١١) في كتاب بدء الخلق .

قائمة ، فأهوى إليها الرمح ليطعنها به ، وأصابته غيرة ، فقالت له : اكفف عليك رمحك ، فدخل فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش ، فأهوى إليها بالرمح فانتظمها به ، ثم خرج فركزه في الدار ، فاضطربت عليه ، فما يدري أيهما كان أسرع موتا الحية ، أم الفتى ؟ قال : فجئنا إلى رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له ، وقلنا: ادع الله يحييه لنا ، فقال : ((استغفروا لصاحبكم)) ثم قال : ((إن بالمدينة جنا قد أسلموا ، فإذا رأيتم منهم شيئا ، فآذنوه ثلاثة أيام ، فإن بدا لكم بعد ذلك ، فاقتلوه فإنما هو شيطان)) [١] .

وفي رواية : ((إن لهذه البيوت عوامر ، فإذا رأيتم شيئا منها ، فحرجوا عليها ثلاثا فإن ذهب وإلا فاقتلوه ، فإنه كافر)) ، وقال لهم : ((اذهبوا فادفنوا صاحبكم)) [٢] ، فهذه الحية التي قتلها هذا الانصاري ، كانت جنيا فلما قتله هذا الرجل قتله الجن به ، ولذلك أمر الرسول المسلمين ان لا يقتلوا هذه الحيات حتى يستأذنوها ويحرجوها ثلاثة أيام .

يقول النووي في شرح هذا الجزء من الحديث : ((فآذنوه ثلاثة أيام فإن بدا لكم بعد ذلك ، فاقتلوه فإنما هو شيطان)) يقول : (قال العلماء : معناه وإذا لم يذهب بالإنذار علمتم أنه ليس من عوامر البيوت ، ولا ممن أسلم من الجن ، بل هو شيطان فلا حرمة عليكم فاقتلوه ولن يجعل الله له سبيلا للانتصار عليكم ، بثأره بخلاف العوامر ومن أسلم) [٣] .

قال القرطبي في تفسيره : (قال علماؤنا رحمة الله عليهم : لا يفهم من هذا الحديث أن هذا الجان الذي قتله هذا الفتى كان مسلما، وأن الجن قتلته به قصاصا ، لأنه لو سلم أن القصاص مشروع بيننا ، وبين الجن لكان إنما يكون في العمد المحض ، وهذا الفتى لم يقصد ولم يتعمد قتل نفس مسلمة ، إذ لم يكن عنده علم من

---

(١) انظر صحيح مسلم ١٧٥٦/٤ ــ ١٧٥٧ .

(٢) انظر صحيح مسلم ١٧٥٧/٤ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ٢٣٥/١٤ ــ ٢٣٦ .

ذلك ، وإنما قصد إلى قتل ما سوغ قتل نوعه شرعا ، فهذا قتل خطأ ولا قصاص فيه، فالأولى أن يقال : إن كفار الجن أو فسقتهم، قتلوا الفتى بصاحبهم عدوا وانتقاما.

وإنما قال النبي ﷺ : ((إن بالمدينة جنا قد أسلموا)) ليبين طريقا يحصل به التحرز من قتل المسلم منهم ، ويتسلط به على قتل الكافر منهم) [1] .

قلت : عندما يتشكل الجن بشكل إنسان أو حيوان ، يمكن رؤيته وقتله ، لأنه في هذه الحالة يتحكم فيه ، الشكل الذي تشكل به والله أعلم .

وكثيرا ما يتشكل الجن في صورة كلب أسود ، أو قط أسود أو غيرها من الأشكال السود البهيمة السواد .

قال ابن تيمية : (الكلب الأسود شيطان الكلاب ، والجن تتصور بصورته كثيرا ، وكذلك بصورة القط الأسود ، لأن السواد أجمع للقوى الشيطانية من غيره، وفيه قوة الحرارة) [2] .

وكلام ابن تيمية ، يؤيد امر النبي بقتل الكلاب ، قال العيني : واخذ مالك واصحابه وكثير من العلماء ، جواز قتل الكلاب الا ما استثنى منها ، ولم يروا الأمر بقتل ما عدا المستثنى منسوخا ، بل محكما وقام الاجماع على قتل العقور منها واختلفوا في قتل مالا ضرر فيه ، فقال امام الحرمين امر الشارع اولا ، بقتلها كلها ثم نسخ ذلك ونهى عن قتلها الا الأسود البهيم ، ثم استقر الشرع على النهي عن قتل جميعها ، الا الاسود ((لحديث عبدالله بن مغفل المزني ، لولا ان الكلاب امة من الأمم لامرت بقتلها ، رواه اصحاب السنن الأربعة ، ومعنىً البهيم شيطان بعيد عن المنافع قريب من المضرة ، وهذه أمور لا تدرك بنظر ولا يوصل اليها بقياس ، وانما ينتهى إلى ما جاء عن الشارع)) [3] .

---

(1) الجامع لأحكام القرآن ٣١٦/١ ــ ٣١٧ .

(2) مجموع الفتاوى ٥٢/١٩ .

(3) رواه البخاري (٣٣٢٣) في كتاب بدء الخلق ، وأخرجه مسلم (١٥٧٠) .

((عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه صلى صلاة فقال : إن الشيطان عرض لي ، فشد علي يقطع الصلاة علي ، فأمكنني الله منه .. فذكره)) .

وقال ابن حجر في تعليقه ، على هذا الحديث : (أن الشيطان قد يتصور ببعض الصور ، فتمكن رؤيته ، وأن قوله : ﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾ [1] مخصوص بما إذا كان على صورته التي خلق ، فانه يظهرو للإنس بالشرط المذكور: يقصد إذا اتشكلوا بغير صورهم) [2] .

ومن أعمال الجن التي يستطيعون القيام بها ، وذكرت في هذا الباب كذلك المقدرة على استراق السمع من السماء ، وقد جاء ذلك مذكورا في حديث عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((إن الملائكة تنزل في العنان ــ وهو السحاب ــ فتذكر الأمر قضى في السماء ، فتسترق الشياطين السمع فتسمعه ، فتوحيه إلى الكهان ، فيكذبون منها مائة كذبة من عند أنفسهم)) [3] ، وفي رواية عن عروة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : ((الملائكة تتحدث في العنان ، والعنان : الغمام ، بالأمر يكون في الأرض ، فتستمع الشياطين الكلمة فتقرها في أذن الكاهن كما تقر القارورة ، فيزيدون معها مائة كذبة)) [4] .

فهنا الجن لهم القدرة على الصعود إلى السماء ومحاولة استراق السمع ، وقد سبق الكلام على هذه الجزئية مما يغني عن اعادة الحديث عنها هنا .

---

(١) سورة الأعراف الآية ٢٧ .

(٢) فتح الباري ٤/٤٨٩ .

(٣) اخرجه البخاري ح (٣٢١٠) في بدء الخلق و(٣٢٨٨) (٥٧٦٢) (٦٢١٣) (٧٥٦١) ، ومسلم (٢٢٢٨).

(٤) اخرجه البخاري (٣٢٨٨) .

ومن أعمال الجن التي يستطيعون القيام بها الصد عن ذكر الله ، وعن الصلاة كما قال تعالى : ﴿انما يريد الشيطان ان يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون﴾ (١) .

وقد أخبر النبي ﷺ في الحديث ، ان الشيطان يحاول مع النائم ، أن يعقد على قافية ثلاث عقد ، إذا هو نام ويقول له عليك ليل طويل فنم ، والحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : ((يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ــ إذا هو نام ــ ثلاث عقد ، يضرب على كل عقدة مكانها : عليك ليل طويل، فارقد، فإن استيقظ، فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة كلها فأصبح نشيطا طيب النفس ، ولا أصبح خبيث النفس كسلان)) (٢).

قال العيني : (مطابقة للترجمة ظاهرة ، لأن الشيطان عقد على قافية الرأس وهي من أعمال الشيطان ، وصفاته القبيحة ومعنى يعقد يتكلم عليه والقافية مؤخر الرأس ومنه قافية الشعر) (٣) ، فالشيطان هنا يحاول تثبط الانسان عن الصلاة ومحاولة تفيت هذا الفضل على بني آدم ، قال تعالى :﴿انما يريد الشيطان أن يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون﴾ (٤) .

ومن صفات الشيطان وأعماله القبيحة ، بوله في أذن النائم حتى لا يقوم لصلاة الفجر ، فانه ذكر عن النبي ﷺ رجل نام حتى طلع الفجر ، فقال ذلك رجل بال الشيطان في اذنيه ، وهذا من أخبث أعماله واكثرها ، وهو من الصد عن ذكر الله ، ومحاولة أغواء الناس وأبعادهم عن طريق الله ، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : ((ذكر عند النبي ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح ، قال : ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه ، أو قال : في أذنه)) (٥) ، والظاهر لن هذا البول بعد العقد، فمن لم يستيقظ للصلاة يحصل له البول ومن أعانه الله ، واستيقظ فانه يسلم من هذا البول ، وان لم يسلم من العقد ، لانه عام في كل أحد .

---

(١) سورة المائدة ٩١ .

(٢) اخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ح (٣٢٦٩) .

(٣) عمدة القاري ١٥/١٧٠ .

(٤) سورة المائدة ٩١ .

(٥) اخرجه البخاري لشرح صحيح البخاري ح (٣٢٧٠) في كتاب بدء الخلق .

ومن أعمال الشيطان التي ذكرت في هذا الكتاب ، الوسوسة في صدور الناس ومحاولة أدخال التشكيك إلى نفوسهم ، والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الـــدم ، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح ، عن صفية بنت حيى قالت : ((كان رســـول الله ﷺ معتكفا ، فأتيته أزوره ليلا ، فحدثته ، ثم قمت فانقلبت ، فقام معـــي ليقلبنـــي ــ وكان سكنها في دار أسامة بن زيد ــ فمر رجلان من الأنصار ، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا فقال النبي ﷺ : على رسلكما ، أنها صفية بنت حيى ، فقـــالا : ســـبحان الله يارسول الله ، قال : إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم ، وإني خشـــيت أن يقذف في قلوبكما سوءا ، أو قال : شيئا)) [١] ، وما دام له هذه القدرة فانه لن ينخـــر في أفواه الناس وأضلالهم .

قال ابن حجر وفي هذا الحديث (أن الله جعل للشيطان القدرة على التوصـــل إلى باطن البدن ، وقيل بل ورد على سبيل الاستعارة) [٢] .

ولعل ما يشهد لهذا الحديث ، حديث الوسوسة ونصه ما يلي : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : ((يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلـق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول: من خلق ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته)) [٣].

وفعل الشيطان هذا محاولة للتشكيك ، والاضلال التي تكفل الشيطان واقســـم على فعلها ، ولذلك أمر الرسول ﷺ بالانتهاء عنها ، فانه انجح عـــلاج وأقومـــه ، يقول صاحب منار القاري : (أن هذه الوساوس الشيطانية كثيرة ، فمنها مـــا يتعلـــق بصفات الباري جل جلالة ، أو صفات رسول الله ﷺ ، ومنها ما يتعلق بـــالقرآن ، ومنها ما يتعلق بالغيبات كالبعث وعذاب القبر ، والجنة والنار ، والملائكة إلى غـــير ذلك من عقائد ايمان ، فيجب الاستعاذة منه عند محاولته التيشكيك في هذه العقـــائد ، قال الخطابي : أن الشيطان إذا وسوس بذلك ، فاستعاذ الشخص منه ، وكـــف عـــن مطاولته اندفع ، وإن الاسترسال معه ، ولو بقرع الحجة بالحجة غير مـــأمون ، لأن الشيطان ليس لوسوسته انتهاء) [٤] .

---

(١) اخرجه البخاري ح (٣٢٨١) في كتاب بدء الخلق .

(٢) انظر فتح الباري ٦/٣٩٣ ــ ٣٩٤ ، وانظر عمدة القاري ١٥/١٧٥ .

(٣) اخرجه البخاري ح (٣٢٧٦) في كتاب بدء الخلق ، وأخرجه مسلم (١٣٤) .

(٤) منار القاري ٤/١٧٢ .

قال ابن حجر : (فان الانسان ينبغي أن يعلم أن الشيطان ، يريد أفساد دينه وعقله بهذه الوسوسة ، وينبغي دفع هذه الوساوس ، بالاتجاه إلى الله تعالى) [1] .

وهناك حديث آخر ذكره البخاري ، يدل على أن الشيطان يكثر من هذه الوسوسة ، حين أشتغال الإنسان بالعبادة وإقباله على طاعة ربه ، وبالتالي زيادة ايمانه وقوته ، هو حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال النبي ﷺ : ((إذا نودى بالصلاة أدبر الشيطان ، وله ضراط ، فإذا قضى أقبل ، فإذا ثوب بها أدبر ، فإذا قضى أقبل حتى يخطر بين الإنسان وقلبه ، فيقول : اذكر كذا وكذا ، حتى لا يدري أثلاثا صلى أم أربعا ، فإذا لم يدر ثلاثا صلى، أو أربعا سجد سجدتي السهو)) [2] .

وفي هذا الحديث أن الشيطان يذكر الانسان ، في صلاته بأشياء كثيرة هو خارج الصلاة غافل عنها ، وما ذلك التذكير إلا اغواء وصد عن سبيل الله ، ومحاولة من الشيطان لابعاد الانسان عن هذه الصلاة ، وأشغاله عنها حتى أن الانسان لا يدري كم صلى من شدة أشغال الشيطان له ، ولا يسلم من هذه الأذية أحد، ولذلك أرشد النبي ﷺ إلى الاستعاذة وإلى سجود السهو ، وقد كان الشيطان اللعين محاولا مع النبيﷺ يقطع صلاته عليه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ((إن الشيطان عرض لي فشد علي بقطع الصلاة علي ، فأمكنني الله منه .. فذكره)) [3] .

وفي رواية أخرى ، أنه مارد من الجن حاول قطع الصلاة على النبي ، وأشغاله عنها فذعته النبي من حلقه حتى وجد برد لسانه وهم أن يربطه إلى سارية المسجد ، ولكن تذكر قول نبي الله سليمان (هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي) [4] فأطلقه [5] .

---

(١) انظر فتح الباري ٣٩٧/٦ .

(٢) اخرجه البخاري ح (٣٢٨٥) في كتاب بدء الخلق .

(٣) أخرجه البخاري خ (٣٢٨٤) في كتاب بدء الخلق .

(٤) سورة ص الآية ٣٥ .

(٥) انظر عمدة القاري ١٧٦/١٥ ، وفتح الباري ٣٩٤/٦ .

وفي هذا الحديث أن الشيطان حريص على هذا الفعل ، حتى أنه كاد يخـاطر بحياته ، ونفسه من أجل الصد عن ذكر الله ، ومحاولة أشغال النبي عن صلاته .

ومن أعمال الشيطان كذلك ، وهي متعلقة بالصد عن العبادة والطاعة ، تزيـن الالتفات للمصلي وهذا التزين أختلاس من الشيطان لصلاة العبد ، فـان الشـيطان يحاول تضييع هذه الصلاة ، ويحاول أن يزين هذه الالتفات للمصلي ، ((قال عائشـة رضي الله عنها ، سألت النبي ﷺ عن التفات الرجل في الصلاة فقال : هو اختلاسـه يختلس الشيطان من صلاة أحدكم)) (1) .

ومن أعمال الشيطان كذلك ، محاولة إيذاء المؤمن حتى في النوم ، وإزعاجـه بأشياء يتراء له فيها في النوم حتى يزعجه ، عن عبدالله بن أبي قتادة عن أبيه عـن النبي ﷺ قال : ((الرؤيا الصالحة من الله ، والحلم من الشيطان فإذا حلم أحدكم حلمـا يخافه فليبصق عن يساره ، وليتعوذ بالله من شرها ، فإنها لا تضره)) (2) .

قال العيني : (قوله : والحلم من الشيطان : أي الرؤيا الغـير الصالحـة أي الكاذبة أو السيئة ، وإنما نسبت إلى الشيطان ، لأن الرؤيا الكاذبة يريه بها الشـيطان ليسيء ظنه ويحزنه ، ويقل حظه من شكر الله ، ولهذا امره بالبصق عن يسـاره ، وعن أبي الجوزي الرؤيا والحلم بمعنى واحد ، لأن الحلم ما يراه الإنسان في نومـه، غير أن صاحب الشرع خص الخير باسم الرؤيا ، والشر باسم الحلم ، وقوله : فـإذا حلم أحدكم، بفتح اللام قال ابن التين ، وحلم بضم اللام عنه بمعنى عفى عنه ، وحلـم بالكسر يقال حلم الأديم ذا شب قبل أن يدفع ، قوله : حلما : مصـدر بضـم الـلام وسكونها ، ويجمع على احلام في القلة ، وحلوم في الكثرة ، وإنما جمـع وأن كـان مصدر الاختلاف أنواعه ، وهو في الأصل عبارة عما يراه الرائي في منامه حسـنا، كـان أو مكروها ، قوله : يخافـه : جملـة في محـل النصب ، لأنها صفة لقوله

---

(1) أخرجه البخاري ح (٣٢٩١) في كتاب بدء الخلق و(٤٣٦٥) (٤٣٨٦) (٧٤١٨) .

(2) أخرجه البخاري ح (٣٢٩٢) في كتـاب بـدء الخلـق (٥٧٤٧) (٦٩٨٤) (٦٩٨٦) (٦٩٩٥) (٦٩٩٦) (٧٠٠٥) (٧٠٤٤) . وأخرجه مسلم (٢٢٦١) (٦٠٣٢) .

حلما ، قوله : فليبصق : دحر الشيطان بذلك كرمي الجمار ، كما يتفل عند الشيء القذر يراه ، ولا شيء أقذر من الشيطان ، وذكر الشمال لأن العرب عندها اتيان الشر كله ، من قبل الشمال ولذلك سمتها الشومي ، وكانوا يتشاءمون بما جاء من قبلها من الطير ، وأيضا ليس فيها كثير عمل ولا معاش ولا أكل ولا شرب ، قوله : فانها : أي فان الحلم ، وانما انث الضمير باعتبار أن الحلم هو الرؤيا السيئة الكاذبة المكروهة ، والرؤيا المكروهة هي التي تكون عن حديث النفس وشهواتها ، وكذلك رؤيا التهويل والتخويف ، يدخله الشيطان على الإنسان ليشوش عليه في اليقظة ، وهذا النوع هو المأمور بالاستعاذة منه ، لأنه من تخيلاته ، فإذا فعل المأمور به صادقا ، أذهب الله عنه ما أصابه من ذلك) [١] .

تلك هي الأعمال التي يقوم بها الشيطان ، وقد وردت جميعها في كتاب البخاري ، ولكثرة الشبه وهذه الأعمال وخطرها فقد أرشد الشارع إلى أمور تحمي الإنسان من الشيطان ، إذا هو تمسك بها ومن هذه الأمور الوقاية والتحرز من الشيطان موضوع المبحث الرابع .

---

(١) عمدة القاري ١٨٠/١٥ .

المبحث الرابع
الوقاية والتحرز من الشيطان

إن كيد الشيطان ضعيف مهما بلغ من الاحكام والقدرة ، قال تعالى : ﴿ان كيد الشيطان كان ضعيفا﴾ (1) .

ولقد أرشد الله عباده المتمسكين بدينهم إلى أمور يمكنهم بها التخلص ، ودفع أذى الشيطان ، وأهم الأمور التي تحمي الإنسان من أذى الشيطان ، وذكرت في كتاب بدء الخلق وهي أعظمها نفعا وأكثرها فائدة وهي طاعة الله والاعتصام به والتوكل عليه والاخذ بدينه بقوة ، قال الله تعالى : ﴿أن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ (2) .

والذي يدل على ما قلناه ما روى البخاري من حديث عمر بن الخطاب ، والذي سبقت الإشارة إليه ، والذي فيه دخول عمر على النبي ، وعنده نساء من الانصار ، وفي الحديث ((والذي نفسي بيده ، ما لقيت الشيطان سالكا فجا ، إلا سلك فجا غير فجك)) (3) .

قال العيني : (الفج : الطريق الواسع ، ويحتمل ان هذا ضرب مثلا لبعد الشيطان وأعوانه عن عمر رضي الله عنه ، وأنه لا سبيل لهم عليه ، لقوته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) (4) ، فلشدة عمر وقوى تمسكه ، بدين الله عزوجل خاف الشيطان منه ، وصار يهرب منه .

---

(1) سورة النساء الآية ٧٦ .

(2) سورة الحجر الآية ٤٢ .

(3) اخرجه البخاري ح (٣٢٩٤) في كتاب بدء الخلق و(٣٦٨٣) (٦٠٨٥) ، وأخرجه مسلم (٢٣٩٧) .

(4) عمدة الباري ١٨١/١٥ .

وهذا والله أعلم عام لكل من اعتصم بالله ، وأخلص في ذكره والتوكل عليه ، يقول ابن القيم : (وبالذكر يصرع العبد الشيطان ، ويطرده عنه كما يصرح الشيطان أهل الغفلة ويستولى عليهم) (١) ، فماذا من الإنسان المتمسك المعتصم ، يؤذي الشيطان فان كل ما زاد تمسكه زاد أذاه وقهره للشيطان .

ويقول ابن القيم كذلك : (ان أهم واكبر فوائد الذكر ، هو طرد الشيطان وابعاد وساوسه عن العبد وطرده عنه) (٢) .

فإذا أكثر الإنسان من ذكر الله تعالى ، وتوكل عليه وزاد إيمانه ، ابتعد عنه الشيطان وسار مسالما ، لا يستطيع إغواءه ، ولذلك قال النبي ﷺ في حديث عبدالله بن مسعود قال رسول الله ﷺ : ((ما منكم من أحد إلا قد وكل به قرينه من الجن ، قالوا: وإياك يارسول الله ؟ قال : وإياي إلا أن الله أعانني عليه ، فأسلم فلا يأمرني إلا بخير)) (٣) .

وسواء كان المراد بقوله اسلم أي من شره ، أو المراد انه أسلم لله فلا يأمر إلا بكل ما يريد الله ، فإنه يدل على أن الشيطان مع كثرة الطاعة والعبادة ، يقل شره وأن كانت رواية مسلم بالفتح ، مما يرجع أن المراد أن الله يعينني عليه ، فأسلم من شره وأن كان كافرا .

ومن الأسباب المعينة على طرد الشيطان ، وجود أذكار يقولها الإنسان في أوقات مخصوصة بزمن معين ، فهي هنا خاصة بعكس العام ، فلا يقربن الشيطان فيها ونحن هنا نذكر هذه الأشياء ، وهي واضحة الدلالة ، وأولها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : ((وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان ، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ،

---

(١) تهذيب مدارج السالكين لعبدالمنعم العربي ص ٤٦٤ .

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم ص ٦٥ .

(٣) اخرجه مسلم ح (٤ ٢٨١) .

فذكر الحديث فقال إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ، فإن لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فقال النبي ﷺ صدقك ، وهو كذوب ذاك الشيطان)) [1] .

ففي هذا الحديث صدق النبي ، قول هذا الشيطان ، والشيطان اخبر بما يجري للانسان إذا قرأ آية الكرسي ، وأنه لا يقربه شيطان ، واخبر عن ذلك بعلم و خبره والله أعلم ، وصدق النبي هذا الخبر ، وأخبر أن الشيطان كذوب لكنه في هذه المرة صدق وأخبر بما يكون من أمر الشيطان حقا ، هذا عند ارادة النوم يعني في المساء.

وأما في حال اليقظة ، وإذا أراد الإنسان الوقاية من الشيطان ، فان النبي ﷺ ارشد إلى أن يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، فانه يكون حرزا له ، وهذا الحديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه : ((عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك)) [2] .

قال العيني : (الحرز الموضح الحصين ، ويسمى التعويذ أيضا حرزا ، واليوم المقصود ، الذي دعا فيه بهذه الدعوة المشتملة على الاعتراف ، بالوحدانية وعلى الشكر لله والإقرار بقدرته على كل شيء) [3] .

ومن ذلك المحافظة على الأذكار المشروعة في كل وقت ، وفي كل شيء ومنها اذكار الصباح ، والمساء ، والأكل ، والنوم ، والجماع ، فانها تذهب الشيطان وتمنعه من المشاركة في الفعل ، ((عن ابن عباس قال : قال النبي ﷺ : ولو أن أحدكم إذا أتى أهله ، قال : اللهم جنبني الشيطان ، وجنب الشيطان ما رزقني ، فإن كان بينهما ولد لم يضره الشيطان ولم يسلط عليه)) [4] .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٧٥) في كتاب بدء الخلق .

(٢) أخرجه البخاري ح (٣٢٩٣) في كتاب بدء الخلق (٦٤٠٣) وأخرجه مسلم (٢٦٩١) .

(٣) عمدة القاري ١٥/١٨٠ .

(٤) أخرجه البخاري ح (٣٢٨٣) في كتاب بدء الخلق .

قال العيني : (لم يضره الشيطان أي لم يسلط عليه بالكلية ، والا فلا يخلو من الوسوسة) فالشيطان عند حصول هذه الأذكار ، فانه يمتنع من التسلط والإيذاء ، ولذلك حثنا النبي ﷺ على الحرص على ذكر اسم الله في كل شيء ، حتى عند دخول البيت واغلاق الباب وغيرها من الأمور ، ((عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه ، عن النبيﷺ قال : إذا استجنح الليل أو كان جنح الليل ، فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ ، فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم ، وأغلق بابك واذكر اسم الله ، وأطفئ مصباحك واذكر اسم الله ، وأوك سقاءك واذكر اسم الله ، وخمر إناءك واذكر اسم الله ، ولو تعرض عليه شيئا)) [1] .

قال النووي : (في هذا الحديث الحث على ذكر الله عزوجل ، في هذه المواضع وبركة ذكر اسم الله عليها ، ويلحق بها كل ما في معناه ، قال اصحابنا يستحب ان يذكر اسم الله تعالى على كل امر ذي بال) [2] .

ومما يقي من خطر الشيطان ووسوسته ، التعوذ بالله منه سواء في أوقات خاصة ومؤكدة ، مثل عند الغضب ، فان الشيطان يحب أن يتفرق المسلمين ولذلك يوجد الشجار بينهم ، ويحاول اذكاء روح الخلاف والفرقة ، ولذلك حرص النبي على تعليم أصحابه عدم الغضب ومحاولة رد كيد الشيطان ، وجعل ذلك من أهم وأجمع شئون المسلمين ، وبه يحصل النفع العظيم ، جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال أوصني ، فقال : ((لا تغضب ، فردها مرا ، فقال : لا تغضب)) [3] .

---

(١) أخرجه البخاري ح (٣٢٨٠) في كتاب بدء الخلق و(٣٣١٦) (٥٦٢٣) (٥٦٢٣) (٦٢٩٥) (٦٢٩٦) ، وأخرجه مسلم (٢٠١٢) .

(٢) انظر شرح مسلم للنووي ١٨٦/١٣ .

(٣) أخرجه البخاري ح (٦١١٦) .

وهذا الحديث يدل على أن الغضب جماع الشر وأن التحرز منه جماع الخير) [1] .

وقد روى البخاري حديث ((عن سليمان بن صرد قال : كنت جالسا مع النبي ﷺ ورجلان يستبان ، فأحدهما أحمر وجهه ، وانتفخت أوداجه ، فقال النبيﷺ اني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد ، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان ذهب عنه ما يجد ، فقالوا له إن النبي ﷺ قال : تعوذ بالله من الشيطان ، فقال : وهل بي جنون ؟)) [2] .

ولذلك جاء في حديث آخر عن أحمد ((إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ)) [3] .

فهذا الحديث يدل على أن الإنسان إذا تعوذ من الشيطان ، وتوضأ وذكر الله فأن الشيطان يبتعد عنه ويذهب عنه أثره هذا لغضب أو غيره ، الاستعاذة ان يقول الانسان أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وهذا كافي [4] .

قال في منار القاري : (وقوله لذهب عنه ما يجد) ، لأن الغضب من نزغات الشيطان ، وهو نوع من مس الشيطان للانسان) [5] .

وانتفاخ الاوداج كناية عن شدة الغضب ، والودج هو عرق في العنق ، وقيل هو عرق في الحلق [6] .

---

(١) انظر جامع العلوم والحكم ٣٦٢/١ .

(٢) اخرجه البخاري ح (٣٢٨٢) في كتاب بدء الخلق و(٦٠٤٨) (٦١١٥) ، وأخرجه مسلم (٢٦١٠) .

(٣) أخرجه أحمد ٢٢٦/٤ ، وأبو داود (٤٧٨٤) ، والبغوي في شرح السنة (٤٥٨٣) وقال شعيب الأرنؤوط سنده حسن ، انظر جامع العلوم والحكم ٣٦٦/١ .

(٤) انظر منار القاري ٥٧/٤ .

(٥) منار القاري ٦١/٤ .

(٦) انظر عمدة القاري ١٧٥/١٥ ، وفتح الباري ٣٩٤/٦ .

قال النووي : (قوله ﷺ للغضبان ((اني لأعرف كلمة)) يدل على أن للشيطان تأثر في تهيج الغضب ، وزيادته حتى يحمله على البطش بالمغضوب عليه ، أو اتلافه أو اتلاف نفسه أو شر بفعله يستحق به العقوبة في الدنيا ، والآخرة فإذا تعوذ الغضبان بالله من الشيطان الرجيم وصح قصده إلى ذلك ، فقد التجأ إلى الله تعالى وقصده واستجار به ، والله تعالى أكرم من ان يخذل من استجار به) [١] .

ومن الأمور الخاصة التي يستعاذ بها من الشيطان ، عند سماع نهيق الحمار فأن الشيطان يتمثل لها ، وتراه بقدرة الله وخلق الادراك لها ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : ((إذا سمعتم صياح الديكة فأسألوا الله من فضله ، فانها رأت ملكا ، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان ، فأنه رأى شيطانا)).

قال العيني : (وهذا من خصائص الحمار ، فان الله خلق له ادراكا يدرك به الشياطين ، وأمر بالاستعاذة عند سماع نهيق الحمار ، لحضور الشيطان فيخاف من شره فيرفع بالاستعاذة منه) [٢] .

وقد مر بنا الأمر بالاستعاذة من الشيطان ، متى أحس الإنسان بوجوده ، فانه لا يأتي الا للشر ، ولذلك قال النبي ﷺ في حديث الوسوسة ، وقول الشيطان من ((خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق الله ، فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته)) ، فامر هنا بالاستعاذة عند وجود الشيطان، وقد قال تعالى: ﴿وأما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله أنه هو السميع العليم﴾ [٣] ، فإذا أحس الإنسان بالنزغ والوسوسة والكيد فانه لا يحله إلا بالالتجاء إلى الله والاستعاذة به من كيد الشيطان، ووساوسه ، فإذا استعذت بالله رد كيده ، وكف خطره وكان النبي ﷺ يفعل ذلك كثيرا) [٤] .

---

(١) انظر شرح مسلم للنووي ٣٧٨/١٦ ، وانظر ارشاد الساري للقسطلاني ١٢٥/١٣ .

(٢) عمدة القاري ١٩٣/١٥ ، وانظر نفس المعنى في فتح الباري ٤٠٦/٦ .

(٣) سورة فصلت الآية ٣٦ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير ١٠٣/٤ .

ولذلك ارشد النبي ﷺ إلى محاربة الشيطان ، والاستعاذة منه عند التثاؤب وأخبر انه من الشيطان ، فيحذر الإنسان من تمكين الشيطان عليه ، وليكتم هذا التثاؤب مما استطاع حتى يقهر الشيطان ، ويرد كيده .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : ((التثاؤب من الشيطان ، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع ، فإن أحدكم إذا قال ها ضحك الشيطان)) [1] .

وقوله (فليرده ما استطاع : أي ليكظم ويوضع يده على الفم ، لئلا يبلغ الشيطان مراده من تشويه صورته ، ودخوله فيه وضحكه منه) [2] .

قال الكرماني (وإذا قال (ها) ضحك الشيطان ، هنا حكاية صوت التثاؤب يعني إذا بالغ في التثاؤب ضحك الشيطان ، فرحا بذلك [3] .

يقول الإمام النووي : (قال العلماء أمر يكظم التثاؤب ، ورده ووضع اليد على الفم حتى ، لا يتمكن الشيطان منه) [4] .

وفي رواية مسلم : (إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فيه ، فان الشيطان يدخل) [5] .

ولعل وضع اليد واغلاق الفم حتى لا يدخل الشيطان ، ولعل من المناسب أيضا ذكر الله لوجود الشيطان وحضوره في مثل هذا الموضع ، ولان ذكر الله عزوجل بطرده .

ومن الوقاية من الشيطان الوضوء والاستنثار فيه ، وهو واجب عن أكثر المذاهب ، ((عن ابي هريرة رضي الله عنه ، قال : إذا استيقظ ـ أراه أحدكم ـ من منامه فتوضأ ، فليستنثر ثلاثا ، فإن الشيطان يبيت على خيشومه)) [6] .

---

(١) اخرجه البخاري ح (٣٢٨٩) في كتاب بدء الخلق و(٦٢٢٣) (٦٢٢٦) وأخرجه مسلم (٢٩٩٤) .

(٢) انظر الكواكب الدراري ٢٠٦/١٣ ، وإرشاد الساري ١٩٩/٧ .

(٣) انظر الكواكب الدراري ٢٠٦/١٣ ، وانظر وعمدة القاري ١٧٨/١٥ .

(٤) انظر شرح مسلم للنووي ١٢٣/١٨ .

(٥) أخرجه مسلم ح (٢٩٩٥) .

(٦) اخرجه البخاري ح (٣٢٩٥) في كتاب بدء الخلق ، وأخرجه مسلم (٢٣٨) .

قال ابن حجر : (الاستنثار أبلغ من الاستنشاق ، فان من استنثر لابد من الاستنشاق بعكس الأول ، وفي هذا الحديث احتمال أن يكون المراد بهذا النص من لم يذكر الله قبل النوم ، ويحترز من الشيطان ، ويدل له حديث أبي هريرة السابق في حرس الصدقة ، لكن ظاهر العموم وربما كان المقصود هو منع دخول الشيطان من جهة الأنف ، وهو الراجح والراجح كذلك وجوب الاستنثار لكل من أراد الوضوء) [1] .

ويقول القسطلاني : (فإذا نام وترك الخيشوم بحاله استمر الكسل ، واستعص عليه النظر الصحيح ، وعسر الخضوع والقيام على حقوق الصلاة وآدائها) [2] .

فهذا علاج لطرد الشيطان والطهارة محببة إلى الله وملائكته ، قال تعالى :﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [3] وعكس الطهارة محببة إلى الشيطان ولذلك يجب الحرص على الطهارة ، والمحافظة على الوضوء ، فانه يطرد الشيطان ولذلك ارشد به عند الغضب ، فان من الشيطان والوضوء يطرد الشيطان ، ويزيل نجاسته ويذهب بكيده والله أعلم .

ولعلنا نختم هذا المبحث بذكر خصيصة مهمة ، تمنع الشيطان من التسلط ومن الوسوسة ، وهي دعاء الله عزوجل فانه يرد كيد الشيطان ، والالتجاء به يمنع تسلطه وهذا من أكبر الأسباب ، ولذلك كان دعاء النبي ﷺ لعمار بن ياسر ان يجره من الشيطان استجاب الله له هذا الدعاء ، فصار عمارا معروفا بذلك ، ((عن إبراهيم عن علقمة قال قدمت الشام ، فلقيت ابو الدرداء فقال : أفيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه ﷺ ؟)) [4] ، وفي رواية أخرى ، ((الذي اجاره الله من الشيطان على لسان نبيه هو عمار بن ياسر)) [5] .

---

(١) فتح الباري ٦/٣٩٥ .

(٢) ارشاد الساري ٧/٢٠٤ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٢٢ .

(٤) اخرجه البخاري ح (٣٢٨٧) في كتاب بدء الخلق و(٣٧٤٢) (٣٧٤٣) (٣٧٦١) (٤٩٤٤) (٦٢٧٨) واخرجه مسلم (٨٢٤) .

(٥) اخرجه البخاري (٣٢٨٧) في بدء الخلق و(٣٧٤٣) (٣٧٤٣) (٣٧٦١) (٤٩٤٣) (٤٩٤٤) (٦٢٧٨) ، وأخرجه مسلم (٨٢٤) .

ومعنى إجارة الله (أي حفظ ووقاه ومنعه ، من تسلط الشيطان) [1] .

قال الإمام ابن حجر : (قوله الذي اجاره الله من الشيطان ، يشعر ان له مزيه بذلك على غيره ومقتضاه ، أن للشيطان تسلطا وتمكنا ممن لم يجره الله منه) [2] .

ولذلك لابد للانسان أن يحرص على الدعاء ، فلعل الله أن يجيره من نزغات الشياطين ، ويذهب عنه كيده .

نسأل الله أن يجرنا من همزات الشياطين ، ووساوسهم وأن يجعلنا من عباده المخلصين الذين ليس للشيطان عليهم سبيل آمين .

---

(١) انظر الكواكب الدراري ٢٠٤/١٣ ، وعمدة القاري ١٧٧/١٥ .

(٢) فتح الباري ٣٩٤/٦ .

الفصل الثالث

اليوم الآخر

وفيه تمهيد وأربعة مباحث :

المبحث الأول : مقدمات القيامة .

المبحث الثاني : عذاب القبر .

المبحث الثالث : خلق الجنة ودخول الموحدين لها .

المبحث الرابع : خلق النار وأعمال أهلها .

الفصل الثالث
اليوم الآخر

تمهيـــد :

اليوم الآخر هو يوم القيامة ، وهو قيام الناس من قبورهم إلى الجزاء، والحساب وله عدة أسماء منها يوم القيامة ، ويوم الحشر ويوم المعاد ويوم التغابن، ويوم الدين ويوم النشور ويوم التلاق ، ويوم الفزع وغيرها من الأسماء ، وهذا يدل على عظم هذا اليوم وشدته (١) ، ويعرف بعض العلماء اليوم الآخر (بانه الرجوع بعد الفناء والحياة بعد الموت لفصل القضاء) (٢) .

وسمي باليوم الآخر ، لأنه آخر أيام الدنيا ، أو لأنه آخر الأزمنة المحدودة (٣).

ويعرف الشيخ محمد بن عثميين اليوم الآخر ، بقوله : (هو يوم القيامة الذي لا يوم بعده ، حين يبعث الناس أحياء للبقاء ، أما في دار النعيم وأما في دار العقاب الأليم) (٤) .

وهذه هي حياة الآخرة التي لا فناء ولا انتهاء لها قال تعالى : ﴿وأن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾ (٥) أي هي الحياة الدائمة الباقية .

---

(١) انظر معجم الفاظ العقيدة ص ٤٥٣ .

(٢) انظر فتح الباري ٤٤٦/١٠ .

(٣) أنظر فتح الباري ١١٨/١ .

(٤) عقيدة أهل السنة والجماعة ص ٣٢ ، وانظر نفس التعريف في معجم الفاظ العقيدة ص ٤٥٣ .

(٥) سورة العنكبوت الآية ٦٤ .

المبحث الأول
مقدمات القيامة

أن للقيامة واليوم الآخر مقدمات ، أخبر بها النبي ﷺ وهذه المقدمات ذكر البخاري جزء بسيط منها ، عرضاً في كتاب بدء الخلق ونحن سوف نقتصر عليها ، وقد دلت أحاديث كثيرة على قرب القيامة ، ولكن حدوثها مشروط ، بظهور علامات عليها ومقدمات لها ، كما في حديث عمر بن الخطاب : ((قال : فأخبرني عن السلعة ، قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، فقال : اخبرني عن أماراتها)) (١) .

قال النووي : (الامارات هي علامات قرب الساعة) (٢) .

وقال ابن الأثير : (هي علامات القيامة التي تسبقها ، وتدل على قربها وقيل هي ما تذكره الناس من صغار أمورها ، قبل أن تقوم الساعة ، وقبل هي أسبابها التي هي دون معظمها وقيامها) (٣) .

وقد ذكر البخاري أحاديث تدل على كثرة الفتن وتعددها ، وأنها تكثر قرب الساعة ، ولعلنا نذكر معنى الفتنة ثم بعد ذلك ، نذكر الأحاديث التي ذكرها البخاري في هذا الكتاب .

معنى الفتنة في اللغة :

الفتن : بكسر الفاء وفتح التاء ، جمع فتنة ، قال الأزهري : (جميع معنى الفتنة في كلام العرب الابتلاء والامتحان ، وأصلها مأخوذ من قولك : فتنت الفضة والذهب ، أذبتهما بالنار ليتميز الردي من الجيد ، ومن هذا قول الله عزوجل: ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾ (٤) ، أي يحرقون بالنار) (٥) .

---

(١) الحديث سبق تخريجه مراراً .

(٢) شرح مسلم للنووي ١٥٨/١٠ .

(٣) النهاية في غريب الحديث ٤٦٠/٢ .

(٤) سورة الذاريات الآية ١٣ .

(٥) تهذيب اللغة ٢٠٦/١٤ .

وقال الراغب الأصفهاني : (أصل الفتن إدخال الذهب في النار لتظهر جودته من رداءته ، ويستعمل في إدخال الإنسان النار) (١) .

وهذا هو الأصل في معنى الفتنة ، وهي أيضاً تطلق في اللغة على معاني أخرى عديدة ، منها الكفر ، كما في قوله تعالى : ﴿والفتنة أشد من القتل﴾ (٢) ، والإزالة والصرف عن الشيء ، كما في قوله تعالى : ﴿وان كادوا ليفتنونك﴾ (٣) ، أي ليزيلونك ، ويقال : فتنت الرجل عن رأيه ، أي أزلته عما كان عليه ، ومنها أيضاً القتل ، ومنه قوله تعالى : ﴿إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ (٤).

والجنون كما في قوله تعالى : ﴿فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون﴾ (٥) ، والعذاب ومنه قوله : ﴿ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون﴾ (٦) .

وأيضا : على ما يدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء ، وفي الشدة أظهر معنى، وأكثر استعمالا ، قال تعالى : ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ (٧) (٨) .

وقال ابن الأثير : (الفتنة : الامتحان والاختبار .. وقد كثر استعمالها فيما أخرجه الاختبار للمكروه ، ثم كثر حتى استعمل بمعنى الإثم والكفر والقتال والاحراق والإزالة والصرف عن الشيء) (٩) .

وذكر الراغب أن الفتنة تكون من الأفعال الصادرة من الله تعالى ، ومن العبد كالبلية والمصيبة والقتل والعذاب وغيرها ، من المكروهات ، فإن كانت من الله

---

(١) المفردات في غريب القرآن ص ٥٥٩ ــ ٥٦٠ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٩١ .

(٣) سورة الإسراء الآية ٧٣ .

(٤) سورة النساء الآية ١٠١ .

(٥) سورة القلم الآية ٥ ــ ٦ .

(٦) سورة الذاريات الآية ١٤ .

(٧) سورة الأنبياء الآية ٣٥ .

(٨) انظر هذه المعاني في تهذيب اللغة ١٤/٢٩٧ ــ ٢٩٩ .

(٩) النهاية ٣/٤١٠ ــ ٤١١ .

فهي على وجه الحكمة ، وإن كانت من الإنسان بغير أمر الله ، فهي مذمومة ، فقد ذم الله الإنسان بإيقاع الفتنة ، كقوله : ﴿والفتنة أشد من القتل﴾ (١) ، وقوله : ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات﴾ (٢) .

هذا كلام ابن حجر في معنى الفتنة (٣) .

قال ابن حجر رحمه الله : (والفتن جمع فتنة ، قال الراغب : أصل الفتن ، إدخال الذهب في الدار ، لتظهر جودته من ردائته ، ويستعمل في إدخال الإنسان النار ، كقوله تعالى : ﴿ذوقوا فتنتكم﴾ (٤) ، وعلى ما يحصل عنه العذاب ، كقوله : ﴿ألا في الفتنة سقطوا﴾ (٥) ، وعلى الإختبار ، كقوله : ﴿وفتناك فتونا﴾ (٦) ، وفيما يدفع إليه من شدة ورخاء ، وفي الشدة أظهر حتى وأكثر استعمالاً ، قال تعالى : ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ (٧) .

وقال غيره : (أصل الفتنة : الإختبار ثم استعملت ، فيما أخرجته المحنة والإختبار إلى المكروه ، ثم اطلقت على كل مكروه أو آيل إليه ، كالكفر والإثم والتحريق ، والفضيحة والفجور وغير ذلك .

وقد اطلع الله تعالى نبيه ﷺ على كثير من الابتلاءات والفتن ، التي ستصيب هذه الأمة في مستقبل الزمان (٨) .

المعنى الاصطلاحي للفتنة :

لا يكاد يخرج المعنى الشرعي للفتنة عن المعنى اللغوي، ولذلك رأينا المعاني الموجودة في الآيات لهذه الكلمة ، وقد وعرفها الجرجاني، فقال : (الفتنة ما يتبين به

---

(١) سورة البقرة الآية ١٩١ .

(٢) سورة البروج الآية ١٠ .

(٣) انظر هذه المعاني في المفردات في غريب القرآن ص ٥٦٠ .

(٤) سورة الذاريات الآية ١٤ .

(٥) سورة التوبة الآية ٤٩ .

(٦) سورة طه الآية ٤٠ .

(٧) سورة الأنبياء الآية ٣٥ .

(٨) فتح الباري ٥/١٣

حال الإنسان من الخير والشر ، يقال : فتنت الذهب بالنار ، إذا أحرقته بها لتعلم أنه خالص أو مشوب ، ومنه الفتان، وهو الحجر الذي يجرب به الذهب والفضة) (١) .

وأما الفتن التي أخبر بها النبي ﷺ في أحاديثه وأن أمته سوف تبتلى بالكثير منها وأنها ترسل عليها إرسال القطر فأغلبها من هذا القبيل أي من قبيل الاختبار والابتلاء ليتبين حال الإنسان فيها من الخير والشر وتعلقه بها ، قال الحافظ ابن حجر : (وأصل الفتنة الامتحان والاختبار ، واستعملت في الشرع في اختبار كشف ما يكره ، ويقال فتنت الذهب إذا اختبرته بالنار لتنظر جودته ، وفي الغفلة عن المطلوب كقوله :﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ (٢) ، وتستعمل في الإكراه على الرجوع عن الدين كقوله تعالى :﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات﴾ (٣) ، واستعملت أيضا في الضلال والإثم والكفر والعذاب ، ويعرف المراد حيثما ورد بالسياق والقرائن) (٤) .

وقد ذكر البخاري في الفتنة أحاديث منها :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ((يوشك أن يكون خير مال الرجل غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن)) (٥) .

وقد أخبر النبي ﷺ أن من أشراط الساعة ظهور الفتن العظيمة التي يلتبس فيها الحق بالباطل ، فتزلزل الإيمان ، حتى يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، كلما ظهرت فتنة ، قال المؤمن : هذه مهلكتي ، ثم تنكشف ، ويظهر غيرها ، فيقول : هذه ، هذه ، ولا تزال الفتن تظهر في الناس إلى أن تقوم الساعة .

---

(١) التعريفات للجرجاني ص ٢١٢ .

(٢) سورة التغابن الآية ١٥ .

(٣) سورة البروج الآية ١٠ .

(٤) فتح الباري ١١/١٧٦ .

(٥) اخرجه البخاري ح (٣٣٠٠) في كتاب بدء الخلق .

وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : ((بادروا بالأعمال فتناً ، كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ، ويمسي كافراً ، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا (١) .

والحديث يدل على فساد الزمان ، وكثرة الفتن عند قرب الساعة .

وفي حديث آخر بين النبي ﷺ أن اكثر الفتن التي تأتي إلى قيام الساعة إنما هي من قبل المشرق ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال ((رأس الكفر نحو المشرق ، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل ، والفدادين أهل الوبر ، والسكينة في أهل الغنم)) (٢) .

وفي حديث مشابه له يقول عقبة بن مسعود ، قال : ((أشار رسول الله ﷺ بيده نحو اليمن ، فقال : الإيمان يمان هاهنا ، ألا إن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل، حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضره)) (٣).

وهذان الحديثان يدلان دلالة قوية ، أن الفتن من جهة المشرق .

والظاهر أن المشرق عام ، قال ابن حجر : (وأول الفتن كان منبعها من قبل المشرق ، فكان ذلك سبباً للفرقة بين المسلمين ، وذلك مما يحبه الشيطان ، ويفرح به وكذلك البدع تنشأ من تلك الجهة) (٤) .

ويقول العيني : (قوله : رأس الكفر نحو المشرق ، وفي رواية الكشميهني : قبل المشرق ، بكسر القاف وفتح الباء أي من جهته يريد، انه كان في عهده حين قال ذلك، وفيه إشارة إلى شدة كفر المجوس لأن مملكة الفرس ومن اطاعهم من العرب كانت من جهة المشرق بالنسبة إلى المدينة وكانوا في غاية القوة والكثرة والتجبر حتى أن ملكهم مزق كتاب رسول الله ﷺ والدجال أيضاً يأتي من المشرق

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن ١٣٣/٢ مع شرح النووي .

(٢) اخرجه البخاري ح (٣٣٠١) في كتاب بدء الخلق (٣٤٩٩) (٤٣٨٨) (٤٣٨٩) (٣٤٩٠) وأخرجه مسلم (٥٢) .

(٣) أخرجه البخاري ح (٣٣٠٢) في كتاب بدء الخلق (٣٤٩٨) (٤٣٨٧) (٥٣٠٣) وأخرجه مسلم (٥١).

(٤) فتح الباري ٤٩/١٣ .

من قرية تسمى رستاباذ فيما ذكره الطبري ، ومن شدة أكثر أهل المشرق كفرا ، وطغيانا أنهم كانوا يعبدون النار ، وأن نارهم ما انطفأت الف سنة ، وكان الذين يخدمونها وهم السدنة خمسة وعشرون الف رجل) (١) ، وعند الملاحظة نرى أن المشرق منبع لكثير من الفتن .

ويقول الشيخ يوسف الوابل : (فمن المشرق ظهر الخوارج والشيعة ، والروافظ والباطنية والقدرية والجهمية والمعتزلة ، واكثر مقالات الكفر كان منشؤها من المشرق من جهة الفرس المجوس ، والمانوية والمزدكية والبوذية وأخيراً ، وليس آخراً القاديانية والبهائية وغير ذلك ، من المذاهب الهدامة مثل الشيوعية والالحادية ، ويظهر من المشرق كذلك الدجال ويأجوج ومأجوج وغيرها ، من الفتن نسأل الله العافية والسلامة) (٢) .

وبعد هذه الأحاديث يحسن بنا أن نشير إلى المقدمات التي ذكرها ، الامام البخاري عرضاً عند حديثه على أمور متعلقة بهذا الباب ، فقد ذكر البخاري فتنة المسيح الدجال ، وذكر صفاته وذلك في حديث ابن عباس :

عن أبن عباس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : ((رأيت ليلة اسري بي موسى رجلاً آدم طوالاً ، جعداً كأنه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسى رجلاً مربوعاً ، مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض بسط الرأس ، ورأيت مالكاً خازن النار ، والدجال في آيات أراهن الله إياه ، فلا تكن في مرية من لقائه ، قال أنس وأبو بكرة عن النبي ﷺ تحرس الملائكة المدينة من الدجال)) (٣) .

---

(١) عمدة القاري ١٩١/١٥ .

(٢) انظر اشراط الساعة ليوسف الوابل ص ٩٣ ـ ٩٥ .

(٣) اخرجه البخاري ح (٣٢٣٠) في كتاب بدء الخلق ح (٣٣٩٦) ، وأخرجه مسلم (١٦٥) .

وظهور الدجال ثابت بالسنة والاجماع ، يقول الشيخ محمد العثيمين في تعليقه على لمعة الاعتقاد لابن قدامة : (قال ابن قدامه رحمه الله : ومن ذلك أشراط الساعة: مثل خروج الدجال) ، يقول الشيخ ابن عثيمين حفظه الله ، وذكر المؤلف من أشراط الساعة ما يأتي : خروج الدجال ، وهو لغة صيغة مبالغة من الدجل ، وهو الكذب والتمويه ، وشرعا : رجل مموه يخرج من آخر الزمان ، يدعي الربوبية وخروجه ثابت بالسنة والإجماع ، قال النبي ﷺ ((قولوا اللهم أني أعوذ بك من عذاب جهنم ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات)) (١) ، وكان النبي ﷺ ((يتعوذ من عذاب القبر في الصلاة)) (٢) (٣) .

ويقول الشيخ يوسف الوابل عند حديثه عن الدجال : (وهو من مقدمات الساعة الكبرى ، وعلامة كبيرة على قرب الساعة ، ويدل لذلك حديث مسلم ، عن عمران بن الحصين رضي الله عنه ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال)) (٤) .

قال النووي : (أي اكبر فتنة واعظم شرا منه) (٥) .

وقد ذكر البخاري في هذا الكتاب ، كذلك حديث يدل على قرب الساعة ، وهو طلوع الشمس من مغربها ، وهذا الحديث هو حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : لأبي ذر حين غربت الشمس أتدري أين تذهب ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش ، فتستأذن فيؤذن لها ، ويوشك أن تسجد ، فلا تقبل منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها فيقال لها : ارجعي من حيث جئت ، فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى : ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾)) (٦) (٧) .

---

(١) أخرجه مسلم ح (٥٩٠) .

(٢) أخرجه البخاري ح (٨٣٣) ، وأخرجه مسلم ح (٥٨٩) .

(٣) شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين ص ١١٨ ـ ١١٩ .

(٤) أخرجه مسلم ح (٢٩٤٦) .

(٥) شرح مسلم للنووي ٨٧/١٨ .

(٦) سورة يس الآية ٣٨ .

(٧) اخرجه البخاري ح (٣١١٩) .

قال تعالى : ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيراً﴾ (١) .

قال اكثر المفسرين ، هي طلوع الشمس من مغربها (٢) .

فإذا قام الناس ورأوا ذلك ، لا ينفعهم الايمان لأن وقت التوبة ، قـــد انقطـــع ويدل لذلك حديث : ((عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رســـول الله ﷺ لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا رآها الناس آمن من عليها ، فــذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل)) (٣) .

قال القرطبي : (قال العلماء : وإنما لا ينفع نفساً إيمانها عند طلوع الشـــمس، من مغربها لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ، ما تخمد معه كل شهوة من شـــهوات النفس ، وتفتر كل قوة من قوى البدن ، فيصير الناس كلهم ـ لإيقانهم بدنو القيامـــة ـ في حال من حضره الموت ، في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعـــاصي عنـــهم ، وبطلانها من أبدانهم ، فمن تاب في مثل هذه الحال ، لم تقبل توبته ، كمـــا لا تقبـــل توبة من حضره الموت) (٤) .

(١) الأنعام آية ١٥٨ .

(٢) انظر تفسير الطبري ٩٦/٨ ، وتفسير القرطبي ١٤٥/٧ ، وتيسير الكريم الرضى لابن سعدي ص ٢٤٤ .

(٣) أخرجه البخاري ح (٤٦٣٥) وأخرجه مسلم ح (١٥٧) .

(٤) تفسير القرطبي ١٤٦/٧ .

المبحث الثاني
عذاب القبر

يعيش الإنسان هذه الحياة الدنيا ، ثم بعد ذلك يموت ، وهذه سنة الله عزوجل في خلقه ، فأنه سبحانه وتعالى قدر على كل إنسان الموت﴿أنك ميت وأنهم ميتون﴾(١) ، ثم بعد الموت يعيش الإنسان حياة تسمى حياة البرزخ ، هي الحياة في القبر إلى أن تقوم القيامة ، وحياة القبر هذه هي أول منازل الآخرة ، وهي حياة يعيشها الإنسان ، أما في عذاب أو في نعيم ، وقد ذكر البخاري هذه الحياة بحديث سوف نذكره ، والمقصود بعذاب القبر هو الفتنة التي تحصل في القبور ، والسؤال من الملكين ، ثم بعد ذلك يفتح له نافذة إلى النار أو نافذة إلى الجنة (٢) .

ويدل لذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : ((أن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه ــ وأنه يسمع قرع نعالهم ــ أتاه ملكان ، فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ محمدﷺ فأما المؤمن ، فيقول أشهد أنه عبدالله ورسوله ، فيقال له انظر إلى مقعدك من النار ، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً ، وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري أقول ما يقول الناس ، فيقال : لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة ، فيصيح يسمعها من يليه غير الثقلين)) (٣) .

وهذه المسألة مسألة متفق على إثباتها عند أهل الإسلام ، الا ما ضلت فيه بعض الفلاسفة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (مذهب سائر المسلمين ، بل وسائل أهل الملل إثبات القيامة الكبرى ، وقيام الناس من قبورهم ، والثواب والعقاب

---

(١) سورة الزمر الآية ٣٠ .

(٢) انظر الفتاوى ٢٥٧/٤ .

(٣) أخرجه البخاري ح ١٣٧٤) .

هناك ـ وإثبات الثواب والعقاب في البرزخ ـ ما بين الموت إلى القيامة ـ هذا هو قول السلف قاطبة ، وأهل السنة والجماعة ، وإنما أنكر ذلك قليل من أهل البدع) (١) .

ويقول الحافظ بن حجر : (الجمهور بل جميع أهل السنة وغيرهم ، يقولون بإثبات عذاب القبر ، وأكثر المعتزلة موافقون لأهل السنة في هذا خلاف ، لمن نفاه من الخوارج وبعض المعتزلة) (٢) .

ثم قال الحافظ : (وعذاب القبر حاصل لمن يستحقه من الموتى ، سواء قبر أو لم يقبر ، وانما اضيف العذاب إلى القبر لكون معظمة يقع فيه ، ولكون الغالب على الموتى ، أن يقبروا وإلا فالكافر ومن شاء الله تعذيبه من العصاه ، يعذب بعد موته ولم يدفن ولكن ذلك محجوب عن الخلق ، إلا من شاء الله تعالى) (٣) .

قال شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية : (ومن الايمان باليوم الآخر الايمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت ، فيؤمنون بفتنة القبر وبعذاب القبر ونعيمة فأما الفتنة فأن الناس يمتحنون في قبروهم ، فيقال للرجل من ربك ؟ وما دينك ؟ وما نبيك ؟ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا، وفي الآخرة فيقول المؤمن ربي الله ، ونبي محمد وديني الإسلام ، وأما المرتاب فيقول هاه هاه لا أدري ، سمعت الناس يقولون شيئاً ، فقلته فيضرب بمرزبة من حديد ، فيصيح صيحة يسمعه كل شيء ، إلا الانسان ولو سمعها لصعق ، ثم بعد هذه الفتنة إما نعم ، أو أما عذاب إلى أن تقوم القيامة الكبرى ، فتعاد الأرواح إلى الاجساد) (٤) .

---

(١) الفتاوى ٢٦٢/٤ .

(٢) فتح الباري ٢٣٣/٣ .

(٣) أنظر فتح الباري ٢٣٣/٣ .

(٤) شرح العقيدة الواسطية ص ٢٠١ ـ ٢٠٢ .

وقد ذكر البخاري في هذا الكتاب ، حديث يثبت هذا العذاب ، أو النعيم الحاصل بعد الموت ، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ «إذا مات أحدكم ، فانه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، فإن كان من أهل الجنة ، فمن أهل الجنة ، وأن كان من أهل النار ، فمن أهل النار» (١) ، وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة ، فانهم يثيقون عذاب القبر ونعيمه ، ويصدقون أن ذلك حاصل لا محالة .

وقد دل على ثبوت عذاب القبر ، ونعيمه القرآن ، قال تعالى :﴿وحاق بآل فرعون سوء العذاب ، النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ (٢) .

يقول الرازي في تعليقه على هذه الآية : (أحتج أصحابنا في هذه الآية على عذاب القبر ، وقالوا الآية تقتضي عرض النار عليهم ، غدواً وعشياً وليس المراد منه يوم القيامة ، لأنه قال ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) وليس المراد منه أيضاً الدنيا ، لأن عرض النار عليهم عدواً وعشياً ، ما كان حاصلاً في الدنيا فثبت أن العرض إنما حصل بعد الموت ، وقيل يوم القيامة ، وذلك يدل على عذاب القبر في حق هؤلاء ، وإذا ثبت في حقهم ، ثبت في حق غيرهم ، لأنه لا قائل بالفرق) (٣) .

وكذلك قال القرطبي ، في تفسيرها مثل ذلك تقريباً (٤) .

وقال ابن حجر في تعليقه على حديث البخاري السابق : (الجمهور على أن هذا العرض يكون في البرزخ وهو حجة في تثبيت عذاب القبر) (٥) .

---

(١) أخرجه البخاري ح (٣٢٤٠) في كتاب بدء الخلق وأخرجه مسلم (٢٨٦٦) .

(٢) سورة غافر الآيتان ٤٥ ـ ٤٦ .

(٣) التفسير الكبير ٧٣/٢٧ .

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن ٣١٩/١٥ .

(٥) فتح الباري ٢٣٣/٣ .

وقال البغدادي : (وقال أهل السنة والجماعة ، بإثبات السؤال في القبر ، وبعذاب القبر ، لأهل العذاب وقطعوا بأن المنكرين لعذاب القبر يعذبون في القبر) (١) ، وهذه مسألة أصولية عند أهل السنة ، لم يخالف فيها الا الفلاسفة المذكورين للمعاد ، ولاعادة الأجساد .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (ذكر الله عذاب البرزخ في غير ما وضع من القرآن ، ذكره في قصة آل فرعون، ﴿النار يعرضون عليها غدوا وعشيا﴾ (٢) ، وذكر في قصة قوم نوح ، قال تعالى : ﴿مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا﴾ (٣) ، وقال تعالى عن المنافقين : ﴿استعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾ ، قال غير واحد من العلماء المرة الأولى ، في الدنيا والثانية في البرزخ ثم في الآخرة) (٤) ، ويكاد يكون هذا القول ، هو أجماع من المسلمين جميعا على التصديق به ، والتسليم وهو من الإيمان بالغيب الذي امتدح الله به المؤمنين ، قال تعالى : ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ (٥) .

يقول الآيجي : (عذاب القبر ثابت بالكتاب والسنة ، وأتفق عليه سلف الأمة قبل ظهور الخلاف) ثم ذكر الأدلة ، ورد على المخالفين (٦) .

وليس المقصود في هذا البحث ، استقصاء الأدلة بل الاشارة فقط .

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٧٠ .

(٢) سورة غافر الآية ٤٥ .

(٣) سورة نوح الآية ٢٥ .

(٤) انظر الفتاوى ٤/٢٦٦ .

(٥) سورة البقرة الآية ٣ .

(٦) المواقف في علم الكلام ص ٣٨٢ .

ومن أدلة السنة على ثبوت عذاب القبر ، ما روته عائشة رضي الله عنها «أن يهودية دخلت عليها ، فذكرت عذاب القبر ، فسألت عائشة النبيﷺ عن عذاب القبر فقال نعم عذاب القبر حق ، قالت عائشة رضي الله عنها ، فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر» (١) .

وقد أجمع المسلمون في كل الاعصار على التعوذ بالله من هذا العذاب ، وجعلوا يردون ذلك في صلاتهم ، واتفقوا على هذا التعوذ حتى صارت معرفة ذلك من الأصول ، التي لا تخفى على أحد .

والمقصود هنا أن البخاري بين في هذا الحديث أن أول منازل الآخرة هو في القبر ، أما نعيم وأما عذاب ثم بعد القبر يأتي اليوم الآخر ، نسأل الله العافية والرحمة ، والتثبيت انه سميع قريب .

---

(١) رواه البخاري (١٣٧٢) .

المبحث الثالث
خلق الجنة ودخول الموحدين لها

خلق الله الجنة وخلق النار وهما موجودتان الآن ، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ، وقد دل على ذلك أدلة كثيرة ذكرها أهل السنة ، وقد عقد البخاري باب في صفة الجنة وأنها مخلوقة ، وهو الباب الثامن في هذا الكتاب ، فقال باب ما جاء في صفة الجنة وأنه مخلوقة (١) ، قال العيني : (عقد هذا الباب لبيان ما جاء من الأخبار في صفة الجنة ، وبيان أنها مخلوقة وموجودة الآن ، وفيه رد على المعتزلة حيث قالوا لا توجد إلا يوم القيامة) (٢) .

ثم شرع في ذكر الأحاديث الدالة على ذلك ، والتي سوف نذكرها وهذا هو قول الجمهور ، بل أن المخالف ليس له دليل على قوله ، وذهب بعض المعتزلة وبعض الخوارج إلى أنهما لم تخلقا بعد .

يقول الأشعري : (واختلفوا في الجنة والنار أخلقتا أم لا ؟ فقال أهل السنة والاستقامة انهما مخلوقتان الآن ، وذهب كثير من أهل البدع إلى أنهما لم تخلقا) (٣).

ويقول ابن حزم : (ذهب طائفة من المعتزلة والخوارج ، إلى أن الجنة والنار لم يخلقا بعد ، وذهب جمهور المسلمين إلى أنهما قد خلقتا ، وما نعلم لمن قال أنهما لم يخلقا بعد حجة أصلا) (٤) .

---

(١) انظر الصحيح مع فتح الباري ٣٦٥/٦ .

(٢) عمدة القاري ١٤٦/١٥ .

(٣) مقالات الإسلاميين ١٦٨/٢ .

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٨١/٤ .

ويقول الإمام ابن حجر قوله : (باب ما جاء في صفة الجنة ، وأنها مخلوقة) أي موجودة الآن ، وأشار بذلك إلى الرد على من زعم من المعتزلة ، أنها لا توجد إلا يوم القيامة ، وقد ذكر المصنف في الباب أحاديث كثيرة دالة على ما ترجم به ، فمنها ما يتعلق بكونها موجودة الآن ، ومنها ما يتعلق بصفتها وأصرح ما ذكره في ذلك ما أخرجه أحمد وابو داود ، بإسناد قوي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيﷺ ، قال : ((لما خلق الله الجنة ، قال لجبريل أذهب فانظر إليها)) (١) الحديث) (٢).

وفي حديث عند مسلم قال النبيﷺ لعائشة رضي الله عنها ، ((أولا تدرين يا عائشة أن الله خلق الجنة ، وخلق النار ، فخلق لهذه أهلا وخلق لهذه أهلا) (٣) .

وهذه الأحاديث التي ذكرها البخاري في هذا الكتاب دالة دلالة واضحة ، على خلق الجنة وأول هذه الأحاديث ، هو حديث عمران بن حصين عن النبيﷺ ، قال : ((اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلا النساء)) (٤) .

فكون النبي اطلع بعينه يدل على أن الجنة موجودة الآن ، والنبي اطلع فيها فرأى من يسكنها ، قال ابن حجر : (قوله اطلعت في الجنة فهذا دال على أنها موجودة حالة اطلاعه ، وهو مقصود الترجمة) (٥) .

والذي يدل عليه ويؤكده كذلك ، حديث أبا هريرة رضي الله عنه ، قال:

---

(١) أخرجه أحمد (٣٣٢/٢) وأبو داود (٤٧٤٤) والترمذي (٢٥٦٣) والنسائي (٣/٧ ـ ٤) وقال الترمذي إسناده حسن .

(٢) فتح الباري ٣٦٩/٦ .

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٦٢) .

(٤) أخرجه البخاري ح (٣٢٤١) في بدء الخلق و(٥١٩٨) (٦٤٤٩) (٦٥٤٦) ، واخرجه مسلم (٢٧٣٨).

(٥) فتح الباري ٧٢/٦ .

((بينما نحن عند النبي ﷺ إذ قال بينما أنا نائم رأيتني في الجنة ، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر ، فقلت : لمن هذا القصر ؟ فقالوا : لعمر بن الخطاب ، فذكرت غيرته ، فوليت مدبرا ، فبكى عمر ، وقال : أعليك أغار يارسول الله)) (١) .

ورؤيا الأنبياء حق ، وهو في حكم المشاهدة والحقيقة ، كما سبق الكلام على ذلك في أنواع الوحي .

قال ابن حجر : (ومقصوده من هذا الحديث والغرض منه ، قوله رأيتني في الجنة وهذا وأن كان مناما ، لكن رؤيا الأنبياء حق ، ومن ثم أعمل وحكم غيره عمر حتى امتنع من دخول القصر) (٢) .

والحديث الثالث الدال على هذا أيضا ، حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ ((قال الله : أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فاقرأوا إن شئتم﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين﴾)) (٣) (٤) .

وقوله أعددت بصيغة الماضي ، يدل أن الإعداد حصل وانتهى ، وهو ما يفهمه العرب والمتكلم عليهم والمخاطبين ، بهذا الخطاب .

قال العيني : (وهذا الحديث يدل على وجود الجنة الآن ، لأن الإعداد غالبا لا يكون لا لشيء حاصل) (٥) ، وقال القسطلاني : (في قوله أعددت دليل على أن الجنة مخلوقة الآن) (٦) .

---

(١) أخرجه البخاري ح (٣٢٤٢) في بدء الخلق و(٣٦٨٠) (٥٢٢٧) (٧٠٢٣) (٧٠٢٥) ، وأخرجه مسلم (٢٣٩٥) .

(٢) فتح الباري ٣٧٢/٦ .

(٣) سورة السجدة الآية ١٧ .

(٤) أخرجه البخاري ح (٣٢٤٤) في بدء الخلق و(٤٧٧٩) (٤٧٨٠) (٧٤٩٨) ، وأخرجه مسلم (٢٨٢٤) .

(٥) عمدة القاري ١٥/ ١٣ .

(٦) إرشاد الساري ٧/ ١٦ .

وقد سبق الاستدال «بحديث عبدالله بن عمر ، في رؤية مقعدة من الجنة والنار في عذاب القبر (١) وقد استدل به العلماء على وجود الجنة والنار الآن ، وقال ابن حجر : (وهذا الحديث أصرح الاحاديث على هذه الترجمة ، وأن الجنة مخلوقة موجودة الآن) (٢) . وقد سبق الكلام على ذلك في عذاب القبر .

والذي ذهب إليه البخاري رحمه الله تعالى ، هو مذهب أهل السنة والجماعة ، قال البيهقي : (باب الإيمان بما أخبر عنه رسول الله ﷺ من ملائكة الله وكتبه ورسوله والبعث ، والجنة والنار وانهما مخلوقتان الآن معدتان لاهلهما) (٣) ، وهذا المذهب هو مذهب صحيح عرف المسلمين ، الا ما خلق فيه الجهمية والذين لا يعد من علماء المسلمين من الفرق الناجية ، بل يكفرونهم في كثير من أقوالهم .

وقال الطحاوي : (والجنة والنار مخلوقتان ، لا تفنيان أبدا ولا يتبدلان فالله خلق الجنة والنار قبل الخلق) (٤) .

قال شارح الطحاوية ابن أبي العز في تعليقه على كلام الطحاوي : أما قوله (إن الجنة والنار مخلوقتان) فقد اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودات الآن ، ولم يزل على ذلك أهل السنة ، حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية ، فانكرت ذلك وقالت بل ينشئهما الله يوم القيامة !! وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد) (٥) ، ويكاد القول بخلق الجنة والنار ، هو قول جميع أهل الاسلام من الصحابة إلى الوقت الحاضر ، إلا من لا يعتد برأيه ولا كلامه .

---

(١) اخرجه البخاري ح (٣٢٤٠) في كتاب بدء الخلق .

(٢) فتح الباري ٦/٣٧٢ .

(٣) الاعتقاد للبيهقي ص ١٦٥ .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ٢/٦١٤ .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ٢/٦١٤ ــ ٦١٥ .

يقول ابن القيم : (لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون ، وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة ، وفقهاء الإسلام وأهل التصرف والزهد على أعتقاد ذلك، وأثباته مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة ، وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم ، فانهم دعوا الامم إليها واخبروا بها إلى أن نبغت طائفة من القدرية والمعتزلة ، فانكرت ذلك وحملهم على ذلك أصولهم الفاسدة) (١) ثم ذكر الأدلة على هذا القول (٢) ، ويقول ابن قدامة المقدسي رحمه الله : (والجنة والنار مخلوقتان الآن لا تفنيان ، فالجنة مأوى أوليائه ، والنار عقاب لأعدائه) (٣) .

وبذلك فقد دل الكتاب والسنة والإجماع ، كما نقله ابن القيم رحمه الله على هذا المعنى ، وما ذكر البخاري دال دلالة واضحة ، لاشك فيها على هذا القول والذي هو صريح القرآن كذلك .

قال تعالى : ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين﴾ (٤) ، قال ابن كثير : (أي أعدت وانتها اعدادها لهم، وعرضها كعرض السماء والأرض) (٥) .

ولعل ما يستدل على خلق الجنة ، كذلك الحديث الذي رواه البخاري في كتاب بدء الخلق ، لكنه مختصرا وهو حديث الكسوف ، وقال فيه : «وإني رأيت الجنة فتناولت منها عنقودا ، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ، ورأيت النار فلم أر كاليوم منظرا قط» (٦) .

---

(١) حادي الأرواح إلى بدلا الأفراح ص ٣٧ .
(٢) انظر حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ٣٨ ــ ٥١ .
(٣) شرح لمعة الأعتقاد لابن عثيمين ص ١٣ .
(٤) سورة آل عمران الآية ١٣٣ .
(٥) انظر تفسير ابن كثير ٣٨١/٢ .
(٦) أخرجه البخاري ح ١٠٥٢) و(٥١٩٧) وأخرجه مسلم (٩٠٧) .

وفي بعض روايات حديث الأسرار عن انس بن مالك رضي الله عنه ، في أخر الحديث ((ثم انطلق بي جبريل حتى أتى سدرة المنتهى ، فغشيها ألوان لا أدري ما هي قال ! ثم دخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ ، وإذا تربتها المسك)) (١) ، وهو صريح في الخلق ، والوجود الآن .

هذه هي الأدلة التي ذكرها البخاري في هذه المسألة ، وهي كافية وثابتة في هذه المسألة لامراء فيها لا لمن لم يحكم الكتاب والسنة ، بل اتبع هواه ومن أضل ممن اتبع هواه ! نسأل الله العافية .

أما الفقرة الثانية من هذا المبحث، فهي دخول الموحدين لها ، فقد أخبر النبيﷺ عن ذلك ، وذكره البخاري في هذا الكتاب ما يدل عليه، عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : ((قال لي جبريل : من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، أو لم يدخل النار ، قال : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن)) (٢).

قال الخطابي : (فيه إثبات دخول ونفي دخول ، وكل واحد منهما متميز عن الآخر بوصف أو وقت ، والمعنى أن مات على التوحيد ، فان مصيره إلى الجنة وأن ناله قبل ذلك من العقوبة ما ناله وأما لفظ لم يدخل النار فمعناه لم يدخل دخولا تخليديا ويجب التأويل بمثله جمعا بين الآيات والأحاديث ، وقوله : وان ، أي وأن زنى وأن سرق فيه دليل على جواز حذف فعل الشرط ، والا كتفاه بحرفه) (٣) .

ومن الأدلة على دخول الموحدين إلى الجنة ، وأن كل مؤمن يدخل الجنة ما ذكر من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ــ في بدء الخلق ــ قال ((من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته القاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)) (٤) .

---

(١) أخرجه البخاري ح (٣٢٠٧) في كتاب بدء الخلق (٣٨٨٧) (٣٣٩٣) (٣٤٣٠) وأخرجه مسلم (١٦٢).

(٢) أخرجه البخاري ح (٣٢٢٢) في بدء الخلق .

(٣) عمدة القاري ١٣٧/١٥ .

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٣٥) ، واخرجه في بدء الخلق معلقا في صفة ابواب الجنة ، واخرجه مسلم (٢٨).

قال ابن حجر : (في هذا الحديث ان جميع الموحدين يدخلون الجنة ويؤيده رواية (حرم على النار)) (١) .

وهذا إذا سلم من الكبائر وحقوق الخلق ، ومن لم يسلم من ذلك فانه تحت المشيئة ان شاء عفاء عنه ، وأن شاء عذبه ثم يدخله الجنة ، ان كان موحدا بعد العذاب كما في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : ((يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، ثم يقول الله تعالى أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ، فيخرجون منها قد اسودوا ، فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الجنة في جانب السبيل ، ألم ترأنها تخرج صفراء ملتوية)) (٢) .

ويقول ابن حجر : (مذهب أهل السنة ان الموحدين ، يخرجون من النار بالشفاعة ، وانكرت ذلك الخوارج ومذهب الصحابة وتابعهم أثبات الشفاعة ، وخروج الموحدين بها من النار إلى الجنة ، وهي المقام المحمود الذي اخبر الله به) (٣) .

وهذا هو المذهب الحق ، وهو الذي تدل عليه الأحاديث ، والله ربك لا يظلم أحد وهو اعدل العادلين .

---

(١) انظر فتح الباري ٥٤٨/٦ .

(٢) اخرجه البخاري ح (٢٢) (٤٠٨١) (٤٩١٩) (٦٥٦٠) (٦٥٧٤) (٧٤٣٨) (٧٤٣٩) .

(٣) انظر فتح الباري ٤٣٤/١٠ .

المبحث الرابع
خلق النار وأعمال أهلها

القول في النار ، وانها مخلوقة هو قول أهل السنة والجماعة ، وقد سبق حكاية الأقوال في ذلك عند الحديث عن خلق الجنة ، وقال الله تعالى عن النار﴿اعدت للكافرين﴾ (١) .

قال أبن كثير : (وقوله تعالى ﴿أعدت للكافرين﴾ الأظهر أن الضمير في أعدت عائد إلى النار ، التي وقودها الناس والحجارة ، ويحتمل عوده على الحجارة كما قال ابن مسعود ولا منافاة بين القولين في المعنى لأنهما متلازمان ، وأعدت أي أرصدت وصلحت للكافرين بالله ورسوله ، كما قال ابن إسحق عن محمد عن عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿أعدت للكافرين﴾ أي لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر ، وقد استدل كثير من أئمة السنة، بهذه الآية على أن النار موجودة الآن ، لقوله تعالى﴿أعدت﴾ أي أرصدت وهيئت ، وقد وردت أحاديث كثيرة في ذلك منها «تحاجت الجنة والنار» ومنها «أستأذنت النار ربها فقالت رب أكل بعضى بعضا ، فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف» ، وحديث ابن مسعود سمعنا وجبه فقلنا ما هذا ؟ فقال رسول الله ﷺ : «هذا حجر ألقي به من شفير جهنم منذ سبعين سنة ، الآن وصل إلى قعرها» وهو عند مسلم وحديث صلاة الكسوف ليلة الاسراء وغير ذلك ، من الأحاديث المتواترة في هذا المعنى ، وقد خالفت المعتزلة بجهلهم في هذا) (٢) .

وقد استدل البخاري بعدة أحاديث على خلق النار ، وعقد بابا قال فيه باب صفة النار ، وأنها مخلوقة ، قال العيني في تعليقه على مقدمة الباب وكلام البخاري: (هذا يعني نار جهنم وهي موجودة الآن ، خلافا لمن انكر ذلك من المعتزلة) (٣) .

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٤ .

(٢) تفسير ابن كثير ١/٥٩ ـ ٦٠ .

(٣) انظر عمدة القاري ١٦٠/١٥ .

ومن هذه الاحاديث التي ذكر البخاري حديث أبا ذر رضي الله عنه ، يقول ((كان النبي ﷺ يقول في سفر ، فقال: أبرد ، ثم قال : أبرد ، حتى فاء الفئ — يعني للتلول — ثم قال : أبردوا بالصلاة ، فإن شدة الحر من فيح جهنم)) (١) .

قال العيني : (مطابقة لترجمة الباب ، قوله من فيح جهنم ، أي من حرها، وهذا أدراك على أنها موجودة الآن) (٢) .

ومنها حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : ((قال النبي ﷺ : أبردوا بالصلاة ، فإن شدة الحر من فيح جهنم)) (٣) .

ثم ذكر البخاري حديث أبا هريرة رضي الله عنه ، يقول : قال رسول الله ﷺ ((اشتكت النار إلى ربها فقالت : رب أكل بعضي بعضا ، فأذن لها بنفسين : نفس في الشتاء ونفس في الصيف ، فأشد ما تجدون من الحر ، وأشد ما تجدون من الزمهرير)) (٤) .

قال العيني : (مطابقة للترجمة قوله : اشتكت النار فهي مخلوقة) (٥) .

ثم ذكر البخاري حديث أبي جمرة الضبعي ، قال : ((كنت أجالس ابن عباس بمكة ، فأخذتني الحمى فقال : أبردها عنك بماء زمزم ، فإن رسول الله ﷺ قال : هي الحمى من فيح جهنم ، فأبردوها بالماء ، أو قال : بماء زمزم ، شك همام)) (٦).

ثم حديث رافع بن خديج ، قال : ((سمعت النبيﷺ يقول : الحمى من فور جهنم، فأبردوها عنكم بالماء)) (٧) .

---

(١) أخرجه البخاري ح (٣٢٥٨) في بدء الخلق .

(٢) انظر عمدة القاري ١٦٣/١٥ .

(٣) أخرجه البخاري ح (٣٢٥٩) في بدء الخلق.

(٤) اخرجه البخاري ح (٣٢٦٠) في بدء الخلق.

(٥) انظر العيني ١٦٤/١٥ .

(٦) أخرجه البخاري ح (٣٢٦١) في بدء الخلق ، وأخرجه مسلم (٢٢١٢) .

(٧) أخرجه البخاري ح (٣٢٦٢) في بدء الخلق و(٥٧٢٦) .

ثم حديث عائشة رضي الله عنها ((عن النبي ﷺ قال : الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء)) (١) .

ثم حديث عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال ((الحمى من فيح جهنم ، فأبردوها بالماء)) (٢) .

وكلها يقول فيها العيني مطابقة للترجمة ، في قوله (من فوح أو قور جهنم وهذا دليل الخلق الآن) ، وقال ابن حجر في التعليق عليها : (هذه الأحاديث من أقوى ما ذهب إليه الجمهور ، من أن النار موجودة الآن) (٣) .

ثم ذكر البخاري حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: ((ناركم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ، قيل : يارسول الله أن كانت لكافية ، قال : فضلت عليهم بتسعة وستين جزءا ، كلهن مثل حرها)) (٤) .

وفيه دلالة واضحة على أن النار الموجودة الآن ، والتي هي في هذه الدنيا تستفيد منها هي في الأصل مأخوذة من نار جهنم ، لكنها بردت وضربت بما البصو وخفف حرها رحمة بالعباد) (٥) .

هذا ما أورده البخاري من أدلة في هذا الشأن ، ولعل ما سبق من الكلام على الجنة ، وخلقها ينطبق على الكلام على النار ، وأنها مخلوقة وقد نقل الاجماع على ذلك ابن القيم ، كما سبق ذكره ولا داعي لإعادته .

أعمال أهلها :

لما ذكر البخاري خلق النار ، ذكر شيء من أعمال أهلها وصفاتهم وأن كان حديثه عن ذلك كان عارضا ، وأعمال أهل النار كثيرة جدا بل أن كل معصية

---

(١) أخرجه البخاري ح (٣٢٦٣) في بدء الخلق و(٥٧٢٥) ، وأخرجه مسلم (٢٢١٠) .

(٢) أخرجه البخاري ح (٣٢٦٤) في بدء الخلق و(٥٧٢٣) ، وأخرجه مسلم (٢٢٠٩) .

(٣) فتح الباري ٣٨٤/٦ .

(٤) اخرجه البخاري ح (٣٢٦٥) في بدء الخلق ، وأخرجه مسلم (٢٨٤٣) .

(٥) انظر عمدة القاري ١٦٥/١٠ ، وفتح الباري ٣٨٥/٦ .

تكون سـببا للعذاب ، إذا لم يتب الانسان منها ، قال تعالى في حكاية سبب دخـــول النار: ﴿ما سلككم في صقر ، قالوا لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المســكين ، وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين﴾ (١) .

قال القرطبي في تفسيره هذه الآيات : (قال أهل النار (لم نكن من المصليـــن) أي المؤمنين الذين يصلون ، (لم نك نطعم المسكين) أي لم نـــك نتصــدق ، (وكنــا نخوض مع الخائضين) أي كنا نخالط أهل الباطل في باطلهم ، وقال ابو زيد نخـوض مع الخائضين في أمر محمد ﷺ ، وهو قولهم ــ لعنهم الله ــ كـــاهن ، مجنــون ، شاعر، ساحر .

وقال السدي وكنا نكذب مع المكذبين ، وقال قتادة : كلما غوى غـــاو غوينـــا معـــه ، (وكنـــا نكذب بيوم الدين) أي لم نـــك نصدق بيوم القيامة ، يـــوم الجـــزاء والحكم) (٢) ، فكانت هذه الذنوب سببا في دخولهم النار .

وقد ذكر البخاري أحاديث تدل على بعض أعمال أهل النار ، ونحن نذكر هذه الأحاديث التي ذكر فقط .

فمن أسباب دخول النار التي ذكرها البخاري رحمه الله تعـــالى ، فـــي هـــذا الكتاب عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومخالفة الظاهر للبـــاطن أو هـــو النفاق والرياء وعدم العمل بما يقول ويعمل ، عن أبي وائل قال قيل لاسامة بن زيــد رضي الله عنه ، (لو أتيت فلانا فكلمته ــ وفي رواية لو أتيت عثمـــان بـــن عفـــان فكلمته ، قال : انكم لترون أني لا اكلمه إلا اسمعكم ، أني اكلم في السر دون أن افتح بابا لا اكون أول من فتحه ولا أقول لرجل ــ ان كان عليه اميرا ــ أنه خير النـــاس بعد شيء سمعته من رسول الله ﷺ ، قالوا : وما سمعته يقول ؟ قال سمعته يقـــول ((يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار ، فتسلق اقتابه في النار ، فيدور كما يـــدور الحمار في رحاه فيجتمع أهل النار عليه ، فيقولون أي فلان ما شأنه ؟ اليـــس كنـــت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ قال : كنت أمركـــم بـــالمعروف ولا أتيـــه ، وانهاكم عن المنكر وأتيه)) (٣) .

---

(١) سورة المدثر الآيات ٤٢ ــ ٤٦ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٨٧/١٩ ــ ٨٨ .

(٣) اخرجه البخاري ح (٣٢٦٧) في بدء الخلق و(٧٠٩٨) ، ومسلم (٢٩٨٩) .

قال النووي : (فهذا الرجل خالف ظاهره باطنة ، وباطنه ظـــــاهرة ، وهــذه عقوبة من يأمر بالمعروف ، ولا يفعله وينهي عن المنكر ويفعله) (١) .

ويقول الحافظ ابن حجر في تعليقه عن هذا : (في هذا الحديث وجوب الأمــر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو من أفضل الأعمال ، ولا يجوز تركـــه إلا أن يخاف بفعله بلاء لا قبل له به) (٢) ، ثم قال (فإن قيل كيف صار المــأمورون فــي حديث اسامة في النار ؟ والجواب انهم لم يتمثلوا ما أمروا به ، فعذبــوا بمعصيتــهم وعذب أميرهم لكونه كان يعفل ما ينهان عنه) (٣) .

ويقول العيني في تعليقه على حديث أسامه هذا : (يجب علـــى الأمــر أن لا يخالف ما يأمر به ، وليس العصمة شرط لكن ، كما قال شعيب لقومه :﴿ولا أريد أن اخالفكم إلى ما انهاكم عنه﴾ (٤) وجيب على اصحاب المعاصي ، ان ينكر بعضـــهم على بعض ، ومن لم يفعل ذلك ، فهو معرض للعقوبة) (٥) .

ومن الأعمال التي توجب النار ، وذكرها البخاري في هذا الكتـــاب (عمــل الصور والقيام عليها ومضاهاة خلق الله فيها ، ودل علـــى ذلــك احــاديث ذكرهــا البخاري ، وسبق الكلام والإشارة إليها عند الحديث عن الصورة ، وذكر الحكمة من منع التصوير ، ومنها حديث عائشة رضي الله عنها ، قالت : «حشــوت للنبــي ﷺ وسادة وفيها تماثيل ، كأنها نمرقة ، فجاء فقام بين الناس ، وجعل يتغـــير وجهــه ، فقلت : ما لنا يارسول الله ؟ قال ما بال هذه ؟ قلت وسادة جعلتها لك لتضطجع عليها ، قال : أما علمت أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة ؟ وأن من صنــع الصــورة، يعذب يوم القيامة ، فيقول أحييوا ما خلقتم» (٦) .

---

(١) انظر شرح مسلم لنووي ١١٨/١٨ .

(٢) فتح الباري ٥٧/١٣ .

(٣) فتح الباري ٥٧/١٣ .

(٤) سورة هود الآية ٨٨ .

(٥) عمدة القاري ١٥/١٠ .

(٦) اخرجه البخاري ح (٣٢٢٤) في بدء الخلق .

وقد سبق الكلام مستوفي عن هذه المسألة ، فلا يحسن الإعادة هنا .

ومن الاحاديث التي ذكرها البخاري ، وهي دالة على حصول العـــذاب يـــوم القيامة أرتكاب الظلم بجميع اشكاله ، وهو من اشد الذنوب عند الله عزوجل ، وأعظم الظلم الشرك ، كما قال تعالى :﴿ان الشرك لظلم عظيم﴾ (١) ، والظلم محرم بجميـــع أشـــكاله .

وكذلك ظلم الحيوان ، فقد روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه ، عــن النبي ﷺ قال : ((دخلت امرأة النار في هرة ربطتها ، فلم تطعمها ، ولم تدعها تـــأكل من خشاش الأرض)) (٢) .

قال العيني في تعليقه على هذا الحديث ، قوله (في هرة للتعليل أي بسبب ظلم هذه الهرة والاعتداء عليها ، فيجب اطعامها إذا بحبسها ولا مانع من ربطها ، إذا هو امن طعامها وشرابها) (٣) .

وقال ابن حجر (وظاهر هذا الحديث أن المرأة عذبت ، بسبب قتل هذه الـــهرة بالحبس ، وقال النووي : الذي يظهر انها كانت مسلمة ، وانما دخلت النـــار بســـبب هذه المعصية) (٤) .

ولذلك كانت هذه الذنوب سواء صغيرة أو كبيرة ، سببا لدخول النار ، ويقــول الإمام ابن القيم : (ومن عقوبة الذنوب الهلاك في الدنيا والآخرة ، بدخول النار فــأن الذنوب هي أمراض متى استحكمت قتلت وأهلكت ؟ ولابد) (٥) .

ويقول في موضع آخر : (ولما كان الظلم والعدوان منافين للعدل ، الذي بـــه قامت الســـماوات والأرض ، وأرســـل الله سبحانه رسله عليهم السلام ، وأنزل كتبه

---

(١) سورة لقمان الآية ١٣ .

(٢) اخرجه البخاري ح (٣٣١٨) في بدء الخلق .

(٣) انظر عمدة القاري ١٩٨/١٥ .

(٤) فتح الباري ٣١٢/٦ .

(٥) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ص ١٦٣ .

ليقوم الناس بـــه كان من أكبر الكبائر عند الله وكانت درجته في العظمة ، بحســـب مفسدته في نفســــه) (١) .

وهكـــذا باقي الذنوب فان خطرها جســيم ، ولقد أرشد عزوجل إلى ســـرعة التوبة من جميع الذنوب فقال تعالى ﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيــــه المؤمنـــون لعلكـــم تفلحون﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا انفســـهم ذكـــروا الله فاستغفروا لذنبوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا علـــــى مـــا فعلـــوا وهـــم يعلمون﴾ (٣) .

---

(١) الجواب الكافي لأبن قيم ص ٢١٦ .

(٢) سورة النور الآية ٣١ .

(٣) سورة آل عمران ة ١٣٥ .

الخاتمـــــــــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .. أما بعد ،،

ففي نهاية هذا البحث يحسن بنا أن نسجل أهم نتائج هذا البحث من وجهة نظري ، وهي ما يلي :

١ ــ أن خالق هذا الكون هو الله عزوجل وقد خلقه سبحانه وتعالى وأوجده بعد أن لم يكن وهذا فيه رد على من زعم بقدم العالم أو تطور الإنسان في خلقته أو غيرها من الافكار المخالفة لظاهر القرآن والسنة .

٢ ــ أن الله عزوجل هو المتصرف في هذا الكون بما يريد وان لله جنود كثيرون يسخرهم الله عزوجل في هذا الكون ومن أهم هؤلاء الجنود الملائكة الكرام عليهم الصلاة والسلام والرياح التي يسخرها بحكمته وقدرته .

٣ ــ أنه ينبغي أن ينزه التوحيد عن كل ما يشوبه وينقصه وإذا فقد هذا الشرط فان عقيدة المسلم سوف تنحرف بأنواع كثيرة من الانحرافات العديدة التي اصابت كثير من الأمم ومن أخطر هذه الانحرافات الشرك .

٤ ــ أن الراجح في بدء الخلق هو أن أول شيء خلقه الله هو الماء ثم خلق العرش بعد ذلك أو العكس ثم بعد ذلك خلق الله السماوات والأرض .

٥ ــ أن صفات الله وأسمائه كما تليق به عزوجل فيجب إثباتها كما وردت من غير تحريف ولا تشبيه وتمثيل ولا تعطيل بل هو ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

٦ ــ إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ونفي ذلك في هذه الحياة حتى عن الرسول ﷺ وهذا هو الراجح من أقوال أهل العلم .

٧ ــ أن الله عزوجل لا يخلق شرا محضاً وأن ما قضاه وقدره ففيه الخير ، وأن كل شيء كتب وقدر فهو واقع لا محالة .

٨ ــ أن الله عزوجل حفظ القرآن الكريم ويسر حفظه وتلاوته على عباده فأباح لهم تلاوته على سبعة أحرف تيسراً وتسهيلاً وتضمن الله عزوجل بحفظه وتيسيره .

٩ ــ أن رسالة النبي ﷺ عامة إلى جميع الثقلين الإنس والجن .

١٠ ــ أن السحر له حقيقة ويؤثر على الأبدان ، ومنه أنواع تحصل بمساعدة الجن والكهانة نوع من الشرك .

١١ ــ أن عصمة الرسل ثابتة في التبليغ وهم معصمون عن الكبائر من الذنوب وأن الله عزوجل لا يقرهم على ذنب إذا اقترفوه بل ينبههم عليه ويعاتبهم فيسارعون إلى التوبة منه وأن الله رفعهم بهذه التوبة والاستغفار درجات .

١٢ ــ إثبات المعجزات للأنبياء وحصولها لهم وأن المعجزة هي ما دل على صدق النبوة وصحت الرسالة وثبوتها وهي أنواع كثيرة واعظمها القرآن الكريم .

١٣ ــ الإيمان بوجود الملائكة وبأسماء من ذكر منهم وأن لهم وظائف كثيرة لا يحصيها إلا الله وأعظمها تبليغ دين الله إلى الرسل .

١٤ ــ التصديق بوجود الجن ووجود الحذر من أغوار الشيطان والاستعاذة بالله من ذلك ، وأن الجن مدخون لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً إلا بأذن الله عزوجل .

١٥ ــ الإيمـــان بأشـــراط الســــــاعة وأعظمهـــا المســـيح الدجـــال والاســـــتعاذة بالله مـــن فتنتـــــــه .

١٦ ــ إثبات عذاب القبر ونعيمه وإثبات حشر الأجساد والأرواح يوم القيامة .

١٧ ــ إثبات خلق الجنة جعلنا الله من أهلها ــ والنار كذلك وانهما الآن موجـــودات خلافاً لمن أنكر ذلك .

هذه هي أهم النتائج المستخلصة من هذه الدراسة مع الأعتذار عن كل نقـــص أو قصور وقد بذلت في هذه الدراسة جهدي وسخرت كل ما أملك من جهد أو مـــال أو إمكانيات ، وهذا هو الواجب والله على ذلك شهيد .

وأستغفر الله من كل خطأ وأتوب إليه منه وهو من نفســـي ومـــن الشـــيطان وأرحب بكل ملاحظة وأتشرف بكل توجيه داعياً لمن أمدنا به .

والحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والســـلام علـــى نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
﴿ فقضاهن سبع سماوات في يومين ﴾	١٢	٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٣١٠
﴿ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثـــل صاعقة عاد وثمود ﴾	١٣	١٨٠
﴿ وأما ينزغنك من الشيطان نزغ فاســـتعذ بالله ﴾	٣٦	٥٧١
﴿ ما يقال لك إلا ما قد قيـــل للرســـل مـــن قبلك﴾	٤٣	٤٤٥
﴿ ويوم يناديهم أين شركائي الذيـــن كنتـــم تزعمون ﴾	٤٧	٢٢٨
سورة الزخرف		
﴿ وجعلوا الملائكة الذي هم عباد الرحمـــن أناثا ﴾	١٩	٥٠٥ ، ٥٣٩
﴿ ونادوا ياملك ليقضي علينا ربك قال إنكـــم ماكثون ﴾	٧٧	٥٠٨
سورة الدخان		
﴿ فيها يفرق كل أمر حكيم ﴾	٤	٢٦٧
﴿ وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتـــاب إلا رحمة من ربك ﴾	٦	٣١٣
﴿ معلم مجنـــون ﴾	١٤	٤٢٧
سورة الجاثية		
﴿ واختلاف الليل والنهار ما أنزل الله مـــن السماء رزق فأحيا به الأرض ﴾	٥	١٨١
سورة الأحقاف		
﴿ قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ﴾	٩	٤٤٧
﴿ وإذ لم يهتدوا بـــه فسيقولون هـــذا إفـــك قديم ﴾	١١	٥٣

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس المصادر والمراجع

القـــــرآن الكريــــــم

١ ــ إثبات صفة العلو : لابن قدامة المقدسي ، بدر البدر ، الطبعة الأولى ، الـدار السلفية ، الكويت ، ١٤٠٦هـ .

٢ ــ أحكام التصوير في الفقه الإسلامي : الشيخ/ محمد الحبـــش ، دار الخـــير ، الرياض ، ١٤٠٣هـ .

٣ ــ أحكام الجنائز : محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعـــة الرابعـــة ، المكتـب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٦هـ .

٤ ــ أحكام عصاة المؤمنين : شيخ الإسلام/ تقي الدين أبي العباس بـــن تيميـــة ، تحقيق : مروان كجك ، الطبعة الأولى ، دار الكلمة الطيبة ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ.

٥ ــ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري : أبي العباس شهاب الدين أحمد بـــن القسطلاني ، وبهامشه : مسلم بشرح النووي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

٦ ــ أسماء الله الحسنى : عبدالله بن صالح الغصن ، الطبعة الأولى ، دار الوطن، الرياض ، ١٤١٧هـ .

٧ ــ أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة : د. عمر سليمان الأشقر ، الطبعة الثالثة ، دار النفائس ، الأردن ، ١٤١٨هـ .

٨ ــ أشراط الساعة : يوسف بن عبدالله بن يوسف الوابل ، الطبعة الثالثـــة ، دار ابن الجوزي ، السعودية ، ١٤١٤هـ .

٩ ــ أصول الدين للرازي : فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي ، تحقيق : طه عبدالرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة .

١٠ ــ إعلام الموقعين عن رب العالمين ، للامام/ شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تحقيق : عصام الدين الصبابطي ، الطبعة الأولى ، دار الحديث، القاهرة ، ١٤١٤هـ .

١١ ــ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان : أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، ١٤٠٣هـ .

١٢ ــ أقوم ما قيل في القضاء والقدر : شيخ الإسلام/ تقي الدين أبي العباس بن تيمية ، تحقيق : د. محمد رشاد سالم ، ١٩٨٠م .

١٣ ــ آكام المرجان في أحكام الجان : محمد بن عبدالله الشبلي الدمشقي ، تحقيق: مصطفى عاشور ، دار النصر للطباعة الإسلامية ، القاهرة .

١٤ ــ إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد : لأبي عبدالله محمد بن المرتضي اليماني ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣هـ .

١٥ ــ إيضاح المعاني الخفية في الأربعين النووي : محمد تاتاي ، الطبعة الأولى، دار الطباعة والنشر ، المنصورة ، ١٤١٤هـ .

١٦ ــ ابن حزم وموقفه من الألهيات عرض ونقد : د. أحمد بن ناصر الحمد ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ .

١٧ ــ اعتقاد الأئمة الأربعة أبي حنفية ومالك والشافعي واحمد : د. محمد بن عبدالرحمن الخميس ، الطبعة الأولى ، دار العاصمة ، الرياض ، ١٤١٢هـ .

١٨ ــ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين : فخر الدين الرازي ، تحقيق : د. محمد زينهم محمد عزب ، الطبعة الأولى ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٤١٣هـ .

١٩ ــ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم : للامام تقي الدين أبو العباس بن تيمية ، تحقيق : د. ناصر بن عبدالكريم العقل ، الطبعة الخامسة ، دار المسلم للنشر ، الرياض ، ١٤١٥هـ .

٢٠ ــ الإجماع : لأبي بكر المنذر ، تحقيق : أبي حماد صغير أحمد حنيف ، الطبعة الأولى ، دار طيبة ، الرياض ، ١٤٠٢هـ .

٢١ ــ الأربعين في أصول الدين : للامام/ فخر الدين الرازي ، مكتبة الكليات الأزهرية .

٢٢ ــ الأسئلة والأجوبة في العقيدة : صالح بن عبدالرحمن الأطرم ، ١٤١٧هـ.

٢٣ ــ الإسراء والمعراج ((دراسة موضوعية)) : أبو المجد حرك ، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٤١١هـ .

٢٤ ــ الإسراء والمعراج : محمد بن رزق بن طوهوني ، دار فواز للنشر ، الإحساء .

٢٥ ــ الإسراء والمعراج : محمد سعيد مبيض ، الطبعة الثانية ، دار ابن كثير، دمشق ، دار الثقافة ، الدوحة ، ١٤٠٥هـ .

٢٦ ــ الإسلام دين الأولين والآخرين : الشيخ خضر العبيدي ، تحقيق : د. محمد رشيد راغب قباني ، الطبعة الأولى ، الشركة المتحدة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ.

٢٧ ــ الإعجاز في القراءات : د. فتحي عبدالقادر فريد ، الطبعة الأولى ، دار العلوم للطباعة ، ١٤٠٢هـ .

٢٨ ـ الاشارات والتنبهات : لأبي علي بن سينا ، تعليق : د. سليمان دنيا ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٢٩ ـ الأعلام : للزركلي ، الطبعة السادسة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٤م .

٣٠ ـ الإمام البخاري وصحيحه : عبدالغني عبدالخالق ، مشارك : طه جابر فياض العلواني ، دار المنارة ، جدة ، ١٤٠٥هـ .

٣١ ـ الإنسان في مرآة القرآن : د. محمد أحمد علي سحلول ، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة .

٣٢ ـ الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات : الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني ، تحقيق : عبدالرزاق عبدالمحسن حمد البدر ، الطبعة الأولى، دار ابن عفان ، الخبر ، ١٤١٨هـ .

٣٣ ـ الإيمان : شيخ الإسلام/ تقي الدين أبي العباس بن تيمية ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، زهير الشاويش ، الطبعة الرابعة ، المكتب الإسلامي، بيروت ، ١٤١٣هـ .

٣٤ ـ الإيمان بالله : أ. أحمد عزالدين البيانوني ، دار السلام للطباعة ، القاهرة.

٣٥ ـ الإيمان بالملائكة عليهم السلام : عبدالله سراج الدين ، الطبعة الثالثة ، مطابع الأصيل ، حلب ، ١٤٠٥هـ .

٣٦ ـ الابتهاج في أحاديث المعراج : أبو الخطاب بن دحيه ، تحقيق الدكتور رفعت فوزي عبدالمطلب ، الطبعة الأولى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤١٧هـ.

٣٧ ـ الاستقامة : الإمام/ تقي الدين أبي العباس بن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، الطبعة الأولى ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ، ١٤٠٣هـ .

٣٨ ـ الاسلام ونبي الإسلام : الشيخ/ محمد بن رزق بن طرهوني ، مكتبة العلم، جدة ، ١٤١٣هـ .

٣٩ ـ الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث : للامام الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : د. السيد الجميلي ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٨هـ .

٤٠ ـ الله : ماكدو نالد وكارديه ، تحقيق : إبراهيم الابياري / احمد شاكر ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٤٠٠هـ .

٤١ ـ الله جل جلالة : سعيد حوى ، الطبعة الثانية ، دار القلم ، بيروت ، ١٣٩٥هـ .

٤٢ ـ الله ذاتاً وموضوعاً : عبدالكريم الخطيب ، دار الفكر العربي .

٤٣ ـ الله والعلم والإنسان في الفكر الإسلامي : د. محمد جلال شرف ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية .

٤٤ ـ بدائع الفوائد : أبي عبدالله بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، دار الكتاب العربي، بيروت .

٤٥ ـ البعث النشور : لأبي عبدالله الحارث بن أسد البصري ، الشيخ/ محمد عيسى رضوان ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٦هـ .

٤٦ ـ بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين : سليم عيد الهلالي ، الطبعة الثالثة ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، ١٤١٨هـ .

٤٧ ـ تاج العروس من جواهر القاموس : السيد محمد مرتضي الحسيني الزبيدي، تحقيق : مصطفى حجازي .

٤٨ ـ تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة .

٤٩ ـ التاريخ الكبير : للامام البخاري ، طبع تحت مراقبة : محمد عبدالمعيد خان، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٥٠ ـ تهافت الفلاسفة : للامام العزالي ، تحقيق : د. سليمان دنيا ، الطبعة السادسة ، دار المعارف ، القاهرة .

٥١ ـ التبيان في أقسام القرآن : شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم ، تحقيق : عصام فارس الحرستاني ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٤هـ.

٥٢ ـ التحرير والتنوير : محمد الطاهر عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس، ١٩٨٤م.

٥٣ ـ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي : الإمام/ أحمد أبي يعلى محمد بدر الدين خوري ، تحقيق : عبدالرحمن محمد عثمان ، الطبعة الثانية ، مطبعة المعرفة ، مصر ، ١٣٨٤هـ .

٥٤ ـ التحفة السنية في تهذيب شرح العقيدة الطحاوية : د. مروان إبراهيم القبيسي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ .

٥٥ ـ التدمرية تحقيق الأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع : لشيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس بن تيمية ، تحقيق : محمد بن عوده السعدي ، الطبعة الثانية ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٤١٤هـ .

٥٦ ــ التشريع الإسلامي «أهدافه واتجاهاته» : د. محمد أنيس عباده ، تحقيق : محمد توفيق عويضه ، الطبعة الثالثة عشر ، ١٣٩٢هـ .

٥٧ ــ التصوير الإسلامي للكون والحياة والإنسان : عثمان جمعة ضميريه ، دار الأرقم ، الكويت .

٥٨ ــ التصوير بين حاجة العصر وضوابط الشريعة : محمد توفيق رمضان البوطي ، تحقيق : د. محمد سعيد رمضان البوطي ، وهبة الزحيلي ، الطبعة الثانية ، مكتبة الفارابي ، سوريا ، ١٤١٧هـ .

٥٩ ــ التعليق المفيد على كتاب التوحيد : شيخ الإسلام/ محمد بن عبدالوهاب ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة .

٦٠ ــ التعليقات على لمعة الاعتقاد : الشيخ/ عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله الجبرين ، جمع : أبو أنس علي بن حسين ، الطبعة الأولى ، دار العصيمي ، الرياض ، ١٤١٦هـ .

٦١ ــ تغليق التعليق على صحيح البخاري : الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تعليق : سعيد عبدالرحمن موسى القزقي ، المكتب الإسلامي .

٦٢ ــ تغليق التعليق على صحيح النجاري : لابن حجر العسقلاني ، تحقيق : سعيد عبدالرحمن القزفي ، الطبعة الأولى ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ .

٦٣ ــ تفسير سورة الإخلاص : شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحكيم بن تيمية ، الطبعة الأولى ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ .

٦٤ ــ تفسير القرآن الكريم : للإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن كثير ، الطبعة الخامسة ، دار عالم الكتب ، الرياض ، ١٤١٦هـ .

٦٥ ــ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب : فخر الدين الرازي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١١هــ .

٦٦ ــ تقريب التدمرية : الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين ، تحقيق : سيد بن عباس بن علي ، الطبعة الأولى ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ١٤١٣هــ .

٦٧ ــ تقريب الوصول إلى معرفة الرسول ﷺ : تحقيق : أحمد فريد ، مكتبة الايمان للطبع ، الإسكندرية .

٦٨ ــ تلخيص الحبير في تخريج الرافعي الكبير : ابن حجر العسقلاني : مكتبة نزار الباز ، مكة ، الرياض ، ١٤١٧هــ .

٦٩ ــ التمهيد : للامام ابن عبدالبر ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، المغرب .

٧٠ ــ التنبيهات الجلية على كثير من المنهيات الشرعية : محمد صالح المنجد ، الطبعة الثانية ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، ١٤١٩هــ .

٧١ ــ تهافت التهافت : أبي الوليد محمد بن رشد ، تعليق : د. سليمان دنيا ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، ١٣٩٩هــ .

٧٢ ــ تهذيب اللغة : لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق : عبدالسلام هارون/ محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف ، القاهرة .

٧٣ ــ توضيح المقاصد وتصحيح القواعد وشرح قصيدة ابن القيم : احمد بن إبراهيم بن عيسى ، الطبعة الثالثة ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٦هــ .

٧٤ ــ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : عبدالرحمن بن ناصر السعدي ، تحقيق : محمد زهدي النجار ، الطبعة الأولى ، مكتبة الحلفاء ، الرياض، ١٤٠٨هـ .

٧٥ ــ جامع البيان عن تأويل آي القرآن : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : محمود أحمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

٧٦ ــ جامع الرسائل : شيخ الإسلام/ تقي الدين أبي عباس بن تيمية ، تحقيق الدكتور/ محمد رشاد سالم ، الطبعة الأولى ، دار المدني ، جدة ، ١٤٠٥هـ .

٧٧ ــ جامع العلوم والحكم : الإمام/ زين الدين أبي الفرج ابن رجب عبدالرحمن الدمشقي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط / إبراهيم باجس ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٢هـ.

٧٨ ــ الجامع لأحكام القرآن : أبي عبدالله محمد الأنصاري القرطبي ، تقديم : أحمد عبدالعليم ، الطبعة الثانية ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض .

٧٩ ــ الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي : د. محمد البهي ، دار الكاتب العربي، القاهرة ، ١٩٦٧م .

٨٠ ــ الجن والشياطين مع الناس : عبدالوهاب العثمان ، الطبعة الأولى ، مكتبة ابن تيمية ، الكويت ، ١٤٠٦هـ .

٨١ ــ الجن وتلبسه بالإنسان وعلاجه من القرآن : عكاشة عبدالمنان الطيبي ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة .

٨٢ ــ الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه : عبدالرازق بن طاهر بن أحمد معاش ، الطبعة الأولى ، دار الوطن ، الرياض ، ١٤١٧هـ .

٨٣ ــ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي : شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تحقيق : أ. سعيد محمد اللحام ، الطبعة الأولى ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٠٧هـ .

٨٤ ــ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح : للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، تحقيق : د. السيد الجميلي ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ١٤١٥هـ .

٨٥ ــ حقائق الإسراء والمعراج : سعيد محمد حسن .

٨٦ ــ حقيقة الجن والشياطين : محمد علي حمد السيدابي ، الطبعة الأولى ، دار الحارث للنشر ، الخرطوم ، ١٤٠٧هـ .

٨٧ ــ حكم الإسلام في الصور والتصوير : دندل جبر ، مكتبة المنار ، الأردن.

٨٨ ــ حكم السحر والكهانة : الشيخ/ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ .

٨٩ ــ حكم السحر والكهانة وما يتعلق بها : الشيخ/ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ١٤١٧هـ .

٩٠ ــ حوار مع الجن : أسامة الكرم ، الطبعة الرابعة ، مكتبة مدبولي ، القاهرة، ١٤١٦هـ .

٩١ ــ الحياة البرزخية في الإسلام : د. حسين جابر بن موسى بن خالد ، الطبعة الأولى ، دار الفتح للنشر ، الشارقة ، ١٤١٦هـ .

٩٢ ــ خلق أفعال العباد : للامام محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق : د. عبدالرحمن عميرة ، دار المعارف السعودية ، الرياض ، ١٣٩٨هـ .

٩٣ ـ خلق الإنسان بين الطب والقرآن : د. محمد علي البار ، الطبعة الخامسة، الدار السعودية للنشر ، جدة ، ١٤٠٤هـ .

٩٤ ـ درء تعارض العقل والنقل : لأبي العباس تقي الدين بن عبدالحليم بن تيمية، تعليق : د. محمد رشاد سالم ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ .

٩٥ ـ الدر المنثور في التفسير المأثور : للامام عبدالرحمن جلال الدين السيوطي، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤١٤هـ .

٩٦ ـ دلائل النبوة ومعجزات الرسول : د. عبدالحكيم محمود ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب المصري/ الكتاب اللبناني ، القاهرة/ بيروت ، ١٤١١هـ .

٩٧ ـ دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث : توفيق محمد عزالدين ، دار السلام ، القاهرة .

٩٨ ـ الدليل والبرهان على صرع الجن للإنسان : لشيخ الإسلام احمد تقي الدين بن تيمية ، تحقيق : محمد بن طاهر الدين ، الطبعة الثانية ، مكتبة السندس ، ١٤٠٩هـ .

٩٩ ـ الدين والوحي والإسلام : الإمام د. مصطفى عبدالرزاق ، تحقيق : حسن السماجي سويدان ، الطبعة الأولى ، دار القادري ، بيروت ، ١٤١٣هـ .

١٠٠ ـ رأي الدين بين السائل والمجيب : د. محمد البهي ، مكتبة وهبة ، القاهرة.

١٠١ ـ الرد على الجهمية والزنادقة : للامام/ أحمد بن حنبل ، تحقيق : عبدالرحمن عميرة ، الطبعة الثانية ، دار اللواء ، ١٤٠٢هـ .

١٠٢ ـ الرد على المنطقيين : شيخ الإسلام/ تقي الدين أبي العباس بن تيمية ، تحقيق : د. رفيق العجم ، الطبعة الأولى ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ١٩٩٣م.

١٠٣ ـ الرسول ﷺ والوحي : د. محمد سيد أحمد المسير ، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة ، ١٩٨٨م .

١٠٤ ـ رد الإمام الدارمي : علي عثمان بن سعيد ، تحقيق : علي النشار ، عماد طالبي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٧١م .

١٠٥ ـ رسالة السجزي إلى أهل زبيد للرد على من أنكر الحرف والصوت : للامام/ أبي نصر عبيدالله بن سعيد السجزي ، تحقيق : د. محمد باكريم باعبدالله ، الطبعة الأولى ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ١٤١٣هـ .

١٠٦ ـ رؤية الله تبارك وتعالى : للامام أبي محمد بن عبدالرحمن بن عمر ، تحقيق : الدكتور/ محمد علاء الدين علي رضا ، الطبعة الأولى ، دار المعراج الدولية ، الرياض ، ١٤١٦هـ .

١٠٧ ـ ري الظمآن في عالم السحر والجان : مجدي أحمد سلام .

١٠٨ ـ زاد المستفيد من القول المفيد : عبدالكريم بن حمد بن إبراهيم الحقيل ، الطبعة الأولى ، مطابع الفرزدق ، الرياض ، ١٤١٢هـ .

١٠٩ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد : للامام ابن قيم الجوزية ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ـ عبدالقادر الأرناؤوط ، الطبعة السادسة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٨هـ .

١١٠ ـ زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور : لشيخ الإسلام تقي الدين ابن العباس ابن تيمية ، الطبعة الرابعة ، وزارة الشؤون الإسلامية ، الرياض ، ١٤١٦هـ .

١١١ ــ السراج الوهاج في الإسراء والمعراج : الشيخ/ محمد سليمان النشرتي، تعليق : د. حمزة عبدالله النشرتي ، دار اللواء للنشر ، الرياض ، ١٤٠٢هـ .

١١٢ ــ السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها : أبي عمرو عثمان بن سعيد المقري الداني ، تحقيق : د. رضاء الله بن محمد إدريس ، الطبعة الأولى، دار العاصمة للنشر ، الرياض ، ١٤١٦هـ .

١١٣ ــ سنن ابن داود : للحافظ/ أبي داود سليمان السجستاني ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، الطبعة الأولى ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٣٨٨هـ.

١١٤ ــ سنن ابن ماجه : لابن ماجه ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الفكر العربي ، بيروت .

١١٥ ــ سنن الدارقطني : الحافظ/ علي بن عمر الدارقطني ، تحقيق : أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤١٣هـ.

١١٦ ــ سير أعلام النبلاء : للامام الذهبي ، اشرف على التحقيق : شعيب الأرنؤوط ، الطبعة العاشرة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٤هـ .

١١٧ ــ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة : الشيخ/ أبي القاسم هبه الله بن الحسن بن منصور الطبري ، تحقيق : د. أحمد سعد حمدان .

١١٨ ــ شرح الأصول الخمسة : للقاضي/ عبدالجبار ، تحقيق : عبدالكريم عثمان، مكتبة وهبة ، ١٩٨٨م .

١١٩ ــ شرح السنة : لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق : علي محمد معوض ، علي احمد عبدالوجود ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٢هـ .

١٢٠ ـ شرح السنة : للامام البغوي ، تحقيق : زهير شاويش ، شعيب الأرناؤوط ، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٠هـ .

١٢١ ـ شرح العقيدة الطحاوية : علي بن أبي العز الدمشقي ، تحقيق : د/ عبدالله المحسن التركي ـ شعيب الأرناؤوط ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١١هـ .

١٢٢ ـ شرح العقيدة الواسطية : للعلامة محمد خليل هراس ، تحقيق : مصطفى السقا ـ علوي السقا ، الطبعة الأولى ، دار الهجرة للنشر ، الرياض ، ١٤١١هـ.

١٢٣ ـ شرح الفقه الأكبر المتن المنسوب : للامام أبي حنيفة : شرحه/ أبو منصور محمد بن محمد بن محمود السمرقندي ، تعليق : عبدالله بن إبراهيم الأنصاري ، المكتبة العصرية ، بيروت .

١٢٤ ـ شرح حديث النزول : شيخ الإسلام/ تقي الدين أبي العباس بن تيمية ، الطبعة السادسة ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٢هـ .

١٢٥ ـ شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين : للامام/ محيي الدين أبو زكريا يحيى ابن شرف النووي ، شرح : محمد بن صالح العثيمين ، تحقيق : عبدالله بن محمد الطيار ، الطبعة الأولى ، دار الوطن ، الرياض ، ١٤١٥هـ .

١٢٦ ـ شرح صحيح مسلم : للامام النووي ، دار الفكر للطباعة ، بيروت ، ١٤٠١هـ .

١٢٧ ـ شرح كتاب الفقه الأكبر : للامام الأعظم/ أبي حنيفة النعمان ، تحقيق : الملا علي القاري الحنفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٢٨ ـ شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد : لموفق الدين بن قدامة المقدسي ، شرح : محمد بن صالح العثيمين ، الطبعة الأولى ، دار ابن خزيمة ، الرياض ، ١٤١٧هـ .

١٢٩ ـ شرح متن الأربعين النووية : للامام النووي ، مكتبة الحرمين ، الرياض.

١٣٠ ـ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل : للامام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تحقيق : خالد عبداللطيف السبعي العلمي ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤١٥هـ .

١٣١ ـ الصارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار : وحيد عبدالسلام بالي ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الصحابة ، جدة ، ١٤١٢هـ .

١٣٢ ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت .

١٣٣ ـ صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل النجاري ، دار السلام ، الرياض ، ١٤١٧هـ .

١٣٤ ـ صحيح بن حبان : علاء الدين الفارسي ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٧هـ .

١٣٥ ـ صحيح مسلم : للامام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، الطبعة الأولى ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤١٢هـ .

١٣٦ ـ الصفات الواجبة والمستحيلة والجائزة في حق الرسل : طه عبدالله العفيفي، الطبعة الأولى ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٤١٤هـ .

١٣٧ ـ الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة : للامام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، اختصره : محمد بن الموصلي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٣٨ ـ ضوء الساري إلى معرفة رؤية الباري : أبو شامة شهاب الدين ، تحقيق: د. أحمد عبدالرحمن الشريف ، الطبعة الأولى ، دار الصحوة للنشر ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ.

١٣٩ ـ الطبقات الكبرى : لابن سعد ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٠هـ .

١٤٠ ـ عالم الجان من خلال القرآن والأحاديث الشريفة : فريال علوان ، الطبعة الأولى ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ١٩٩١هـ .

١٤١ ـ عالم الجن أسراره وخفاياه ، مصطفى عاشور ، مكتبة القرآن ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ.

١٤٢ ـ عالم الجن والشياطين : عمر سليمان الأشقر ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ .

١٤٣ ـ عالم السحر والشعوذة : عمر سليمان الأشقر ، الطبعة الأولى ، مكتبة الفلاح للنشر ، الكويت ، ١٤١٠هـ .

١٤٤ ـ عبادة الأوثان : عكاشة عبدالمنان الطيبي ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة .

١٤٥ ـ العرش وما ورد فيه : لإبن أبي شيبه/ محمد بن عثمان ، تحقيق : محمد بن حمد الحمود ، الطبعة الأولى ، مكتبة المعلا ، الكويت ، ١٤٠٦هـ .

١٤٦ ــ عصمة الأنبياء : الإمام/ فخر الدين الرازي ، تقديم : محمد حجازي ، الطبعة الأولى ، الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ .

١٤٧ ــ عصمة الأنبياء : د. محمود ماضي ، مكتبة الإيمان ، الإسكندرية .

١٤٨ ــ عصمة الأنبياء بين اليهودية والمسيحية والإسلام : د. محمد ماضي ، مكتبة الإيمان ، الإسكندرية .

١٤٩ ــ عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجه إليهم : د. محمد أبو النور الحديدي ، مطبعة الأمانة ، القاهرة .

١٥٠ ــ عصمة الأنبياء والرد على الشبهة الموجهة إليهم : د. محمد أبو النور الحديد ، مطبعة الأمانة ، القاهرة .

١٥١ ــ العصمة والرسل والورثة هم النذر : احمد أحمد نور .

١٥٢ ــ العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية : احمد بن حجر آل أبو طامي البنعلي، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ .

١٥٣ ــ عقيدة أهل السنة والجماعة : محمد الصالح العثيمين ، الطبعة الثانية ، دار عالم الكتب للنشر ، الرياض ، ١٤٠٨هـ .

١٥٤ ــ عقيدة الإمام/ أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي : د. محمد بن عبدالرحمن الخميس ، الطبعة الأولى ، دار طيبة للنشر ، الرياض ، ١٤١٩هـ .

١٥٥ ــ العقيدة السلفية في كلام رب البرية : عبدالله الجديع ، مكتبة العصيمي ، الرياض ، ١٤١٧هـ .

١٥٧ ــ العقيدة الصحيحة وما يضادها ورسالة المعية : للشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ، الطبعة الأولى ، وزارة الشؤون الإسلامية ، الرياض ، ١٤١٨هـ.

١٥٨ ــ عقيدتنا وصلتها بالكون والإنسان : د. طه الدسوقي ، دار الهدى للطباعة، القاهرة، ١٤٠٥هـ .

١٥٩ ــ عمدة القاري لشرح صحيح البخاري : للامام/ بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني ، الناشر : محمد أمين دمج ، بيروت .

١٦٠ ــ عون الباري لحل أدلة البخاري : أبي الطيب صديق حسن علي الحسيني القنوجي البخاري ، دار الرشيد ، حلب ، ١٤٠٤هـ .

١٦١ ــ عون المعبود شرح سنن أبي داود : أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ، تحقيق : عبدالرحمن محمد عثمان ، الطبعة الثالثة ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ .

١٦٢ ــ غرائب وعجائب الجن : بدر الدين بن عبدالله الشبلي ، تحقيق : إبراهيم محمد الجمل، مكتبة الخدمات الحديثة ، جدة .

١٦٣ ــ الفتاوى : للشيخ/ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤هـ.

١٦٤ ــ فتاوى السبكي : الإمام/ أبي الحسن تقي الدين علي بن عبدالكافي السبكي، دار المعرفة ، بيروت .

١٦٥ ــ فتاوى العقيدة : الشيخ/ محمد بن صالح بن عثيمين ، دار الجيل ، بيروت، مكتبة السنة ، القاهرة .

١٦٦ ـ فتاوي اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء : أحمد الدرويش ، الطبعة الثانية ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٤١٢هـ .

١٦٧ ـ فتاوى في العقيدة : الحافظ ابن حجر العسقلاني ، تحقيق : محمد تامر ، دار الصحابة للتراث.

١٦٨ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري : للامام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق : قصي محب الدين الخطيب ـ محمد فؤاد عبدالباقي ، الطبعة الأولى ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ .

١٦٩ ـ فتح القدير : محمد بن علي الشوكاني ، عالم الكتب ، بيروت .

١٧٠ ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد : للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ، الفاروق الحديثة للنشر ، القاهرة .

١٧١ ـ الفرق بين الفرق : عبدالقاهر بن طاهر البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٧٢ ـ الفرقان بين الحق والباطل : لشيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أبن تيمية، تحقيق: حسين يوسف غزال ، الطبعة الثالثة ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ١٤٠٧هـ .

١٧٣ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل : للإمام أبي محمد بن علي بن أحمد ابن حزم ، تحقيق : احمد شمس الدين ، الطبعة الأولى ، دار المكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٦هـ .

١٧٤ ـ فضل البعثة المحمدية على الإنسانية وصحتها العالمية الخالدة : أبو الحسن علي الحسين الندوي ، المجمع الإسلامي العلمي ، الهند ، ١٤٠٠هـ .

١٧٥ ــ الفلسفة الإسلامية ((دراسة ونقــد)) : د. عرفــان عبدالحميــد ، مؤسســة الرسالة، بيروت.

١٧٦ ــ فيض الباري على صحيح النجاري : الشيخ محمد أنـــور الكشــميري ، تحقيق : محمد بدر عالم الميرتهي ، الطبعـــة الأولـــى ، مطبعـــة دار المــأمون ، القاهرة، ١٣٥٧هـ .

١٧٧ ــ في ظلال القرآن : سيد قطب ، الطبعة السابعة عشـــر ، دار الشـــروق ، القاهرة ، ١٤١٢هـ .

١٧٨ ــ القاموس المحيط : الفيروز آبادي ، دار الرسالة ، دمشق ، ١٤١٢هـ .

١٧٩ ــ قانون التأويل : للامام/ أبي بكر محمد بن عبدالله بن العربـــي المعــافري الاشيلي ، تحقيق : دراسة : محمد السليماني ، الطبعة الأولى ، دار القبلة للثقافــة ، جدة ، ١٤٠٦هـ .

١٨٠ ــ القراءات القرآنية : د. عبدالله توفيق الصباغ ، دار العلم ، الإمارات .

١٨١ ــ القضاء والقدر : للامام شيخ الإسلام/ تقي الدين أبي العباس بن تيميـــة ، تحقيق : د. أحمد عبدالرحيم السايح ، الطبعة الأولـــــي ، دار الكتــاب العربـــي ، بيروت ، ١٤١١هـ .

١٨٢ ــ القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة : د. عبدالرحمـــن بـــن صــالح المحمود، الطبعة الأولى ، دار النشر الدولي ، الرياض ، ١٤١٤هـ .

١٨٣ ــ القوادح في العقيدة ووسائل السلامة منها : عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ، جمع : خالد بن عبدالرحمن الشايع ، الطبعة الثانيـــة ، دار بلنســية ، الريــاض ، ١٤١٧هـ .

١٨٤ ــ قواعد العقائد : للامام الغزالي ، تحقيق : موسى محمد علــــي ، الطبعــة الثانية ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٥هـــ .

١٨٥ ــ القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى : الشيخ/ محمد بن صـــالح بن العثميين ، تحقيق : أشرف بن عبدالمقصود عبدالرحيم ، الطبعة الثانية ، مكتبــة السنة ، القاهرة ، ١٤١٤هـــ .

١٨٦ ــ القول السديد في الرد على مـــن أنكــر تقســيم التوحيــد : عبدالـــرزاق عبدالمحسن العباد البدر ، تقديم : الشيخ/ صالح بن فوزان الفوزان ، دار ابن عفان للنشر ، المدينة المنورة .

١٨٧ ــ كتاب الأسماء والصفات : للامام البيهقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٨٨ ــ كتاب الأسماء والصفات : للامام تقي الدين أبو العبـــــاس ابـــن تيميـــة ، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بـــيروت ، ١٤٠٨هـــ .

١٨٩ ــ كتاب الإيمان : الحافظ أبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة ، تحقيـــق : محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثانيـــة ، المكتـــب الإســـلامي ، بـــيروت ، ١٤٠٣هـــ .

١٩٠ ــ كتاب الإيمان : للامام/ أبي عبيد القاسم بن سلام ، تحقيق : محمد نـــاصر الدين الألباني ، الطبعة الثانية ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٣هـــ .

١٩١ ــ كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات : القاضي/ أبـــي بكـــر محمد الطيب بن الباقلاني ، تحقيق : الآب وتشرد يوسف مكارثي اليسوع ، المكتبة الشرفية ، بيروت ، ١٩٥٨م .

١٩٢ ــ كتاب التعريفات : للجرجاني ، تحقيق : إبراهيم الابياري ، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤١٧هـ .

١٩٣ ــ كتاب التمهيد لقواعد التوحيد : للامام أبي المعين النسفي ، تحقيق : جبيب الله حسن أحمد ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة .

١٩٤ ــ كتاب تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل : الإمام أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ١٤٠٧هـ .

١٩٥ ــ كتاب التوحيد : د. صالح بن فوزان الفوزان ، الطبعة الأولى ، مطبعة سفير ، الرياض ، ١٤١٧هـ .

١٩٦ ــ كتاب التوحيد : للامام/ أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي ، تحقيق : د. فتح الله خليف ، دار المشرق ، بيروت .

١٩٧ ــ كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد : الإمام/ محمد بن عبدالوهاب، تحقيق: محمود عبدالوهاب فايد .

١٩٨ ــ كتاب التوحيد وإثبات صفة الله عزوجل : لإمام الأئمة أبي بكر محمد بن إسحاق ابن حزيمة ، تحقيق : د. عبدالعزيز بن إبراهيم الشهوان ، الطبعة السادسة، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤١٨هـ .

١٩٩ ــ كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله عزوجل وصفاته : الإمام الحافظ/ أبي عبدالله محمد بن إسحاق بن منده ، تحقيق : د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي .

٢٠٠ ــ كتاب جمهرة اللغة : الامام/ محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، الطبعة الأولى ، مجلس دائرة المعارف ، حيدرآباد ، ١٣٤٥هـ .

٢٠١ ــ كتاب الحيــدة : للامام/ عبدالعزيز بن يحيى الكناني : تحقيق : د. جميــل صليبا ، الطبعة الثانية ، دار صادر ، بيروت ، ١٤١٢هــ .

٢٠٢ ــ كتاب خلق الإنسان : أبي محمد ثابت بن أبي ثابت ، تحقيق : عبدالســتار أحمد فراج ، الكويت ، ١٩٦٥م .

٢٠٣ ــ كتاب الصفدية : شيخ الإسلام/ أبي العباس تقي الدين احمد بن عبدالحليم، اتحقيق : د. محمد رشاد سالم ، الطبعة الثانية ، مطابع جامعة الإمام محمــد بــن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤٠٦هــ .

٢٠٤ ــ كتاب الشريعة : للإمام أبي بكر محمد بن الحسين بن عبدالله الآجــرى : تحقيق : محمد بن الحسن إسماعيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٦هــ .

٢٠٥ ــ كتاب الرد على المنطقيين : للامام تقي الدين أبو العباس ابــن تيميــة ، الطبعة الثانية ، إدارة ترجمان السنة ، لاهور ، ١٣٩٦هــ .

٢٠٦ ــ كتاب الصفدية : شيخ الإسلام/ أبي العباس تقي الدين احمد بن عبدالحليم، اتحقيق : د. محمد رشاد سالم ، الطبعة الثانية ، مطابع جامعة الإمام محمــد بــن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤٠٦هــ .

٢٠٧ ــ كتــاب الســنة : لأبي عبدالرحمن عبدالله بن الامام أحمد بن حنبــل ، د. محمد بن سعيد بن سالم ، الرابعة ، دار عالم الكتب ، الرياض ، ١٤١٦هــ .

٢٠٨ ــ كتاب الصفدية : شيخ الإسلام/ أبي العباس تقي الدين احمد بن عبدالحليم، اتحقيق : د. محمد رشاد سالم ، الطبعة الثانية ، مطابع جامعة الإمام محمــد بــن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤٠٦هــ .

٢٠٩ ــ كتاب السنن الكبرى : أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق : عبدالغفار سـليم البدري ، سيد كردي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١١هــ .

٢١٠ ـ كتاب مجموعة التوحيد : شيخ الإسلام/ أحمد بن تيمية الحراني ، محمد ابن عبدالوهاب النجدي ، الطبعة الأولى ، دار اليقين للنشر ، ١٤١٣هـ .

٢١١ ـ الكتاب المقدس : دار الكتاب المقدس للنشر ، الشرق الأوسط ، ١٩٩٥م .

٢١٢ ـ كتاب الموطأ : للامام مالك بن أنس ، وبذيله كتاب : إسعاف المبطأ برجال الموطى للسيوطي ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤١٠هـ .

٢١٣ ـ كتاب الوحي : د. أحمد عبدالحميد عيسى ، الطبعة الثانية ، دار اللواء ، الرياض ، ١٤٠٢هـ .

٢١٤ ـ الكواكب الدراري في شرح الجامع للصحيح للبخاري : محمد بن يوسف الكرماني ، المطبعة المصرية ، ١٣٥٢هـ .

٢١٥ ـ كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري : الشيخ/ محمد خضر الجكني الشنقيطي ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٥هـ.

٢١٦ ـ كيف نربي أولادنا : د. محمد بن جميل زينو ، دار العصيمي للنشر .

٢١٧ ـ لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ، الشيخ/ محمد بن أحمد السفاريني ، تعليقات : عبدالرحمن أبابطين ، المكتب الإسلامي ، بيروت ومكتبة اسامة ، الرياض .

٢١٨ ـ مباحث في علوم القرآن : مناع القطان ، الطبعة السابعة ، مكتبة وهبة، القاهرة ، ١٤١٠هـ .

٢١٩ ـ المباحث المشرفية في علم الألهيات والطبيعيات : فخر الدين محمد بن عمر الرازي ، تحقيق : محمد المعتصم بالله البغدادي ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤١٠هـ .

٢٢٠ ـ المتوارى في تراجم أبواب النجاري : للعلامة/ ناصر الدين أحمد بن محمد، تحقيق : صلاح الدين مقبول إحمد ، الطبعة الأولى ، مكتبة المعلا ، الكويت ، ١٤٠٧هـ .

٢٢١ ـ مجلة المنار موضوع الحديث الشريف ، الرياح بين النعمة والنقمة : العدد : ديسمبر ١٩٦٦م / ١٣٨٦هـ .

٢٢٢ ـ مجلة الهداية الاسلامية : الجزء العاشر والحادي عشر ، القاهرة ، ١٣٦٠هـ.

٢٢٣ ـ مجلة علم النفس : العدد الأول ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥١م .

٢٢٤ ـ مجموع الفتاوى : لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، تحقيق : عبدالرحمن بن محمد القاسم وابنه ، الطبعة الأولى ، مطابع الرياض ، الرياض ، ١٣٨١هـ .

٢٢٥ ـ مجموعة اعتقاد أئمة السلف : الدكتور/ عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، وزارة الشؤون الإسلامية ، السعودية .

٢٢٦ ـ مجموعة الرسائل والمسائل : لشيخ الإسلام تقي الدين ابو العباس ابن تيمية، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٢هـ .

٢٢٧ ـ مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع : محمد بن جميل زينو ، مكتبة ابن تيمية ، جدة ، مكتبة العلم ، القاهرة .

٢٢٨ ــ مجموعــة فتاوى ومقالات متنوعة : للشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، تحقيق : د. محمد بن سعد الشويعر ، الطبعة الثانية ، ١٤١١هــ .

٢٢٩ ــ محاسن التأويل : للقاسمي ، الطبعــة الثانيــة ، دار الفكــر ، بــيروت ، ١٣٩٨هــ .

٢٣٠ ــ المحلى للحافظ ابي محمد علي بن أحمد بن حزم : تحقيق : أحمد محمــد شاكر ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت .

٢٣١ ــ مختصر منهاج السنة : لأبي العباس شيخ الإسلام احمــد بــن تيميــة ، اختصر : عبدالله الغنيمان ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الكوثر ، الرياض ، دار الأرقم، بريطانيا ، ١٤١٥هــ .

٢٣٢ ــ مدارج السالكين : أبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابــن قيــم الجوزيــة ، تحقيق: أحمد فخر الرفاعي / عصام فارس الجرستاني ، دار الجيل ، بيروت .

٢٣٣ ــ المدخل لدراسة القرآن الكريم : محمد بن محمد أبو شهبة ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ١٤١٢هــ .

٢٣٤ ــ مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات : أحمد بن عبدالرحمن عثمــان القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٣٥ ــ المستدرك على الصحيحين : لأبي عبدالله محمــد بــن عبــدالله الحــاكم النيسابوري ، تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ، الطبعــة الأولــى ، دار الكتــب العليمة ، بيروت ، ١٤١١هــ .

٢٣٦ ــ مسند أبي يعلى الموصلي : أحمد بن علي بن المثنى التميمي ، تحقيــق : حسين سليم أسد ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة العربي ، دمشق ، ١٤١٢هــ .

٢٣٧ ــ مسند الإمام أحمد : الإمام/ احمد بن حنبل ، تحقيق : أحمد محمد شـــاكر، دار المعارف ، مصر ، ١٣٧٧هـ .

٢٣٨ ــ مسند الإمام أحمد : الطبعة الأولى ، دار صادر ، بيروت .

٢٣٩ ــ مسند الإمام أحمد بن حنبل : الإمام احمد بن حنبل ، طبعه : احمد شـاكر، دار المعارف ، القاهرة .

٢٤٠ ــ معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد : الشيخ/ حافظ بن أحمد حكمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٤١ ــ معالم أصول العين : للفخر الرازي ، تصحيح/ طه عبدالرؤوف ســـعد ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ .

٢٤٢ ــ معالم السنن : للخطابي .

٢٤٣ ــ معجزات الرسول ﷺ ودلائل صدق نبوته : الشـــيخ/ إبراهيـم جلـهوم ، عبدالسلام حماد ، الطبعة الأولى ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٤١٣هـ.

٢٤٤ ــ معجم ألفاظ العقيدة ، أبي عبدالله عـــامر فـــالح ، تقديـم : عبـدالله بـن عبدالرحمن بن جبرين ، الطبعة الأولى ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٤١٧هـ .

٢٤٥ ــ معجم البلدان : ياقوت الحموي ، دار بيروت ، بيروت ، ١٤٠٤هـ .

٢٤٦ ــ المعجم الكبير : للحافظ/ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيـق : حمدي عبدالمجيد السلفي ، الطبعة الثانية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٢٤٧ ــ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، لفيف من المستشرقين ، نشـــره ده .أى. فنسنك ، مكتبة بريل ، لندن ، ١٩٣٦م .

٢٤٨ ــ المعجم المفهرس للقرآن الكريم : محمد فؤاد عبدالباقي ، الطبعة الأولى ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤١٧هـ .

٢٤٩ ــ معركة النبوة مع المشركين أو قضية الرسالة : د. إبراهيم زيد الكيلاني ، مكتبة الأقصى ، الأردن .

٢٥٠ ــ المغني : لابن قدامة المقدسي ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض .

٢٥١ ــ المغني في أبواب التوحيد والعدل : للقاضي عبدالجبار ، تحقيق : د. مصطفى كمال حلمي ــ ابو الوفا الغنيمي ، الدار المصرية للتأليف ، القاهرة .

٢٥٢ ــ المغنى والشرح الكبير : لعبدالله بن احمد بن قدامه المقدسي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٢٥٣ ــ مفتاح دار السعادة : أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٥٤ ــ المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة للطباعة ، بيروت .

٢٥٥ ــ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم : أبو عباس أحمد بن عمر القرطبي ، تحقيق : محيي الدين ديب مستو وأخرون ، الطبعة الأولى ، دار ابن كثير ، دمشق ، ١٤١٧هـ .

٢٥٦ ــ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين : أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت، ١٤١٢هـ .

٢٥٧ ــ مقاييس اللغة : أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، الطبعة الأولى ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١١ .

٢٥٨ ــ المقدمة : ابن خلدون ، الطبعة الثانية ، مكتبة المدارسة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٧٩م .

٢٥٩ ــ مقدمة تهافت الفلاسفة المسماة مقاصد الفلاسفة : للامام/ العزالي ، تحقيق : د. سليمان دنيا ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة .

٢٦٠ ــ الملتقى الإسلامي والمسيحي الثاني : التهامي نقرة ، الجامعة التونسية ، تونس ، ١٩٧٩م .

٢٦١ ــ الملل والنحل : أبي الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني ، تحقيق : احمد فهمي محمد ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣هـ .

٢٦٢ ــ منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري : حمزة محمد قاسم ، راجعه: عبدالقادر الأرناؤوط ، وعنى بتصحيحه : بشير محمد عيون ، مكتبة دار البيان ، سوريا ومكتبة المؤيد ، الرياض.

٢٦٣ ــ مناهل العرفان في علوم القرآن : محمد عبدالعزيم الزرقاني ، تحقيق : عيسى البابي الحلبي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .

٢٦٤ ــ المنتقى من شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : أبي القاسم هبة الله الطبري ، أبو معاذ محمود موافي ، الأولى ، مكتبة الصحابة ، جدة ، ١٤١٥هـ .

٢٦٥ ــ من علوم الأرض القرآنية : د. عدنان الشريف ، الطبعة الأولى ، دار الملايين ، بيروت ، ١٩٩٣م .

٢٦٦ ـ منهاج السنة النبوية : لشيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس ابـــن تيميـــة ، تحقيق : د. محمد رشاد سالم ، الطبعة الأولى ، إدارة الثقافة والنشر ، الريـــاض ، ١٤٠٦هـ .

٢٦٧ ـ المنهاج في نفحات من الإسراء والمعراج : للدكتور/ فضل حسن عباس ، دار البشير للنشر ، الأردن ، ١٤٠٧هـ .

٢٦٨ ـ منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد : عثمان بن علي حســـن ، الطبعـــة الثالثة ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤١٥هـ .

٢٦٩ ـ المواجهة بين الإسلام والعلمانية : د. محمد صلاح الصـــــاوي ، تقديـــم/ محمد عمارة ، الآفاق الدولية للإعلام ، القاهرة .

٢٧٠ ـ موارد الظمآن في محبة الرحمن : د. سيد بن حسين العفاني ، الأولـــى ، دار الأقصى، بني سويف ، ١٤٠٦هـ .

٢٧١ ـ الموافقات في أصول الشريعة : لأبي إسحاق الشاطبي ، تحقيق : الشـــيخ إبراهيم رمضان ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤١٦هـ .

٢٧٢ ـ موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول : شيخ الإســـلام ابـــن تيميـــة ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٧٣ ـ المواقف في علم الكلام : عبدالرحمن بن أحمد الأيجي ، مكتبة المتنبـــي ، القاهرة .

٢٧٤ ـ الموسوعة الحديثة : د. عبدالله عبدالمحسن الـــتركي ، تحقيـــق : الشـــيخ شعيب الأرناؤوط ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٧هـ .

٢٧٥ ــ موقف ابن تيمية من الأشاعرة : د. عبدالرحمن بن صـــالح المحمـود ، الطبعة الثانية ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤١٦هـ .

٢٧٦ ــ موقف ابن تيمية من فلسفة ابن رشد : د. الطبلاوي محمود سعد ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ .

٢٧٧ ــ موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين : مصطفى صبري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٢٧٨ ــ النبـــوات : شيخ الإسلام/ تقي الدين أحمد بن تيمية ، تحقيق : محمد عبدالرحمن عوض ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ .

٢٧٩ ــ النبوات وما يتعلق بها : الإمام/ فخر الدين الرازي ، تعليـق : د. احمد حجازي السقا ، دار الاتحاد العربي .

٢٨٠ ــ النبـوة والأنبياء : محمد علي الصابوني ، الطبعة الثانية ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ .

٢٨١ ــ النبوة والأنبياء : محمد علي الصابوني ، الطبعة الثانية ، دار الحديـث ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ .

٢٨٢ ــ النجـاة : الحسين أبي علي بن سينا ، مطبعـة السـعادة ، القـاهرة ، ١٣٣١هـ .

٢٨٣ ــ النشرة أو حكم علاج السحر بالسحر : عبدالعظيم بن إبراهيم أبـابطين ، تقديم : عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين ، الطبعة الأولى ، دار الجـواب للنشـر ، الرياض ، ١٤١٦هـ.

٢٨٤ ــ نهاية الاقدام في علم الكلام : عبدالكريم الشهرستاني ، تحقيق : الفردجيوم، مكتبة الثقافة الدينية .

٢٨٥ ــ النهاية في غريب الحديث : لابن الأثير ، الطبعة الأولى ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ .

٢٨٦ ــ هداية الحيارى : الامام العلامة/ شمس الدين محمد بن قيم الجوزية ، تحقيق : مصطفى أبو النصر السبكي ، الطبعة الثانية ، مكتبة السوادي ، جدة ، ١٤١٠هـ.

٢٨٧ ــ هدي الساري ((مقدمة فتح الباري)) : للامام الحافظ/ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، الطبعة الأولى ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ .

٢٨٨ ــ هذا الإنسان : أ. احمد عزالدين البيانوني ، الطبعة الأولى ، دار السلام للطباعة ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ .

٢٨٩ ــ الوابل الصيب من الكلم الطيب : لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تحقيق : د. السيد الجميلي ، الطبعة الأولى ، دار النجار ، بيروت ، ١٩٨٦م .

٢٩٠ ــ الواسطة بين الحق والخلق : شيخ الإسلام/ تقي الدين أبي بكر بن تيمية ، تحقيق : محمد بن جميل زينو ، الطبعة الأولى ، مطابع الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة.

٢٩١ ــ الوافي في شرح الأربعين النووية : مطبعة الصباح ، دمشق .

٢٩٢ ــ وحي الله حقائقه وخصائصه : د. حسن ضياء الدين عتر ، دار الصحافة، مكة المكرمة ، ١٤٠٤هـ .

٢٩٣ ــ وفيات الأعيان : لابن خلكان ، تحقيق : د. احسان عباس ، دار صـــادر ، بيروت ، ١٩٧٨م .

٢٩٤ ــ وقاية الإنسان من الجن والشيطان : وحيد عبدالســـــلام بـــالي ، الطبعـــة الثانية، مكتبة الصحابة ، جدة ، ١٤١٢هـــ .

٢٩٥ ــ الوحي الآلهي : د. الحسيني عبدالمجيد هاشم ، الهيئة المصرية للتـــأليف ، القاهرة ، ١٩٧٠م .

٢٩٦ ــ الوحي الرحماني والوحي الشيطاني : عبدالخالق العطار ، مكتبة الطـــــب الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٩٣م .

٢٩٧ ــ اليوم الآخر والجنة والنار : د. عمر سليمان الأشقر ، الطبعة الخامســـة ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ١٤١٤هـــ .

٢٩٨ ــ لسان العرب : للامام أبي الفضل جمال الدين ابن منظور ، دار صـــادر ، بيروت .

فهرس الموضوعات